الفيصل

…ي مفهوم الضحك

…ظرية داروين: جاهلية العلم

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٦٢ - ربيع الآخر ١٤١٩ هـ - أغسطس/آب ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 262 - AUG. 1998



د. محمد بن عبد الرحمن الربيع
في منتدى الفيصل

التراث خطر على اللغة إذا حجر على العقول وقتل الإبداع

تعريب العلوم ضرورة حضارية تبطل دعوى قصور اللغة

أراد بعضنا التحرر من تهمة الجمود فوقع في أسر التقليد

تحويل أحداث التاريخ إلى عمل فني يحتاج إلى ثقافة
ووعي وحس تاريخي مرهف

مصابيح السنة

للحسين بن مسعود بن محمد، البغوي(ت ٥١٠هـ)

أورد فيه ما يزيد على خمسة آلاف وسبعمئة حديث نبوي شريف، وقسّمها إلى أحاديث صحاح وحِسان، وعنى بالصِّحاح ما أخرجه البخاري ومسلم، وبالحسان ما أخرجه أبوداود والترمذي وغيرهما من أصحاب كتب الحديث، وما كان في الكتاب من أحاديث ضعيفة أو غريبة أشار إليها وبيّنها، وأعرض عن ذكر الأحاديث المنكرة أو الموضوعة.

كتب المخطوط على ورق مشرقي بخط النسخ التدويني على يد إلياس بن عيسى سنة ٨٠٠هـ.

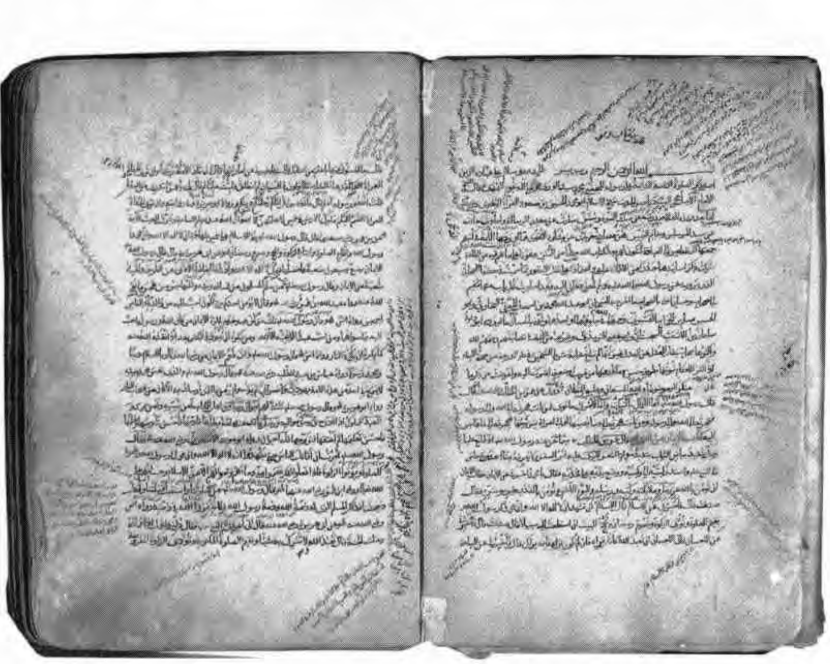
يسبق المتن فهرس لأبواب الكتاب، ويلي ذلك تقييدات مختلفة بخطوط مختلفة. كتبت رؤوس الفقرات والأبواب والكتب بالحبر الأحمر. عليه شروح وتعليقات كثيرة وتقييدات منقولة من كتب أخرى ومصادر مشابهة. وقد كتبت خارج المتن بعدة طرق فهي مرة مقلوبة ومرة مائلة إلى أعلى أو مائلة إلى أسفل. كما كتبت في بعض الأحيان بين سطور المتن. قوبل بالأصل وعليه تصحيحات كثيرة، بآخره أسماء أربعة من أولاد الناسخ وتاريخ وفاتهم. أما الجلد فهو من الورق المقوى وحوافه وكعبه من الجلد البني الغامق.

يقع المخطوط في ٢٢٧ ورقة، ومسطرته ٢٣ سطراً، ومقاسه ٢٧٫٥-١٩سم.

والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٣٤٤.

إعداد : إبراهيم باجس عبدالمجيد





في العدد القادم

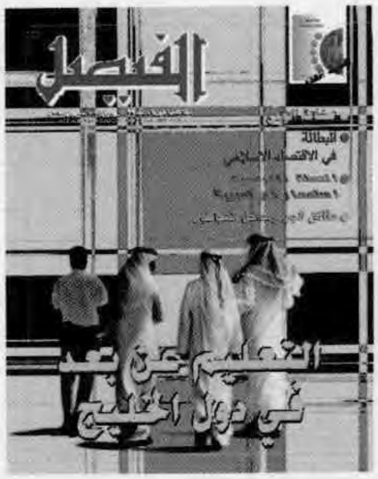
- حقوق المؤلف بين الإسلام والفكر المعاصر
- التداخل الإيقاعي في أوزان الشعر العربي
- خيال الظل: البذرة الأولى في الأدب المسرحي العربي

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



عن العدد الماضي

لقد اتصف العدد (٢٦١) من الفيصل بعدد من المزايا، أولاها تنوع مادته، وهو ما اعتدناه من «الفيصل»، فجاء العدد مشتملاً على موضوعات في التربية واللغة والاقتصاد والتراث والتاريخ، وأثار عدداً من القضايا الأدبية والفكرية، ولعل ما طرحه رئيس التحرير عن العولمة من أسئلة محيرة يعد تأكيداً لما جاء في إطلالة العدد (٢٦٠)، وإبرازاً لجوانب جديدة تستحق الدراسة والتمحيص، وقد لامس الدكتور فوزي منصور هذا الموضوع بأسلوب غير مباشر، حين أوضح ما بين الاقتصاد والسياسة من ارتباط وثيق.

أما المزية الثانية لهذا العدد، فكان ذلك التعريف المبسط بالمجلة الذي ألحق بالعدد، وتناول جوانب من مسيرة تطويرها، وهي تبرز تلك السلاسة التي يتم بها هذا التطوير.

وكان هدية العدد كتاب د. زيد الحسين «جائزة الملك فيصل العالمية وأبعادها الحضارية» أهم ما يميز هذا العدد، وهذا الكتاب الذي جمع بين عمق الطرح والتوثيق ينزل هذه الجائزة المنزلة التي تستحقها، ويوضح للقارئ ما لها من أبعاد حضارية قد تغيب عن كثيرين.

وما آمله أن تداوم «الفيصل» على إصدار الملاحق التي لا مراء إنها تمثل أهم جوانب تفردها، لما تتسم به من عمق وشمول؛ كما آمل أن نرى جديداً في أبوابها وتبويبها مع بدء السنة (٢٣) من عمرها المديد إن شاء الله.

مهندس زراعي

محمد صالح الوشمي

القصيم

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيه - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

«الفيصل» وجائزة الملك فيصل

جاء العدد رقم ٢٦١ من مجلتنا «الفيصل» مشتملاً على موضوعات متنوعة ومتميزة، وكم سررت بأن يكون مع العدد كتاب لا يقل تميزًا عن هذه العدد، فكتاب رئيس التحرير الدكتور زيد الحسين «جائزة الملك فيصل العالمية ودلالاتها الحضارية» لم يكتف بالتوثيق فحسب، وإنما حوى أفكارًا تميزت بالعمق والموضوعية، فكانت مقدمتها عن الجوائز تأريخًا لما عرف عن العرب من احتفاء بالإبداع والمبدعين، ولا شك أن ما تقوم به مؤسسة الملك فيصل الخيرية من دعم للعمل والعلماء ليس إلا تعبيرًا عن عالمية الإسلام وإنسانيته، وهذا ما تجسده جائزة الملك فيصل العالمية التي تستحق ما بذل من جهد لإعداد هذا الكتاب ليأتي على هذه الصورة من العمق والشمول.

فشكرًا لمجلة الفيصل التي أعطت هذه الجائزة ما تستحقه من الاهتمام يتناسب مع أثرها في دفع ركود الحركة الفكرية في عالمنا العربي والإسلامي، ولعل ذلك يدفع الإعلام للاهتمام بهذه الجائزة وإعطائها ما تستحقه من مكانة رفيعة.

محمد حسن جبر ـ الرياض ـ ١١٤٦٢ ـ ٧٢٢٥.

حملة للتوعية البيئية

لقد لفت انتباهي ما توليه مجلتكم من اهتمام لموضوع البيئة، وهو ما تشكرون عليه، بما أنه سبق أن أعدت المجلة بيليوجرافيا عن موضوع البيئة، فإنني أقترح أن تتبنى المجلة حملة للتوعية البيئية، تشارك فيها المؤسسات والمنظمات المعنية، كما تشارك فيها مؤسسات القطاع الخاص وشركاته، وعلى أن تستمر هذه الحملة عدة شهور متواصلة، وأن تتضمن برامج مسموعة ومرئية تصنع إطارها العام المجلة بالتنسيق مع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، لأن التربية البيئية تعد ضرورة قصوى في ظل هذا التلوث الذي يحيط بالإنسان في كل مكان.

فهد صالح العسكر
مدينة أبها ـ منطقة عسير ـ
المملكة العربية السعودية.

مدن مجهولة

إن متعة الاطلاع على مجلتكم التي تحمل اسم علم من أعلام الأمة العربية والإسلامية في العصر الحديث لا تدانيها متعة، وهي بلا شك جديرة بالاسم الذي تحمله، وأكثر ما يعجب القارئ فيها تنوع المادة وعمق الطرح، وقد استطاعت المجلة أن تبرز أسماءً لم تكن معروفة في مجال الكتابة الصحفية والطرح الفكري، كما أن الاهتمام بوجود عدد كبير من الجنسيات العربية المختلفة دليل على التقيد بالموضوعية، وإتاحة المجال للجميع بلا أدنى تمييز لطرح وجهات نظرهم، وكل ما آمله أن يكون للمجلة اهتمام كبير بمدن عربية مجهولة لدى القارئ، مع أنها تضم سجلاً تاريخيًا متميزًا، فليت «الفيصل» تقدم مدن المملكة التي تتميز بتاريخها وطبيعتها الممتازة، وأعتقد أن «الفيصل» إذا فعلت ذلك، فإنها لا تقف عند القشور، وإنما ستتعمق في إبراز الجوانب التي تضيف إلى فكر القارئ الشيء الكثير، والدعاء لكم بالتوفيق إن شاء الله.

عبدالله يحيى عسيري ـ حي الروضة ـ الرياض.

ملف عن الأقليات الإسلامية

لقد عودتنا «الفيصل» إعداد ملفات متخصصة تتناول قضايا الساعة الملحة، ولا أرى أن هناك موضوعًا يستحق الاهتمام في هذا الوقت مثل القضايا المرتبطة بالأقليات الإسلامية في العالم، لأنها تتعرض لضغوط شديدة من الاتجاهات كافة، مما يجعل تناول قضاياها أمرًا ملحًا جدًا، ولا بد في هذا الشأن من إبراز ما تقوم به المراكز الإسلامية من دور كبير في مواجهة تلك الضغوط، إضافة إلى بحث وسائل تفعيل دور هذه المراكز لكي تكون سياجًا تحمي الأقليات المسلمة مما تتعرض لها من حملات شرسة، في محاولة لزعزعة عقيدتها ومسخ هويتها.

ويعدّ اشتراك مفكرين ينتمون إلى هذه الأقليات في إعداد هذا الملف مهمًا جدًا، حتى تأتي التصورات للحلول نابعة من الواقع. وفقكم الله إلى ما فيه خير دينه.

محمد عثمان موسى
ولاية تكساس ـ الولايات المتحدة الأمريكية

معالم عربية وأجنبية

إن باب «معالم من المملكة العربية السعودية: سلسلة تعريفية بالمؤسسات الثقافية والحضارية» الذي تنشرونه في باطن الغلاف الأخير يشكل إضافة مهمة في المجلة، فلماذا لا تفكرون في توسعته لكي يضم في كل عدد معلمًا من المعالم المهمة في إحدى الدول العربية، على ألا تكون من المعالم المعروفة التي عهدها القراء، بل يمكن تناول معالم من دول العالم المختلفة، ففي ذلك إسهام في توسيع مدارك القارئ وإغناء لمعلوماته.

م. عماد نبيه حفظي
شارع محمود حلمي متفرع من شارع الترعة البولاقية ـ شبرا مصر ـ القاهرة.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

تربية وتغذية

بقدر ما أسعدتني إطلالتكم الكريمة عن الفضائيات العربية الناشئة التي تحت عنوان«بين بيع الوهم وتأصيل الفهم» بقدر ما آلمتني هذه الحقائق التي سلطتم عليها الأضواء في بحثكم القيم، وأسعدني أن تضع يدكم على المرض بكل أبعاده.

وآلمني هذا الحال الذي آلت إليه فضائياتنا، إذا علمنا أن أكثر هذه الأجيال الناشئة تنهل منها ثقافتها.

وفي هذا المجال أحب أن أهمس في أذن آبائنا الكرام الذين يخرجون من الصباح ولا يعودون إلى بيوتهم إلا مساءً وهم يسعون في رزق أولادهم لكي يؤمنوا لهم كل متطلباتهم، أدعوهم إلى أن يعملوا نصف الوقت الذي يقضونه في العمل، وأن يطعموهم نصف هذا الطعام، في سبيل أن يهتموا بتربية أولادهم تربية سوف يسألون عنها يوم القيامة، لأن هؤلاء الأبناء عندما يكبرون سوف يلومونهم على تقصيرهم في تربيتهم، ولن يلوموهم على تقصيرهم في تغذيتهم إذا كانوا ذوي تربية حسنة.

م. سمير جقميري ـ ص.ب ٢٢٥٧٣ ـ دمشق سورية

مع المليحات من المجلات

لن أنسج من حروفي ديباجة كلامية أستهلُّ بها رسالتي إليكم، فلست ممن يرسمون بالكلمات مقدّمات مطوّلة في مدح مليحتكم «الفيصل»، وهي التي أغنتها نزاهتها ونصاعة فكرها عن قصائد المادحين ومقالات الكُتّاب والعارفين.

وما كان لمثلي أن يسطّر في حبّها أسطر الإعجاب، ونقوش الدّهشة على كل ورقة، وهي التي علمتنا كيف تكون الكتابة؟.

ولن تطول مقدّمتي فأنا آتيكم من راسيات مكة ووديانها الذي يحمل عبق الطهارة وقداسة الثّرى.

تعلّمت نظم الشعر على مدارج الجامعة والتحقت «بملحق الندوة الأدبي» أكتب الشعر والمقالة القصيرة، وأهوى مصاحبة «المليحات من المجّلات الأدبية التي تزخر بها المكتبة السعودية».

لكم مني شكري وتقديري وسلام الله عليكم وبركات منه ورحمة.

زكيّة حاجي ـ

مكة المكرمة ـ ص.ب ٣٥٠٠.

ظاهرة غير صحية

فوجئت اليوم بأن مقالة لي سبق أن نشرتموها في عدد الفيصل رقم (٢١٨) الصادر في يناير ١٩٩٥م على الصفحتين ١٠٢و١٠٣، قد نشرت مجدداً حرفيًا دون تغيير كلمة واحدة في العدد ٢٨٩ من مجلة (الجندي) الصادرة في فبراير ١٩٩٨م من دبي، بعد اختصار عنوانها الأصلي (الانفجار السكاني وانفجار النخبة) ليصبح على صفحات الجندي مقتصراً على (الانفجار السكاني) وقد انتحل هذه المقالة المدعو (د. ناول عبد الهادي).

لقد كتبت من جهتي إلى رئيس تحرير مجلة (الجندي) التي تنشر لي مقالات شهرية في كل أعدادها تقريبًا، لافتًا نظره إلى هذه السرقة السافرة، كما أنني أفكر بملاحقة السارق قضائيًا. لكنني أشعر في الوقت نفسه بالتزام أخلاقي تجاهكم؛ لأن المقالة أصبحت حقًا لكم منذ قمتم بنشرها قبل أكثر من ثلاث سنوات، وبالتالي من واجبي أن ألفت نظركم إلى سرقتها وإعادة نشرها من قبل السارق، تاركًا لكم اتخاذ الإجراء المناسب إزاء هذه الظاهرة المشينة التي انتشرت ممارستها بشكل متزايد، مقترحًا لفت نظر قرائكم على الأقل إليها.

ولكم أطيب تمنياتي وتقديري.

د. خيرالدين عبدالرحمن ـ سورية ـ حلب ص.ب ١٣٠٣٤

التحرير:

تشكر مجلة الفيصل للأخ الدكتور خيرالدين عبدالرحمن تفضله بالتواصل مع المجلة، والتنبيه على هذه السرقة الأدبية التي كان صاحبها هو المذكور في رسالة الدكتور، ويجب توكيد بعض النقاط:

ـ اعتزازنا بالكتّاب المتميزين الذين ترحب بهم صفحات «الفيصل» وتقدم إنتاجهم بفخر.

والمجلة حريصة كل الحرص على ألا يقع مثل هذا، وقد أوقفت التعامل مع الكاتب صاحب السرقة الأدبية منذ أكثر من عامين.

ـ في المجلة قائمة سوداء تضم أسماء من يخرجون عن أمانة العلم، ويدّعون لأنفسهم ما ليس لهم، وقد غدا المذكور واحداً من هؤلاء منذ عامين كما سبق القول.

ـ نكرر الشكر للدكتور خير الدين، آملين أن نتكاتف لمحاربة هذه الظاهرة الخطيرة التي تجتاح حياتنا الفكرية.

ذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة

سياحة المع



يمثل السفر والترحال جزءًا أصيلاً من حياة الإنسان، فهو يتنقل منذ أقدم العصور من مكان إلى آخر لغايات مختلفة، منها: البحث عن سبل الرزق، أو طلب العلم والمعرفة، أو الترويح عن النفس، وقد حفظ لنا التاريخ قصص رحلات عظيمة قام بها الرحالة العرب والمسلمون، طافوا خلالها في أجزاء واسعة من العالم، ودونوا مشاهداتهم، وعبروا عن آرائهم فيما رأوا وسمعوا، حتى تكون تراث ضخم من أدب الرحلات، أصبح يعتمد عليه في التأريخ لمراحل مهمة من حياة الأمة العربية والإسلامية، والعالم.

وكثير من هذه الرحلات تمّ في ظل انعدام الأمن في بقاع كثيرة زارها هؤلاء الرحالة الذين اعتمدوا في رحلاتهم على الخيل والدواب والسفن الشراعية، ولم تتوافر لهم الأدوية والرعاية الصحية الضرورية، كما أنهم كانوا عرضة للأسر أو القتل في أزمان الحروب، فلم يمنعهم ذلك كله من المغامرة بحياتهم لتلمس المعرفة وطلب العلم، وإشباع الرغبة في تعرف أحوال الناس، وطبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم في الأمصار المختلفة، ولم يتوانوا عن تدوين ما رأوه، وما سمعوه تحقيقًا للفائدة، ورغبة في نشر المعارف ونقل الخبرات، وتشجيعًا للآخرين ممن لديهم القدرة على اقتحام المجهول، وارتياد الآفاق غير المطروقة لإكمال ما بدؤوه.

وكان طالب العلم ينتقل إلى أصقاع بعيدة ليتلقى العلم على يد عالم من العلماء اشتهر في تلك الأصقاع، وعرف بسعة علمه، وتميز منهجه في مجاله، بل كان العلماء يكابدون المشاق للقاء بعضهم بعضًا، طلبًا لمزيد من العلم، ولتداول الرأي في المسائل العلمية التي يختلفون فيها، بغية الوصول إلى الحقيقة.

وكانت روح البحث عن المعرفة، والرغبة الجارفة في الاكتشاف من العوامل التي أتاحت لدول الغرب إقامة إمبراطوريات واسعة بعد الثورة الصناعية، إذ ارتاد الرحالة الغربيون مناطق مجهولة من العالم، ونقبوا عن ثرواتها، ودرسوا عادات أهلها وتقاليدهم، وتلمسوا الوسائل التي تجعلهم ينقادون لهم، ومنهم من وضع التآليف عن مشاهداته في أصقاع العالم البعيدة، التي ارتادها من غير أن تمنعه العوامل الطبيعية من عواصف وفيضانات وبراكين، ودون أن تقف مظاهر السطح والتضاريس من جبال وأنهار وبحار وبحيرات عائقًا أمامه.

ومع تيسر سبل المواصلات والارتقاء بمستوى الطرق البرية والبحرية والجوية أصبح العالم يزداد تقاربًا، وتزداد المسافات تقلصًا، مما شجع كثير ممن لديهم القدرات المادية على السفر، طلبًا للعلم والمعرفة، والاستزادة من الخبرات، وتلمسًا للراحة والاستجمام، وفي مرحلة لاحقة، أصبح السفر والسياحة متاحين لقاعدة كبيرة من الناس بعد أن كانا مقتصرين على الأغنياء، نتيجة لتقدم تقنيات الاتصال، وتطور وسائل المواصلات، وتوافر المرافق والخدمات الحديثة، مما قلل العناء والمشقة.

وشهدت الفترة التالية للحرب العالمية الثانية حركة سياحية ناشطة شملت معظم أجزاء العالم، كما لو كانت رد فعل مباشر للسنوات العصيبة التي عاشتها شعوب الأرض تحت وطأة الحرب، وما خلفتها من آثار سلبية هائلة على المستوى المادي والبشري والتي تعرض لها سكان العالم في حرب كادت تهدد بفناء الإنسان، وانتهاء ما شيّده من حضارة على مر العصور والأزمان.

وهذا النشاط السياحي الكبير كان دافعًا إلى إيجاد سبل التعاون بين الدول لزيادة حيويته، ووضع الضمانات الكفيلة بحماية السائحين، فكان أن انعقد أول مؤتمر دولي للسياحة والسفر في روما عام ١٩٦٣م، وتشكلت منظمات وهيئات وطنية وإقليمية ودولية تُعنى بالسياحة وقضاياها، وتعمل على دفع حركتها، وتذليل العقبات التي تواجهها، لما لها من دور كبير في تحقيق التفاهم بين الشعوب، وتقريب وجهات النظر، ووضع أسس التعاون الفعال بينها في مجالات الحياة المختلفة، لبلوغ الغايات المشتركة.

ولا أدل على أهمية السياحة في العالم اليوم من احتلالها المرتبة التالية للطعام واللباس والمأوى في هرم الحاجات، وفق الدراسات التي تم إجراؤها في كثير من دول العالم المتقدم، وبلغت نسبة الإنفاق في مضمار السياحة ٣٪ من نسبة الإنفاق الاستهلاكي في الدول النامية، و٦ـ ٨٪ من تلك النسبة في الدول المتقدمة.

وهذا مايجعلها من أهم القطاعات الاقتصادية، وركيزة من ركائز الاقتصاد الوطني في معظم بلدان العالم، وعاملاً من عوامل رخائها، ومحركًا رئيسًا لقطاعات الزراعة والصناعة والخدمات، إذ يقتضي تنشيط السياحة الاهتمام بالمنتجات الزراعية والصناعية تلبية لحاجة السوق المتزايدة بتزايد عدد السيّاح، ولا سيما المنتجات التقليدية التي تميز مجتمعًا من آخر، لأن السائح لا تجذبه إلا جوانب التميز الثقافي والحضاري بشكل عام التي تتمتع بها دولة ما دون غيرها من الدول، وعلى الرغم من هذه الأهمية للسياحة، فيجب ألا تكون على حساب الأخلاق والقيم، إذ إن التميز الثقافي كفيل بقيام سياحة نظيفة راقية تحقق الأغراض المطلوبة، وفق توازن تفرضه الرغبة في تقدم المجتمع واستمرار رخائه واستقراره بعيدًا من الملوثات الفكرية والسلوكية التي تقضي على مبدأ التوازن المطلوب. ولأن الراحة مطلب رئيس للسائحين الذين يريدون قضاء إجازاتهم من غير مكابدة المشاق، فإن ذلك يوجب الارتفاع بمستوى الخدمات والمرافق، لتتوافر لهم بذلك سبل الراحة في الحِل والترحال، وبالارتفاع بمستوى الإنتاج الزراعي والصناعيّ، والارتقاء بمستوى الخدمات والمرافق تنشط السياحة، وتتاح فرص العمل للأيدي العاملة في المجالات المختلفة المرتبطة بالسياحة، وبنشاطها يزداد الدخل الوطني.

ويتميز قطاع السياحة بقابليته للتجدد، وبكونه مجالاً فسيحًا للإبداع والإضافة، إذا أُحسن التخطيط له، وذلك بعد أن تغير مفهوم السياحة، فلم يعد كما كان في السابق مرتبطًا بزيارة المناطق الأثرية والتاريخية فحسب، وإنما توسع هذا المفهوم ليشمل أنماطًا جديدة من السياحة التي يتم تشكيلها طبقًا لمعطيات الواقع، وقدرات الابتكار التي تتوافر للقائمين على أمر السياحة لاستغلال تلك المعطيات وصياغتها بشكل جديد يمنحها مقومات الجذب السياحي، ولا تزال الأنماط السياحية آخذة في التوسع، وإن كان يمكن ذكر بعض أهم تلك الأنماط السياحية المعروفة اليوم، وهي السياحة الثقافية، والسياحة التاريخية، والسياحة الصحية، وسياحة المؤتمرات، والسياحة الرياضية والشبابية، وغيرها.

وهذا المفهوم الجديد للسياحة يجعلها تتجاوز حدود العواصم والمدن الكبرى، لتشمل القرى، والمدن، والبوادي، والصحارى، بل إن السائح الذي توافرت له المعرفة والخبرة عن معالم تلك العواصم والمدن الكبرى، من خلال وسائل الاتصال المختلفة، أصبح يتلهف أكثر إلى اكتشاف المجهول من المعالم والأنماط الحياتية التي لم تسلط عليها الأضواء، أو لمشاهدتها من كتب، بعد أن أتاحت له وسائل المواصلات الحديثة الانتقال إلى الوجهة التي يريدها بأقل مجهود ممكن، وبأقل تكلفة.

ومهما تعددت أنماط السياحة، وتعددت غاياتها، فإن المعرفة تظل أهم ما يحصل عليه السائح، إلى جانب تجديد نشاطه واستعادة حيوتيه ليعود إلى العمل بروح جديدة، تساعده على الإبداع والإنجاز.

فالسائح عندما ينتقل من بلد إلى آخر، فإنه يكسب معارف جديدة، ويتعرف أنماطًا حياتية لا عهد له بها، ويرى تقاليد مختلفة عن تقاليد بلده والبلاد التي زارها من قبل، ويقيم علاقات تعارف أوصداقة مع ناس مختلفين في أساليب تفكيرهم ومستويات ثقافتهم، وطرائق معيشتهم، ويقف على قضايا ومشكلات لم يكن يعلم عنها شيئًا، لاتصالها بواقع شعوب أخرى، لها علاقاتها الاجتماعية المتميزة، وأنشطتها الاقتصادية الخاصة بها، وقيمها ومعتقداتها المنبثقة من إرثها الثقافي والحضاري، كما أن لها لغاتها ولهجاتها المتعددة. ويقف السائح من خلال مشاهداته وملاحظاته على ما بين قبائل الشعب الواحد من

...وبناء الذات

تباين واختلاف، وعلى ما بين شعوب الأمة الواحدة من فروق في بعض العادات والتقاليد والأعراف، ليصل إلى متعة المعرفة والتعلّم، فما يشعر به الإنسان من متعة في كل يوم ليس مصدره ما تحقق فيه من إنجاز فحسب، وإنما ما يتعلمه منه أيضًا، وبهذا تتحقق متعة السياحة التي ينشدها الإنسان. وما كانت هذه المعلومات التي يستقيها الإنسان بالتعامل المباشر لتتوافر له بهذا الوضوح والعمق مهما قرأ من كتب أو سمع أو شاهد من برامج مسموعة أو مرئية.

وإذا كان يأخذنا العجب لما يبديه السائح الأجنبي من اهتمام بالتفاصيل الدقيقة لما يشاهده، ونزوعه إلى طرح الأسئلة الكثيرة التي قد تبدو لبعضنا ساذجة لمعرفتنا السابقة بإجاباتها، إلا أنه يخلص من ذلك إلى استنتاجات عميقة، ولا يتوقف أغلبهم عند المشاهدات الحية فحسب، بل يحاولون الاستزادة من المعلومات بالبحث عنها في الكتب المتخصصة، فيظل الواحد منهم في بحث دائم طوال مدة الرحلة، بل يستعد لها قبل بدئها بزمن طويل، بالحصول على المعلومات الأساسية التي تتعلق بالمكان الذي ينوي زيارته، كمعرفة الموقع الجغرافي، والطقس، والمساحة، وعدد السكان، واللغة الأم، ونظام الحكم، والعملة المتداولة، والمدن الكبرى، وأهم المعالم السياحية، وغيرها من المعلومات التي تعينه على التفاعل مع الواقع، وقد يأخذه الاهتمام لدراسة تاريخ هذه الجوانب.

ونلمس هذه الروح التواقة إلى اكتساب المعرفة واكتشاف المجهول في سلوكيات تلك الأفواج من السيّاح الذين يحرصون على الاحتكاك المباشر بأهل البلاد التي يزورونها، وتسجيل ما يشاهدونه، حتى إن الوقت الذي يقضونه في أماكن إقامتهم لا يمثل شيئًا يذكر موازنة بما يقضونه في التجوال في الشوارع، وفي الأماكن السياحية، وفي مراكز الثقافة والحضارة. وباكتساب المعرفة يتحقق غرض السياحة، وإذا كانت السياحة بشتى وسائلها وسبلها تقصد إلى تحقيق نتيجة معينة، هي الحصول على الاستمتاع والشعور بالسعادة، إلا أن هذه النتيجة ذات شكلين متفاوتين، الأول وقتي قصير، وقد يكون سلبيًا يهدم ولا يبني، والثاني يكون دائمًا وبناء يسير بالإنسان نحو البناء الذاتي والتكوين النفسي السليم، فتربية العقل تعتمد على تربية القلب.

وعلى النقيض من ذلك، نجد أن السائح العربي الذي تتاح له فرصة زيارة دولة من الدول لا يحرص في الغالب على الاختلاط بأهلها، ولا يتزود بالمعلومات الضرورية التي تعينه على معرفة المجتمع الذي هو متجه إليه قبل بدء رحلته، بل إن بعض السائحين العرب يمضون أيام إجازاتهم على النمط نفسه الذي يمارسون به حياتهم في بلاده، فقد يجلس الواحد منهم في أحد المقاهي لساعات طويلة مع عدد من الأصدقاء العرب الذين يتعرفهم هناك، أو الذين يرافقونه في رحلته، أو قد يتسلى بتدخين النرجيلة أو بالمسامرة، والأحاديث المكرورة، أو قد تكون مرافقة التلفاز طوال ساعات الاستيقاظ هواية بعضهم، وهم جلوس بين جدران أربعة لا يفارقونها، بل إن البرامج التي يشاهدونها قد تكون هي ذاتها التي ألفوا مشاهدتها في بلادهم، ولا هدف لبعضهم إلا ارتياد أماكن اللهو، التي يقضون فيها الليل بطوله، ليناموا النهار كله، حتى تنقضي أيام الإجازة.

أما التسوق، فهو غاية كثيرين من السيّاح العرب، الذين يبلغ ببعضهم الكلف بهذه الهواية إلى حد شراء أشياء قد لا يحتاجون إليها، أو اقتناء ما يمكن شراؤه من أسواق بلادهم، بأسعار تقل كثيرًا عن أسعارها في ذلك البلد الذي يزورونه.

وإذا كان السائح الأجنبي الذي يزور أي بلد يحرص على معرفة كل ما يتعلق بمستوى المعيشة في ذلك البلد قبل بدء رحلته، والتزود بمعلومات كافية عن أسعار الفنادق بدرجاتها المختلفة والمواصلات والمأكولات وغيرها من الخدمات التي يحتاج إليها خلال رحلته، فإن السائح العربي لا يهتم كثيرًا بهذه المعلومات، مما يجعله عرضة للاحتيال والمغالاة من جانب من يقدمون إليه الخدمات، مع أن بعض السيّاح العرب أحوج مايكونون إلى الاقتصاد في النفقات، إذ لا يدفعهم إلى السفر إلا غرض المباهاة والمفاخرة من غير أن تكون لديهم القدرات المادية التي تعينهم على ذلك، مما يقودهم إلى الاقتراض.

وعند انقضاء أيام الإجازة، يعود كثير من السائحين العرب بخفي حنين، من غير أن يكونوا قد ابتاعوا كتابًا جديدًا أو شريطًا ثقافيًا أو علميًا، وإنما يجيء أغلبهم محملين بالهدايا الاستهلاكية التي تعج بها أسواق بلادهم، من غير أن يضيفوا شيئًا كثيرًا إلى معارفهم وخبراتهم، وما عدت أيام الإجازة إلا أن تكون وقتًا قتلوه قتلاً.

ويرتبط المفهوم السائد عن السياحة وأيام الإجازة بمفهوم المجتمع عن الوقت وقيمته وتصوره للترويح وغاياته.

ففي الغرب، نجدهم يثمنون الوقت، ويرونه موردًا لا يمكن استرداده إذا تسرب من بين الأيدي، كما يصعب الاحتفاظ به، وليس هناك من وسيلة مثلى للإفادة منه إلا استغلاله في العمل المجدي، من غير أن يعني ذلك أن تكون الجدية والصرامة سمتين لحياة الإنسان، بل أن مفهوم العمل المجدي ينسحب أيضًا على ساعات الترويح، حين يكون نشاطًا هادفًا لاستغلال وقت الفراغ في اكتساب المعارف وتطوير القدرات والحصول على الاسترخاء وتحقيق التوازن النفسي، والاستمتاع بالمعرفة والحصول عليها من مصادرها الأصلية ووسائلها المتعددة من متاحف وآثار ومناظر طبيعية... إلخ.

أما الأمم المتأخرة، فيسود عندها مفهوم قتل الوقت، وهو يعني التفنن في إضاعة الوقت بأي وسيلة كانت، وقد تقود سيادة مثل هذا المفهوم إلى انتشار بعض الممارسات الخاطئة التي تمثل خطرًا على الفرد والمجتمع.

ويقسم بعض المتخصصين في علم إدارة الوقت Time management الوقت إلى وقت عام ووقت خاص. والوقت العام يعني الزمن الذي يقضيه الإنسان في القيام بمسؤوليات عمله الرسمي، أما الوقت الخاص، فهو ما يتبقى للإنسان من وقت خارج ساعات العمل الرسمي، وإذا علمنا أن الوقت الخاص يشكل ثلثي الوقت المتاح يوميًا، فإن عدم معرفة الإنسان بقيمة الوقت يجعله يضيع معظم عمره فيما لا يفيد، بل ربما فيما يضر، بينما المفهوم الإسلامي يؤكد أن الإنسان مسؤول عن عمره فيما أفناه.

ولا يتعارض الترويح مع هذا المفهوم مادام أنه يحقق فائدة للإنسان سواء أكان ذلك اكتسابًا لمعارف ومهارات، أو استزادة من معلومات، أو إشباعًا لهوايات تتفق مع قيم الإسلام، أو تجديدًا للحيوية الإنسان أم استعادة لتوازنه النفسي بوسائل مشروعة.

وهناك بيتان من الشعر يوضحان ما يمكن أن يتحقق للإنسان من فوائد من السفر والسياحة إذا أحسن استغلال وقته، وهذان البيتان هما:

تغرّبْ عن الأوطان في طلب العلا
وسافرْ ففي الأسفار خمسُ فوائدِ
تفرّجُ هـم واكتسابُ معـيشة
وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ مـاجد

وقد فطن معظم العالم إلى هذه الفوائد الجمة للسياحة، إضافة إلى مردودها الاقتصادي، فعملت على تنشيطها بشتى السبل، لكي تكون وسيلة للتعريف بها، وبعادات أهلها وتقاليدهم، وبأنماط الحياة السائدة فيها، وبجوانب التميز في ثقافتها وحضارتها، وبما تعيشه من مظاهر التقدم في حضارتها وقيمها.

ونحن العرب أحوج ما نكون إلى تنشيط السياحة لإبراز ما لدينا من إرث حضاري متميز تشكل في إطار قيم الإسلام ومثله العليا، ولتأكيد ما يمثله من مركزية في تراث الحضارة الإنسانية.

كما أن تنشيط السياحة البيئية وفق ضوابط علمية في البلاد العربية تؤكد الاعتزاز بالوطن، وتسهم في بنائه ودعم اقتصاده والمحافظة على إرثه الحضاري.

عندما ينتقل السائح من بلد إلى آخر، فإنه يكتسب معارف جديدة، ويتعرف أنماطاً حياتية لا عهد له بها، ويقف على قضايا ومشكلات لم يكن يعلم عنها شيئًا

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد ٢٦٢ ـ السنة ٢٢ ـ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ ـ يوليو ١٩٩٨م

منتدى الفيصل مع د. الربيع



أسئلة كثيرة تمس فكر الأمة وأدبها ولغتها وتراثها.
أسباب ضعف اللغة العربية في المدارس والجامعات ـ قدرة اللغة العربية على احتواء العلوم والتقنية الحديثة ـ سبل بعثها وإحيائها وانتشارها وعودتها إلى قمة مجدها ـ الازدواج اللغوي والثنائية اللغوية ـ ضعف اللغة العربية في الصحافة ووسائل الإعلام ـ أهمية اللغة وأثرها في بناء مستقبل الأمة حضاريًا وثقافيًا ـ إفادة الأدب من العلوم والمعارف الأخرى بلا إغراق يقتل روح الأدب ـ تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية ومذاهبها واتجاهاتها ـ العناية بآداب الشعوب الإسلامية وغيرها من الأسئلة، طرحها قراء المجلة في منتدى الفيصل في حوار مع الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع.

طالع ص٢٢

الحلي التقليدية في الإمارات: تاريخ من الإبداع



يلفت النظر في حلي الإمارات أصالتها وفرادة تصميماتها، وفي الوقت نفسه انفتاح مبدعيها على حضارات المناطق التي تربطها صلات تجارية وثيقة بالإمارات ومنها بلاد الرافدين، ودكمون، وبلوشستان، ووادي السند، بل إننا نجد مؤثرات إغريقية في أم القيوين ورأس الخيمة، بالإضافة إلى المؤثرات اليمنية التي ربما تعود إلى التجارة مع مملكة سبأ.
الحقيقة الأساسية التي لا بد من الاهتمام بها هي أننا هنا نتحدث عن تقاليد عريقة في الإبداع ربما يعود تاريخها إلى خمسة آلاف عام مضى.
كامل يوسف حسن كتب عن الحليّ التقليدية في الإمارات متناولاً جذورها التاريخية.

طالع ص١٤

في مفهوم الضحك



تغلغلت ظاهرة الضحك في الحياة اليومية للإنسان، وأخذت تمثل بعدًا عميقًا في حياة المجتمعات البشرية كافة. وقد يكون الضحك مبتكرًا لغاية كالتعبير عن مشاعر الغبطة والسرور، أو يقصد به معنى ودلالة، وهو نعمة من نعم الله على الإنسان ليعبر بها عن سروره وفرحه وارتياحه، وأنها منحت له دون سواه من المخلوقات ليسمو بها على غيره، فلا يجوز له أن يستغلها في معصية الله بالسخرية من الناس أو الاستهزاء بهم.
فما الضحك؟ وما مغزاه؟ ولماذا نضحك، وما أثره في حياة الإنسان؟ ولماذا يحتاجون إليه..؟ صالح خريسات أعد موضوعًا عن مفهوم الضحك ودلالاته.

طالع ص٦٧

أدب وفكر

البيروقراطية .. هي السبب!!	د. أمل بنت سلامة الشامان	٢١
خرافة الحق التاريخي لليهود في فلسطين	د. سعيد عبدالسلام العكش	٣٥
مادة «ع.ج.م» لغة وثقافة	الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري	٤٨
نظرية داروين: جاهلية العلم	حسن بن حسين المهنا	٥١
مفهومات تاريخ العلوم في الدراسات المعاصرة	محمد محمد يحياوي	٥٨
ابن هتيمل الضمدي: شاعر تهامة في القرن السابع الهجري ٢/٢ (أدب الجزيرة)	د. عبدالله أبو داهش	٦٢
الصراع الحضاري في أدب الرافعي	خيري السيد إبراهيم	٧١
العرب والكلام (أقوال وخواطر)	د. نوره الشملان	٨٢
تطوانيات مشرقيات	د. حسن عبدالكريم الوراكلي	٩٥

تربية وتعليم

التعليم عن بعد ودول الخليج العربي ٢/٢	د. زكريا يحيى لال	٤٠

بيئة

المحطة الحارة بداية عصر المولدات الصديقة للبيئة	عدنان عضيمة	٨٤
الواحة الأخيرة في مواجهة ندرة المياه (نافذة على ثقافة العالم)	تأليف: ساندرابوستل عرض وتقديم: د. بهاء الدين محمود عبدالحميد	٩٢

لغة

تحقيق مذهب الزجاج النحوي	د. محمد السيد علي بلاسي	١٩
أقسام اللغة العربية في الجامعات الغربية ودورها في نقل الثقافة العربية	د. محمد إسماعيل بصل	١٠٠

تراث وتاريخ

سمو الخلق (أقوال الماضي للحاضر)	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	٢٠
من شب على شيء شاب عليه (قصة قصيدة)	د. محمود جبر الربداوي	٥٦
المخترع في فنون من الصنع (من نوادر التصنيف)		٩١

شخصيات

رابح فضل الله: أمير سوداني		
في حوض بحيرة شاد	ابن عمر عبيدالله	٦٠
وديع فلسطين.. شاهد على أجيال الأدب	حاوره في تجربته: د. حسين علي محمد	٧٥

شعر وقصة

صلوات ودموع (قصيدة)	محمد صبحي السيد	٦٥
صحوة (قصيدة)	عبدالسلام كامل عبدالسلام	٩٩
بلاغ عن مقتل البهجة (قصة قصيرة)	رجب سعد السيد	١٠٨
النسر والراعي (قصة مترجمة)	تأليف: غابرييل ميرور ترجمة: علي أشقر	١٢٢

الأبواب والزوايا الثابتة

العالم قريتي	د. أحمد عبدالرحمن	١٠
البريد الثقافي: العولمة: المفهوم والآثار	د. إسماعيل الفقي	٤٦
الطريق إلى الله: فاطمة سيراجو: من خرافات الهندوسية إلى نور الإسلام		٦٤
طريق الهدى	الشيخ د. صالح بن سعد اللحيدان	٦٦
من المكتبة السعودية		٨٠
دائرة المعارف: شيوخ الأزهر	إعداد: خالد خلف زيدان مهنى	١٠٢
الحركة الثقافية في شهر		١١٠
كتب وردت		١٢٣
المسابقة		١٢٥
الاستراحة		١٢٦
تباشير: طريق العودة (قصة قصيرة)	زكي محمد بن مبارك تعليق: د. محمد خير البقاعي	١٢٨
ردود خاصة		١٣٠
مناقشات وتعليقات		١٣٢
على موعد: عندما يكتب الله الشفاء	د. غسان حتاحت	١٣٨

من كتاب العدد



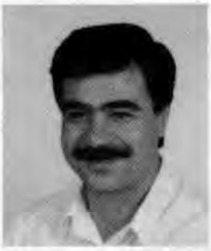
د. إسماعيل محمد عبدالرؤوف الفقي

- من مواليد القاهرة، مصر ١٩٥٢م.
- حاصل على دكتوراه في التربية، تخصص علم النفس التربوي، ١٩٨٨م من كلية التربية، بجامعة عين شمس، وكان موضوع الأطروحة «دراسة تجريبية لأثر نوع المعلومات ومقدارها ومستواها في مدى الانتباه»
- عمل مدرسًا بوزارة التربية والتعليم (١٩٧٧ - ١٩٨٠م)، وتدرج في سلك التعليم الجامعي ،وهو الآن أستاذ مساعد بقسم علم النفس، في كلية التربية، بجامعة عين شمس، ومعار إلى كلية العلوم الاجتماعية، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- شارك في عدد كبير من المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية، له عدة بحوث ودراسات علمية، ومن مؤلفاته:

علم النفس التربوي (مشترك)، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة.

أمل بنت سلامة بن سليمان الشامان

- من مواليد السعودية.
- حاصلة على الماجستير عام ١٤١١هـ من جامعة جورج واشنطن الأمريكية تخصص تعليم دولي International Education، وحصلت على الدكتوراه عام ١٤١٤هـ من الجامعة نفسها، تخصص إدارة ونظم تعليمية Education Administration and Policy Studies.
- عملت محاضرة بقسم المناهج وطرق التدريس بجامعة الملك سعود (١٤١٤هـ - ١٤١٦هـ)، وتعمل الآن بدرجة أستاذ مساعد في قسم الإدارة التربوية بجامعة الملك سعود.



د. محمد إسماعيل بصل

- من مواليد مدينة السلمية، سورية ١٩٥٨م.
- حاصل على الدكتوراه في اللسانيات وعلوم اللغة، من جامعة ليون (٢) بفرنسا.
- يعمل مدرسًا لعلوم اللغة والتعريب في كلية الآداب، بجامعة تشرين.
- له أكثر من عشرين مشاركة في ندوات ومحاضرات ومؤتمرات عربية ودولية.
- له بحوث منشورة، ومن مؤلفاته:

«القرآن والعلم المعاصر» دار ملهم، حمص ١٩٩٦م، و«لغة هذا الزمان» دار الينابيع، دمشق ١٩٩٥م، و«نحو نظرية لسانية ..»، دار الينابيع، دمشق ١٩٩٦م، و«سهرة مع سعدالله ونوس» (سلسلة مسرحيات) ، الحياة المسرحية ١٩٩٦م.

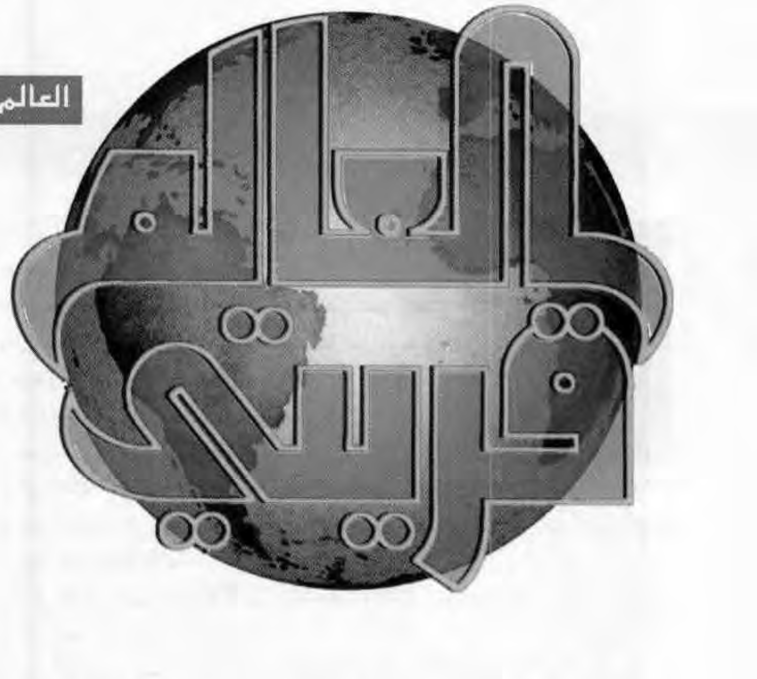


علي أشقر

- من مواليد اللاذقية، سورية ١٩٤٢م.
- حاصل على ليسانس آداب أجنبية، من جامعة عين شمس بالقاهرة.
- عمل في وزارة الثقافة، ثم في وزارة الإعلام ، ويعمل حاليًا رئيسًا لدائرة إعلام اللاذقية.
- ترجم عددًا من أعمال المسرح الإسباني.

ابن عمر عمر عبيدالله

- من مواليد كردفان، السودان ١٩٦٨م.
- تخرج في كلية التربية والدراسات الإنسانية بجامعة إفريقية العالمية، كما حصل على دبلوم عال في الدراسات الإفريقية.
- له اهتمامات بالقضايا الفكرية التي تواجه العالم الإسلامي، وله مشاركات في الصحف المحلية.



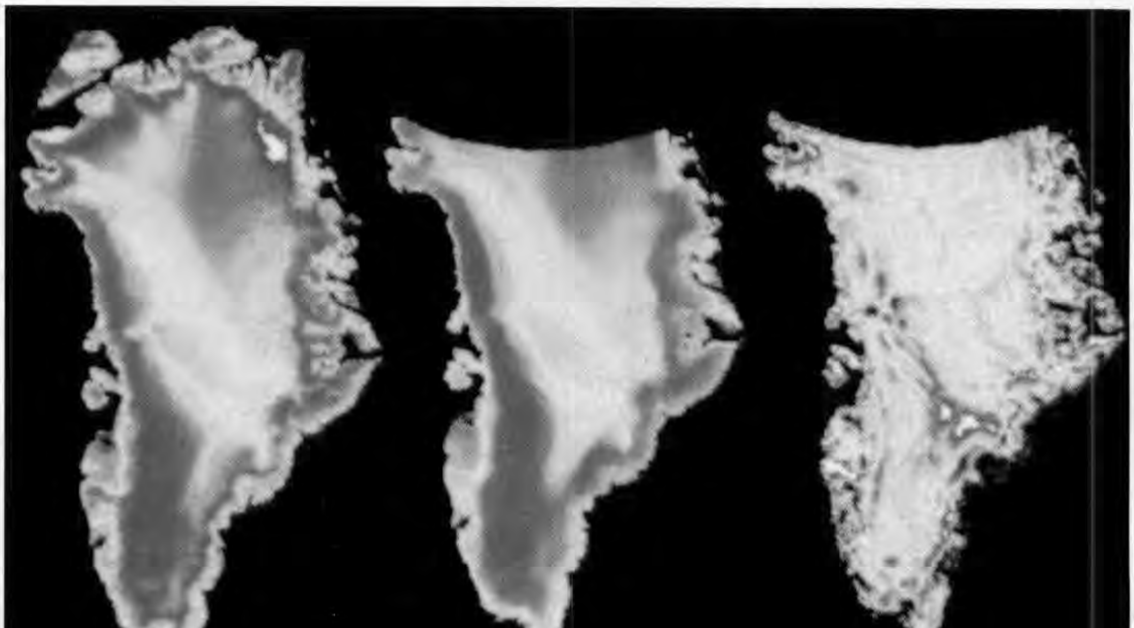
اختفاء جرينلاند يهدد العالم باختلال بيئيّ مدمّر

هل تختفي جزيرة جرينلاند الجليدية من الوجود؟ هذا السؤال يطرحه العلماء، كما يطرحون توقعات عديدة في حال ما إذا كانت الإجابة بنعم، فذهاب هذه الكتلة الجليدية الضخمة سيترتب عليه خلل بيئي، ونتائج أخرى لا يضعها العلماء في الحسبان، ولعل أقل هذه النتائج وأبسطها حدوث فيضانات من جراء ارتفاع منسوب البحار والمحيطات.

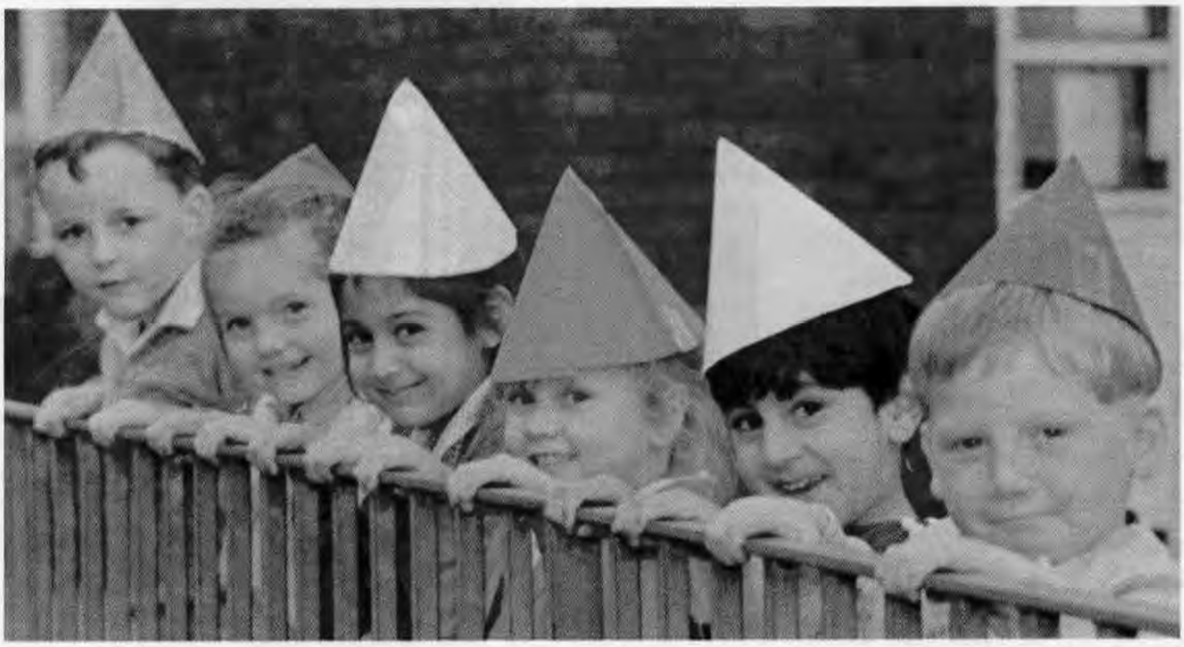
ولكن ما الذي يدعو العلماء لتوقع هذه النتائج المدمرة؟

منذ عام ١٩٧٩م ازدادت درجة الحرارة في جرينلاند بمقدار درجتين مئويتين، والنتيجة المتوقعة كما هو مبين في الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية، وتظهر أن مزيداً من الجليد يذوب في فصل،،، في تلك الجزيرة. لقد التقطت الصورة اليسرى عام ١٩٩٦م، بواسطة قمر سكاتروميتر الذي أطلقته وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، والصورة الوسطى تعود إلى عام ١٩٧٨م، حيث التقطت بواسطة (سي. سات) أحد أقمار ناسا. وكان كل من القمرين يبث نبضات ميكروويف على جرينلاند ويبيّن كيفية انتشارها على سطح الجزيرة، فالجليد، وبخاصة الكتل الجليدية التي كانت مدفونة يوماً ما وكشف عنها بعد ذوبان الثلج، ينثر موجات ميكرويفيّة أكثر مما ينثر الثلج الجديد. ونتيجة لذلك، كما يقول مارك درنكووتر الباحث في مختبر المحرك النفاث إنه يمكن تمييز المناطق التي يحدث فيها الذوبان من المناطق ذات الثلج المتجمد والتي لا يذوب فيها الثلج أبداً.

وفي كل من الصورتين اليسرى والوسطى كما أوردت مجلة ديسكفري في نيسان/ إبريل ١٩٩٨م، فإن لون المناطق ذات الثلج المتجمد أخضر فاتح وأصفر، أما المناطق الزرقاء الفاتحة فيوجد بها أكبر تراكمات الثلوج السنوية. أما لون المناطق التي يذوب فيها الجليد في الصيف على ارتفاعات منخفضة فهو برتقالي ضارب للحمرة، أما الصورة في أقصى اليمين فتبين الفرق بين الصورتين اللتين التقطهما القمران الصناعيان. وبشكل خاص فإن الرقعات الحمراء والبيضاء تبين المواقع التي هي أكثر ما يذوب فيها الثلج، أما الحلقات الجزئية الحمراء والصفراء حول وسط الجزيرة فهي تمثل مناطق الثلج المتجمدة السابقة التي أصبحت جزءاً من الذوبان الصيفي خلال ال ١٨ سنة الماضية.



قبعات رمزية لاختبار خمس حالات مزاجية لدى الأطفال واستثارتها



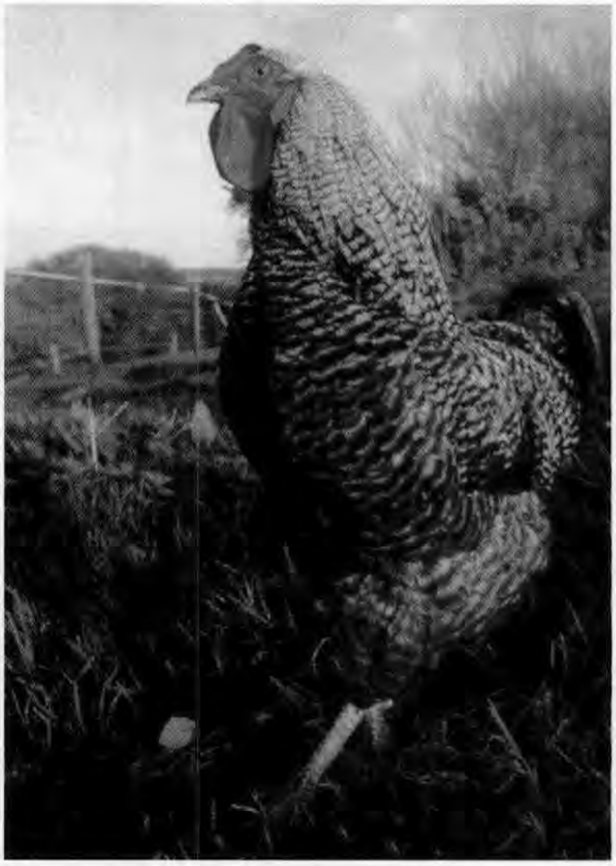
تتداول الأوساط التعليمية في بريطانيا فكرة مثيرة للجدل تقوم بتطبيقها إحدى المدارس الابتدائية، وتدور الفكرة التي ابتكرها المستشار التعليمي مايك جفريز حول تنمية أساليب التفكير لدى النشء، وتدريبهم على تقمص الأدوار المختلفة.

وعلى هذا الأساس تطلب مدرسة (بنتلي درايف) الابتدائية في وولسول من الأطفال من سن خمس سنوات أن يرتدوا قبعات ذات ألوان مختلفة لتعكس حالة تفكيرهم. يقول المستشار جفريز مبتكر الفكرة، إنه يرمي إلى اختبار أفكارهم أكثر من اختبار تراكم المعلومات لديهم. وبناء على ذلك توزع على الأطفال قبعات صفراء وأرجوانية، وحمراء، وخضراء، وزرقاء، وبيضاء.ويطلب من التلاميذ الذين يرتدون القبعات الصفراء أن يفكروا بأفكار ايجابية، وأما الذين يرتدون القبعات الأرجوانية فيطلب منهم التفكير بأفكار سلبية ، وأطفال القبعات الخضراء بأفكار إبداعية (خلاقة)، وأطفال القبعات البيضاء أن يمعنوا النظر فيما يحتاجون إلى معرفته (وتستخدم هذه القبعات بشكل رئيس في الدروس التي يتلقاها أطفال من سن ٥ ـ ٧ سنوات، وترتدى كجزء من الدروس الاعتيادية مثل الحساب والمطالعة والكتابة، ولكن طبقًا لما تقوله مديرة المدرسة فال روالتي التي التحقت بالعمل حديثًا يمكنْ أن يطلب من الأطفال ارتداء تلك القبعات في أي وقت خلال اليوم. وفي مثال على استخدام القبعات طلب من التلاميذ أن يعبروا عن شعورهم عند مصاحبتهم لأمهاتهم إلى السوق، فقال أحد الأطفال الذين يرتدون القبعات الصفراء: إنه يسشعر بالسعادة لأنه سيحصل على بعض الحلوى. وقال أحدهم ممن يرتدون قبعات أرجوانية: إنه سيشعر بالغضب لأنه لا يريد مصاحبة أمه إلى السوق.

غير أن الأمور لا تسير كما ترغب إدارة المدرسة، فأحد الناطقين التعليميين باسم حزب المحافظين البريطاني فل وود Philwood يرى أن الأمر يدعو إلى إجراء تحقيق، ويقول في تقرير أوردته صحفية The Mail: كيف يطلب من الأطفال أن يفكروا من خلال ارتداء قبعات في الوقت الذي ينبغي عليهم أن يدرسوا المهارات الثلاث: الكتابة والقراءة والحساب؟ ويستطرد مضيفًا: يجب تعليم التلاميذ المهارات التي يحتاجون إليها ليتدبروا أمورهم في الحياة، وليس حثهم على أفكار مزاجية.

وفي الاتجاه نفسه ترى إحدى أمهات الأطفال في تلك المدرسة، أن ارتداء قبعات ورقية والإمعان في التفكير ما هو إلا مضيعة للوقت وإهدار له.

ولكن يبدو أن إدارة المدرسة عازمة على الدفاع عن الفكرة والمضي قُدمًا في تطبيقها، فمديرة المدرسة تؤكد أن الفكرة تساعد الأطفال، وتمنحهم مزيدًا من القدرة على التفكير في المواد الدراسية، ويذهب مبتكر الفكرة مايك جفريز إلى أن تعميق هذه الفكرة مع توافر تقنيات المعلومات الجديدة يجعل الأطفال في المستقبل قادرين على الحصول على المعرفة بسهولة، وأن النجاح بالنسبة إليهم لن يرتكز على ما لديهم من معرفة بل على تدبر تلك المعرفة.



ريش الدجاج أداة تنظيف مثالية

قد يستخدم ريش الدجاج قريبًا كحشوات لحفائظ الأطفال، ولتنظيف بقع الزيت. كما اكتشف الباحثون الزراعيون طريقة لتحويلها إلى مواد ماصة قيِّمة أو مواد حشوات.

يقول ووتلر شمت WALTER SCHJMIDT وزملاؤه في خدمات البحث الزراعي التابعة لوزارة الزراعة الأمريكية في بيلتسفل ب ماري لاند: إن الريش يعد مادة مثالية لامتصاص بقع الزيت وإزالة أثر ما يعلق بالمعادن الثقيلة منَ سوائل عند خروجها من المصنع، وتصفية الهواء من السِّناج والهباء واستخدامها كحشوات في حفائظ الأطفال. كما يمكن استخدامها حشوات رخيصة للمواد اللدائنية (البلاستيكية).

وتنتج مزارع تربية الدواجن في الولايات المتحدة نحو مليوني طن من الريش كل عام. وفي الوقت الحاضر يعالج ذلك الريش بالتعقيم لإنتاج مواد غذائية ذات قيمة غذائية متدنية لتغذية الدواجن والماشية، ولا توجد إلا فائدة قليلة في معالجة الريش وتصنيعه حيث إن الوسائد تحشى الآن بالإسفنج الاصطناعي.

ولقد ابتكر فريق بيلتسفل أسلوبًا (ميكانيكيًا) رخيصًا لفصل شعر الريش عن (القصبة). فالشعر والقصبة كلاهما يحتويان على مادة الكيراتين وهي مركب كيمياوي قاسٍ جدًا يتشكل بالتبلمر في الشعر والأظافر والصوف، ولكِن البنية (التركيبة) البلورية للكراتين تختلف في الريش عنها في القصبة. ومع أن ألياف الكيراتين في الريش لطيفة ورقيقة إلا أنها أقسى منها في القصبة ولها استخدامات وتطبيقات أكثر.

وفي تقرير أورده أندي كوجلان في «نيوسينتست»، أوضح شمت أن جزئيات الألياف المستخلصة من الريش هي ذات خاصية امتصاص أعلى لأنها ناعمة ودقيقة جدًا حيث يبلغ قطر الجزيء ٦......ر.م (٦..ر. ملمتر) وهذا مقارنة مع ٢٠٠٠٠٠ر.م (٢٠٠ر. ملمتر) لقطر جزيئات لب الخشب و ٣٠.....ر.م/٠٣٠ر٠ملمتر) لقطر جزيئات الصوف. وهكذا فإن ألياف الريش أنعم بكثير، ولذا تكون خاصية الامتصاص لوحدة الوزن (الثقل) أكثر بكثير.

رعب اللحظات الحرجة داخل غرف العمليات

تلقت جمعية تحسين خدمات الأمومة في لندن شكوى مثيرة للرعب، من إحدى النسوة اللائي خضعن لعملية ولادة قيصرية في مستشفى بيلخ، فقد ذكرت السيدة تشيربل ماكوب أنها كانت في وعيها أثناء إجراء العملية القيصرية، وذلك على الرغم من أنها خدرت تخديرًا عامًا، وأضافت تفاصيل تثير القشعريرة، إذ قالت إنها كانت مستلقية بينما فريق الأطباء يجري العملية، وتحاول باستماتة أن تفتح عينيها وتصرخ، وتقول أنا سمعت طاقم التوليد يقول: إن المولود بنت، وشعرت بكل مراحل خياطة الجرح.

لقد عانت تلك السيدة ما يسميه مختصو التخدير بـ «حالة الوعي» في الوقت الذي كان ينبغي أن تبقى في «حالة لا وعي مريحة». ولقد حصلت السيدة تشيربل كوب على ٣٥٠٠٠ دولار من مستشفى بيلخ تعويضًا عما حدث لها، وما عانته أثناء العملية القيصرية، وقد فتحت شكوى شيربل بابًا واسعًا، إذ اتصلت نحو ٧٠ امرأة بريطانية بمؤسسة «إيمز» وأبلغتها بحوارات مماثلة لحالة شيربل.

لا أحد يعرف بالتحديد كم من المرات تحدث حالة الوعي في أثناء إجراء الجراحات الكبيرة، ولكن ذكرت مجلة تايمز (٢٧ نيسان/أبريل ١٩٩٨م)، أن أحد الباحثين الأمريكيين يقدر أن أربعين ألف حادثة «وعي» تحدث من بين ٢٠ مليون عملية جراحية تجري في الولايات المتحدة سنويًا. وكشفت «تايمز» عن حالات تعود إلى عام ١٩٨١م، عندما كان الوعي الجراحي والإجهاد الذي

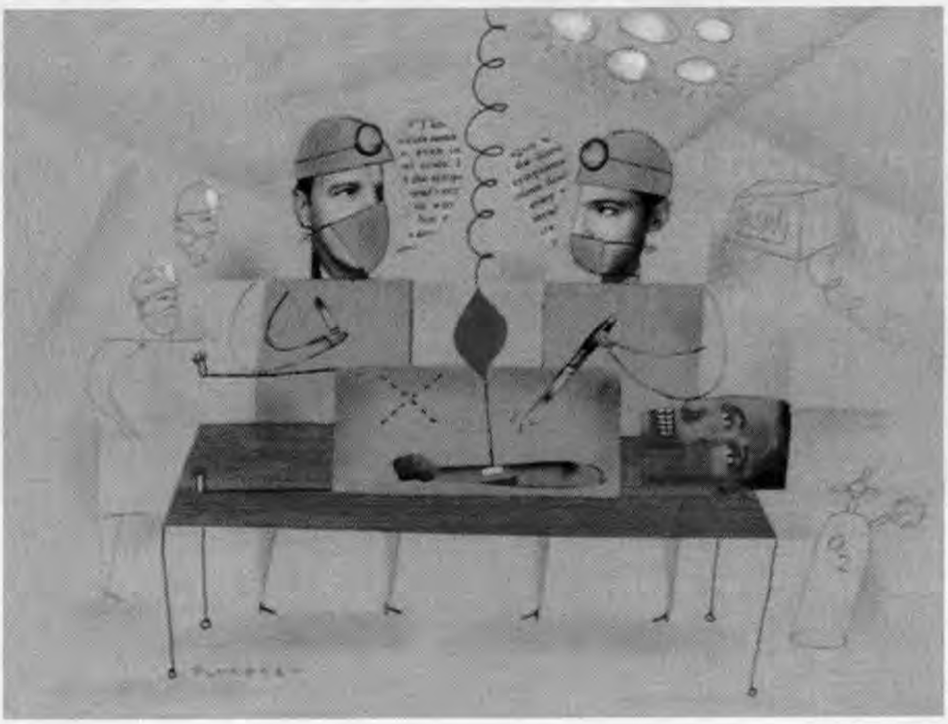
يحدث بعد الرضوض غير مفهومين بصورة كبيرة، وعندما كانت السلطات الطبية تنكر وجود مثل تلك الحالات، وعندما كانت النساء المذعورات يراجعن المسؤولين الطبيين، وكانت شكواهن تلاقي الإنكار، أو يواجهها الأطباء بما يوحي أنهن كُنَّ يحلمن.

ولايزال عدد غير معروف من المرضى يعانون (حالة الوعي) أثناء العمليات الجراحية؛ ولأسباب مختلفة، فإن معظم من يمرُّون بتلك التجربة لا يبلّغون طبيب التخدير بما عانوه. وهنالك دراسة تفيد أن ٣٥٪ فقط ممن مروا بتلك التجربة أبلغوا عنها. ولكن مثل تلك الدراسات تعد نادرة، وكثير من أطباء التخدير لا يعرفون مدى معاناة المرضى.

ويعترف طبيب التخدير تشارلز مكلوسكي بأنه كان يعتقد أن من يروون تلك القصص ما هم إلا أشخاص يتسمون بالشذوذ والغرابة، ولكنه صدقهم بعدما أخبره أحد المرضى بما سمعه من حديث أثناء إجراء العملية.

أما المختصة بعلم النفس جانيت اوسترمان في جامعة بوسطن فتواجه مشكلات في إجراء بحوث عن ظاهرة الوعي في مركز بوسطن الطبي لأن الكثير منهم يرفض إجراء مقابلة معها، وتقول: إن أعراض الاختلال الإجهادي التي تحدث بعد التعرض لرضوض وجروح تظهر على أولئك المرضى بما في ذلك التخوف من ذكر أحداث ماضية ومخاوف لا أساس سليمًا لها وخاصة الأرق الحاد.

وتضيف: إنهم يخشون من الإخلاد للنوم حيث إنه يشبه كثيرًا المرور بتجربة التخدير. ولكن تشخيص ظاهرة الوعي ليس بالأمر السهل، حيث إن بعض المرضى قد يبالغون، وآخرون لا يمرون بظاهرة الوعي ولكن تَخَيُّل الألم بعد يقظتهم من العملية الجراحية يجعلهم يصبحون على علم بالجرح الجراحي بعد الإفاقة، مع أنهم كانوا غائبين عن الوعي تمامًا أثناء العملية الجراحية. إلا أن فيل هوبكنز أستاذ التخدير في جامعة ليدز يقول: يمكن التقليل بشكل كبير جدًا من حدوث ظاهرة الوعي، ويمكن تجنب ذلك بالتدريب الجيد للعاملين في حقل التخدير، ولكن ذلك ليس بالمهمة السهلة، فعملية التخدير تتداخل فيها عوامل عديدة تراوح بين عمر المريض ووزنه وجنسه واحتياج العملية الجراحية. فما يمكن أن يكون كافيًا لتخدير شخص ما قد لا يكون كافيًا لتخدير شخص آخر، كما أن النتيجة النهائية لأي جرعة مخدرة زائدة عما ينبغي هي الوفاة. فبالنسبة إلى بعض التدابير الجراحية يصبح جسم المريض مشلولاً ومعطلاً عن العمل، وبسبب تغيير حركة الجسم فإن ذلك يجعل المعلومات المتوافرة لدى الأطباء معلومات محدودة، وأفضل جهاز مراقبة لحالة الوعي هو أن يفقد المريض حركته، وعندما يشل المريض يجب أن يعتمد طاقم التخدير على دلالات جوهرية مثل معدل سرعة القلب وعلى ضغط الدم الذي يرتفع إذا لم يُخدر المريض تخديرًا كافيًا. ولكن هذه الدلالات ليست الدلالات المحددة، مما يعني أنه قد يكون لها أسباب أخرى، يحث العاملون في التخدير مزيدًا من الوسائل الموثوقة لاكتشاف حالة الوعي، والتركيز جارٍ على موجات الدماغ. وقد عرض المؤتمر السنوي الأخير لجمعية العاملين في التخدير الأمريكية في ساداييجو بكاليفورنيا جهاز تسخين يسمى جهاز مراقبة بسبكترال إنديكس يمكن أن يقلل أو حتى يقضي على حالات الوعي أثناء العمليات الجراحية، ويراقب هذا الجهاز موجات دماغ المريض، ومن ثم يترجمها إلى أرقام لمدى الوعي يرقبها طاقم طبي في أثناء العملية وكأنها أرقام على ساعة رقمية، الصفر هو سبات أو «غيبوبة» تامة، وتقاس حالة الوعي التام بنسبة ١٠٠٪، أما نسبة النوم المثالي فهي ٦٠٪ وأي شيء أعلى من ذلك يمثل حالة وعي خطيرة محتملة، وأي شيء أدنى من ذلك يشير إلى أن المريض يمكن أن يصل إلى حالة تخدير أكثر مما ينبغي.



الحُليّ التقليدية في الإمارات ....

تاريخ وإبداع

كامل يوسف حسين



كردال فريد من مقتنيات متحف دبي يجمع بين الفضة والعملات والأحجار شبه الكريمة

عندما انطلق المغني يردد «في عصر الفايبرجلاس هذا أمضي باحثًا عن جوهرة» كان يعبر عن مشاعر الكثيرين على امتداد العالم، الذين يضيقون بآليات الإنتاج الكبير، فينطلقون باحثين، على امتداد العالم، عن كل ما يجمع بين الفرادة والعراقة والأصالة والإبداع المتميز.



قطعة ذهبية تجمع بين الخواتم والسوار عبر مجموعة من السلاسل اللينة، وتبرز نقوش الحناء جمال هذه الحلية الفريدة

وهذه العناصر هي على وجه الدقة ما يميز الحلي التقليدية في الإمارات، ولهذا لم يكن عجيبًا أن تشهد أسواق الإمارات طلبًا متزايدًا على مجموعات الحلي التقليدية المتوافرة بها من جانب الزُوّار والسيّاح، وأصحاب المجموعات وهواة الاقتناء والمتاحف، ومتاجر التحف العالمية، وكان يمكن لقطع نادرة أن تنتقل إلى خارج الإمارات، لولا أن الوعي بقيمتها الفنية والتاريخية دفع بها إلى المتاحف الإماراتية، وجعل العائلات العريقة تزداد تمسكًا بها، ولا تزال جهود مكثفة تبذل لمزيد من الاهتمام بالحلي التقليدية في الإمارات.

هنا من حق القارئ أن يطرح سؤالاً محددًا: ما الذي يميز الحلي التقليدية في الإمارات، ويدفع إلى هذا الاهتمام الكبير بها؟

الحقيقة الأساسية التي لا بد من الاهتمام بها هي أننا هنا نتحدث عن تقاليد عريقة في الإبداع، ربما يعود تاريخها إلى خمسة آلاف عام مضى، وليس من قبيل المبالغة القول إن بعض مجموعات الحُلي التقليدية الموجودة في أيدي بنات عائلات عريقة في الإمارات قد تعود صياغتها إلى خمسمئة عام مضت، وهو ما يضاعف بالطبع من قيمتها، ويزيد من تمسك مقتنيها بها.

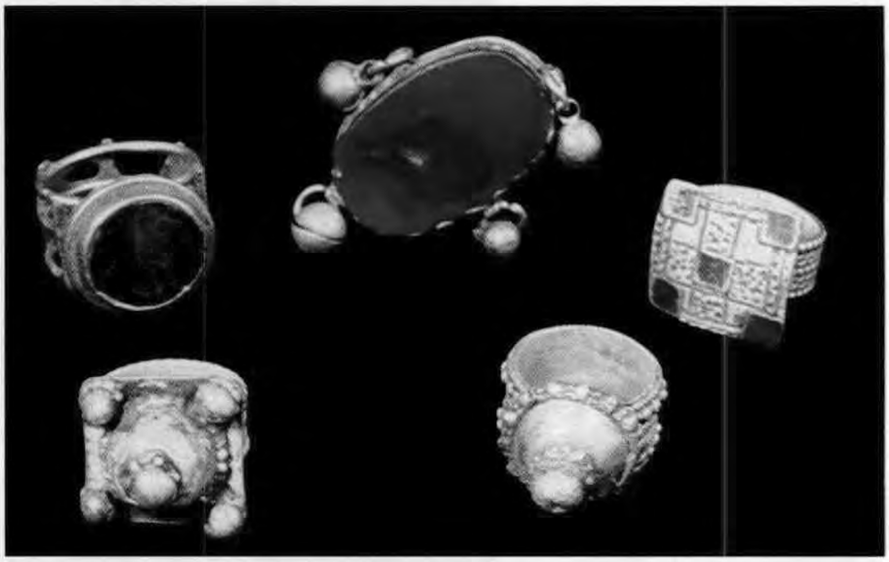
وقد أدت عمليات التنقيب الآثارية في جبل حفيت، على سبيل المثال، الذي يشكل الحد الجنوبي لواحة البريمي، حيث تقع مدينة العين، إلى العثور على مجموعة نادرة من الأساور البرونزية والنحاسية والخرز والدبابيس البرونزية، وهي جميعها تعود إلى العصر المسمى بجمدة نصر، والذي امتد إلى حدود نهاية الألف الرابع قبل الميلاد.

وفي مدافن جزيرة أم النار القريبة من أبوظبي، التي تعود إلى العهد البرونزي، أي نحو ٣٠٠ق.م تقريبًا عثر على مجموعات من الخرز المستخدم في الحلي وعلى خناجر برونزية ونحاسية ذات مقابض ونصال حادة.

أما في المدافن الحجرية في هيلي، الواقعة على بعد عشرة كيلومترات إلى الشمال من مدينة العين فقد عثر على مجموعات من خرز العقيق وبعض الحلقات والأقراط البرونزية.

وأول ما يلفت النظر في مكتشفات موقع قطاره الواقع على بعد خمسة كيلومترات إلى الغرب من منطقة هيلي الأثرية يتمثل في تلك الدلاية الذهبية الشهيرة التي تأخذ شكل الثور، وتشمل اللقى في هذا الموقع عددًا كبيرًا من السيوف النحاسية والبرونزية ومجموعة كبيرة من أدوات الزينة كخرز العقيق والكريستال والحجر والعظم، بالإضافة إلى خرز من حجر طباشيري غلف بصفائح رقيقة من الذهب.

وهناك حلي جديرة بالاهتمام عثر عليها في المواقع الأثرية في مناطق بديع بنت سعود القريبة من هيلي، والقصيص في إمارة دبي، ومليحة في إمارة الشارقة، والدور في إمارة أم القوين، والدربمانية في إمارة رأس الخيمة، ومصفون والمنامة

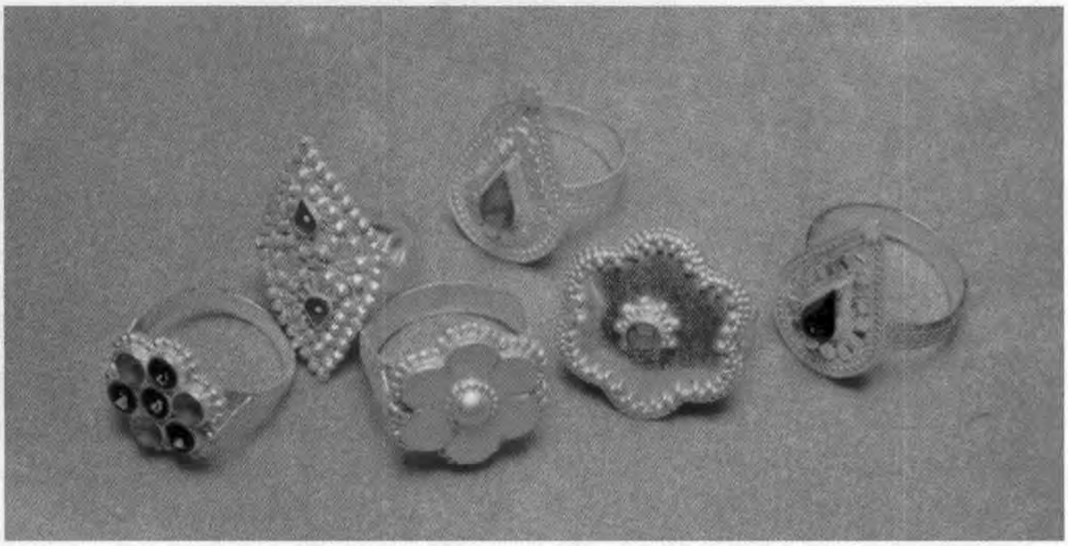


مجموعة من الخواتم التقليدية تبدو التأثيرات اليمنية في الصياغة بارزة فيها

والزورة في إمارة عجمان.

ويلفت النظر في هذه الحلي أصالتها وفرادة تصميماتها، وفي الوقت نفسه انفتاح مبدعيها على حضارات المناطق التي تربطها صلات تجارية وثيقة بالإمارات، ومنها بلاد الرافدين ودكمون، وبلوشستان ووادي السند، بل إننا نجد مؤثرات إغريقية في أم القيوين ورأس الخيمة، بالإضافة إلى المؤثرات اليمنية، التي ربما تعود إلى التجارة مع مملكة سبأ.

هنا لابد لنا من أن نلاحظ أننا لا نتحدث عن تاريخ وآثار فقط، وإنما عن إبداع حي ومتحرك وقادر على التواصل مع حياة الناس حتى اليوم، فقد برز في الإمارات العديد من الصاغة المهرة الذين احتفظوا بأسرار مهنة صياغة الحلي التقليدية، وبذلوا جهوداً كبيرة لتطويرها، خاصة مع تحول مدينة دبي لتصبح مدينة الذهب، ولتشكل السوق الإقليمية الثانية على المستوى الخليجي بعد السعودية في صياغة الذهب وإعادة تصديره،



مجموعة من خواتم الإمارات التقليدية، وأبرز أنواعها: الشاهد، المرامي، الخاتم البيبرة، والحبيسة



قلائد وأسوار أبدعها فنانو الإمارات



الحلي التقليدية في الإمارات .... تاريخ وإبداع



مجموعة من الحلى الإماراتية التقليدية أبرزها الشناق الذي يتدلى على الجبين، والمرية التي تمتد حتى منتصف الجسم تقريبًا متدلية من العنق

إضافة إلى اهتمامها الكبير بالفضة.

ولكن ما أبرز الملامح الفنية لصياغة الحلي التقليدية في الإمارات؟

الواقع أن هناك العديد من الملامح التي يمكن أن نشير إليها في صدد هذا الموضوع ، ومنها الميل الواضح إلى الجمع بين جماليات الحلي ووضعها الاقتصادي بوصفها مخازن للقيمة، ويكفي أن نتذكر أن بعض القطع يزيد وزنها على الكيلوجرام.

وفي انعكاس مباشر للتأثيرات الإسلامية، فإننا نلاحظ إحجامًا من جانب الصاغة والمبدعين عن تجسيد المؤثرات البشرية والحيوانية، والانصراف بدلاً من ذلك إلى استلهام الأشكال الهندسية والمؤثرات النباتية عمومًا والزهرية على وجه الخصوص.

ويؤثر صاغة هذه الحلي الاستعانة بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة مع ميل خاص إلى العقيق والفيروز والزمرد واللؤلؤ، كما أنهم في أحيان كثيرة يوظفون العملات الذهبية والفضية كمكونات مندرجة في صميم التصميم العام للحلي.

وما كان يمكن لموقع الإمارات إلا أن يترك بصمته على حليها التقليدية، حيث نلاحظ المؤثرات القبلية والبدوية الناجمة من الاحتكاك بجملة التقاليد الفنية العريقة في صياغة الحلي في قلب شبه الجزيرة العربية، وفي الوقت نفسه التأثر ببعض المؤثرات الوافدة عبر الخليج سواء من الشمال أو الشاطئ المقابل المطل على الخليج أو شبه القارة الهندية أو الساحل الشرقي لإفريقية.

ويلاحظ أيضًا حرص الصاغة والمبدعين على الاستجابة لسلم تفضيلات المرأة في الإمارات، فهم يقدمون حليًا تستخدم لتجميل مختلف أجزاء الجسم، بما في ذلك القدم وغضروف الأذن



الحقب أو الحزام المعروف من مقتنيات متحف دبي للآثار

وأعلى الرأس، وهم يدركون حرصها على أن تقي نفسها من الحسد، فيقدمون لها من العناصر في صميم فن الصياغة ما يستجيب لهذا الحرص، وهم يستجيبون للتقاليد والأعراف المرعية في الحياة الاجتماعية، فيبدعون من الحلي ما يصدر صوتًا مميزاً يوحي بقدوم المرأة قبل إطلالتها، أو بحضورها في مكان معين من الدار أو خارجها.

ولكن ما أبرز قطع الحلي التقليدية في الإمارات؟

الواقع أن هناك قطعًا بعينها تلفت النظر في مجموعات الحلي التقليدية في الإمارات، نظرًا لفرادتها، وتميزها الإبداعي، والجهد الكبير المبذول في صياغتها، والإقبال الكبير عليها، ومن هذه القطع ما يلي:

ـ الطاسة: وهي قطعة فريدة حقًا، لا بد للعين أن تتوقف عندها، فهي غطاء للرأس، غالبًا ما يكون دائريًا، وربما يكون مستطيلاً، وتتدلى منه سلاسل ممتدة ذات تصاميم منوعة تحدث صوتًا رقيقًا منغمًا، وغالبًا ما تتزين به العروس في ليلة زفافها.

ـ الشناف: قطعة مخصصة للرأس أيضًا، ولكنها تعلق من منتصفها، لتغطي الجبهة وصولاً إلى أعلى الحاجبين، وتتميز بالجمع بين الذهب أو الفضة والأحجار الكريمة وشبه الكريمة.

ـ الطبلة: قطعة تستجيب لرغبة المرأة في أن تقي نفسها من الحسد، فهي صندوق ذهبي صغير، يعلق في الرقبة، ويوضع فيه المصحف الشريف أو أجزاء منه أو بعض الأوراق التي كتبت عليها الأدعية.

ـ الحرز: قطعة فنية تؤدي الغرض نفسه، فهي عبارة عن صندوق مستطيل غالبًا ما يكون كبير الحجم، وعليه نقوش هندسية، وتتدلى منه سلاسل ممتدة، ويوضع في الصندوق آيات أو سور من القرآن الكريم، أو بعض الأوراق التي كتبت عليها أدعية.

القلادة: وهي من أنواع عديدة يستخدم في بعضها الخرز وخاصة من العقيق، وفي بعضها الآخر العملات الفضية والذهبية، وفي بعضها الثالث العملات العربية والأوروبية، ونلاحظ أن الدلال تعد من أشهر أنواع القلائد في الإمارات، ويلفت نظرنا أن بعضها قد يصل وزن القلادة منها إلى كيلو ونصف الكيلو، حيث تتألف من حلقات من الفضة تلحم بها علامات فضية، وترتب الحلقات بطريقة المسبحة، وينتظمها حبل سميك من القطن الطبيعي.

ـ الشعاب: هي أقراط مميزة التصميم تعكس أصداء تصميمات شرق آسيا، وتتألف من حلقة سميكة نسبيًا للتعليق في الأذن، والقرط مخروطي الشكل، وتجويفه قد يبدو واضحًا من الخارج أوقد يتم حجبه، وفي قاعدة المخروط تبرز رؤوس مدببة، وفي نهايته كرات صغيرة تكون رأسًا مدببًا.

ويبقى من المهم أن نشير أخيرًا، إلى أهمية وعي الأجيال الجديدة بقيمة هذه الحلي التقليدية وضرورة الحفاظ عليها وعدم السماح بضياعها سواء بإعادة الصهر أو بالبيع أوغير ذلك من أوجه التصرف، فهي تشكل جزءًا من تراث شبه الجزيرة العربية العريق.



مجموعة من حلي الإمارات التقليدية في متحف دبي

المصادر والمراجع:

١ـ جولات للكاتب في عدد من متاحف الإمارات وأسواق الذهب والتحف التقليدية بها.
٢ـ عائشة آل غانم ـ فن المجوهرات في دولة الإمارات العربية المتحدة ـ ط٢، جمعية إحياء التراث الشعبي ـ دبي ـ ١٩٩١م.
٣ـ إدارة الآثار والسياحة بوزارة الإعلام والثقافة ـ الآثار في دولة الإمارات العربية ـ أبوظبي ـ ١٩٧٥م.
4 - Benjamin Zucker - Gems and jewels - Thames and Hudson London - 1984.
5 - Saad Al Jaslir -Arab and Islamic Silver -Slacey Ieternational - 1982.

تحقيق مذهب الزجّاج النحويّ

د. محمد السيد علي بلاسي

لقد وضع الزُّبيدي (ت نحو: ٣٨٨هـ) ـ صاحب طبقات النحويين واللّغويين ـ الزجّاج (ت ٣١١هـ) على رأس الطبقة التاسعة للنحويين البصريين، أصحاب أبي العباس المبرّد (ت: ٢٨٦هـ)(١).

وحقّ له ذلك؛ حيث اعترف الزجّاج ـ نفسه ـ بانتمائه لهذا المذهب(٢)، بل وتمثيله له.

بتبيّن هذا: من قوله في تفسيره (معاني القرآن وإعرابه) عند توجيهه قول الله تعالى: أوَلَمْ يَهْدِ لهم كم أهْلَكنا. السجدة: ٢٦. «وقرئت بالنون (أولم نَهد لهم). وزعم بعض النحويين أن (كم) في موضوع رفع بـ (يهد) والمعنى عنده أولم نبيّن لهم القرون التي أهلكنا من قبلهم. وهذا عندنا ـ أعني عند البصريين ـ لا يجوز؛ لأنه لا يعمل ما قبل (كم) في (كم)، لا يجوز في قولك كم رجل جاءني، وأنت مخبر أن تقول جاءني كم رجل؛ لأنّ (كم) لا تُزال عن الابتداء»(٣).

كما نجد الزجّاج يردّ على الكوفيين بعد ما يناقشهم إذا وجد ما يخالف مذهبه. فهو يقول ـ مثلاً ـ : «ومعنى قولنا اسم: أنه مشتقّ من السموّ، والسموّ الرفعة..

ومن قال: إن اسمًا مأخوذ من (وَسَمْتُ) فهو غلط(٤)؛ لأنا لا نعرف شيئًا دخلته ألف الوصل وحذفت فاؤه، أعنى فاء الفعل، نحو قولك (عدَة) و(زنة)، وأصله (وعْدة) و(وزنة). فلو كان (اسم) وسمة لكان تصغيره إذا حذفت منه ألف الوصل (وُسَيْم)، كما أنّ تصغيره عدَة وصلة: وُعَيْدة، وُوصَيْلة (ولا يقدر أحد أن يرى ألف الوصل فيما حذفت فاؤه من الأسماء»(٥).

هذا، ويؤكد ذلك أنّ الزجّاج في بداية مشواره العلمي درس النحو على يد ثَعْلَب (ت: ٢٩١هـ) ـ إمام الكوفيين ـ ووصل فيه شأوًا كبيرًا؛ حتى قال عن نفسه: «كنت في ابتداء أمري قد نظرت في علم الكوفيين وانقطعت إليه، فاستكثرت منه حتى وقع لي أنّي لم أترك منه شيئًا، وأنّي قد استغنيت عن غيره»(٦)

ويبدو أنّ المذهب الكوفي لم يشف غلّة الزجّاج من دراسة النحو؛ فاتجه نحو المبّرد ـ زعيم المدرسة البصرية ـ!

يوضّح الزجاج ذلك بقوله: «كنت أخرط الزُّجاج فاشتهيت النحو(٨)، فلزمت المبرّد لتعلّمه، وكان لا يعلّم مجانًا ولا يعلّم بأجرة إلا على قدرها، فقال لي: أيّ شيء صناعتك؟ قلت: أخرط الزُّجاج، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي، وأنا أعطيك كلّ يوم درهمًا، وأشرط لك أن أعطيك إيّاهُ أبدا، إلى أن يفرقَ الموت بيننا، استغنيت عن التعليم أو احتجتُ إليه، قال: فلزمتُه، وكنت أخْدُمُهُ في أموره مع ذلك وأعطيه الدّرهم، فينْصحني في العلم، حتى استقللت(٩).

وهكذا كان شغف الزجّاج بتعلّم النحو البصري وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، يدل على ارتياحه لهذا المذهب، ولكن شخصية الزجاج كانت متزنة وكان يجمع إلى استقلالية الفكر تحكيم العقل فيما يراه صوابا دون تحيّز، ولذا نجده يميل في مسألة ما إلى مذهب الكوفيين(٩)، أو يستقل برأيه الخاص في مسألة أخرى(١٠)؟!

ونظرًا لأن المذهب البغدادي كان يمثل خلاصة المذهبين الكوفي والبصري، ويجمع أفضل ما فيهما من آراء(١١)؛ كلّ هذا قد حدا بالدكتور عبدالجليل شلبي إلى أن يقول: «والزجّاج بغداديّ أدنى إلى مذاهب البصريين ـ لأنه تلميذ المبّرد ـ، فهو في شرحه يجري غالبًا على مذهب أهل البصرة، ولكن في بعض الأحيان يؤثر مذهب الكوفيين ويجري عليه. ثم له هو مذهبه الخاص الذي كثيرًا ما يكون مرفوضًا من الآخرين. وعلى أية حال؛ هو معتمد على نفسه كل الاعتماد»(١٢).

كما دفع بمحقّقة كتاب (ما ينصرف وما لاينصرف: للزجّاج)، إلى أن تقول: «ولن ترى أقدر من الزجّاج ولا أفضل منه مؤسسًا للمذهب البغدادي، وواضعًا نبتته الأولى، فالزجّاج قد جمع علم البصريين والكوفيين، يضاف إلى هذا أنّ الزجّاج قد ظهر في عصر قلّ فيه إلى حدّ كبير التعصب للمدارس النحوية، وقاربت المدرستان أن تمتزجا، فإذا أضيف إلى ذلك آراء انفرد بها، وضح أنه مؤسس المذهب البغدادي الذي أسلمه إلى تلاميذه شعلة علميّة ينشرونها فيما يحلّون به من أماكن في المشرق والمغرب»(١٣).

أقول: «ولسنا نذهب بالزجّاج هذا المذهب، لأن تفرد النحويّ برأي أو آراء عن مذهبه الذي ينتمي إليه لا يدخله في مذهب آخر، فما من نحوي إلا وله رأيه الذي ينفرد به ابتداء من سيبويه وأساتذته. ومن ثم؛ فتفرّد الزجّاج ليس مسوغًا لإقحامه فيما سميّ بالمذهب البغدادي. إنه كما سبق ـ معترفٌ ببصريته ـ ومنافح ـ في بعض آرائه ـ عن مذهب البصريين، ولكن ذلك لا يلغي شخصيته المتفردة، ولا رؤيته الخاصة لبعض قضايا النحو والصرف»(١٤).

الهوامش

١ـ انظر طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص١١١، الطبعة الثانية ـ دار المعارف.

٢ـ أي المذهب البصري. وشيوخه كانوا لا يروون إلا عن العرب الخلّص الضاربين في أعماق الصحراء، ولا يقبلون الشاهد إلا إذا وثقوا به. أما أصحاب المذهب الكوفي فكانوا أقل تحرجًا في الرواية، وأكثر ترخصًا في الاستشهاد. راجع: تاريخ النحو: على النجدي ناصف، ص٣١، ٣٢، ط. دار المعارف، د. ت. سلسلة كتابك(١٥٧).

٣ـ معاني القرآن وإعرابه: ٤/٢١٠.

٤ـ يقصد مذهب الكوفين.

٥ـ معاني القرآن وإعرابه: ١/٤٠، ٤١.

٦ـ مجالس العلماء: أبو القاسم عبدالرحمن الزجّاجي، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ص١٦٤، الكويت سنة ١٩٦٢م.

٧ـ لعله يقصد النحو البصري؛ وعليه فكلمة (البصري) ساقطة من النص مع تطلب المقام لها؟! يؤكد هذا: أنّ الزجّاج لم يتصل بالمبرد إلا بعد ما هضم النحو الكوفي على يد شيخه ثعلب، وفي النص السالف للزجاج ما يلمح إلى ذلك!

٨ـ معجم الأدباء: لياقوت الرومي، ١/١٣١.

٩ـ انظر على سبيل المثال: معاني القرآن وإعرابه: ١/٧١.

١٠ـ لقد أفرز الدكتور شعبان صلاح مؤلفًا بعنوان: (من آراء الزجّاج النحوية.. قراءة في «معاني القرآن وإعرابه»)، جمع فيه مؤلفه أكبر قدر من الآراء الخاصة للزجّاج والتي انفرد بها. والكتاب يقع في (١٨٠) صفحة، وطبعته دار الهاني للطباعة الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ؛ فراجعه إن شئت مزيداً من التفصيل.

١١ـ لمزيد من التفصيل، يراجع: تاريخ النحو: ص٣٥ وما بعدها.

١٢ـ معاني القرآن وإعرابه: للزجّاج، تحقيق الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، (مقدمة التحقيق) ١/٢٢.

١٣ـ ما ينصرف وما لا ينصرف: لأبي إسحاق الزجّاج، تحقيق هدى محمود قراعه، (مقدمة التحقيق)، ص١٢، ط. مطابع الأهرام التجارية، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سنة ١٣٩١هـ.

١٤ـ من آراء الزجّاج النحوية: د. شعبان صلاح، ص:٧، بتصرّف يسير.

أقوال الماضي للحاضر

سمو الخلق



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

المجتمع الصالح يتكون من فئتين: مُعلِّم، وطالب علم، والمعلِّم كـــان في يوم من الأيام طالب علم، وطالب العلم، اليوم، قد يصبح معلماً غداً، فإن لم يكن معلماً للآخرين منصباً، فهو مستفيد من علمه، قدوةٌ فيما يأتي منه لغيره، ومَثَلٌ لهم يحتذونه فيما يقولون، وفيما يفعلون، هذا إذا كان الله - سبحانه - قد حباه بحظٍّ أوفى ليكون كذلك، وليستفيد منه الآخرون، ويكون شمعة تضيء للآخرين، وعَلَماً يُهتدى به في السير في طرق الحياة المتعرجة الصعبة.

خيار الناس يطبقون ما تعلموا، وما استحسنوا، وما عليه تَربّوا، وما على أسسه نشؤوا، وهذا يعود عليهم بالنفع العميم في حياتهم، التي تصبح محاطة بالسعادة، والرضى، وحسن السمعة، وطيب السيرة.

والناس، في أي مجتمع، سريعون إلى معرفة المتميز، لأن له نوراً يشع من عمله، فلا يخفى على أحد، وقد يعم ما يأتي منه من خير، في القول والعمل، أناساً كثيرين، يكونون له ألسنة حق، تشيد بما ترى، وتمتدح ما يأتي، وهذا كافٍ لأن يشجع على الاقتداء، والسير على المنوال، فإذا عم هذا الخلق الحسن، وانتشر ضياء هذه الصفات الحميدة، سعد المجتمع، وانتفت عنه المنغصات، وما أسهل دخولها للمجتمعات، غير المحصنة بالأسباب الخيّرة.

والسمعة، أيا كانت، تُشرِّق وتُغرِّب، لا تقف عند حدّ، لا يُعـــرف من ســوف تقع في يده اليـوم، ولا إلـى من سيدفعها غداً، لأن طبيعة المجتمعات، وتصرّف الناس فيها، توجب هذا الانتشار، وقد لا يقف النقل عند الحقيقة، ولا يقتصر على الواقع، بل يزاد فيه وينقص، وقد يلعب الخيـــال في الرواية، حتى لا يكاد يميز الأصل من الإضافة.

ومن غير طبيعة الأمور أن يوأد الخبر في مهده إلا بجهد ومشقة، ودون ضمان دائم. فما دام الأمر كذلك فمن العقل أن يحرص الإنسان على أن يكون ما يروى عنه، وعن أسرته وعشيرته ومجتمعه جميل؛ لأن الجهد واحد، وما على المرء إلا مجاهدة نفسه، وردها عن هواها، إذا كان هواها يخالف الدين، والمعتقد، أو يصادم العادات، أو يجرح العرف، حتى لو أريد لهذه العادات، أو العرف، التغيير، فهذا لا يأتي بالمواجهة الخشنة، والتصرف المفاجئ، والعمل الفج، ولا بالعنف المنفّر، والتصرف الأهوج.

والنفس الخيّرة يغلب عليها الخير، ويتغشاها الطيب، ويتلبسها العمل الحسن، والنية الصادقة الصافية، فلا يأتي منها إلا ما يُمتَدَح، ولا يُعرَف منها إلا ما يُقبَل، ويُرَحَّب به، ولا تقدم إلا على خير،، نفعه يعم، وفائدته شاملة، ويكون فيه القدوة الحسنة، والمثل الجذاب.

وللاستعدادالفطري عند المرء أثره فيما يأتي، وللتربية الجميلة عملها في تشذيب الطباع، وتهذيب النفوس، في ضوء الإخلاص في الهدف من التربية، وحسن اختيار النهج والمسلك، وإتقان وسيلة التقويم.

وهنا مثل يبين جهداً لم يضع سدى، فقد سارت بسمعة صاحبه الحسنة الركبان، حتى وصلت إلى من وصلت إليه، بيضاء نقية، فأبدى إعجابه بها، وإعجاب مثله فخر، يضاف إلى مصادر فخرٍ أخرى، وتكشف المحادثة التي تمت حوله عن جوهر أصيل يستحق الإعجاب والمدح، الذي أغدق على مستحقه، وهذه هي القصة:

«قال معاوية لعَرَابَة الأوسي (ت: نحو ٦٠هـ):

بأي شيء استحققت أن يقول فيك الشمَّاخ:

رَأيْتُ عَرَابَةَ الأوْسِيَّ يَسْمُو
إلَى الخَيْرات مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَت لِمَجْدٍ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

فقال عرابة: سماع هذا من غيري أولى بك وبي، يا أمير المؤمنين.

فقال: عزمتُ عليك لَتُخبرَنِّي.

فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي عن صديقي.

فقال معاوية: لقد استحققت».

[بهجة المجالس: ١/٤٦]

صورة من الحياة

البيروقراطية ...
هل هي السبب ؟

د. أمل بنت سلامة الشامان

نحن نعيش اليوم في عصر تزاحمت فيه الأعمال، وتعقدت فيه العلاقات ، وزادت فيه المسؤوليات والمستويات الإدارية، الأمر الذي أوجب تطوير بعض الأنظمة الإدارية لتتلاءم مع زيادة حجم الأعمال وأعداد المراجعين لإنهاء إجراءات المعاملات الرسمية.

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها حكومتنا الرشيدة في سبيل تذليل أي صعوبات قد تعوق إنهاء إجراء المعاملات الرسمية، إلا أننا دائماً نسمع بعض الشكوى ونرى أصابع تشير بالاتهام نحو البيروقراطية في تعطيل العديد من الأعمال. فكم مرة سمعت من زميل أوصديق قوله: إن المعاملة متأخرة بسبب «الروتين» لو كان عندي واسطة لما أخذت هذه المعاملة كل هذا الوقت.

إذاً ما هي البيروقراطية «الديوانية أو حكم المكاتب» التي نتهمها بتعطيل الأعمال؟

البيروقراطية Bureacracy هي وسيلة لتنسيق الجهود وتحديد المسؤوليات بين الوظائف المختلفة في الجهاز الإداري بأسلوب يمكّن من إنجاز العمل بشكلٍ مرضٍ.

من هذا التعريف يتبين لنا أن النظام البيروقراطي قُصد منه في الأصل إيجاد صيغة منظمة لأجل تقديم خدمات أفضل وأسرع للمراجعين.لكن تحول هذا النظام بسوء الاستخدام إلى نمطية من التكاثر المفرط للدوائر العامة والخاصة للإدارة في حياتنا الاجتماعية التي يزداد تعقيدها اليوم أكثر فأكثر.

نحن الآن أمام ظاهرة الديوانية «البيروقراطية» بهذا المعنى النمطي المعوّق للأداء الإداري بسلحفائيته وتردده عن أداء دوره التنسيقي الناجز.

أسباب الظاهرة وخلفياتها:

يمكن اختصار أسباب هذه الظاهرة في سببين اثنين:

الأول: الخوف من تحمل عواقب المسؤولية.

الثاني: التمسك بحرفية اللوائح والنظم.

فبالنسبة إلى السبب الأول فإن خلفيات هذا الخوف تتمثل في عاملين:

١ـ عامل تربوي.

٢ عدم وضوح حدود المسؤولية الإدارية وتداخل المسؤوليات وتشابكها.

أما العامل التربوي: فإنه يرجع إلى أصل السلوك التربوي الخاطئ في تنشئة الأطفال، حيث ينشأ الطفل معتمداً على أبويه في كل أموره. ولكن بعض الأمهات والآباء يفرطون في تلك العناية، فمثلاً إذا قام ولد الجيران بالشجار مع هذا الطفل تقوم الأم مسرعة إلى ولد الجيران وأهله لتتشاجر معهم ونصرة ولدها ظالماً أو مظلوماً. وإذا قام المعلم بتوبيخ هذا الطفل قام الوالد بالدفاع عن ابنه إلى درجة قد تصل إلى توبيخ المعلم.

إن الأطفال الذين ينشؤون في مثل هذا الجو من عدم تحمل المسؤولية والتدريب على القيام بأمرهم ومعالجة واقعهم بأنفسهم، يجعلهم ينشؤون وقد توكؤوا على غيرهم، حتى إذا وقعت على أحدهم مسؤوليات الوظيفة الإدارية في مستقبل حياته تهرب منها وتملص من مواجهاتها، إما بإلقائها على غيره وصرف المراجعين، أو بالاستناد إلى وسيط ذي مكانة مرموقة يحس معه بأن له سنداً يحميه عواقب المسؤولية إن كانت ثمة عواقب قد تحدث.

أما العامل الثاني الإداري الذي يرجع إلى عدم وضوح حدود المسؤولية،وتداخل المسؤوليات وتشابكها، فإن هذا العامل يرجع إلى أن الرقابة الإدارية في النظم البيروقراطية تبنى على مبدأ التنظيم الإداري، بمعنى أنه حيث تكون السلطة تكون المسؤولية،وهذا يتأكد من نمط التدرج الهيكلي للوظائف في النظام الإداري، فمبدأ المسؤولية هو الذي يحدد من يفعل هذا ومن يفعل ذاك من الأعمال الإدارية المنوطة بمجموعة العمل.

إن غموض حدود السلطة الوظيفية ينشأ عنه غموض في تحديد المسؤولية، لذلك يتهرب المسؤول عن أداء دوره نتيجة لهذا الغموض الذي يخلق في نفسه التردد أو الإمساك عن حسم موضوع المعاملة التي أحيلت إليه وإنجازه، وهذا يتداخل مع السبب الثاني الذي يتعلق بالتمسك بحرفية اللوائح والنظم لسلوك يظن بعض الإداريين أنهم بذلك يلتزمون بالنظام، غير أن اللوائح والنظم ليست غايات في ذاتها، وإنما هي وسائل لتحقيق المقاصد، فالتمسك بالتفسير الحرفي أيضاً ربما يكون أثراً من آثار التهرب من أداء المسؤولية الوظيفية عن طريق التعنت في الوقوف على ظواهر حرفية اللوائح والنظم.

ومحصلة هذه الملاحظات تقتضينا أن نمعن النظر في مسببات وخلفيات هذه الظاهرة بتوسع أكثر. مهما يكن من أمر فإن تكثيف التوعية وإعادة بناء الثقة في النفس عن طريق جهد تربوي ناشط، وإعادة صياغة بعض النظم واللوائح البيروقراطية لتكون أكثر مرونة وحركية في أدائها، وتحديد المسؤوليات والفواصل بينهما بما يتلاءم ومتطلبات العصر. كل هذا يساعد في تحسين الأداء البيروقراطي ويجعل أبناءنا أعضاء فاعلين في مجتمعهم، متحملين المسؤولية على أحسن وجه. قال تعالى: وقُل اعملوا فسيَرَى الله عملكم ورسولُه والمؤمنون. التوبة:١٠٥.

مع د. محمد بن عبد الرحمن الربيع :

اللغة العربية لا تعاني ضعفًا، وإنما الضعفاء نحن العرب بركوننا إلى الهزيمة الثقافية والفكرية

القصة التاريخية فن وتاريخ، لها من التاريخ واقعه الصحيح، ولها من الأدب والفن الخيال ودقة التعبير

يخطئ من يظن إمكان فصل النظريات الأدبية والنقدية عن أسسها الفكرية والفلسفية

ننتظر من صحيفة الوطن أن تقدّم تجربة رائدة ومنهجاً جديداً في العمل الصحفي

من أكبر الأخطاء التي يقع فيه بعضنا الظن أن اللغة ليست إلا حروفًا وكلمات وجملاً، لأن في مثل هذا الرأي عدم إدراك لقيمة اللغة وأثرها في حياة الأمم والشعوب بوصفها الوعاء الثقافي والفكري لها، والمستودع لتجاربها عبر العصور.

ولم يعد صراع اليوم الذي تقوده القنوات الفضائية صراعًا بين اللغات، وإنما هو صراع حضاري وفكري شعاره «أكون أو لا أكون»، والتهوين من أمر هذا الصراع يعدّ غفلة وجهلاً بحقائق الأمور.

والأدب كذلك ليس بعيدًا من ميدان هذا الصراع، إنما هو أداة من أدواته، وما نشاهده اليوم من خلال شاشات التلفاز والسينما ليس إلا نوعًا من الأدب، وهو أدب بعيد التأثير في تشكيل الأفكار والتصورات.

منتدى الفيصل يستضيف في هذا العدد واحدًا ممن شغلتهم قضايا اللغة والأدب لكي يسبر أغوارهما، إذ يجيب الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي عن أسئلة قرّاء الفيصل التي وردت إلى المجلة من دول مختلفة، والتي تسوق الدليل على ما تجده موضوعات اللغة والأدب من اهتمام بالغ، يعكس عمق إدراك هؤلاء القراء بما للغة والأدب من تأثير في تشكيل مستقبل الأمم وصياغتها.



ـ من المعروف أن الأمة إذا قويت حضارتها، وقوي اقتصادها وهيبتها قويت كذلك لغتها.
هل يمكن أن نقول: إن ما يسمى بقصور اللغة مرجعه إلى ضعف الأمة؟

سليم عثمان أحمد ـ الخرطوم ـ السودان
عبدالله السالمي ـ الطائف.

بصراحة مهما قلنا عن عالمية العربية وعن خلودها وعن خصائصها وإنجازاتها إلا أننا يجب أن نعترف أن ضعف العرب وفقدهم مكانتهم العالية قد انعكس سلبًا على لغتهم، فأصبحت التهم تكال جزافًا للغة القرآن الكريم، وكان المنطقي أن توجه التهم إلينا نحن أبناء العربية، الذين تكاسلنا وتجافينا عن خدمتها، وقصّرنا في نشرها وانتشارها، لا أن توجه التهم إلى العربية في ذاتها، وأخشى أن أقول كلمة تغضب الكثيرين ولكن لا مفر من قولها، وهي أن اللغةالخالدة قد رزئت بعدد من أبنائها الذين أساؤوا إليها، وقصّروا في خدمتها، وإلا فماذا نقول في العربي الذي يكيل التهم جزافًا لـلغته؟! ماذا نقول في العربي الذي يردد افتراءات الحاقدين على العربية؟ ماذا نقول في العربي المهزوم من داخله فلا تجده يتحدث العربية أو يعتز بها؟!.

ماذا نقول في العربي الذي لا يسعى إلى أن تكون العربية هي لغة التعليم الجامعي في مختلف التخصصات؟.
ماذا تقول في العربي الذي لا يسعى إلى نشر العربية في المحافل الدولية؟!
ماذا تقول في العربي الذي لا يسعى إلى نشر العربية في العالم؟

إن القضية ليست قضية لغة وحروف وكلمات، ولكنها قضية لغة تحمل محتوى حضاريًا وفكرًا مستنيرًا، وتعبر بها عن دين خالد وتراث مجيد.

إن الهجمة الشرسة تبدو في ظاهرها على اللغة العربية، لكنها في حقيقة أمرها هجوم على الإسلام والحضارة الإسلامية من خلال وعائه اللغوي والثقافي، وهو لغة القرآن الكريم، اللغة الخالدة الباقية أبد الدهر، فقد ضمن الله لكتابه العزيز الخلود، وأنزل القرآن بلسان عربي مبين فلا خوف على العربية من الزوال، ولئن قصّر جيل من الأجيال في خدمتها إن تعاقب الأجيال كفيل بأن يعيد للغة الخالدة مكانتها وانتشارها.

ـ يذهب بعضهم إلى أن اللغة العربية تعاني من عدم القدرة على مواكبة مستحدثات الحياة ومتغيراتها لارتباطها الوثيق بالتراث، ومن ثم يرون أنها في حاجة إلى إعادةالنظر في تركيبها ومدلولاتها.
ماذا تقولون في ذلك؟

صالح بن سعد الحسن ـ الخرج
محمد حسن عبدالرحمن ـ الدوحة ـ قطر .

يجب أن نفرق بين اللغة العربية في ذاتها وخصائصها وواقع المتحدثين بها. أما اللغة العربية الخالدة فقد أثبتت أنها لغة عالمية، بل كانت اللغة العالمية الأولى لقرون طويلة. كما أثبتت أنها لغة العلم والحضارة والأدب والفن، فقد استوعبت في عصورها الزاهرة معطيات الحضارة الإسلامية والإنسانية، واستطاعت أن تستوعب ما لدى الأمم الأخرى دونما تبعية أو خضوع للتيارات الوافدة والنزعات الشعوبية الحاقدة، لكننا إذا نظرنا إلى واقع العرب في العصر الحديث فأخشى أن أقول في لحظ يأس: إن التهمة صحيحة، وهي صحيحة ـ فعلاً ـ في حقنا لكنها بعيدة من الصحة عند من يعرف الطاقات الكامنة والإمكانات الهائلة للغة القرآن الكريم، ومن المخجل أن تكون سببًا في اتهام لغتنا بعدم القدرة على مواكبة العصر.

أعود إلى السؤال فأقول: إن الذين يجعلون ارتباط العربية الوثيق بتراثها هو السبب في تخلفها وعدم قدرتها على مواكبة العصر هم واهمون، إن أحسنا الظن بهم، أو مغالطون حاقدون على العربية، وإلا كيف يكون التراث والرصيد الضخم للغة عائقًا بينها وبين التقدم؟ وهو الكنز الذهبي الذي تنهل منه العربية، ومع ذلك فعلينا أن نتأمل في السؤال من جديد لنقول: إن الضرر يكمن في عدم الفهم الصحيح للتراث، وعدم المنهجية العلمية في التعامل معه، وقد يكون التراث في بعض الحالات عائقًا فعلاً من عوائق نهضة العربية إذا كان الأمر يتعلق بالتمسك بقشور التراث دون لبابه وجواهره، وإذا تحول التمسك بالتراث إلى حجر على العقول، وقتل الإبداع، وحدّ من انطلاق العربية إلى آفاق أرحب، وإذا تحول إلى عائق يحول دون استخدام معطيات الحضارة والتقنية. وهنا ينبغي أن

منتدى «الفيصل»

مع د. محمد بن عبد الرحمن الربيع



نكون أكثر دقة وموضوعية، وأن نقول: إن التعامل الخاطئ مع التراث معوق من معوقات استعادة اللغة الخالدة لمكانتها المرموقة العالية.

أما مسألة إعادة النظر في تركيبها ومدلولها فإن كان المراد به هدم ثوابت اللغة وخصائصها فهذا أمر غير مقبول، وإن كان المراد به إغناء اللغة العربية بكل جديد فهذا أمر مطلوب، وقد ظلت العربية على مختلف العصور تؤثر في اللغات الأخرى، وتتأثر بها، شأن لغات العالم الحية مع محافظتها على أصالتها وخصائصها.

وإذا أردنا أن نتحدث عن خصائص اللغة العربية وروعتها فما أكثر ما بينه علماء اللغة العربية ومن ذلك:

ـ تكاد اللغة العربية تنفرد عن اللغات الحية الأخرى بخصيصة باهرة هي وفرة الألفاظ الدالة على الشيء منظوراً إليه في مختلف درجاته وأحواله، ومتفاوت صوره وألوانه، لذلك فإن قدرة اللغة العربية على التأمل الداخلي قدرة عجيبة، ومن المعروف أن اللغة العربية تعنى بالألفاظ من أجل المعنى.

ـ تتميز اللغة العربية من غيرها من اللغات التي نعرفها بميزة رائعة هي الإيجاز في اللفظ والتركيز في المعنى، دون الإخلال بمادرجت عليه من الوضوح والتميز.

على أن في العربية مع الإيجاز والتركيز مرونة ودقة وحسًا داخليًا خاصًا يجعلها لغة التعبير.

ـ اللغة العربية أكثر مرونة في الواقع من غيرها من اللغات الحية المعروفة وهي أنها أكثر اللغات قبولاً للاشتقاق، والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة أن تؤدي معاني الحضارة الحديثة على اختلافها، ولا نزاع في أن منهج اللغة العربية الفريد في الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل أداؤها في اللغة الغربية.

ـ حين يوازن بعضهم بين اللغة العربية ولغات أخرى مثل اللغة الإنجليزية، يقولون: إن العربية هي لغة الأدب والشعر والخيال وليست لغة العلم والتقنية.

إلى أي مدى يصدق مثل هذا الرأي؟

سحر سعيد ـ الإسكندرية ـ مصر.

الرد العلمي على ذلك يتمثل في أمرين: أحدهما من الماضي عندما كانت العربية في عصورها الذهبية لغة العلوم الطبيعية والرياضية، لغة الحضارة الإنسانية بكل معطياتها وعلومها وآدابها، ولم يقل أحد في تلك العصور: إن العربية قد عجزت عن استيعاب لغة العلم والإدارة والحضارة.

أما عن عصرنا الحديث فإن تجربة تدريس العلوم الطبيعية والطبية باللغة العربية تجربة ناجحة متى أخلص لها أبناؤها؟ ومتى أتيحت الفرصة لها، وهيئت الإمكانات البشرية والمادية لها؟.

فالعيب حقيقة في أبنائها المتخاذلين العاقين لها، أما هي فصالحة لكل عصر، ولكل علم، وأدب، وفكر. وتملك من وسائل التطور والتوسع واستيعاب المصطلحات ما مكنها من أن تكون في يوم من الأيام اللغة الوحيدة للعلم والحضارة، ولذلك فإن الواجب على كل عربي مخلص أن يسهم في حركة التعريب بكل ما يستطيع، وبهذا نجد أن القضية قد حسمت في مستويات واضحة.

فيجب أولاً أن يسعى الجميع إلى تعريب العلوم، وإلى تدريس العلوم باللغة العربية، وهذا لا يتناقض مع تعلم اللغات، بل إن التعريب لا يتم إلا بتعلم طائفة من أبناء العربية للغات الأخرى، وإتقانها، لأنهم هم وسائط نقل العلوم، وهم القادرون على تعريب المصطلحات.

ويجب ثانيًا أن نقدم فكرنا ومعارفنا إلى الأمم الأخرى عن طريق الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى حتى ننقل ما لدينا من المحلية إلى العالمية.

أما من يقولون: إنهم يؤلفون ويكتبون ـ وأقول أنا ـ ويفكرون أيضًا باللغات الأجنبية للأسباب الواردة في السؤال، فإن الأمر واضح هنا، والدعوى باطلة، وأظن بعضهم عاجزًا عن التعبير باللغة العربية.

ـ هناك من يرون أن لغة التدريس في المدارس والجامعات من أهم أسباب ضعف اللغة العربية.

ماذا تقولون في ذلك؟

فهد السعود ـ الدلم

توفيق أحمد جبر ـ عبري ـ الولاية الشمالية ـ السودان.

القضية ليست قضية لغة وحروف وكلمات، ولكنها قضية لغة تحمل محتوى حضاريًا وفكرًا مستنيرًا وتعبر عن دين خالد وتراث مجيد



في جامعة محمد بن عبدالله بفاس المغرب

هذه المشكلة مظهر من مظاهر الازدواج اللغوي، وتتجسد المشكلة في أننا نريد أن نعلم الطالب اللغة العربية حديثًا وكتابة، لكن المدرسين لا يساعدون في كثير من الأحيان على ذلك، فنجد المدرس يشرح بالعامية، وهذا أمر خطير، لأن المدرس قدوة، وإذا اقتدى به الطالب هنا فستكون العامية هي لغته، وبذلك نكون قد ألغينا أو أفسدنا كل ما تلقاه الطالب من علوم العربية.

ولا عذر في ذلك لمعلمي اللغة العربية بصفة خاصة، ولجميع المعلمين بصفة عامة، وقد يقول بعضهم: إن التدريس بالفصحى فيه صعوبة، وقد يودي إلى شيء من عدم فهم الطالب للدرس، وتلك دعاوى باطلة، فالطالب يفهم بالفصحى الميسرة أكثر مما يفهم بالعامية أيًا كان مستواه، والمدرس يستطيع بشيء من الاهتمام والعناية أن يشرح بالعربية الميسرة، وإذا وطّن نفسه على ذلك فسيتعوّد خلال فصل دراسي الشرح بالعربية الميسرة يستوي في ذلك جميع المدرسين لكل المواد.

وقد لاحظت - بأسف شديد - أن بعض مدرسي المواد العربية أو الشرعية في التعليم العام أو الجامعي يشرحون الدرس بالعامية، وهذا عيب كبير ينبغي تلافيه.

يضاف إلى ما ذكرت ما يقوم به بعض المدرسين من إدخال كلمات كثيرة في شرحهم من اللغات الأجنبية كالإنجليزية، وهذا يدل على ضعف المدرس في العربية أو على عدم اعتزازه بها.

اللغة العربية هي لغة المسلمين في شتى أرجاء المعمورة، لأنها لغة القرآن الكريم.

- ترى ماذا ينبغي أن نعمل حتى تعود إلى قمة مجدها وانتشارها في العالم الإسلامي كما كانت في عصور الإسلام الزاهية؟

طالب منحة بجامعة الإمام.

حقيقة يجب على أبناء اللغة العربية وحماتها أن يقفوا وقفة تأمل وتفكير في مستقبلها، وفيما ينبغي عليهم عمله من أجل نشرها في العالم.

إن أول خطوة في سبيل ذلك هي استعادة الثقة والاعتزاز بها، وتجاوز عقدة النقص، ولا يتم ذلك إلا بالحرص على أن يكون التعليم بها في كل مجال وعلم، أما أن ندعي الحب والإخلاص لها، وفي الوقت نفسه ندرّس العلوم في كثير من كلياتنا وجامعاتنا بغيرها، فذلك تناقض وظلم للعربية.

والخطوة الثانية أن نعمل على نشرها في العالم الإسلامي منطلقين في ذلك من أن العربية لغة الإسلام، ولغة القرآن الكريم، وأن المسلم يعدّها لغته الأولى قبل اللغة التي تعلمها عن أبويه، كيف لا وهي لغة كتاب الله، ونبيه، ودينه، والحافظة للتراث الإسلامي؟!!

إن الإنسان ليعجب ولا ينقض عجبه عندما يعرف أن فرصًا ذهبية قد فرطنا - مع الأسف - فيها: فهذه دولة باكستان الإسلامية عندما استقلت، وانفصلت عن الهند تنادي على لسان قائدها محمد علي جناح إلى أن تصبح العربية لغة رسمية لباكستان، وقد تحمست بعض البلاد والمؤسسات العربية لذلك،

منتدى «الفيصل»

مع د. محمد بن عبد الرحمن الربيع



وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوضع خطط علمية لمساعدة حكومة «باكستان» في تنفيذ هذا القرار الشجاع، ثم تعرض المشروع والفكرة لشيء من الجمود والتفريط، وفاتت على لغة القرآن الكريم فرصة عظيمة نتيجة للتراخي، ثم جاءت فرص ذهبية لإعادة نشر العربية في تركيا دون أن تجد الدعم والمساعدة - إلا ما قل - بينما نظرت الصحف الغربية إلى هذا التوجه التركي نحو العربية على أنه انتكاسة خطيرة لمشروع «علمنة» البلد المسلم.

وأخيرًا: لماذا لا تتفق الدول الإسلامية على أن اللغة العربية لغة العالم الإسلامي، ثم تصدر تلك الدول من التنظيمات والقوانين ما يحوّل تلك المقولة إلى حقيقة واقعة قد تحتاج إلى زمن يطول أويقصر، لكن وضعها في مقدمة الأهداف المشتركة للدول الإسلامية يجعل تحقيقها أمرًا ممكنًا ولا شك.

وأعتقد أن الشعوب الإسلامية قاطبة سترحب بذلك، لأنها على يقين بأن ذلك مطلب شرعي لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولأن العربية ليست لغة العرب، بل هي لغة المسلمين، كلنا نعرف حال العربية في عصر الفتوحات الإسلامية، وكيف انتشرت في كل البلاد الإسلامية، كيف نبغ العلماء في فنونها المختلفة، وهم ليسوا من أصول عربية، لكنهم أخلصوا للعربية، وخدموها، لأنها لغة الكتاب العزيز.

إننا إذا أخلصنا النية أولاً، وصدقنا العزم، وبذلنا الجهد والطاقة، وأنفقنا المال والوقت بسخاء، إذا قمنا بذلك فسيأتي اليوم الذي تنتشر فيه اللغة العربية في العالم الإسلامي، بل في العالم أجمع.

ـ من أهم التحديات التي تواجهها اللغة العربية ذلك التناقض اللغوي الذي نشهده في حياتنا اليومية.

- إلى متى لغة نفكر بها، ولغة نتكلم بها، ولغة نضطر إلى الكتابةبها؟ ألا يوجد حل لمشكلة الازدواج اللغوي؟.

عبدالرحمن حمد الأحمد - الزلفي
يوسف أنور جمال - لوس أنجلوس - الولايات المتحدة الأمريكية.

الازدواج اللغوي والثنائية اللغوية مشكلة خطيرة جدًا ويستغلها دعاة العامية، فيقولون: إننا لا نتحدث في واقع الحال بلغة عربية واحدة، وإنما هناك أكثر من عربية، أو هناك لغات واقعية كما يسمون العاميات بزعمهم، فلماذا لا تستقل كل عامية ببلدها، وتنفصل عن العربية، وبهذا يسهلون الأمر ويعرضونه بأسلوب يدعي الواقعية العلمية، والحرص على تسهيل تعليم اللغة؟ ويشجعهم على ذلك كثير من المستشرقين والمتأثرين بهم، وبذلك يتحقق لهم ما أرادوا من تفريق الأمة العربية ومن إضعاف اللغة العربية، ومحاولة - أثق أنها مخفقة - للقضاء عليها.

والعامية في حقيقتها مظهر من مظاهر الضعف، والتشتت، والأمية. ومن الطبيعي جدًا أن تموت الدعوة إلى العامية بسبب الوعي والتعليم والدعوة إلى التضامن العربي والاعتزاز بالفصحى لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة.

وفي يقيني أن الأصوات التي تدعو إلى العامية تخدم، بل وتنفذ خطط الاستعمار، والغزو الثقافي، أو تتمسك بواقع غير صحيح وضعيف ينبغي أن يزول.

إن زحف العامية سيتحول إلى انحسار وتوقف بعوامل عدة، منها: إنتشار التعليم والوعي بأهمية الفصحى، وتمسك وسائل الإعلام بالفصحى، وشعور الجميع بأن الفصحى هي القادرة على تلبية متطلبات الحضارة والرقي.

أما الشعر العامي، ولا أحبذ تسميته بالشعر الشعبي؛ لأن وصفه «بالعامي» وصف صحيح سليم، فهو عامي اللغة، لكن وصفه بالشعبي لا ينطبق عليه قط. صحيح أنه يعبر عن هموم الطبقة الشعبية غير المتعلمة وآمالها، لكن الأدب الفصيح يعبر أيضًا عن هموم الشعب بمختلف طبقاته ومستوياته، فليست الشعبية صفة مقصورة على هذا الشعر.

أقول هذا الشعر العامي مرتبط بقضية اللغة العامية والازدواج اللغوي وسيضعف بضعفها، وسيزول بزوالها.

ونعود إلى قضية الازدواج اللغوي والثنائية اللغوية بين الفصحى والعامية وما ينتج من ذلك من تخبط واضطراب وبلبلة في الألسن والمفاهيم، ونقول إنه واقع نعيشه، لكنه واقع غير مقبول، ولا بد من وضع الخطط المدروسة لتجاوزه وتلافيه. ولا بد في سبيل ذلك من دراسة عملية لمظاهر الازدواج

قد يكون التراث عائقًا من عوائق نهضة اللغة العربية إذا كان الأمر يتعلق بالتمسك بقشور التراث دون لبابه وجواهره



محاضرة في النادي الأدبي بأبها

اللغوي وأسبابه كي نصل إلى الحلول الكفيلة بتجاوزه، ولو بشكل تدريجي؛ لأن الخطر كل الخطر في أن تتسع الفجوة بين اللغة التي يتحدث بها الناس ويتفاهمون والفصحى أو اللغة الرسمية أو لغة العلماء، فيتحول الازدواج من ظاهرة سلبية إلى واقع معيش.

ـ تعالت أصوات غير قليلة تحذر من تفشي ظاهرة ضعف اللغة العربية، وتدني مستواها في الصحافة ووسائل الإعلام. ما رأيكم في ضوء أهمية اللغة في بناء مستقبل الأمة حضاريًا وثقافيًا؟

هاني محمد الحمد ـ الرياض.

أكرر ما أشرت إليه سابقًا من أن الضعف ليس في اللغة العربية، وإنما فينا نحن المتحدثين بها، ولهذا الضعف أسباب كثيرة يأتي في مقدمتها الهزيمة الثقافية والفكرية وحالة الضعف والتشرذم التي تعيشها الأمة العربية، مما أكد وضعًا عامًا ليس في اللغة وحدها، بل في الفكر والحضارة والإبداع أيضًا. يضاف إلى ذلك الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية، وما ينتج من ذلك الازدواج من تخبط واضطراب وبلبلة في الألسن والمفاهيم.

ولست ممن يعزو الضعف إلى الصحافة، بل أرى أن الصحافة بشكل عام كانت سببًا من أسباب انتشار الفصحى، وكانت سببًا من أسباب تحرر الأسلوب العربي من لوازم عصر الضعف والتخلف، وكانت سببًا من أسباب انتشار المصطلحات الجديدة، وكانت سببًا في اتصال القارئ العادي بكبار الكتّاب والمداومة على قراءة أساليبهم، وكانت سببًا من أسباب التقارب اللغوي بين الأقطار العربية، صحيح أن هناك سلبيات نشأت من لغة الصحافة لكنها من وجهة نظري لا ترقى إلى مستوى الإيجابيات الجديدة للصحافة العربية، استثنى من ذلك بعض الصحف أو الصفحات التي تحرر بالعامية، فتلك لا تخدم العربية ولا تساعد على انتشار الفصحى بين العرب.

ـ ما تصوركم لمستقبل اللغة العربية؟

أبو بكر سعيد ـ صنعاء ـ اليمن.

تصوري ـ وهذا عن يقين ـ يغلب عليه التفاؤل لسببين رئيسين:

أولهما: أن الله سبحانه وتعالى قد ضمن للغة العربية البقاء ببقاء القرآن الكريم، وهذه خصيصة للغة العربية لا تشاركها فيها أي لغة أخرى في العالم.

وثانيهما: مجموعة من التطورات الإيجابية ـ على الرغم من السلبيات ـ التي تبشر بمستقبل أفضل للغة العربية. من هذه الإيجابيات:

ـ وجود جامعات قوية تعنى باللغة العربية تعليمًا وتأليفًا، وما صاحب ذلك من تقديم المعالجات العصرية لبعض المشكلات التي تواجه العربية.

ـ وجود وعي ثقافي جيد يربط بين العربية والإسلام، ويعد العناية بها واجبًا إسلاميًا، وأن العربية ليست لغة قومية للعرب، وإنما هي لغة الحضارة والثقافة الإسلامية.

ـ انتشارها في المحافل الدولية والاعتراف بها لغة عالمية.

ـ كثرة المعاهد والأقسام التي تعنى بتعليمها خارج الوطن العربي.

ـ اتجاه الشعوب الإسلامية عن محبة ورغبة شديدة إلى تعلم العربية لغة القرآن الكريم.

ـ حركة التعريب والترجمة التي وسعت من آفاق العرب.

ـ نشأة المجامع اللغوية وما لتلك المجامع من خدمات جليلة في مجالات التعريب والمصطلحات ومعالجة القضايا العصرية.

ـ استخدام العربية الفصحى في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية.

منتدى «الفيصل»

مع د. محمد بن عبد الرحمن الربيع



ويعلم المتابع للأمور أن هناك معاهد لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وأن للمملكة العربية السعودية وبعض البلدان العربية نشاطات مشكورة في مجال نشر العربية، فالمعاهد التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أندونيسيا وجيبوتي واليابان والولايات المتحدة الأمريكية مثال حي على ذلك، ومراكز تعليم العربية والجهود المبذولة لتعليم طائفة من أبناء المسلمين داخل البلاد العربية.

ـ اتسعت المعارف الإنسانية وتشعبت في عصرنا الحديث. ما موقف الأديب من ذلك؟ وكيف يستفيد من معطيات العلوم والمعارف المتنوعة؟

هشام محمد ـ الرياض

فارس عبدالملك ـ الترعة البولاقية ـ شبرا ـ القاهرة.

يحتاج الدارس للأدب والناقد له إلى الإلمام بمجموعة من العلوم والمعارف المتنوعة، مما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتذوق الأدب وفهم معانيه وتحليله.

ونقادنا القدماء وضعوا شروطًا للناقد والأديب، سموا مجموعة من العلوم التي لا بد لمن يريد النقد من دراستها، لتساعده على سلوك الطريق السوي. وممن تحدث عن ثقافة الناقد والأديب ابن الأثير في «المثل السائر»، وابن طباطبا في «عيار الشعر».

وفي العصر الحديث اتسعت المعارف الإنسانية وتشعبت، ومال الناس بسبب ذلك إلى التخصص العام أولاً، ثم التخصص الدقيق في جزئيات علم من العلوم.

وفي مجال الأدب انتشرت المذاهب الأدبية الوافدة على أدبنا من الآداب الغربية من طريق الترجمة أو الاتصال المباشر.

واتجه مجموعة من ناقدي الأدب إلى دراسة بعض العلوم الإنسانية دراسة عميقة، ثم انتقلوا إلى تطبيق مصطلحات علم النفس والتحليل النفسي على الأدب تطبيقًا قسريًا بكل ما في العلم من نظريات وفلسفات، واتجه بعضهم إلى تطبيق العلوم التجريبية في مجال الأدب، كما أغرق آخرون في إيراد مصطلحات علم الجمال أو الموروث الشعبي «الفلكلور»، وكل ذلك الإغراق الذي يصل عند بعضهم إلى حد التعمية ناتج عن تأثر بالمذاهب الفنية الوافدة، وأنا لا أنكر أن يستفيد الأديب والناقد من معطيات هذه العلوم، ولكنني أستثقل الإغراق والإفراط في تطبيق مصطلحات العلوم الأخرى ونظرياتها على الأدب، لأن ذلك يقتل روح الأديب، ويفقد القارئ التذوق الجميل للنص الأدبي الرائع، ويجعله يضيع في متاهات العلوم الأخرى، مما يؤدي به بعد ذلك إلى العزوف عن قراءة الأدب وتذوقه.

وإذا أردنا التأكد من ذلك فما علينا إلا أن نقرأ لأحد هؤلاء تحليلاً لديوان شعري أو قصيدة مثلاً، فسنجد هذا التحليل مملوءًا بمصطلحات بعيدة عن الأدب، وهذه المصطلحات والنظريات في الغالب غير واضحة في أذهاننا، وربما غير واضحة في ذهن كاتب التحليل، ولكنه أراد أن يحشو تحليله بكلمات جوفاء لا علاقة لها بالموضوع، ثم إننا سنشغل ونتعب أنفسنا في محاولة لفهم هذا المكتوب أمامنا، وبذلك نبتعد خطوات عن التذوق الجمالي للديوان أو القصيدة، والأدهى من ذلك محاولة تطبيق هذا المذهب على الآداب العربية القديمة، وقتلها فنيًا، من طريق إدخالها في دوامة هذه العلوم، وفي ذلك إنكار للخصائص المميزة لآداب الأمم، وما تنفرد به أمة عن أخرى في هذا الميدان، وقد كان من نتيجة هذا الاتجاه التنكر للأدب العربي القديم واحتقاره والبعد عن تذوقه، وتنفير الدارسين منه.

ومن أمثلة تطبيق مصطلحات التحليل النفسي مثلاً على الأدب العربي القديم ما قام به الناقد العربي الدكتور محمد النويهي من دراسة للشاعر العباسي أبي نواس، فبعد أن طبق نظرية التحليل النفسي توصل إلى أن الشاعر مصاب بعقدة أوديب، وعلى عكس ما كان قد توصل إليه الأستاذ عباس محمود العقاد من أنه مصاب بعقدة النرجسة، ولو سرنا على هذا الطريق الشائك فسيخرج لنا من يقول: إن المتنبي مثلاً مصاب بالنرجسية، وسيخالفه آخر، ويقول: بل مصاب بعقدة أوديب، وسيقول آخرون غير ذلك، وخير من ذلك كله أن نستفيد من معطيات العلوم الأخرى من غير إغراق في مصطلحاتها.

لا بأس من إفادة الأدب من العلوم والمعارف الأخرى، ولكن الإغراق في تطبيق العلوم التجريبية في مجال الأدب يقتل روح الأدب ويفقد القارئ القدرة على التذوق



في معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن

ـ في رأيكم كيف يحقق الأديب التفوق والإبداع في كتاباته الأدبية؟

محمد حسين علي ـ الشرقية ـ مصر.

الكتابة الأدبية فن رفيع لا يقدر عليه إلا من أوتي ثقافة عالية وأسلوبًا جذابًا ممتعًا، وهي تنطلق من الرغبة، ولا تتخلى عن الالتزام، وتخضع لعوامل كثيرة منها العشق للموضوع والامتزاج به، والقدرة على تحديده وبسطه والتدليل عليه، ولذلك نجد أن كتاب المقالة الأدبية بأنواعها يصعب عليهم الاستمرار في نمط معين منها، أو التزام مواعيد محددة، فلا يستطيع الأديب الذي يحترم قلمه وفكره أن يلتزم كتابة زاوية أو عمود يومي في صحيفة أو برنامج يومي في الإذاعة مثلاً لمدة طويلة، وإلا انقلب الأمر من إبداع مفيد إلى اجترار موضوعات سابقة، أو كتابة بلا هدف، أو تهويمات وشيء من المعميات. وبالاختصار المفيد أصبحت الكتابة بلا هدف ولا مستوى.

هذه حقيقة يدركها الأدباء، ولذلك نجد كثيرًا منهم يفضل أن يكتب خواطره وأفكاره في الوقت المناسب له من غير التزام مسبق حتى لا تتحول الكتابة إلى وظيفة يؤديها وعمل آلي يمارسه. وهذا يقتل الإبداع في نفسه، ويجبره من حيث يدري أو لا يدري على الإسفاف.

ولو ألقينا نظرة فاحصة على ما يكتبه الأدباء العرب المشهود لهم بالتفوق والإبداع لوجدنا أنهم يأتون بالعجب العجاب، وبالأسلوب الأخّاذ والفكر النيّر عندما يكتبون أو قل ينشرون ـ في الوقت المناسب لهم، وبمحض اختيارهم، أما عندما يلتزمون عمودًا يوميًا، فإن الأمر يختلف عن ذلك تمامًا، مع أن الكاتب واحد لكن الدافع إلى الكتابة مختلف.

إن الأدب ليس وظيفة، وإنما هو هواية وعشق ومعاناة، والدليل على ذلك أن الجامعات في العالم العربي وغيره تزخر بعدد كبير من الأساتذة المتخصصين في الأدب، لكن البلاد العربية تفتقر إلى الأدباء الموهوبين، والفرق واضح بين النوعين، فهذا وظيفته تدريس الأدب، وذاك هوايته إبداع، وليس من الممتنع الجمع بينهما، لكن الخطأ كامن في الخلط بين مهمته هذا ومهمة ذلك.

ـ تأثر الأدب العربي الحديث بالآداب الغربية ومذاهبها واتجاهاتها تأثرًا يفوق ـ كما يرى بعضهم ـ تأثره بتراثنا الأدبي. هل ترون أن هذا التأثر يمكن أن يفقد أدبنا طابعه الخاص وخصائصه الروحية؟

محمد عبدالرحمن الراجحي ـ القصيم

التفاعل بين آداب الأمم والشعوب المختلفة أمر مسلم به منذ أقدم العصور، وكل أمة حية تأخذ وتعطي، وتؤثر وتتأثر، ولكن هذا الأمر خاضع لمقاييس وأسس وقنوات يمر من خلالها حتى لا ينقلب ذلك الرافد المفيد إلى تقليد أعمى، ومسخ للأصول الحضارية الثابتة للأمة.

وفي عصرنا الحديث تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية، وأخذ منها الشيء الكثير، ولكن هذا التأثر تجاوز الحد عند كثير من المتأثرين حتى انقلب إلى تقليد أعمى، وانسياق وراء التجديد من غير تمحيص ونقد، وكأنهم أرادوا أن يتحرروا من تهمة الجمود الأدبي، فوقعوا في حبائل التقليد من جديد، ولكنه هذه المرة تقليد للأجنبي، وتأثر بآداب لها فلسفة ومنطلقات فكرية لا تتفق مع مبادئنا وأصالتنا.

ولقد كان أدباء العرب في العصر العباسي على درجة عظيمة من الوعي والدقة في الاختيار، فقد تأثروا بآداب الأمم الأخرى وأخذوا منها بعض

منتدى «الفيصل»
مع د. محمد بن عبد الرحمن الربيع



النظريات والآراء، ولكنهم عندما واجهوا الأدب اليوناني - وهو أدب وثني - يقوم على تعدد الآلهة وعلى الخرافة لم يتأثروا به. وهذا موقف مشرف عظيم، وإن وجد في عصرنا هذا من يتهم الأدب العربي بالقصور، لأنه لم يتأثر بآداب اليونان والرومان، وفاتهم أن ذلك موقف حضاري رائع، يدل على الاصطفاء، وعرض الطارئ الدخيل على الأصول المُسلم بها، فرفضوا الأدب اليوناني الوثني، وأخذوا الطب اليوناني النافع والعلم المفيد.

بل إن أوربا تأثرت بالعلم العربي وبالأدب العربي، فهذا دانتي في الكوميديا الإلهية، التي هي من مفاخر الأدب الأوربي يستوحي فكرته من رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ومن قصة الإسراء والمعراج، وكل الدارسين للآداب الأوربية يقفون طويلاً عند تأثير الأدب العربي الأندلسي في الآداب الأوربية.

ـ من المعروف أن التاريخ معين لا ينضب للآمال الأدبية.
هل من حق الأديب أن يُعْمل في التاريخ خياله كما يعمله في واقع حياته؟

رياض محمد ـ الرياض ـ العليا.

تاريخ أمتنا الإسلامية يمتلئ بالأحداث والقصص والعبر، واتجاه الأدباء إلى استيحاء التاريخ واستلهامه وإعادة إحيائه أمر محبب إلى النفس يجعل الماضي في صورة الحاضر، وفي ذلك متعة وعبرة.

ومجال الاستفادة من تاريخنا المجيد في هذا الميدان مجال رحب واسع متنوع، فإن أردنا القصص المأساوية فما أكثر المآسي، وإن أردنا القصص الاجتماعية فهي كثيرة جداً، وإن أردنا البطولات فالتاريخ حافل بها.

واستلهام التاريخ واستبطان أحداثه مصدر من أهم مصادر العطاء الفني، لكن التعامل مع التاريخ أمر ليس باليسير، بل يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة والوعي والحس التاريخي المرهف، وهذا ما يجعلنا نقف موقف الدهشة وعدم الارتياح من كثير من القصص التاريخية والمسلسلات المستمدة من التاريخ، إذ إن التعرض لذلك الجانب ليس بالأمر السهل، فلا يكفي أن يعود من يريد كتابة المسلسل التاريخي إلى مرجع من مراجع التاريخ، ثم ينقل منه، ويحور فيه، ويدخل ما يشاء من التعديلات.

إن الأمر يحتاج إلى دراسة الحدث التاريخي بدقة، ودراسة ما حول الحدث، أو الدائرة الزمانية والمكانية للحدث، لأن ذلك يساعد على تحويله إلى قصة حوارية، تخضع للشروط الفنية للقصة الحديثة، ولا تصادم وقائع التاريخ، وليس معنى هذا الالتزام بحرفية الحدث كما ورد في كتب التاريخ، فالقصة التاريخية فن وتاريخ لها من التاريخ واقعه الصحيح، ولها من الأدب والفن الخيال ودقة التعبير.

ولذلك فإن الأدباء يفرقون بين الصدق الفني في الأدب والصدق التاريخي، فلكاتب القصة أن يدخل في الحوار من خياله ما لا يناقض أو يتعارض مع الأحداث التاريخية الثابتة، وتلك مسألة دقيقة تحتاج إلى دُربة ومران وموهبة.

ولا بد لكي يعيش المشاهد في المسرحيات التاريخية على وجه الخصوص في جو الحدث من أن ينسجم كل شيء مع الزمان والمكان، ولذلك فإن من المضحك المبكي أن تجد أشخاصًا يمثلون شخصيات إسلامية تاريخية، وينطقون بلغة عامية، ويلبسون ملابس لا تنسجم مع عصر القصة، ويستخدمون أدوات هي من معطيات عصرنا لا العصر الذي تحاول المسرحية أن تنقلنا إليه. وذلك تناقض يدركه الطفل الصغير، فضلاً عن المثقف والمتخصص.

أعود فأقول: إن الالتفات إلى التاريخ واستلهام أحداثه في القصص والمسرحيات أمر مفيد، ودليل على اعتزازنا بماضينا المجيد، لكن ذلك فن صعب المرتقى، دقيق المسالك.

في ضوء تعدد المذاهب الأدبية.
ـ هل يمكن الفصل بين المذاهب النقدية وجذورها الفكرية؟

موفق عبدالله ـ الأردن.

يخطئ كثيرًا من يظن أننا نستطيع الفصل بين النظريات الأدبية والنقدية المستوردة وأسسها الفكرية والفلسفية، وأننا نستفيد من النظرية، ولانقع في محظورات الفكر الذي نبعت منه، وتربت في أحضانه.

الأديب الذي يحترم قلمه وفكره لا يمكن أن يلتزم كتابة زاوية أو عمود يومي في صحيفة أو إعداد برنامج يومي في الإذاعة لأن ذلك قد يقوده إلى اجترار موضوعات سابقة أو الكتابة بلا هدف



في مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية بالدار البيضاء

والسبب في ذلك أن مذاهب الأدب تنشأ في بيئات معينة نتيجة لظروف وأحداث اجتماعية وسياسية واقتصادية خاصة، كما أنها تستند إلى فكر موجه له أصوله وقواعده، ولذلك لا يستطيع دارس النظرية أن يفهمها بدقة وأن يدرك أبعادها إلا إذا مارسها في ضوء الأحداث والأفكار التي واكبتها، وأدت إليها.

ولقد وقع كثير من الأدباء العرب في مزالق فكرية خطيرة نتيجة لاعتقادهم بإمكان الفصل بين النظرية الأدبية والمذهب الفني وأسسه الفكرية، فجاء نتاجهم الأدبي ينضح بالشطط، وتفوح منه رائحة الانحراف، وتكسوه غمامة سوداء من أفكار بعيدة كل البعد عن واقع الأمة العربية، وفكرها الإسلامي المستقيم، بل يستطيع الناقد البصير أن يرجع تلك الأفكار إلى أصولها وجذورها في مذاهب الأدب الغربية أو الشرقية.

ونتيجة لذلك فقد نادى عدد من النقاد الملتزمين بضرورة العودة إلى الأصول الإسلامية، ومعطيات النقد العربي القويم لوضع قواعد جديدة، واستنباط مدارس فنية لا تقيد الفن، ولا تحول بينه وبين الخيال والإبداع والتحليق في أجواء الفن الرفيع، لكنها لا تغيب عن تقويمه ونقده ومحاولة الربط بينه وبين الفكر الإسلامي القويم؛ لأنها تدرك أن الأديب الحق هو الأديب الملتزم قيم أمته ومعتقداتها والثوابت لديها، أما إذا تحلل من ذلك فإنه سيقع في التزام آخر شاء أم أبى ألا وهو التزامه فلسفات الغرب أو الشرق، إذ لا يمكن للأديب أن يبدع أدبًا خاليًا من الفكر، وإلا تحول الأدب إلى عبثية زائفة، وعبارات جوفاء لا تحمل معنى، ولا تخدم فكرة، ولا تقوم برسالة في الحياة.

- صحيفة الوطن أحدث صحيفة تصدر في هذا الوطن، ما أبرز ملامح النجاح في أي صحيفة سعودية؟ وما دور القطاع الخاص في دفع الحركة الصحفية؟

إلهام غازي - صفوي - الشرقية.

استبشرنا جميعًا بقرب صدور صحيفة «الوطن» في منطقة غالية من بلادنا، وهي منطقة عسير.

وصدور صحيفة جديدة أمر سارٌّ ومفيد في حدّ ذاته، فكيف إذا كانت هذه الصحيفة ستصدر وفق تصور عقلي منظم وجديد، ووفق خطة مدروسة بدقة، ولتحقيق أهداف، وطموحات رائدة؟.

إن الخطوات العلمية المدروسة لإصدار الصحيفة علامة من علامات النجاح، لأن العمل الصحفي الناجح لا يمكن أن يعتمد على الارتجال والمصادفة، وإنما هو علم قائم بذاته له أسسه ومقوماته ونظرياته العلمية، وهذا ما سعت إليه جريدة الوطن المنتظرة، ولعلها تقدم لنا تجربة رائدة، ومنهجًا جديدًا في العمل الصحفي حتى لا تكون نسخة مكرورة من الصحف الأخرى، وأن تمتاز بأسلوب جديد ومعالجة جديدة، مستفيدة في ذلك من تجارب الصحف السعودية في الداخل والخارج، ومن تجارب الصحافة العالمية الناجحة.

إن كل عوامل النجاح والتفوق - بحمد الله - متوافرة لصحيفة الوطن، ويبقى واجب المثقفين نحوها، وذلك بإمدادها بالأفكار النيرة، والمقترحات البناءة، وبعد ذلك إمدادها بالمقالات والبحوث والدراسات التي تسهم في بناء الوطن والنهوض بالمواطن.

منتدى «الفيصل»

د. محمد بن عبد الرحمن الربيع



معارض الكتب الدولية هل فعلاً فتحت المجال أمام الكتاب والمؤلف السعودي؟

وهل هناك مواصفات للمطبوعة السعودية؟

سنافر محمد البلوي ـ سكاكا ـ الجوف.

لا شكل أن معارض الكتب من أعظم وسائل التنمية الثقافية والفكرية للمواطن، لأن هذه المعارض تتيح للجميع الاطلاع على أحدث ما أبدعته العقول، وكتبته الأقلام، وجادت به القرائح.

وليست المعارض وسيلة فحسب، بل هي ملتقيات ثقافية وفكرية يلتقي فيها الأدباء والمفكرون من كل مكان، وتطرح فيها قضايا الكتاب، ومشكلاته، ووسائل النهوض به تأليفًا ونشرًا وتوزيعًا.

والمعارض الدولية في الداخل والخارج تتيح فرصة ممتازة لانتشار الكتاب السعودي وتسويقه وتعرّفه وإيصاله إلى القارئ.

ونحمد الله أن الكتاب السعودي قد أصبح يحتل مكانة طيبة في معارض الكتب، وإن كانت دو نما يستحق، وأقل مما ينبغي، ولذلك فلا بد من بذل المزيد لنشر الكتاب السعودي، وبخاصة في الخارج، ولذلك وسائل وأساليب يطول شرحها من أهمها ضرورة وجود دار نشر وتوزيع وطنية قوية قادرة على المنافسة، وإيصال الكتاب السعودي إلى أي معرض في العالم، وإلى مكتبات البيع ومراكز التوزيع في جميع أنحاء العالم.

ـ لكم مشاركتكم الواضحة في إغناء الدراسات الخاصة بآداب الشعوب الإسلامية.

ما الأسباب التي دعتكم إلى الاهتمام بهذه الآداب؟

محمد بن صالح السليمان ـ الرياض.

لا يفوتني أن أقول أولاً: إنني لست متخصصًا في أدب الشعوب الإسلامية، وإنما تخصصي في الأدب العربي وحده، ولا أجيد غير العربية. ولكن عندما كنت عميدًا للبحث العلمي في جامعة محمد بن سعود الإسلامية كان من ضمن المشروعات العلمية التي عُنيت بها إعداد سلسلة دراسات لأدب الشعوب الإسلامية.

أما الأسباب العامة التي دعتني إلى الاهتمام بأدب الشعوب الإسلامية فتتلخص فيما يلي:

أولاً: العلاقة الوثيقة والأواصر القوية بين الأدب العربي وآداب تلك الشعوب الإسلامية، ويبدو ذلك في مظاهر كثيرة جدًا منها:

ـ وحدة الفكر والثقافة والتاريخ المشترك بين الشعوب الإسلامية.

ـ التأثر والتأثير بين تلك الآداب، فالأدب العربي هو الدوحة الكبرى وقطب الرحى والآداب الإسلامية أغصان وفروع فرعت عنه أو عن بعض ما تفرع عنه، ثم استفادت من البيئة المحلية ومعطيات الزمان والمكان.

ـ التقارب في الشكل الفني والصور الشعرية، فأغلب عروض الشعر في الآداب الإسلامية مستمد من العروض العربي ومن نظام القافية العربي.

ثانيًا: العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية الخالدة ولغات الشعوب الإسلامية ويتضح ذلك من وجود عدد هائل من الكلمات العربية في لغات الشعوب الإسلامية قد تتجاوز نصف الكلمات الموجودة في معاجم بعضها، وقد تنقص عن ذلك لكن التأثر واضح للعيان، ويضاف إلى ذلك أن أغلب تلك اللغات تستخدم الحرف العربي، أو كانت تستخدمه، ثم تركته بتأثير الاستعمار وأعوانه.

ثالثًا: التقارب بين الأدباء المسلمين مظهر من مظاهر الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي بسبب وحدة العقيدة والثقافة والتاريخ، وهذا التقارب ينبغي الاستفادة منه في تنمية الشعور بأن أمة الإسلام أمة واحدة مهما اختلفت لغاتها وأوطانها.

رابعًا: فتح آفاق واسعة للدراسات المقارنة بين آداب الشعوب الإسلامية بسبب وجود مجالات رحبة للمقارنة ناتجة من عوامل التأثر والتأثير والتداخل بين تلك الآداب.

خامسًا: التعرف الدقيق إلى أوضاع العالم الإسلامي من خلال دراسة نتاجه الأدبي والفكري.

وقد ظل الأدب العربي هو أدب جميع المسلمين؛ لأن العربية هي لغة المسلمين جميعًا، بها أبدعوا، وألفوا، وعليها حرصوا، ومن أجلها اجتهدوا.

ثم مرت عصور ضعف وفرقة وشتات، فبدأت العربية تضعف في الأطراف والمناطق البعيدة، ونتج من ذلك وجود لغات تتحدث بها الشعوب الإسلامية، وتبدع بها أدبًا، وإن كانت تلك اللغات متأثرة في الجملة باللغة العربية الأم للغات الشعوب الإسلامية جميعًا.

تأثر العرب بآداب الأمم الأخرى، وعدم تأثرهم بآداب اليونان والرومان دليل على روح الاصطفاء وعرض الطارئ الدخيل على الأصول المسلم بها

د. محمد بن عبد الرحمن الربيع

- من مواليد الرياض ١٣٦٦هـ.
- حاصل على الدكتوراه في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.
- عمل مدرسًا بمعهد مكة المكرمة العلمي ١٣٨٨هـ، ومعهد الرياض العلمي ١٣٨٩هـ، ومديرًا للدراسات والمعلومات بالنيابة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٥هـ، ومديرًا للبعثات بالنيابة بالجامعة نفسها ١٣٩٦هـ، وأستاذًا مساعدًا ١٣٩٩هـ، وأستاذًا مشاركًا بقسم الأدب بكلية اللغة العربية ١٤٠٥هـ، وعميدًا للبحث العلمي ١٤٠٥-١٤١١هـ، ورئيسًا لتحرير مجلة الجامعة للبحوث العلمية، ومستشارًا في الأمانة العامة لمجلس التعليم العالي، ومستشارًا غير متفرغ بوزارة الإعلام.
- يعمل حاليًا وكيلاً لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي.
- عضو في عدد من المجالس واللجان العلمية، فهو:

أمين مجلس الجامعة، ورئيس المجلس العلمي بها. عضو لجنة الموسوعة العربية الإسلامية. رئيس لجنة تطوير مناهج كلية اللغة العربية. عضو اللجنة العلمية لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة. عضو هيئة تحرير مجلة «الدراسات الدبلوماسية» التي يصدرها معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية. عضو هيئة جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج. عضو اللجنة العلمية لدارة الملك عبدالعزيز. عضو مجلس أمناء معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن. عضو مراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

- شارك في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات العلمية في المملكة والدول العربية والأجنبية؛ وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- له دراسات ومقالات منشورة في الدوريات المحلية، ويشارك في بعض البرامج الإذاعية، وفي المراجعة العلمية لعدد من الكتب العلمية والمدرسية.

من مؤلفاته:

ابن طباطبا الناقد ١٣٩٩هـ، أبو الحسن التهامي: حياته وشعره ١٤٠٠هـ، ديوان أبي الحسن التهامي (تحقيق) ١٤٠٢هـ، الاتجاه الإسلامي في شعر محمد العيد آل خليفة، الأدب العربي وتاريخه للسنة الثانية الثانوية بالمعاهد العلمية، من قضايا البحث العلمي في الجامعات السعودية ١٤١٥هـ، اللغة العربية في العصر الحديث ١٤١٥هـ، المبالغة في الشعر العباسي ١٤١٦هـ، شعر شوقي بين التدين والمجون ١٤١٦هـ، جذور الأدب المقارن في تراث الجاحظ، خمائل وأزهار، أدب المهجر الشرقي.

كما أن بعض البلدان التي دخلت الإسلام حديثًا في إفريقية أو أطراف آسيا ظلت تتحدث وتبدع بلغتها المحلية، وإن اشتاق أهلها، وحرصوا على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة والتراث والحضارة الخالدة.

كما أن بعض الشعوب المسلمة قد خضعت للاستعمار ولغات المستعمرين، فأبدع بعض أبنائها أدبًا عظيمًا إسلامي الروح والفكرة وإن عبر عنه بلغات المستعمرين. ومن هنا ندرك أننا أمام آداب شعوب إسلامية تجمعها الأصول الفكرية الإسلامية، وثقافة المسلمين المشتركة، لكن تلك الآداب قد كتبت بلغات مختلفة بعضها لغات أصلية للشعوب الإسلامية،وبعضها قد كتبت بلغات الأمم التي استعمرت العالم الإسلامي حقبة متفاوتة من الزمن.

وعلى هذا فنحن أمام أدب أبدعه مسلمون فرقت بينهم اللغات، وجمعتهم الأصول والثقافة الإسلامية.

- هل هناك تقسيم ما أو تصنيف لآداب الشعوب الإسلامية؟

محمد أبو زيد - لندن - بريطانيا.

لا شكل أن آداب الشعوب الإسلامية كثيرة متنوعة، ويصعب التحدث عن جميعها، ولكن يمكن تقسيمها في العصر الحديث إلى مجموعات جغرافية هي:

أدب الشعوب الإسلامية في قارة آسية مثل الأدب التركي والفارسي والأردي والأندونيسي والأذري والطاجيكي والكردي والأفغاني.

أدب الشعوب الإسلامية في إفريقية مثل الأدب السواحيلي وأدب الهوسا والفولاني.

أدب الشعوب الإسلامية في أوربا مثل الأدب البوسني والأدب الألباني.

أدب الأقليات المسلمة المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

كما أن من الأدباء المسلمين من أبدع بلغات المستعمر الأوربي مثل الإنجليزية أوالفرنسية، وهذه الفئة في حاجة إلى دراسات جادة تكشف عن الأصيل والدخيل في أدبهم وفكرهم.

وكذلك أبدعت الأقليات الإسلامية في أوربا وأمريكا أدبًا بلغاتها الأصلية.

وبالإضافة إلى ماسبق هناك نوعان من الإبداع الأدبي للمسلمين يحتاج إلى تأمل ودراسة وهما سيمثلان التداخل والتبادل الثقافي واللغوي بين المسلمين.

وأعني بهم الأدباء المسلمين الذين أبدعوا باللغة العربية حينما تعلموها وأتقنوها ويتمثل في بعض الأدباء وبعض البيئات. ونشير هنا إلى أن الأدباء المسلمين في نيجيريا الذين ساندوا الإمام عثمان بن فودي في حركته الجهادية قد قالوا الشعر باللغة العربية، ولهم دواوين مطبوعة ومخطوطة.

وأعني أيضًا الأدباء العرب الذين هاجروا من العالم العربي، أو هاجرآباؤهم أو أجدادهم، وحافظوا على لغتهم العربية، فأبدعوا أدبًا عربيًا خالدًا في بيئة غير عربية، وهو ما يطلق عليه الأدب المهجري.

وإذا قيل الأدب المهجري انصرف الذهن إلى أدب المهاجر الأمريكية... إلى الأدب العربي الذي قاله المهاجرون العرب من المشرق بعامة ومن سورية ولبنان بصفة خاصة إلى الأمريكيتين، فالذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية أطلق على أدبهم أدب المهجر الشمالي، والذين هاجروا إلى أمريكا الجنوبية أطلق على أدبهم أدب المهجر الجنوبي، ويمتاز هذا الأدب بخصائص تميزه من غيره

منتدى «الفيصل»

د. محمد بن عبد الرحمن الربيع

من حيث الأسلوب والعاطفة والأفكار.

وأغلب الأدباء الذين هاجروا إلى الأمريكيتين هم من العرب النصارى، ولذلك نجد التأثير المسيحي واضحًا في هذا الأدب مهما قيل عن طوابعه الإنسانية وانتماءاته العربية.

وكنت دائمًا أسأل؟

هل اتجه كل المهاجرين العرب إلى الأمريكيتين؟

ألم تتجه طائفة أخرى إلى مهاجر أخرى؟

لماذا يقتصر اصطلاح الأدب المهجري على تلك الفئة وذلك المكان؟

والحقيقة. ظل السؤال في ذهني حتى قدر لي أن أذهب في مهمة رسمية إلى أندونيسيا تلك الجمهورية الإسلامية الشرقية الكبرى التي تضم أضخم تجمع للمسلمين الذي يتعرضون لحملات التنصير، وهناك التقيت بطوائف من العلماء والمثقفين، واسترعى انتباهي وجود مجموعة من العرب في تلك المناطق، ولهؤلاء قصة يطول شرحها، وتاريخ مجيد يحتاج إلى من يزيل عنه غبار السنين.

أجداد هؤلاء هم الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا، وفتحوها بأخلاقهم وعلمهم وحسن تعاملهم حتى انتشر الإسلام هناك بالقدوة وحسن المعاملة.

وأغلب هؤلاء قد هاجروا من جنوب الجزيرة العربية ومن إقليم «حضرموت» بصفة خاصة.

وقد شاهدت ثلاثة أجيال من هؤلاء، فوجدت الجد الرجل الكبير يجيد العربية قراءة وكتابة، بل شعرًا أيضًا، ووجدت الأب وقد اضطرب لسانه وضعفت عربيته، لكنه يحاول ولا يكاد يبين، ووجدت الابن وقد فقد العربية فلا يكاد يعرف منها شيئًا. المهم عرفت أن كثيرًا من هؤلاء المهاجرين والنازحين إلى «إندونيسيا وغيرها من بلاد الشرق» قد خلّفوا تراثًا أدبيًا عربيًا إسلاميًا يتمثل في مجموعة من المؤلفات العربية، ومن الصحف والدوريات العربية، ومن الشعر العربي المنشور في المجلات أوالمجموع في دواوين مخطوطة في الأغلب أو منشورة في الأقل. وقرأت نزرًا يسيرًا من هذا الشعر وهذا التراث الأدبي، فوجدته يمتاز بعاطفة الحنين إلى الجزيرة العربية وبالعاطفة الدينية المتوقدة، قلت عندها: لقد عثرت على جواب هذا السؤال وهو: هل هناك أدب مهجري عدا ما نعرفه من أدب المهجر الشمالي أو الجنوبي؟

فقلت: نعم وألف نعم.

من واقع خبرتكم في هذا الميدان ما الاقتراحات العملية التي يمكن تنفيذها للعناية بآداب الشعوب الإسلامية؟

عثمان نمر - صلالة - سلطنة عمان .



- تدريس لغات الشعوب الإسلامية في الجامعات العربية لتقوية أواصر الترابط بينها، ويتم ذلك بوسائل منها:

إنشاء كليات للغات الشعوب الإسلامية، أو أن يتم تدريس تلك اللغات من خلال كليات اللغات والترجمة، على ألا تقتصر تلك الكليات على تدريس اللغات الأوربية، وإنما عليها أن تهتم بلغات الشعوب الإسلامية.

تدريس بعض تلك اللغات ضمن أقسام اللغة العربية للترابط الوثيق بينها مثل اللغة التركية أو الفارسية، وكذلك في أقسام التاريخ والحضارة الإسلامية.

تدريس تلك اللغات عن طريق دورات لغوية في مراكز اللغات الأجنبية، ومراكز خدمة المجتمع.

- العناية بدراسة آداب الشعوب الإسلامية، ويتم ذلك بوسائل منها:

زيادة العناية باللغة العربية الأم لكل المسلمين، وذلك في الجامعات الإسلامية غير العربية.

فتح أقسام لأدب الشعوب الإسلامية في الجامعات العربية.

تقديم مواد أدب الشعوب الإسلامية ضمن أقسام اللغة العربية والأدب العربي.

- الاهتمام بالبحوث اللغوية التأصيلية المقارنة والتقابلية بين اللغة العربية ولغات الشعوب الإسلامية، والتركيز على قضايا التأثير اللغوي العربي في تلك اللغات.

- العناية بالبحوث المتصلة بأدب الشعوب الإسلامية، ويتم ذلك بوسائل منها:

إصدار السلاسل والكتب التعريفية بتلك الآداب.

توجيه طلاب الدراسات العليا إلى إعداد الرسائل في هذا المجال.

- العناية بالترجمة المتبادلة بين تلك الآداب.

- الاهتمام بالأدب المقارن وتطبيقاته على أدب الشعوب الإسلامية.

- العناية بنشر البحوث المتصلة بهذا الموضوع وتبادلها وتيسير الحصول عليها.

تقوية العلاقة العلمية بين الأدباء المسلمين بعامة، والمشتغلين بالتأليف في هذا المجال خاصة.

- عقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة في أدب الشعوب الإسلامية وقضاياه.

- عناية وسائل الإعلام في العالم الإسلامي بأدب الشعوب الإسلامية، وتشجيع نشر إبداعات الأدباء في وسائل الإعلام، والإكثار من نشر المقالات والدراسات التي تثير الاهتمام وتشجع على التعارف والتواصل.

وفي النهاية يهمني أن أؤكد أهمية التعارف والتقارب بين أدباء الأمة الإسلامية، لأنني أؤمن بأن الثقافة والمعرفة والأدب والإعلام هي أقوى وسائل التضامن الإسلامي حتى يأتي اليوم الذي تعود فيه الأمة الإسلامية إلى وحدتها وتضامنها، وتعود فيه اللغة العربية الخالدة لغة جميع المسلمين بها ينطقون ويبدعون كما كانوا في أيام عزهم ومجدهم.

خرافة الحق التاريخي لليهود في فلسطين

د. سعيد عبد السلام العكش

يعتمد معظم مؤرخي الغرب في دراساتهم الخاصة بشعوب الشرق الأدنى القديم على المصادر اليهودية اعتمادًا أساسيًا، ولذلك فقد أخرجوا تاريخ الشعب الفلسطيني القديم من دائرة البحث بصفته شعبًا من شعوب الشرق الأدنى القديم مركزين تركيزًا شديدًا على دراسة تاريخ العبريين، وذلك لتأصيل الوجود اليهودي في فلسطين باستبعاد كل الشعوب الأخرى التي شاركت العبريين في فلسطين، أو حلت محلهم في فترات كثيرة من التاريخ القديم، وبخاصة الفلسطينيين الذين سميت المنطقة باسمهم. ففي كتب تاريخ الشرق الأدنى القديم يعالج تاريخ فلسطين تحت مسمى تاريخ العبريين أو تاريخ الإسرائيليين أو تاريخ اليهود دونما إشارة إلى تاريخ الفلسطينيين سكان المنطقة الأصليين، فقد صمتت عنهم المصادر التاريخية صمتًا مطلقًا لهيمنة المؤرخين الصهاينة على مجال الكتابة التاريخية في تاريخ فلسطين وتوجيه حركة الكتابة التاريخية لخدمة الأهداف الصهيونية الرامية إلى تأصيل الوجود اليهودي في فلسطين، واستئصال كل وجود للفلسطينيين أو غيرهم ممن شاركوا في سكنى فلسطين في تاريخها القديم.

إن إنكار وجود الشعب الفلسطيني هو أحد المبادىء الأساسية للصهيونية، فلم يرد أي ذكر للشعب الفلسطيني في كتاب الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» ١٨٩٥م الذي حدد أول مفهوم واضح للصهيونية السياسية، كما لم يذكر هذا الشعب في أي جمعية تأسيسية للحركة السياسية الصهيونية العالمية. ولقد صرحت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة لصحيفة «صنداي تايمز» اللندنية بتاريخ ١٩٦٩/٦/١٥م بقولها: «ليس للفلسطينيين وجود، إن المشكلة ليست مشكلة وجود شعب في فلسطين يعد نفسه الشعب الفلسطيني، وليست المشكلة أننا طردناهم، وأخذنا أرضهم عندما حضرنا. كلا، فهم لم يوجدوا أصلاً».

ولما سأل آينشتاين «حاييم وايزمان» أحد قادة المنظمة الصهيونية العالمية، وأول رئيس لدولة إسرائيل: «إذا حصل اليهود على فلسطين، فماذا سيكون مصير العرب؟ أجابه «من هم العرب؟ إنهم لا شيء تقريبًا»(١).

وبالإضافة إلى ذلك يحاول الصهاينة طمس الحقائق التاريخية بادعائهم أن فلسطين هي الموطن التاريخي لليهود. فقد جاء في مذكرة قدمتها المنظمة الصهيونية العالمية لمؤتمر سلام عقد في جنيف بعد الحرب العالمية: «هذه الأرض هي الموطن التاريخي لليهود». وجاء في إعلان إنشاء دولة إسرائيل بتاريخ ١٤ مايو/آيار عام ١٩٤٨م: «بمقتضى الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي تقام على أرض فلسطين دولة لليهود»(٢).

وسوف نحاول في هذا المقال أن نظهر قوة الوجود الفلسطيني التي يشهد عليها كتاب اليهود المقدس «العهد القديم» بصفته مصدرًا للتاريخ الفلسطيني على قدر كبير من الأهمية.

وهناك عدة شهادات تاريخية تؤكد تعاظم الوجود السياسي للفلسطينيين قديمًا، وعلى وجودهم القوي والمستمر، وأصالة هذا الوجود وجعل غيرهم من الجماعات التي عاشت في فلسطين عنصرًا وافدًا عليها. ومن هذه الأدلة أن فلسطين اتخذت اسمها الذي عُرفت به في التاريخ من الفلسطينيين، وأن التسمية «أرض إسرائيل» ليست أصلية، فهي تسمية توراتية أطلقها اليهود على فلسطين.

تسميات فلسطين

عُرفت فلسطين قديمًا باسم «أرض كنعان»، وذكرها جغرافيو العرب ومؤرخوهم تحت اسم «فلسطين». وتُعدّ التسمية «أرض كنعان» هي أقدم تسمية سُميت بها فلسطين، وهي نسبة إلى الكنعانيين ذلك الشعب السامي العربي القديم الذي هاجر إلى هذه البلاد من شبه الجزيرة العربية حوالي ٣٠٠٠ق.م. وقد ورد هذا الاسم كثيرًا في «العهد القديم» مثال ذلك سفر يشوع ٤/١٣.

والاسم «كنعان» نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح. وقد اختلف العلماء حول أصل

هذا الاسم من الناحية اللغوية، فيرى بعضهم أنه يعني «الأرض المنخفضة» في مقابل «الأرض المرتفعة» لبنان. ويرى البعض الآخر أن الكلمة من أصل حوري هو كنجي، أي بلاد الأرجوان(٣).

أما التسمية «فلسطين» فيرى بعض المؤرخين اليهود أنها تسمية متأخرة ترجع إلى مجموعة دخيلة من الغزاة ليست لها أصول في المنطقة كانت تسمى بـ «الفلستيين» جاؤوا من جزر بحر إيجه «الواقعة بين آسيا الصغرى وبلاد اليونان» حوالي ١٢٠٠ق.م. واستقروا في المنطقة الساحلية الواقعة بين يافا وغزه. وقد أطلق على هذه الجماعات الغازية اسم شعوب البحر أو أهل السواحل(٤). وقد تم إطلاق التسمية «فلسطين» في البداية من قبل اليونان، ثم فُرضت بواسطة الرومان للتقليل - كما يقول المؤرخ الصهيوني - من الارتباط اليهودي بالإقليم(٥).

ولكن الواقع وبشهادة كتاب «العهد القديم» نفسه، يتضح أن التسمية «فلسطين» كانت تسمية شائعة ترجع إلى الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين، فقد ورد كثيراً استخدام عبارة «أرض الفلسطينيين» و«بلاد الفلسطينيين» قبل استخدام الرومان للتسمية بمئات السنين «انظر مثلاً سفر الخروج ١٧/١٣ وسفر صموئيل الأول ١/٢٧». والراجح أن ما قام به اليونان والرومان كان من قبيل تثبيت هذه التسمية على المنطقة بأسرها.

سكان فلسطين

تُعد فلسطين من أقدم مواطن الإنسان، وكان سكانها يشكلون دائمًا خليطًا لكونها كانت جسرًا بين القارات. ويؤكد العلماء أن فلسطين كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التاريخ «أي قبل اكتشاف الكتابة لدى البشر» كما كانت هدفًا للهجرات السامية الآتية من الجزيرة العربية حيث كان لشبه الجزيرة العربية الدور الأساسي في تشكيل البنية السكانية في فلسطين من خلال هذه الهجرات المتوالية إليها، ممّا أدى إلى إحداث تفوق عربي دائم، وسيادة للعرق العربي على الأجناس المختلفة التي ظهرت في منطقة فلسطين. وسوف نعرض فيما يلي باختصار لسكان فلسطين قديمًا لنضع أمام القارئ الحقائق التاريخية من خلال ما تقوله الوثائق، وما أثبتته الآثار المكتشفة.

سكان فلسطين خلال عصور ما قبل التاريخ

أثبتت الحفريات أن العرق البشري الذي تنتمي إليه الشعوب التى قطنت شمال سورية وفلسطين ولبنان في العصر الحجري الحديث «أي قبل الألف الثالث ق.م.» هو العرق الذي يُعرف بعرق حوض البحر المتوسط، كما أن هناك جماعات ليست من هذا العرق يظهر أنها هبطت من مواطنها في الأراضي المرتفعة في أواسط آسيا، في أثناء العصر الحجري النحاسي «الذي يبدأ تقريبًا سنة ٤٠٠٠ق.م.» وفرضت نفسها على سكان البلاد، واختلطت بهم على مر الزمن(٦).

ولا بد أن بين هؤلاء السكان - كما يقول أنيس فريحه - بعض الساميين الذين يعودون بأصلهم إلى شبه الجزيرة العربية، ولكنهم كانوا أقلية، وذلك قبل أن يهاجروا هجرتهم الكبيرة إليها حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م.(٧).

سكان فلسطين في العصور التاريخية

ومنذ فجر التاريخ «حوالي ٣٠٠٠ق.م.» أخذت الهجرات السامية «العربية» تتوالى إلى فلسطين، وهذا لا يعنى أن البلاد السورية كانت خالية من الساميين في ذلك الوقت، بل كان فيها دون شك أقوام ساميون اختلطوا بسكانها الأصليين الذين كانت لهم لغات وديانات غير سامية الأصل، ولكن سرعان ما طغت السامية على غيرها(٨).

وقد شرع الساميون الآتون من الجزيرة العربية ينزلون فلسطين، وذهب بعض العلماء إلى أن هذه الهجرة السامية، «وهي المعروفة باسم الأمورية الكنعانية» كانت في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد، وبذلك تلاشى عرق البحر الأبيض المتوسط في العرق السامي. وتُجمع الآراء أن الكنعانيين سكنوا فلسطين قبل العبريين بأزمان وأزمان. ويُستفاد من ملاحم «رأس الشمرة» -«أوجاريت» القديمة، القريبة من ميناء اللاذقية في سورية، أن الكنعانيين أقاموا دهراً طويلاً في جنوب فلسطين عند مجيئهم من الجزيرة العربية، وأن الفضل يرجع إليهم في تخطيط مدن هي أهم المدن حتى الآن في تلك المنطقة مثل «بئر سبع» و«أشدود». وحتى بعد أن استطاع العبريون اغتصاب معظم هذه المنطقة، وإقامة مملكة فيها في أوائل الألف الأول قبل الميلاد، ظلت مناطق كاملة من فلسطين تحت حكم الكنعانيين أو تحت سيطرتهم «يؤكد ذلك سفر صفنيا ٢/١-٥».

ومن القبائل الكنعانيه: اليبوسيون والعناقيون والحويون والعمالقة والفرزيون. وكان اليبوسيون يسيطرون على منطقة القدس وما حولها، وهم الذين بنوا هذه المدينة المقدسة، ولذلك فقد كان اسمها الأصلي «يبوس» أو«مدينة اليبوسيين» (سفر القضاة ١٢/١٩) كما أنهم هم الذين سموها أيضًا فيما بعد «أورشليم» بشهادة التوراة نفسها ففي سفر التكوين (١٨/١٤) نجد الحديث عن هذه المدينة في أخبار إبراهيم عليه السلام فقد كان اسم هذه المدينة في ذلك الوقت (حوالي سنة ١٩٠٠ق.م.) «شاليم» فقط، وليس أورشليم، وكان ملكها من سكان فلسطين الأصليين، يحكمها حكمًا دينيًا، واسمه «ملكيصدق».

ويُنسب إلى العناقيين بناء «أسدود» بين يافا وغزة. وقد أسس ملكهم «أربع» مدينة

تجمع الآراء على أن الكنعانيين سكنوا فلسطين قبل العبريين بأزمان وأزمان

خرافة الحق التاريخي لليهود في فلسطين

الخليل في القرن ١٧ق.م.

وكان الحويون في نابلس، وقد انتشروا في شمال فلسطين حتى جبل الشيخ وجبل لبنان، وأهم مدنهم كان «عيون»، ويرجح أنها «مرجعيون».

وكان العمالقة في جنوب فلسطين. كما سكنوا الأراضي الكائنة إلى الغرب والشمال الغربي من «البتراء» وفي «سيناء» وأن جماعة منهم نزلت نابلس وعمّرتها. وكان العمالقة مصدرًا لمتاعب المغيرين اليهود دائمًا عندما حاولوا الدخول والاستقرار في البلاد.

وكان الفرزيون يسكنون القرى. وفي أيام سليمان بن داود عليهما السلام عاملهم معاملة العبيد، ولم يسمع لهم اسم بعد القرن الخامس ق.م.

ومن القبائل التي نزلت بلاد الشام «الجرجاشيون» وكانت منازلهم شرق بحيرة طبرية تمتد إلى الجليل والكرمل وإليهم نُسبت بحيرة طبرية ودُعيت باسم بحيرة الجرجيين(٩). وهناك أقوام عربية أخرى سكنت فلسطين منهم المدينيون والقينيون والمعينيون. والمدينيون هم الذين سحبوا يوسف عليه السلام من البئر الذي ألقاه فيه إخوته، وباعوه للإسماعيليين، وهم قافلة تجارية عربية كانت مقبلة من بلاد عجلون في طريقها إلى مصر. والمدينيون أصهار موسى عليه السلام، ويُنسب إليهم النبي شعيب عليه السلام الذي ظهر في أخريات القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

ويرتبط القينيون بأواصر القرابة بشعيب عليه السلام، ولعلهم من المدينيين، وكانوا مستقرين في بلاد مدين بين فلسطين وسيناء وشرق خليج العقبة.

وقد نزل المعينيون في فلسطين في عهدها الكنعاني. وتُعدّ دولتهم من أقدم الدول العربية التي وصل إلينا خبرها. عاشت في اليمن، وازدهرت بين سنة ١٣٠٠-٦٣٠ق.م، ويرجعهم بعض المؤرخين إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

وحوالي عام ٩٠٠ق.م. تعرضت بلاد الشام لموجة سامية أخرى، وهي الهجرة الآرامية، وفيها القبائل المؤابية والأدومية والعمونية، فحل الآراميون في شمال سورية وأواسطها. ونزل المؤابيون والأدوميون والعمونيون جنوب سوريا شمال البحر الميت حتى العقبة.

وأما التسمية «الفلسطينيون» فأقدم ذكر لها ورد في التوراة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين ١٤/١٠ في ذكر مواليد بني حام بن نوح عليه السلام حيث يذكر «الفلشتيم والكفتوريم» على أنهم مواليد مصرايم بن حام بن نوح. وواضح أن هذا التصنيف التوراتي للأجناس يخرج الفلسطينيين من دائرة العرب الساميين، ويعدّهم من الحاميين على الرغم أن الأرض المنسوبة إليهم تقع في فلسطين. ثم يرد ذكر الفلسطينيين زمن إسحاق عليه السلام في القرن الثامن عشر تقريبًا حين يذكر النص أن إسحاق اتجه إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين، ويأمره الرب بالتغرب في أرض فلسطين التي يقيم فيها إسحاق، ثم يطرده أبيمالك حيث حسده الفلسطينيون لكثرة مواشيه (سفر التكوين ٢٦/١-٤، ١٤-١٧) كما تنص التوراة على أن يعقوب عليه السلام سكن «في أرض غربة أبيه في أرض كنعان» (تكوين ١/٣٧).

ويلاحظ خلال هذا السرد التوراتي أن أرض كنعان وفلسطين كانت أرض غربة بالنسبة إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وقد استمر هذا الوضع حتى خرج - يعقوب عليه السلام - بجماعته إلى مصر، وهذا يعني أنه لم يكن هناك وجود حقيقي لجماعة بني إسرائيل في أرض كنعان وفلسطين قبل خروج يعقوب - عليه السلام - وذريته إلى مصر. وينص العهد مع موسى عليه السلام على إعطاء بني إسرائيل أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها (سفر الخروج الإصحاح الرابع).

وتُعطي التوراة أدلة قوية على الوجود المبكر للفلسطينيين، إذ يرد ذكرهم مرتبطًا بحروب يشوع بن نون الذي أتم دخول جماعة بني إسرائيل إلى أرض كنعان بعد موت موسى عليه السلام في موآب، وقبل أن يصل بني إسرائيل إلى فلسطين. فبعد ذكر حروب يشوع ضد الكنعانيين والأموريين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والحويين يذكر سفر يشوع أنه لم يبق سوى أرض الفلسطينيين (يشوع ١/١٣-٦). ويؤكد «العهد القديم» هذا الوجود القوي للفلسطينيين في عصر القضاة الذي بدأ بعد عصر يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام ويصنف الفلسطينيين من الشعوب التي حاربها إله إسرائيل (قضاة ١١/١٠). وتشير عبارات سفر القضاة إلى أن الإسرائيليين كانوا يعيشون تحت سيادة الفلسطينيين (قضاة ١/١٣، ٤/١٤). ويدخل الفلسطينيون في حروب ضد صموئيل، وينهزم الإسرائيليون (صموئيل الأول ٢/٤). ويخبرنا سفر صموئيل الأول بمواصلة الفلسطينيين حربهم ضد الإسرائيليين في عصر شاؤول أول ملك لبني إسرائيل، وقد كان آخر القضاة كما يخبرنا السفر بلجوء داود - عليه السلام - إلى الفلسطينيين هربًا من مؤامرات شاؤول لقتله (صموئيل الأول ١/٢٧). وربما يكون لجوء داود عليه السلام إلى الفلسطينيين أكبر دليل على مكانة الفلسطينيين ودورهم السياسي في النزاعات الإسرائيلية الداخلية بين بيت شاؤول وبيت داود.

وفي عصر انقسام المملكة الإسرائيلية لا يرد ذكر الفلسطينيين إلا قليلاً، وتظهر قوتهم من جديد في عصر الملك آحاز ملك يهوذا (٧٣٥-٧١٥ق.م)، وفي عهده اقتحم

لم يكن هناك وجود حقيقي لجماعة بني إسرائيل في أرض كنعان وفلسطين قبل خروج يعقوب - عليه السلام - وذريته إلى مصر

الفلسطينيون مدن السواحل وجنوب يهوذا (سفر أخبار الأيام الثاني ٢٨/١٨-١٩). وتعدّ فترة الحكم الأشوري والبابلي فترة ضعف عام للإسرائيليين والفلسطينيين على السواء، فقد خضعوا جميعًا لبلاد ما بين النهرين، ووقع السبي باليهود إلى بلاد ما بين النهرين بينما بقي الفلسطينيون في فلسطين تحت حكم الأشوريين والبابليين.

معنى التسميات عبري وإسرائيلي ويهودي

قبل الخوض في تعرف العبريين ودورهم في تاريخ فلسطين يجب أن نتعرف أولاً مدلول التسميات عبري وإسرائيلي ويهودي.

فكلمة «عبري» أو «عبراني» وردت في سفر التكوين (١٣/١٤) حيث أُطلقت على النبي إبراهيم عليه السلام. والكلمة تعني العبور أو الانتقال من مكان إلى آخر. ويرى بعض العلماء أن الكلمة هنا نسبة إلى عابر أحد أجداد إبراهيم (تكوين ٢١/١٠، ٢٥) ويرى آخرون أن وصف النبي إبراهيم عليه السلام بالعبراني إنما يعني نسبته إلى العبريين «العبيرو» وهم القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم عليه السلام. ويتخذ بعض العلماء من التقارب اللغوي بين «عربي» و«عبري» دليلاً على الأصل العربي للعبريين(١٠).

أما التسمية «إسرائيلي» فقد وردت أولاً في سفر التكوين ٣٢/٢٢-٣١ في قصة رؤيا يعقوب عليه السلام والتي تغير فيها اسم يعقوب إلى إسرائيل لأنه جاهد مع الله فكلمة إسرائيل إذن تعني «المجاهد مع الله». وبعد أن تغير اسم يعقوب عليه السلام إلى إسرائيل أصبح بنوه يُعرفون ببني إسرائيل أو الإسرائيليين.

أما التسمية «يهودي» فترجع إلى الوقت الذي نجح فيه داود وسليمان وأبناؤهما في إقامة مملكة في فلسطين حوالي سنة ألف قبل الميلاد وما بعدها. ولما كانت هذه الأسرة الحاكمة تنتمي إلى قبيلة من العبريين تُدعى سبط «يهوذا» فقد نسبوا إليها الرعية كلها، وأصبحوا يسمون «اليهود».

دور العبريين في تاريخ فلسطين

ليس من السهل التحقيق في بدايات ما يسمون بالعبرانيين «أو العبريين»، فما نعرفه عنهم أنهم موجة من موجات البدو الرحل التي يكتنفها كثير من الغموض، وأن إبراهيم عليه السلام كان أحد زعمائها. وقد دعا إبراهيم الناس في بلاد النهرين «موطنه الأصلي» إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأوثان، ولكن دعوته لم تلق أذنًا مصغية، ومن هنا جاءت هجرته إلى «أرض كنعان»، ومعه لوط ابن أخيه. وقد استمد هؤلاء البدو لغتهم من الكنعانيين، كما تعلموا الكتابة منهم. ويُلاحظ من السرد التوراتي أن أرض كنعان «فلسطين» كانت كما ذكرنا أرض غربة بالنسبةإلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وقد استمر هذا الوضع حتى خرج يعقوب - عليه السلام - بجماعته إلى مصر، وهذا يعني أنه لم يكن هناك وجود حقيقي لجماعة بني إسرائيل في أرض كنعان وفلسطين قبل خروج يعقوب - عليه السلام - وذريته إلى مصر. ويُرجح أن هجرة يعقوب عليه السلام إلى مصر كانت في حكم الهكسوس الذين غزوا مصر طمعًا في العثور على المراعي، وكان لأحد أبنائه وهو يوسف شأن كبير في مصر في ذلك الوقت حيث عاش الإسرائيليون حوالي ٢٠٠ سنة في ظل حكم الهكسوس(١١)، ومع إخراج الهكسوس من مصر (حوالي ١٥٨٠ق.م) عُدَّ الآسيويون «ومنهم العبريون» الذين قدموا معهم وعاشوا تحت حمايتهم خونة، وفرض عليهم قيود تزايدت قسوتها مع مرور الزمن، فغادر العبريون مصر بقيادة موسى - عليه السلام - هربًا من سوء معاملة الفراعنة.

ما نعرفه عن العبريين أنهم موجة من موجات البدو الرحل التي يكتنفها كثير من الغموض

ويقص سفر التثنية (٥/٣٤): أن موسى عليه السلام لقي ربه وهو على مشارف أرض فلسطين دون أن تطأ قدماه أرض فلسطين لا هو ولا الذين خرجوا معه. ثم تولى القيادة بعده تلميذه يشوع بن نون الذي عبر وجنده نهر الأردن، وعسكروا أمام أريحا، ثم حاصروها، واقتحموها عنوة، وقتلوا سكانها، وحرقوا بناياتها، وساعدهم على ذلك - كما يقص سفر يشوع (الإصحاح السادس) - عاهرات المدينة. وكانت أريحا بذلك هي أول مدينة كنعانية يقتحمها العبريون. وبهذه الوحشية استمر يشوع وقومه من الإسرائيليين في القضاء على الكنعانيين في بقية المدن الفلسطينية على الرغم من كل المقاومة.

وعلى الرغم من الإرهاب الذي استخدمه يشوع ضد السكان الأصليين خصوصًا في القدس (أورشليم)، فإن جهوده لم تثمر في إتمام احتلال هذه البلاد وإخضاع سكانها. وتوزعت القبائل الإسرائيلية بين السكان الكنعانيين (انظر تفاصيل ذلك في سفر القضاة الإصحاح الأول).

ولما مات يشوع تولى أمر الإسرائيليين كبار شيوخهم، وعُرف عهدهم بعصر القضاة، وكانت سلطتهم عارضة تشبه سلطة زعماء القبائل في النظام البدوي الذي تتميز به الحياة السامية في مراحلها الأقدم عهدًا، ويبلغ عدد القضاة الذين تولوا قيادة بني إسرائيل في تلك الحقبة حوالي خمسة عشر قاضيًا.

الوجود التاريخي لليهود

نصل إلى المرحلة التي يمكن أن نعثر فيها على أخبار عن بني إسرائيل من خلال الآثار والحفائر والوثائق وكتابات المؤرخين، فنستطيع أن نقول: إن الوجود التاريخي للعبريين القدماء في فلسطين يبدأ من حوالي ١٠٢٠ق.م بتتويج شاؤول على كل الأسباط الإسرائيلية بفضل الجهود السياسية التي بذلها في سبيل تحقيق ذلك نبيهم صموئيل. وقد عرفت هذه الفترة ملكين

كبيرين فقط هما داود وابنه سليمان. فالأول حكم بعد شاؤول حوالي سنة ١٠٠٠ق.م، وهو يُعدّ المؤسس الحقيقي لملك إسرائيل، وقد اتخذ أورشليم عاصمة له، وذلك بعد استيلائه عليها من اليبوسيين. وقد انتقل الحكم إلى الملك سليمان حوالي ٩٦١ق.م وحتى عام ٩٢١ق.م. وبوفاته تمزق هذا الملك، وأصبح الوجود العبري في فلسطين من الناحية السياسية وجوداً ضعيفاً مهدداً بالزوال، فبعد موته تصدعت المملكة، وانشطرت شطرين: أحدهما في شمال فلسطين يسمونه مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة قرب نابلس، والثاني في الجنوب، ويسمونه مملكة يهوذا، وعاصمتها أورشليم «القدس». وقد عاشت مملكة إسرائيل حوالي قرنين من الزمان حتى هاجمها الإمبراطور الأشوري سنة ٧٢٠ق.م ودمرها. أما المملكة الجنوبية مملكة يهوذا فقد هاجمها فيما بعد نبوخذ نصر البابلي عام ٥٨٦ق.م ،وأخذ كل من يصلح لعمل ما من اليهود أسرى في بابل. وهو ما يُعرف بالسبي البابلي.

ولما استولى «كورش» ملك الفرس على أرض بابل (٥٣٨ق.م) سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين، غير أن كثيرين منهم فضلوا البقاء في بابل. ثم تعاقب على حكم اليهود كل من اليونان والرومان حتى أعلنوا ثورة المكابيين في القرن الثاني ق.م في العهد اليوناني ضد أنتيوخس أبيفانس؛ أحد خلفاء الإسكندر، وتمكن المكابيون بعد عشرين سنة أن يصبحوا أسرة حاكمة أطلق عليها اسم «الحشمونيين» التي فتّت في عضدها الصراعات الداخلية. وقد نشبت إبان الحكم الروماني ثورتان عام ٧٠ وعام ١٣٥م مُنيتا بالإخفاق ودُمر المعبد إثر القضاء على الثورة الثانية، وتفرق اليهود، ولم يبق للطائفة الإسرائيلية في فلسطين أثر.

استنتاجات مهمة

- إن ظهور العبريين على مسرح التاريخ يغرق في غموض شامل، ولا يمكن بحال من الأحوال القول بأكثر من أنهم كانوا قبائل من الرحل يرجح أنهم من أصل عربي قديم نزح عن الجزيرة العربية في عدد من الهجرات السامية. ولا تعتمد بداية اتصالهم بفلسطين على أية وثائق أو آثار، وكل ما رُوي بصدد ذلك يشير بصراحة قاطعة إلى أن هؤلاء العبريين كانوا غرباء عن فلسطين، وأنهم استقروا في فلسطين بالتسلل أو الغزو جماعة بين آخرين من الغزاة.

- من المستحيل أن نمنح اليهود الحق في فلسطين لكونهم أول من سكن أرض فلسطين، فالشعب الفلسطيني الأصل كان مقيماً في فلسطين قبل أن يعرف العبريون الحياة في هذه المنطقة بزمن طويل وهو ما يحاول المؤرخون الصهاينة إهماله والتستر عليه في التاريخ الحديث. فالتوراة وبقية كتب العهد القديم تحدثت بتفصيل كبير عن أخبار الفلسطينيين وحياتهم في فلسطين.

- تشهد نصوص أسفار العهد القديم على نوع من السيادة الفلسطينية على الإسرائيليين إلى الحد الذي يعدّ فيه الفلسطينيون المحور الرئيس للتاريخ الإسرائيلي، وبخاصة في الفترة من الخروج من مصر إلى قيام مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - وعصر انقسام المملكة.

- هناك مغالطة تاريخية أساسها الاعتقاد الخاطئ بأن الفتح الإسلامي هو الذي أدخل العرب إلى فلسطين فهذا الفتح لم يدخل العرب، ولكنه أدخل الإسلام إلى هذه البلاد، فوجود العرب المسلمين في فلسطين في القرن السابع الميلادي يعد ظاهرة ثقافية أكثر مما هو ظاهرة عرقية.

الشعب الفلسطيني الأصل كان مقيماً في فلسطين قبل أن يعرف العبريون الحياة في هذه المنطقة بزمن طويل

- تعدّ الفترة التي قامت فيها لليهود في فلسطين القديمة قائمة تاريخية وسياسية واجتماعية يعترف بها التاريخ، لا تتعدى كلها قرنًا واحدًا من الزمان من سنة ١٠٢٠ق.م إلى ٩٢١ق.م، هي كل مايمكن اعتماده خلال ستة آلاف سنة أو تزيد من وجود الشعب الفلسطيني الأصيل في هذه البلاد.

- تتمسك الصهيونية بهذه الحجة التاريخية التي تقول بأنه كانت لليهود دولة في فلسطين فترة من الزمن ازدهرت في عهد داود وابنه سليمان، عليهما السلام. ولو أخذنا بمنطق الصهاينة في القول بأن القبائل العبرية القديمة - التي أجمع العلماء أنه لا علاقة لها بيهود الوقت الحاضر - قد استوطنوا فلسطين، وأقاموا فيها دولة فترة معينة من الزمن لترتب على ذلك ضرورة إعادة النظر في توزيع دول العالم المعاصرة، ولخرج الأسبان من إسبانيا تاركين إياها للعرب، كما أن المنطق نفسه يحتم عودة المسيحيين إلى كثير من بقاع العالم كانت تحت سيطرتهم.

وفي الختام نشير إلى أن تاريخ فلسطين القديم يحتاج إلى اهتمام شديد من الدارسين العرب، فليس هناك مصادر عربية تُغني الباحث عن العودة إلى المصادر اليهودية والتي يجب التعامل معها بحذر شديد، واستخدامها في الحدود التي تخدم التاريخ الفلسطيني.

المصادر والمراجع:

١- روجيه جارودي، ملف إسرائيل، دار الوثبة، بيروت ص٣٤.
٢- المرجع نفسه.
٣- د. محمد خليفة، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص١٩٦.
٤- د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص٢٢٨.
٥- دائرة المعارف اليهودية، ص١٥٠٠-١٥٠١.
٦- د. فيليب حتي، لبنان في التاريخ: ص٧٣.
٧- أنيس فريحة، مقدمة كتاب أسماء المدن والقرى اللبنانية.
٨- د. أحمد فخري، دراسات في العالم العربي، ص١٣٨.
٩- المطران يوسف الدبس، تاريخ سورية، الجزء الأول ص١١٣.
١٠- د. محمد خليفة، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى، ص٢٢٠.
١١- سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الرابع، ص١٩٧.

التعليم عن بعد...

ودول الخليج العربي ٢ / ٢

جامعة الخليج العربي المفتوحة

د. زكريا يحيى لال

إن نماذج التعليم المفتوح متعددة، والجامعات المفتوحة التي أقيمت في عدد من بلاد العالم ـ ومنها ما أشرنا إليه وركزنا عليه في دراستنا للجامعة المفتوحة في بريطانيا ـ أوجدت للعالم العربي، ودول مجلس التعاون الخليجي العربي فرصة لإيجاد الأبدال التي ستخدم المجتمع فيما يواجهه من المشكلات القائمة، والتي من أهمها الصعوبات في توفير فرص التعليم العام، وإعداد الطاقات البشرية ونواحي التدريب اللازمة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، ودعم برامج محو الأمية... إلخ.

«ولما كان التعليم المفتوح الذي توفره نُظُم الجامعات المفتوحة وأساليبها قادراً على تحقيق حلول أساسية للمشكلات التي ذكرت، وعلى توفير فرص تعليم متنوعة وغنيّة، كان أفضل الأبدال المحتملة المناسبة في الوطن العربي الجامعة العربية المفتوحة». (الجامعة العربية المفتوحة، ص٢٤).

وقد أوصى الخبراء المشاركون في ندوة دراسة إمكان قيام الجامعة العربية المفتوحة، التي عقدت في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية في ٢٥-١٩٧٩/١١/٢٩م بأن تقام جامعة عربية مفتوحة تحمل الاسم الذي يتناسب وأغراضها، وتضم المراكز التي تتناسب مع مجالات عملها في الوطن العربي، وتنطلق من مبادئ الثقة بطاقة الإنسان العربي، وعمق إيمانه، وارتباطه بتراثه، ونضاله من أجل مصيره وتقدمه، ورسالته في خدمة أمته، ورسالته في خدمة الإنسانية في مجالات المعرفة والعمل والإنتاج، والتقدم والسلام، وحقّه في التعليم المستمر، (الجامعة العربية المفتوحة، ٢٤-٢٥).

وتبعًا لذلك فقد أدت دراسة خبراء الندوة إلى إعداد هيكل تنظيمي للجامعة العربية المفتوحة من حيث التنظيم الإداري، ومركز الجامعة وفروعها، ومصادر تمويل الجامعة، المناهج... إلخ، كما نظرت لجنة الخبراء إلى الجامعة المفتوحة في بريطانيا ودراسة نظمها من أجل الاستفادة من خطواتها التي سارت بها إلى النجاح المقصود.

إن مجتمعنا العربي، وهو يطرق أبواب التقدم والرقيّ، بعد أن اختط لنفسه أسلوب التنمية الشاملة لجميع موارده البشرية والاقتصادية والطبيعية، لفي أمس الحاجة لاستغلال جميع الطاقات والموارد البشرية وتوجيهها بالشكل الذي ينسجم مع تطلعات الأمة ويحقق أهدافها. (طه الحاج، ص ١٩٢).

ولذا فإن الجامعة الشعبية المفتوحة، بما يتاح لها من أساليب مرنة، وبما تستطيع أن تدخله من تغيرات وتحسينات على أساليب التعليم وطرائقه، وبالمجال الواسع الذي تستطيع أن تعمل به، تصبح ضرورة حتمية تفرضها علينا متطلبات العصر الذي تعيش فيه، وتطلعات أمتنا التي تسعى إلى تحقيقها. (طه الحاج، ص١٩٣).

إن الغرض من إنشاء الجامعة الشعبية المفتوحة هو إتاحة تيسيرات تعليمية عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية، من مراسلةٍ ومذياعٍ، وتلفاز،

والكبار هم المقصودون بهذه الجامعة، أولئك الذين ليس في طوقهم متابعة برامج الدراسات دون ترك أعمالهم ومنازلهم. (م. زكي، ص٣١١).

مستقبل التعليم العالي وجامعة الخليج العربي المفتوحة

لقد شهد التعليم العالي في البلاد العربية بوجه عام، وفي منطقة الخليج العربية بوجه خاص توسُّعًا كميًا متسارعًا خلال العقود الثلاثة الماضية، حيث بلغ عدد الجامعات في البلاد العربية حوالي ثلاث وستين جامعة، منها سبع عشرة جامعةً في دول الخليج العربية، كما ازداد عدد طلبة التعليم العالي خلال الفترة بسرعة كبيرة، حيث ارتفع من مئة وثلاثة وستين ألفًا عام ١٩٦٠م إلى مليون وأربعمئة وأربعين ألفًا عام ١٩٨٠م، ويتوقع أن يصل هذا العدد إلى ستة ملايين ومئتي ألف طالب عام ٢٠٠٠ للميلاد، وزاد عدد أعضاء هيئة التدريس خلال الفترة نفسها من تسعة آلاف عام ١٩٦٠م إلى حوالي ستة وسبعين ألفًا عام ١٩٨٠م، ويتوقع أن يصل هذا العدد إلى حوالي مئتي ألف عضو في هيئة التدريس عام ٢٠٠٠ للميلاد. (أحمد الخطيب، ص ٣٥-٣٦).

والواقع أنّ درجة استيعاب الأعداد الهائلة من الطلبة ذكوراً وإناثًا ظلَّ يشكل أكبر المشكلات التي واجهت الجامعات في الدول العربية بما فيها دول الخليج العربي، وذلك لأسباب كثيرة، منها ما يتعلق بالأنظمة المستوردة التي لا تتكيف مع البيئة المحليّة، ومنها ما يتعلق بالخطط والمناهج، وأيضًا المباني والفصول ونظام القبول... إلخ.

وقد أدت هذه المشكلات بالنسبة لدول الخليج العربية إلى استحداث أبدال جديدة لمؤسسات التعليم العالي التقليدية، حيث إنه يمكن إيجاد التعليم عن بعد، أو التعليم بالمراسلة، أو التعليم عن طريق التلفاز، وأخيرًا الجامعة المفتوحة.

ولا شك في أن بعض الجامعات العربية استخدمت بعض أنظمة التعليم المعروفة بالانتساب، كجامعة الملك عبدالعزيز بجدة بالمملكة العربية السعودية، ونظام الدراسات المسائية في جامعة اليرموك بالمملكة الأردنية الهاشمية، ونظام الانتساب الموجَّه في جامعة الإمارات العربية المتحدة، يضاف إلى ذلك أن منظمة اليونسيف بالتعاون مع منظمة اليونسكو قد دعمت بعض البرامج لتدريب المعلمين أثناء الخدمة في الأردن، وسورية، والعراق، والسودان، والبحرين، واعتمدت هذه البرامج من الخطط (الاستراتيجيات) التي تستخدم في أنظمة التعليم عن بعد. إلا أن هذه التجارب في واقعها مأخوذ من أنظمة الجامعات التقليدية المعروفة، ولا تستخدم أنظمة التعليم الجامعي المفتوح. (أحمد الخطيب، ص ٥٤).

لقد اقتنت دول الخليج العربية مكتسبات تقنية متطورة في مجالات الاتصالات، وخاصة في وسائل الربط الأرضية والفضائية، هذا بالإضافة إلى أن هذه الدول هي أعضاء فعّالة من المنظمة الدولية للأقمار الصناعية Intelsat، والمؤسسة العربية للاتصالات Arabsat، وباستخدام التعليم الجامعي المفتوح لوسائل الاتصالات ومفاهيمها الفنيّة للاتصال المباشر من القمر الصناعي إلى أجهزة الاستقبال في المنازل Direct Broad Satellite والمؤتمر الاتصالي، أثبتت هذه الاستخدامات صلاحية الاتصالات ومفاهيمها لفكرة التعليم الجامعي المفتوح. (فواز الدخيل، ص ٤١٩).

مشروع جامعة الخليج العربي المفتوحة

كانت ندوة التعليم العالي عن بعد، التي عقدت في البحرين من ٣٠ صفر إلى ٤ ربيع الأول ١٤٠٧هـ الموافق ٢ - ٦ نوفمبر/ تشرين الثاني١٩٨٦م. قد اهتمت بمشروع جامعة الخليج المفتوحة وعَدّت الوقت الحاضر الذي تشهده دول الخليج العربية من أفضل الأوقات لمَا تواجهه من نهضة تنموية، وتجهيزات أساسيَة تفرعت من الاتصالات، والطرق، والزراعة، والصحة بالإضافة إلى التعليم.

وبما أن المنطقة تشهد تغييرات في مفاهيمها الاجتماعية والاقتصادية، فقد بدأ الاتجاه نحو تحديد سياسة القبول في الجامعات، وفتح مجالات التعليم المفتوح والتدريب المهني لأبناء المنطقة، وذلك لإحلال أبناء المنطقة محل العمالة الأجنبية التي تقدَّر بمئات الألوف خلال سنوات الطفرة، لكن تبقى مشكلة التدريب، وإعادة التأهيل من المشكلات التي يمكن حلّها عن طريق تعليم جامعي مفتوح، ويبقى التعليم الجامعي المفتوح أملاً حتى يشرع في تطبيقه، واتخاذ أفضل السبل المتناسبة مع ثقافة المنطقة وحاجة أبنائها إلى تعليم وتأهيل وتدريب. (فواز الدخيل، ص ٤٢٤).

جامعة الخليج العربي المفتوحة «تصورات ومقترحات»

لقد وضع الدكتور فواز الدخيل تصوّرًا لمستقبل التعليم الجامعي المفتوح في دول الخليج، إذ يقول: إذا نظرنا إلى خبرة الجامعات في التعليم المفتوح في دول الخليج العربية نجد أنها تكاد تكون بدائية، فالجامعات بدأت متأخرة في إدخال تدريس وسائل التعليم وتقنياته، ومراكز خدمة المجتمع بدأت متأخرة في جامعات الخليج وحتى الآن، وبرامجها لم تتعد قاعات الدرس، ومضمون مقرراتها لم يتجاوز مقررات اللغات والتدريب على الآلة الكاتبة، وبعض العلوم الاجتماعية، إلا أن النية تتجه إلى تحقيق رغبة الدارسين في الانتظام الرسمي في المساعدة، وحضور الطالب إلى قاعة الدرس. (التعليم العالي عن بعد ١٩٨٦م).

وعلى ما جاء في بداية هذا التحليل عن ضَعْف خبرة الجامعات في التعليم المفتوح في دول الخليج العربية، وإعطائها صفة التأخير في إدخال تدريس وسائل التعليم وتقنياته، فهو لا يمثل الواقع، لأن تدريس وسائل التعليم وتقنياته، كان موجودًا في بعض الجامعات، وكمثال دليل كلية التربية بمكة المكرمة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ودليل جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

يبقى التعليم الجامعي المفتوح أملاً حتى يشرع في تطبيقه، واتخاذ السبل المناسبة لثقافة المنطقة وحاجة أبنائها إلى التعليم والتأهيل والتدريب

ويمكن أن نقول بأن طرق الاستعمال وخبرات التدريس تكاد تكون بدائية، أما بشأن مراكز خدمة المجتمع فهي فعلاً متأخرة، وعطاؤها لا يمكن أن نطلق عليه اسم التعليم المفتوح، وذلك لعدم انطباق شروط الجامعات المفتوحة وأساسياتها عليه.

وإذا نظرنا إلى خبرة الإذاعة في التعليم أو التعليم المفتوح، يكون الانطباع عنها كالانطباع عن خبرة الجامعة في المجال نفسه، إن الإذاعة في المنطقة تتجه إلى خدمة أغراض التنمية، وإلى التثقيف والترفية، وليس لديها الجهاز الفني المتكامل الذي يستطيع أن يحقق التعليم الجامعي المفتوح، وستواجهنا مشكلة رجع الصدى وتحقيقه، وضرورة حوار الطالب مع الأستاذ في وقت المحاضرة بالإضافة إلى مشكلة الإنتاج. (فواز الدخيل، ص ٤٢٥).

وإذا نظرنا إلى الاتصالات في دول الخليج العربية، وجدنا أنها من أفضل ما يتوافر في السوق العالمية من إمكانات سواء في مجال الربط الأرضي، أو الربط الفضائي، ولكن أيضًا محاولات دول الخليج العربية في استخدام المفاهيم العصرية القائمة: كالاتصال المباشر من الأقمار الصناعية إلى أجهزة الاستقبال، أو المؤتمر الاتصالي تكاد تكون غير مطروقة. (فواز الدخيل، ص ٤٢٥).

جامعة الخليج العربي المفتوحة (الفائدة، مراحل التأسيس)

وطبقًا لما جاء في التصور المعد لجامعة الخليج العربي المفتوحة. (الدخيل، ص ٤٢٦).

نود أن نشير إلى الفائدة المرجوة من إنشائها والمراحل المقترحة لتأسيسها، وهي كالآتي:

أولاً: فائدة تأسيس الجامعة وأهميتها:

- إتاحة الفرصة لمن يريدون مواصلة تعليمهم من أبناء دول الخليج، وأبناء الدول العربية المقيمين.
- تحقيق الثقافة العامة، ومهارات التدريب الفكري واليدوي، والحصول على شهادات (أكاديمية).
- الرفع من قدرات ومهارات المرأة التي حالت ظروف الأسرة دون ذهابها إلى الجامعة.
- تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجالات التدريب الصحي، والزراعي، والصناعي، والاجتماعي، والفنون الإعلامية.
- تهيئة أنواع جديدة من العمالة المدربة.

نحن في حاجة إلى إعداد القوى البشرية المدربة والمؤهلة لتحقيق غايات التنمية. والمؤسسات التدريبية القائمة حاليًا لا تفي بغايات التنمية والابتكار والتجديد

المراحل المقترحة:

مرحلة التأسيس ومدتها من سنة إلى سنتين

المرحلة الأولى: التخطيط والتنظيم للمشروع

أ - تحديد الأهداف.
ب - تحديد الأغراض.
ج - رسم الخطة التربوية والفنية.
د - التكلفة المالية والقوى البشرية.
هـ - التخطيط للتجارب وساعات البث.
و - اختيار المركز الرئيسي/ومراكز التجارب.
ز - التخطيط الفني لشبكة الإرسال.
ح - تحديد مناطق الاستقبال.

فعل النواة «برنامج التعليم الجامعي المفتوح: عن طريق مراكز خدمة المجتمع في الجامعات الخليجية» مدتها (من سنة إلى سنتين).

ثانيًا: متطلبات التخطيط والتنظيم

أ - التشغيل: شبكة الاتصالات، مراكز الإنتاج.
ب - متطلبات الاستخدام الفنية بالنسبة للطلاب، وتدريبهم على الاستقبال.
ج - حدود التطبيق.
د - بدء التجارب.

ثالثًا: تقويم التجارب ومدتها سنة

رابعًا: التطبيق في ضوء التجارب: خطوة خطوة، ومدتها سنة.

أ - سنة التبديل والتعديل.
ب - الإحكام والإتقان.
ج - الاتفاق النهائي.
د - تقرير مفصل للخطة: السلبيات والإيجابيات.

التحول إلى جامعة مفتوحة ومدتها سنتان.

خامسًا: مرحلة التطوير والدراسات.

سادسًا: الاستفادة من التجارب وتحويل برنامج التعليم الجامعي المفتوح إلى جامعة مفتوحة.

التنفيذ: بعد دراسة التقرير النهائي للجنة التخطيط، والمحتمل أن تستغرق مدته سنتين يشرع بتطبيق التوصيات، ويبدأ بفعل النواة ببرنامج التعليم الجامعي المفتوح لدول الخليج العربية.

جامعة الخليج العربي ومرحلة التطبيق الفعلي

إن هذا التصور الذي تم إعداده عام ١٩٨٦م عن جامعة الخليج العربية المفتوحة، مضت فترة إعداده الأولى، وحتى نهاية عام ١٩٨٩م ولا نعرف تمامًا ماذا تم من أجل تحقيق المراحل المقترحة للتأسيس، وقبل كل هذا نتساءل.. هل تم قبول هذا التصور من قبل المسؤولين في التعليم؟ وإذا تم قبوله فعلاً.. فإلى أي مدى وصلت مراحله؟ وإذا كان التصور مجرد اقتراح منشور ولم يدرج بعد ضمن برامج التخطيط التعليمية فما هو البديل؟ وماذا سيكون مصير المقترحات القادمة؟

نقول هذا وقد مضت المدة المطولة للتخطيط والتنظيم للمشروع، وهي سنتان، على أمل أن نعمل شيئًا، لأن التصور المقترح يعد من الدراسات الجيدة التي يمكن الاستفادة منها، على أمل انتظار مرحلة التطبيق الفعلية التي يرجو تحقيقها المئات، بل الآلاف من الدارسين في منطقة الخليج العربية.

الاستفادة من الجامعات المفتوحة في برامج تعليم الكبار بدول مجلس التعاون الخليجي

وحيث إن هذه الفكرة سبق أن طرحت للاستفادة منها في العالم العربي خلال ندوة خاصة عقدت في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية في عام ١٩٧٩م حول فكرة الجامعة وأهدافها والتشريعات المتعلقة بها من أجل خدمة المجتمع في المجالات التعليمية، والمهنية، والاجتماعية، والثقافية. (مسارع الراوي، ١٩٨١م).

إلا أن المشروع لم يتم تنفيذه، ولن نتطرق للأسباب بقدر ما نحرص على طرح الفكرة مجددًا لدول مجلس التعاون الخليجي من أجل الاستفادة من الجامعة المفتوحة، أو جامعة الخليج العربي المفتوحة في مجال برامج تعليم الكبار،

جامعة الخليج العربي المفتوحة

وهو الأمر المعقود والمعروف للبالغين، كما عملت به إنجلترا ونفذته، ونجحت في أدائه خدمةً لمجتمعها. غير أنه بالنسبة للعالم العربي ودول مجلس التعاون الخليجي قد يُختلَفُ في الاستفادة من سائر الأطراف للدراسة، لاسيما نحن نعلم بأن دول مجلس التعاون الخليجي المكونة من: المملكة العربية السعودية، الكويت، البحرين، قطر، دولة الإمارات العربية المتحدة، وعُمَان، بدأت تعاني من العديد من المشكلات التي منها:

- زيادة عدد خريجي الثانوية بنين وبنات من الراغبين في إكمال تعليمهم العالي.
- زيادة عدد الراغبين في التعليم الجامعي ممن لم تتح لهم فرصة الدراسة في الجامعات التقليدية.
- النقص في أعضاء وعضوات هيئة التدريس في مختلف التخصصات، وخاصة التخصصات العلمية.
- ارتفاع نسبة الأمية الوظيفية... إلخ. (زكريا لال، ١٩٨٩م).

نظام جامعة الخليج المفتوحة

إذا نظرنا إلى المقترحات التي وضعت ونشرت في العديد من الكتب والدراسات واللجان التي تهيأت لإعداد نظام للجامعة العربية المفتوحة، وجدنا أنها أضحت مجرد كلمات مسطورة لم تجد مكانها من حيث التنفيذ، وهو الأمر الغالب على مستوى العالم العربي، إلا أننا نؤكد بأن الاهتمامات لبلوغ أمثال هذه المشاريع يجب أن تحاط بأيد أمينة وقوية لكي تأخذ طريقها إلى التحقيق الفعليّ، ولهذا رأينا أن نبدأ بجامعة الخليج المفتوحة وذلك لأسباب نذكر منها:

أولاً: النشاط الجيد والمهم الذي يقوم به مجلس التعاون الخليجي في مختلف دراساته وأعماله المنفَّذة فعلاً.

ثانيًا: وجود الإمكانات المادية في هذه الدول سوف يساعد في إتمام هذا المشروع والقيام به عن طريق التمويل الحكومي بالإضافة إلى الدخل الرسمي من الدارسين بالجامعة.

ثالثًا: وجود عدد من الكفاءات العلمية الخليجية سوف يؤدي دورًا حاسمًا لتنفيذ أعمال المشروع وقيادته على مستوى المسؤولية.

وإنه، من خلال النقاط السابقة، من الممكن أن يتم الاجتماع بالمسؤولين في وزارات التربية والتعليم بدول المجلس لإيجاد صياغة كافية لتنظيم أعمال الجامعة ووضع النظام الخاص بها، ويمكن الرجوع إلى توصيات ندوة الجامعة العربية المفتوحة التي عقدت بالأردن ٢٥/نوفمبر/تشرين الثاني١٩٧٩م، تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار. (الجامعة العربية المفتوحة، ١٩٨١م).

مجالات التدريب بالجامعة

عندما ننظر إلى ما قدمته الجامعة المفتوحة في بريطانيا من مجالات مهمة نجد أنها في بداية خطوة القبول الفعلي ركزت على مجالات التدريب المتطورة لكي يستفيد منها طبقات المهندسين الميكانيكيين وغيرهم، وهذا الدور قدم إضافة جديدة إلى بلدهم سعيًا نحو الاكتشافات التي ساعدت في التقدم العلمي في بريطانيا وأوربا فيما بعد.

ولهذا نجد أننا في حاجة إلى إعداد القوى البشرية المدربة والمؤهلة لكي يتم عن طريقها تحقيق مجالات التنمية لدول مجلس التعاون الخليجي والعالم العربي، لاسيما ونحن نشهد أن معظم الوظائف التي يشغلها المواطن الخليجي لا تتعدى كونه يحمل الثانوية، أو جزءًا من الدراسات الجامعية دون معرفة للاستمرارية بالتجديد والتطوير والابتكار الذي يساعد في تنمية قطاعات الدولة المختلفة، وإنما ظل الموظف بجهله يعمل كالمثل المعروف (مكانك راوح)، وهو الغالب على معظم الوظائف الإدارية والعلمية.

صحيح أن هناك بعض المجالات التدريبية لبعض موظفي الدولة، كجهود معهد الإدارة العامة بالمملكة العربية السعودية في تدريب موظفي الدولة، إلا أن هذا الجانب لن يسد جميع الجوانب والاتجاهات المطلوبة للتنمية والابتكار والتجديد المطلوبة في أي فرع من فروع العلوم المختلفة، سواء الإدارية منها أو المدرسية أو الصحية... إلخ.

... العناية ببرامج تعليم الكبار

إن الغرض الأساسي من قيام جامعة الخليج المفتوحة هو سد النقص الشامل في برامج تعليم الكبار، فالوضع بالنسبة لمفهوم تعليم الكبار لا يزال محصوراً في العالم العربي حول الأمية ومحاربتها والقضاء عليها... إلخ.

أما إيجاد المفهوم الصحيح فلّما يأت أو لّما ينضج، لأننا، كما ذكرنا، لازلنا نعانّي من مستويات الأمية الوظيفية، ولهذا يجب على الجامعة أن تركز على إيجاد برامج لتعليم الكبار، كما عملت بريطانيا في جامعتها المفتوحة، فالطموحات للمواطن العربي والخليجي لم تعد كما كانت في السابق، لأن التطور العلمي آخذ في النمو نحو آفاق كبيرة، فجاء الحرص من الكثيرين مؤكدًا الحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية، ومزيد من العلوم والأفكار التي سوف تساعد على تسارع عجلة تقدم العالم العربي والخليجي معًا، فنجد أن الحاجة ماسّة إلى إيجاد منافع ودراسات للكبار تتمثل في:

- مراكز دراسية في علم هندسة وصناعة الزراعة.
- مراكز دراسية متطورة في علم الصناعة.
- مراكز دراسية لرعاية الطفولة.
- مراكز دراسية لرعاية الأسرة.
- مراكز دراسية للتدريب على الحاسب الآلي.
- معاهد متخصصة في خدمة البيئة.
- معاهد متخصصة في علوم فن الخياطة والتطريز... إلخ.
- معاهد متخصصة للتدريب على الميكنة بسائر فروعها.
- أقسام للتدريب التربوي والإداري... إلخ.

جامعة الخليج المفتوحة تتوافر لها الإمكانات المادية والكفاءات العلمية الكفيلة بإنجاح التجربة

كما أن التقدم العلمي والقنوات التلفازية الجديدة في دول مجلس التعاون الخليجي سوف تفيد في المجالات العلمية للجامعة كافة، إذ إن استخدام التلفاز والإذاعة، واستغلال الأقمار الصناعية سوف يعمم الاستفادة من التقانة (التكنولوجيا) المتطورة للجامعة الخليجية المفتوحة المقترحة. (زكريا لال، علياء الجندي، ١٩٨٩م).

«ولعل مما يزيد من تفوق نظام مماثل للجامعة المفتوحة من الناحية الاقتصادية ويجعلها أكثر ملاءمة لظروف البلاد العربية، قدرة مثل هذا النظام على تزويد المجتمع العربي بحاجته من الثروة البشرية المؤهلة في التخصصات العلمية والفنية كافة، وبالعمالة المدربة، مع عدم شل طاقاتها الإنتاجية في أثناء عمليات التعليم والتدريب». (الجامعة العربية المفتوحة، ص ٣٣٦).

ولاشك في أن الهدف الأساسي من البرامج المقصودة هنا التعلم، ومنها يأتي تعديل السلوك من خلال التفاعل مع الخبرات المتاحة، والتي تؤكدها البرامج المبنية على أسس سليمة ستساعد في تعميق المعرفة، والاتجاه نحو التفكير المنطقي، وتعلم المهارات المختلفة، والمساعدة في تحقيق برامج التنمية التي تخطط لها البلاد.

إن برامج تعليم الكبار تعني الكثير من النظم والاتجاهات ومحو الأمية الوظيفية... إلخ، وهذا ما سيكون دافعًا جديدًا للاهتمام بالتخطيط من أجل التعليم التطبيقي المستمر.

ميزانية الجامعة المقترحة ومقرها

أما بشأن ميزانية الجامعة الخليجية المفتوحة المقترحة، فمن الممكن أن تكون في البداية بتدعيم دول الخليج مجتمعة، وسيكون الشطر الثاني من الرسوم التي سوف يدفعها الطلبة، ويفضل دراسة هذا الموضوع ضمن نظام الجامعة، عند إقرارها، بالإضافة إلى الاتفاق على إنشاء مقر للجامعة، (وإن كنا نقترح بأن يكون في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية لكونها تتوسط مدن الخليج العربية، أو الدوحة بدولة قطر وذلك لإمكاناتها الممتازة في الاتصالات والإذاعة والتلفاز والصحافة... إلخ)، على أن تفتتح مراكز فرعية للجامعة في جميع دول الخليج العربي عندما تصبح الجامعة مؤهلة لذلك.

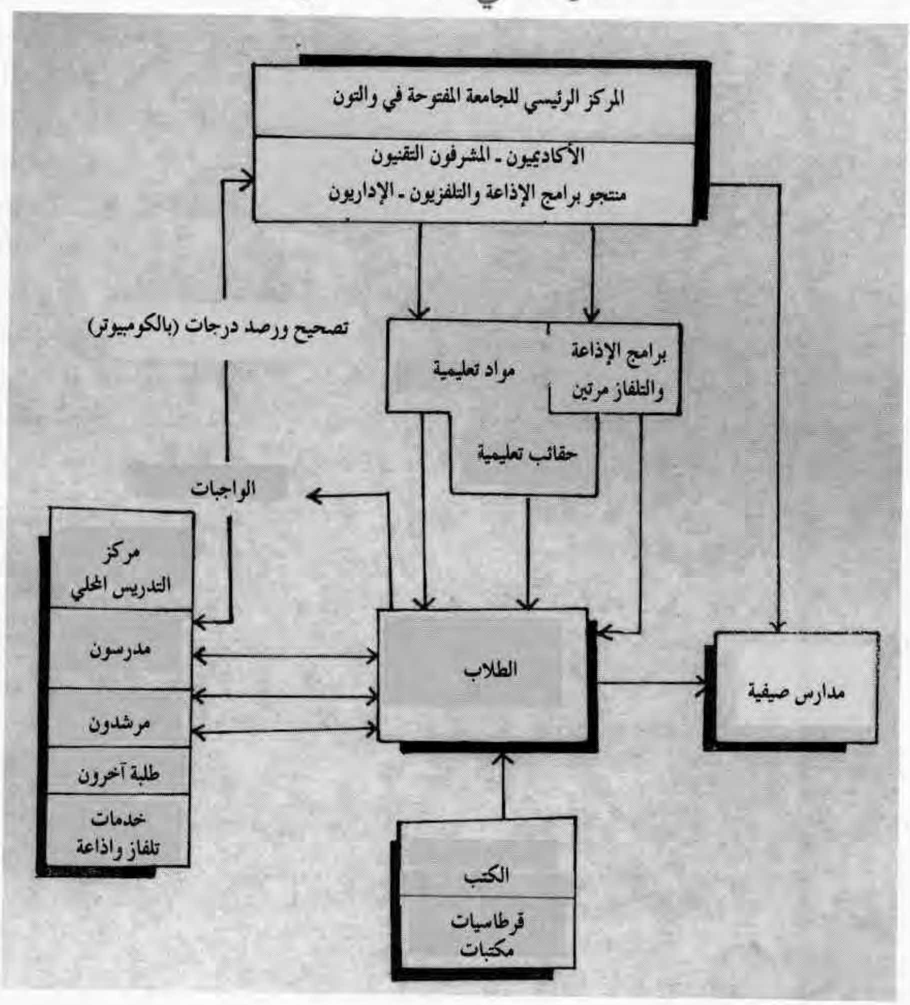
لقد حاولنا في هذا البحث تقديم صورة موجزة ومهمة عن الجامعة المفتوحة في بريطانيا بصفتها الرائدة في هذا المجال. ولنجاحها في مجال التعليم عن بعد، والتحدث بصفة موجزة عن المقترح الذي رأينا من خلاله صورة إشعاع لجامعة مفتوحة بالخليج العربي يكون أساسها التدريب، والاكتشاف، والابتكار والتجديد من أجل التنمية.

توصيات ومقترحات

إن للإنسان في سائر هذه الأرض التي جعله الله سبحانه وتعالى خليفة عليها الكثير من الطموحات والعمل الدؤوب من أجل إسعاد نفسه، وتحمل أعباء أسرته، والتنظيم والرفع من شأن أمته، فقد عرف بأن العلم أساس هذه السعادة، وأن العلم هو أمل تحقيق التنمية لبلاده، ولهذا نجد أن من واجب هذا الفرد أن يمضي في خطواته لكي يتعلم، ويضيف الجديد من فكره وتطلعاته لصالح بلده وأمته.

وعلى الرغم من وجود مجالات التعليم المختلفة في البلاد العربية، ومنها دول الخليج العربية، إلا أن هذا الوجود لم يعد يكفي، ولم يعد يفي بحاجات الفرد، فأتت فكرة الجامعة المفتوحة لتقوم الآن بإتاحة الفرصة للدراسات العليا، والبحث العلمي، ومنها أثر التفكير العلمي بالتجديد والابتكار، ولهذا نرى من خلال هذا الموضوع أن يبحث العلماء

الدراسة في الجامعة المفتوحة



الأمية الوظيفية من أكثر المشكلات التي تواجهها مجتمعاتنا، ولم يعد محو الأمية الهجائية فقط هدفًا يتناسب مع طموحاتنا

التعليم عن بعد... ودول الخليج العربي ٢/٢

جامعة الخليج العربي المفتوحة

المشاركون العرب والمسلمون خلال هذا المؤتمر المهم ما يأتي:

أولاً: سرعة دراسة هذا الموضوع، والعمل على إقراره بالرغم من أنه سبق أن عرض خلال ندوة التعليم العام عن بعد في البحرين في ١٩٨٦م.

ثانيًا: ضرورة وضع اللمسات النهائية بوساطة المسؤولين عن التعليم العام بدول الخليج العربية، حتى يمكن أن يرى النور في القريب بدلاً من التعطيل والوعود التي لا جدوى منها.

ثالثًا: يميّز دول مجلس التعاون الخليجي العربي:

أ - الموقع الاستراتيجي التي تحتله كل دولة من خلال اتصالاتها المحلية والعربية والعالمية.

ب - وفرة الإمكانات المادية.

ج - عودة بعض القوى البشرية المدرّبة من الخارج بعد حصولها على الكفاية والتأهيل والخبرة.

د - امتلاكها للأجهزة والأدوات المتقدمة، يعني مسايرتها لركب الدول المتقدمة في المعرفة والاستخدام، وهو شيء يتيح لها فرصة التمكن من إعداد برنامج وتنفيذه.

هـ - وجود عدد لابأس به من الخبرات الأجنبية في مجال الاتصالات (كالحاسوب) والأقمار الصناعية في جميع دول الخليج العربية يؤدي إلى فكرة الاستفادة من بعضهم لدفع عجلة برنامج جامعة الخليج العربية المفتوحة بشكل لا يؤثر في مسار البرنامج الذي نأمل أن تعالجه الخبرات الوطنية الخليجية.

ولهذا نجد أن استغلال هذه الأهداف سوف يساعد في إنجاز هذا المشروع بإذن الله، وتحقيق الطموحات المرجوّة.

رابعًا: يجب استغلال الكفاءات الوطنية الخليجية المدربة والقادمة من الخارج في وظائف الاتصالات كالإذاعة والتلفاز ومجالات الإعلام الأخرى، لاستخدامها بالتالي في تنفيذ أجزاء من برامج الجامعة الخليجية المفتوحة.

خامسًا: يجب أن تنوع برامج الجامعة الخليجية المفتوحة، وتركز على استعمالات التقنيات، ومجالات البحث والدراسات الفكرية التي ستساعد في نواحي الاختراع والابتكار.

سادسًا: لوحظ أن معظم دول الخليج العربي تملك برامج ومسلسلات علمية جيّدة وحديثة، كما أنه في حوزتها العديد من البرامج العلمية المترجمة ذات الفائدة، والتي من الممكن الاستفادة منها ضمن برامج الجامعة الخليجية المفتوحة.

سابعًا: ينبغي ألاّ تكون الدراسة معتمدة على النفقات الحكومية المجانية، بل يفضل جدًا أن يدفع الدارس رسومًا محددة حتى يشعر بأهمية الدراسة، وأسس التحصيل والسعي نحو تحقيق الفائدة، هذا بالإضافة إلى رسوم الأدوات والكتب وأشرطة الفيديو والكاسيت... إلخ.

ثامنًا: أن يحرص المسؤولون على الرفع من مستوى الخدمات البريدية في دول المنطقة، لأن من ضمن البرامج ما يصل إلى الدارس بوساطة البريد، أو بعض التعليمات المهمة، أو غيرها... إلخ. وهذه تتطلب ضمان وصول المادة إلى صاحبها في أسرع وقت، وأوفر طمأنينة وسلامة كالحقائب التعليمية وأشرطة الفيديو، أو حتى عند اتصال الدارس بالجامعة.

تاسعًا: أن يكون للبرامج أوقات محددة، وأن تكلّف الصحافة والإعلام نشرَ ما يهم الدارس، كأوقات البرامج المقدمة عن طريق الإذاعة أو التلفاز ... إلخ.

عاشرًا: أن تكون الدراسة في جامعة الخليج العربية المفتوحة للإناث مساوية للذكور، حتى يمكن أن تتاح الفرص للجميع، فمجالات التنمية الآن تعتمد على العنصرين في مختلف الاتجاهات.

حادي عشر: أن تقوم مؤسسات الطيران والسكك الحديدية، وشركات النقل البرية بتقديم أسعار مخفضة للدارسين والدارسات عند وجوب حضورهم إلى مقر الجامعة الرئيسي، أو اتصالهم بها.

ثاني عشر: تعدّ جامعة الخليج العربية المفتوحة فرصةً كبيرة لمحو داء الأمية الوظيفي، أي إن الخرّيج سوف يعود إلى وظيفته أو إلى وظيفة أعلى... إلخ، وبه سوف تزيد المستويات الثقافية والخبرات، وهي بادرة لمعالجة وتصحيح بعض مجالات التنمية المطلوبة في دولته.

المراجع العربية

- أحمد الخطيب. التجارب العربية في مجال التعليم الجامعي المفتوح، ندوة التعليم العالي عن بعد، البحرين، ١٩٨٦م.
- الجامعة العربية المفتوحة. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، بغداد، ١٩٨١م.
- دليل جامعة الملك عبدالعزيز. جدة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- دليل كلية التربية. مكة المكرمة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- زكريا يحيى لال، علياء عبدالله الجندي. مقدمة في الاتصال والتكنولوجيا، مطابع العبيكان، الرياض، ١٩٨٩م.
- زكريا يحيى لال. تعليم الكبار ومحو الأمية بين النظرية والتطبيق، الرياض، ١٩٨٩م.
- طه إلياس الحاج. التعليم الجامعي بالمراسلة، القاهرة، ١٩٧٧م.
- فواز الدخيل. التعليم الجامعي المفتوح في دول الخليج العربية، (تصورات واقتراحات)، ندوة التعليم العالي عن بعد، البحرين، ١٩٨٦م.
- م. زكي. الجامعة الشعبية المفتوحة في إسلام أباد. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. بغداد، ١٩٨١م.
- مسارع الراوي. الجامعة العربية المفتوحة، بغداد، ١٩٨١م.
- ندوة التعليم العالي عن بعد. مكتب التربية العربي لدول الخليج، البحرين ١٩٨٦م.

المراجع الأجنبية

Charters, Alexander, et al. Comparing Adult Education Worldwide. San Francisco: Jossey-Bass, 1981.

Ely, Donald, P. "Educational Technology in Comparative Adult Education", in Charters, Alexander, et al. Comparing Adult Education Worldwide. San Francisco: Jessy-Bass, 1981.

Ferguson, John. The Open University From Within. New York: New York University Press, 1976.

Hawkridge, David. "Setting Up Open University", Monograph No. 5. Milton Keynes, 1976.

Holloway, Les. "Inhe Beginning". Sesame, Special Edition, The First Then Years, 1979.

Hooper, Richard. "New Media in the OU: An International Perspective", In Tunstall, Jeremy, (ed.) The Open University Opens. Amherst: University of Massachusetts Press, 1974.

Kitzes Esther, and Helen Knox. "The Open University: A Report on Britain's Non-Traditional University", Prepared for the Task Force on External S'udies at the University of Pittsburgh, 1972.

Mac Arthur, Brian. "An Interum History of the Open University". In Tunstall, Jeremy, (ed.) The Open University Opens. Amberst: University of Massachusetts Press, 1974.

McIntosh, Naomi, et al. A Degree Of Difference: The Open University of the United Kingdom. New York: Praeger Publishers, 1977.

Neil, Michael and Keith Harry. "In An International Context". Sesame, Special Edition, The First Ten Years, 1979.

Perry, Walter. The Open University. San francisco Jossey-Bass, 1977.

Times Educational Supplement. "Struggling To Stay Open". July 27, 1984.

Tunstall, Jremy (ed.) The Open University Opens. Amherst: University of Massachusetts Press, 1974.

Wagner, Leslie. "The Economic Implications", in Tunstall, (ed.) The Open University Opens. Amberst: University of Massachustts Press, 1974.

Woodley, Alan, and Naomi Macintosh. The Door Stood Open. Hampshire: Taylor and Frances (Printers) Ltd., 1980.

The British Broadcasting Corporation. The BBC and the Open University. England: Belmont Press, 1982.

The Open University. An Introduction to the Open University: Some facts and Figures. Milton keynes: Priority Press, 1983.

The Open University. Assessment. Milton keynes: Priority Press, 1983.

The Open University. Postgraduate Prospectus and Student Handbook. Milton Keynes: Priority Press, 1983.

The Open University. Regional Services. Milton Keynes: Priority Press, 1983.

The Open University. "Information Sheet Number 1", May, 1984.

The Open University. "Information Sheet Number 2 ", June, 1984.

The Open University. "Information Sheet Number 3", June 1984.

The Open University. "information Sheet Number 4", June 1984.

The Open University. "information Sheet Number 5", June 1984.

The Open University. "information Sheet Number 7", June1984.

The Open University. "information Sheet Number 12", June 1984

البريد الثقافي

هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة - وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر - ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهرًا للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س في ظل المد الإعلامي الذي يشهده عصرنا الحاضر يتم تداول مفهومات ومصطلحات عديدة، من أهم تلك المفهومات العولمة، فماذا يقصد بالعولمة ؟

المحامي/ عبدالعزيز إسماعيل أحمد
ص.ب ٥٦٩ - الحسكة - سورية

VIA AIR MAIL
PAR AVION

العولمة مصطلح شاع استخدامه كثيرًا في السنوات الأخيرة، غير أن العملية التي يصفها ليست جديدة تمامًا، إلا أن حجمها ازداد كثيرًا الآن.

العولمة لغة مشتقة من كلمة عالَم، وهي أساسًا ترجمة للكلمة الإنجليزية GLOBALIZATION والمشتقة من كلمة GLOBE التي يُعرِّفُها المورد بأنها الكرة الأرضية.

وكلمة عولمة أي «فوعلة» تعني جعل الشيء عالَميّ المحتوى أو الأثر أو المدلول، بمعنى أنه يحتوي على مكونات من دول ومناطق عديدة، أو أن أثره يمتد خارج قطره ليشمل دولاً عديدة، ولربما كان من الأفضل عدم استعمال كلمة «قطره»؛ لأن العولمة تعني الانعتاق من الرباط القطري.

للعولمة جوانب عديدة، فهنالك العولمة السياسية، والعولمة الاجتماعية، والعولمة الاقتصادية. ففي السياسة مثلاً هنالك أولاً العلاقات الدولية والتي كانت دائمًا تختصّ بالعلاقة ما بين دولة ودولة، أو دولة ودول أخرى. وهذه كانت موجودة دائمًا، غير أن الجديد هو أن هنالك تغيرًا نوعيًا طرأ عليها، هو تعميق هذه العلاقات وتوسعها وتمددها.

العلاقات الدولية محدودة في أثرها من حيث إنها تشمل دولتين أو ثلاثًا في موضوعات أثرها محدود. إلا أن العلاقات العالمية أو العولمة تشمل عددًا أكبر من الدول، ولها أثر أعمق في كل دولة. ما نعنيه هو أن القرارات المتخذة في قطر ما صارت أولاً: تأخذ في الحسبان مجريات الأمور والمؤثرات في الدول الأخرى، بالإضافة إلى أن أثرها امتد ليشمل أماكن عديدة وبعيدة في العالم، مما يؤثر في حظوظ أفرادٍ وجماعاتٍ في أماكن عديدة من العالم.

العولمة تعني أن ارتباط الدول بعضها ببعض تعمَّق وازداد كثيرًا في العقود الأخيرة، وهذا يعني أن القرارات أصبحت تُتَّخذ من منظور أكثر من دولة. حقيقة، ومن الناحية السياسية، هنالك من يقول: إن عهد الدولة القومية (القطرية) انتهى، وإنه لم يعد للدولة دور في القرارات السياسية والاقتصادية داخل بلدها، وحاليًا هنالك كثير من الجماعات والمنظمات العالمية التي تتخطى نشاطاتها الدول: من الصليب الأحمر وجماعات الخضر إلى الشركات الكبرى، والمنظمات الدولية. هذا لا يعني أن هنالك اتفاقًا وتناغمًا بين الدول في كل شيء، ولا يعني بالضرورة أن كل الدول متساوية في النفوذ، فالاختلافات مازالت قائمة على الرغم من أنها أقل مما سبق. كذلك العولمة لم تمس كل البلدان بالمستوى نفسه.

أمّا العولمة الثقافية فالمقصود بها تشابه الثقافات وأساليب الحياة بين الدول، مما يعني أن أسلوب حياة معيّنًا يزداد تبنيه في الدول المختلفة، وأن الثقافات في كل دولة تكتسب سلوكيات متشابهة، هي أساسًا ثقافة الحضارة الغالبة وأسلوبها، والتي هي بالضرورة مكونة من حضارات وثقافات عديدة. بعضهم ينظر إلى العولمة الثقافية على أنها غلبة الثقافة أو أسلوب الحياة الأمريكي أو «السلعنة» والنمط الاستهلاكي الأمريكي. العولمة إذن أساسًا هي التوجه نحو التشابه في الثقافات.

وفي مجال الاقتصاد والتجارة: العولمة تعني أساسا ازدياد التبادل التجاري وحجم الاستثمار بين الدول، وكلاهما زاد بمعدلات ضخمة من بعد الحرب العالمية الثانية، ويقدر أن صادرات العالم زادت سبعين مرة من بعد الحرب العالمية. كذلك زاد الاستثمار الأجنبي المباشر عشرات المرات. وبينما كانت قيمة تجارة العملات الأجنبية تقدر بعشرات البلايين يوميًا في عقد السبعينيات، أصبحت اليوم تقدر بما يفوق الترليون دولار يوميًا. التجارة والاستثمار الأجنبي ليسا جديدين في العالم، وقد عرفنا نحن العرب التجارة من الجزيرة العربية إلى الشام وزنجبار وأندونيسيا وغيرها، غير أن الجديد، بالإضافة إلى تضخم حجمها، هو فقدان أهمية القاعدة الوطنية، فلم يعد ضروريًا للشركة أن تنتج أساسًا في وطن أم، بل إن الشركات لم يعد لها وطن، وقد سمعنا عن شركة أمريكية نقلت رئاستها إلى تايوان لأنها اكتشفت أن سوقها الأساسي هو في آسيا. كذلك أصبحت الشركات تنتج مكونات السلعة في عدة بلدان، وتجمعها في بلد آخر، حتى فقدت عبارة «بلد المنشأ» أو « صنع في ....» معناها. كما سمعنا عن ولاية أمريكية اتخذت قرارًا بأن تشتري السلع المصنوعة في أمريكا فقط، لكنها وجدت أن كثيرًا من السلع صنعت أجزاء كبيرة منها في الخارج، فلم تدر هل تسميها أمريكية أم لا؟

حركة العولمة هذه نشأت واشتدت في بيئة ما بعد الحرب العالمية الثانية وكان وراءها عدة عوامل هي: تحرير التجارة الخارجية بين الدول، التكامل الاقتصادي بين الدول، تحرير الاقتصاديات وتقليص دور الدولة فيها بالتخصيص ورفع القيود الحكومية، وانهيار الشيوعية، أي انتصار الفكر الرأسمالي الذي يدعو إلى تحرير الاقتصاديات داخليًا وخارجيًا. كذلك كان للشركات الدولية دور كبير في حركة العولمة، بل إن بعضهم يرى أنها القوة المحورية؛ فهذه الشركات هي التي تقوم بالتجارة والاستثمار بين الدول، وهي التي تخطط وتنسق. وقد رأينا كيف أن الشركات تتطور من شركة محلية أو شركة خارجية إلى شركة متعددة الجنسية أو عالمية؛ أي إنها تتطور لتصبح لها عدة جنسيات (جنسية في كل بلد) إلى أن تصبح في النهاية

لا جنسية لها. ولا ننسى دور التقنية فهي التي ربطت العالم بنقل المعلومات والأفراد والسلع بين البلدان، وأدى تطور التقنية إلى نقل كميات أكبر من هذه الموارد بسرعة أكبر. فالتقنية هي محور أساسي في العولمة ونسمع اليوم مقولة «العالم قرية كونية» تزداد كثيراً، وهي عبارة أطلقها عام ١٩٦٨م العالم الكندي «مارشال ماكلوهان» ويقصد بها أن قربنا من الآخرين زاد إلى درجة أصبحنا فيها وكأنما كلنا نعيش في قرية واحدة، وبالتالي ازدادت معرفتنا بالآخرين التصاقاً حتى أصبحنا نتابع أخبار العالم (وأحياناً نشارك فيها) ونحن في غرفة جلوسنا.

العولمة ليست كلها خيراً في خير، كما أنها لم تمس كل الدول بالمستوى نفسه. ومن حيث الجانب الاقتصادي نرى الدول العربية متأخرة في ميدان العولمة، حيث إن تجارتنا مع العالم، واستثمارات العالم عندنا لم تتم بالدرجة نفسها التي حدثت في دول آسيا وأمريكا اللاتينية مثلاً، حيث ازدادت مشاركة دول هذه المناطق في تجارة واستثمارات العالم، وزاد نموهما. من الجانب الآخر ازداد اعتمادهما على العالم، وبالتالي تفاقم مشكلاتهما كما حدث لها في الشهور الأخيرة.

من الناحية الاقتصادية تؤثر العولمة - كانتقال الشركات وعملياتها ونقلها للموارد - في حظوظ الدول والمناطق، إذ قد تعني انتقال صناعات بأكملها إلى مناطق أرخص تكلفة، فتتضرّر المنطقة والدولة المنتقل منها.

كما أن فتح الأسواق يعني فقدان صناعات محلية للحماية الحكومية، وبالتالي تتقلص تلك الصناعة ويضمحل النشاط الاقتصادي في البلد الذي فتحت أسواقه. لذا كان من الطبعي مقاومة العولمة، ولا تقتصر هذه المقاومة على البلدان النامية، ففي الولايات المتحدة نجد نقابات العمال تعارض حركة نافتا (منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية)، وكذلك يحتج العمال الفرنسيون على تخصيص الخطوط الفرنسية، كما يحتج العمال في كوريا على تحرير سوق العمل. وكل هذه الحركات (التخصيص وتحرير أسواق العمل) جزء من العوامل المساعدة للعولمة تتضرر منها جماعات في بلدان وتقاومها.

تلقى العولمة معارضة من وجهة النظر الثقافية، فتسعى كثير من الدول لحماية ثقافتها من أثر الثقافة الواردة لما لذلك من أثر في أسلوب الحياة. في فرنسا قاومت فرنسا فتح أسواق السلع الثقافية كالأفلام والمسلسلات. وفي الهند أحرقوا محلات كنتاكي لأنهم لا يريدون أسلوب الحياة هذا (أكل الوجبات السريعة في الخارج). وتحرص كثير من الدول على حضارتها باتخاذ إجراءات تحدّ من استقدام هذه الجوانب الغربية عنها.

هذه العوامل تبطئ من حركة العولمة، وقد تُرشدها من وجهة نظر بلد ما؛ لكننا لا نرى تراجعًا لحركة العولمة، خاصة مع وسائل الاتصالات والفضائيات التي جعلت العالم قرية صغيرة بأكثر مما كان مارشال ماكلوهان يحلم به قبل جيل واحد فقط.

(للتعرف على مزيد من جوانب الموضوع نحيل القارئ إلى بحثنا «العولمة: المفهوم، المظاهر والمسببات، المنشور بمجلة «العلوم الاجتماعية» ربيع ١٩٩٨، جامعة الكويت).

د. أحمد عبدالرحمن

أستاذ مشارك - كلية العلوم الإدارية - جامعة الملك سعود

مصطلح

«العولمة» من المصطلحات التي ظهرت حديثًا، ولقي اهتمامًا واسعًا من المثقفين وعامة الناس خاصة ما يترتب عليها - أي العولمة - من تداعيات أو نتائج تؤثر في حياة الناس وبصفة خاصة، في هويتهم وثقافتهم القومية وذاتيتهم الوطنية.

وبالرجوع إلى مادة (ع ل م) في بعض المعجمات لم نجد للعولمة مجالاً في اشتقاقها، والمصطلح بدا قريباً من الكلمات المنحوتة إلا أنه ليس كذلك. ومن ذلك يمكن القول بأن العولمة تعني إخضاع الشيء «دولة ، أو نظام ، أو مؤسسة... إلخ» إلى قوانين أو مبادئ أو أعراف أو ملامح عالمية. بحيث ينتظم هذا الشيء - في كل مكان من هذا العالم الفسيح الذي صار بفضل تقدم تقانة «تكنولوجيا» المعلومات وثورة الاتصالات كالقرية الصغيرة، فعندما نقول عولمة النظام الاقتصادي، أو عولمة الثقافة أو عولمة السياسة، فإننا نعني تحول كل منها من الإطار القومي ليندمج، ويتكامل مع النظم الأخرى. والعولمة تتضمن اتجاهاً متنامياً يصبح معه العالم في كثير من المجالات دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة، تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول . وانتشر هذا المصطلح في بداية التسعينيات بعد سقوط النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، وزوال المعسكر الشرقي والفكر الاشتراكي، وبعد أن دانت السيادة للنظام الرأسمالي والسوق الحر من الناحية الاقتصادية، فكانت النتيجة الأساسية لانتصار القطب الرأسمالي هي التبشير بنموذج واحد يتم السعي لتمديده ليشمل بقية العالم من خلال طرق تجمع بين الإغراء والإكراه، ويقوم هذا النموذج على ركائز اقتصادية وسياسية من أبرزها ترسيخ التعددية السياسية، واحترام حقوق الإنسان، والانفتاح الاقتصادي والخصخصة، وإقامة السوق الحرة، وتقليص دور الدولة في المسار الاقتصادي.

ويرى بعضهم أن هذه الركائز تعدّ معايير تتجاوز الفوارق والاختلافات الحضارية، وترسخها اتفاقيات وأعراف دولية بين الأمم، وقد كانت هناك عدة مبادرات لتنفيذ هذا النموذج وتعميمه من خلال مؤتمرات حاشدة تناولت موضوعات السكان، والمرأة، وحقوق الإنسان، والتنمية الاجتماعية.

ويرى المتحمسون لفكرة العولمة أن العالم يصبح قرية كونية تسمح «للفرد» بممارسة حرية التفكير والتعبير والتفاعل والتواصل مع «الآخر» بغض النظر عن لونه وجنسه وعقيدته، والمشاركة وطرح الرأي وعرض الأفكار عبر شاشات التلفاز الفضائي مما يطلق عليه ديمقراطية «تكنولوجيا» الاتصالات.

يركز المعارضون لمفهوم العولمة على أنها تحقق هيمنة طرف على آخر، الطرف الذي يملك وينتج الأدوات والوسائل المعلوماتية، يبث الحقائق والأفكار والقيم والمعارف والثقافة من منظوره الخاص. وينتج عن ذلك تقسيم العالم إلى قسمين: منتج وهو المرسل الإيجابي المتحكم الذي يفرض حضارته بأبعادها المادية والفكرية والفلسفية، ومستهلك مستقبل سلبي مفتون بسهولة الحصول على المعلومات والمعرفة والكم الهائل من مفردات المتعة. ويمكن أن ينتج عن ذلك إباحة المحظورات لأهداف غير أخلاقية، العزلة أو «الفجوة الاجتماعية» لأن التواصل لا يتم وجهًا لوجه، وبالتالي يتعرض الإنسان لسلسلة من الأزمات والانهيارات النفسية، وتصدع العلاقات الاجتماعية.

ومن ناحية أخرى يرى بعضهم أن مفهوم العولمة ليس بجديد، بل إن العولمة بدأت منذ القرن السابع عشر أو قبله بقليل، مع بدء الاستعمار الغربي لآسيا وإفريقية والأمريكيتين، فعندما وصل الاستعمار إلى إفريقية وفتح أسواق العبيد كانت هذه عولمة بمعناها المرحلي، وعندما تم نقل الزنوج من إفريقية إلى الولايات المتحدة كانت هذه عولمة أيضًا، ثم تطوير نظام التجارة العالمي وظهور ظاهرة «الاعتماد» اعتماد المجتمعات الأقل تطويراً من النواحي التكنولوجية «وهي المجتمعات التي تم استعمارها» على المجتمعات الأكثر تطوراً «المجتمعات المستعمِرة»، وتأتي العولمة اليوم كعملية إعادة إنتاج لنظام الهيمنة القديم.

واليوم أصبح مفهوم العولمة حقيقة يعيشها الناس في العالم أجمع. وهذا يحتم علينا ضرورة التعامل مع هذا الواقع العالمي الجديد بحيث يكون هذا التعامل من خلال تفاعل إيجابي خلاق، يقوم على ضرورة القضاء على ازدواجية المعايير في تطبيق حقوق الإنسان، وعدم فرض نموذج الديمقراطية الغربية كنموذج أوحد، وتقنين حق التدخل بحيث لا يصبح سلاحًا ضد الشعوب العربية، وضمان احترام حرية الشعوب، والمساعدة في تقدمها في ظل حضارة إنسانية جديدة بالتحقق في القرن الحادي والعشرين.

د. إسماعيل الفقي

أستاذ مساعد - قسم علم النفس

كلية التربية

جامعة عين شمس

مادة «ع ج م» لغة، وثقافة

٢/١



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

تأتي مادة العين والجيم والميم دلالة على كل من ليس بعربي من جهة اللسان، وتختص بالفُرس أهل إيران في غالب الاستعمال العرفي لا في جميعه.

وترد العَجَمُ والعُجْم بفتح العين والجيم، وبضم العين وسكون الجيم ضد العَرَب والعُرْب بالوزنين نفسيهما.

قال أبو عبدالرحمن: ولما كانت المادة تطلق على غير ذوي اللسان العربي المبيِّن للعرب، والمفصح لهم: اشتقوا من ذلك معاني الخفاء؛ ولهذا قرر ابن جني (ت:٣٩٢هـ) في مقدمته لكتابه «سر صناعة الإعراب»: أن هذه المادة وقعت في لغة العرب للإفهام والإخفاء، وضد البيان.

ويشمل هذا المعنى الإنسان العربي إذا لم يفصح، بل تجوزوا بالأعجم إلى الأخرس، وقالوا: استعجم الرجل.. إذا سكت.. وتجوزوا بذلك أيضًا إلى أشياء ليس من طبيعتها النطق على التشبيه؛ فقالوا: موج أعجم.. لأنه لا ينضح الماء، ولا يسمع له صوت.. نقل ذلك الجوهري (ت:٣٩٣هـ) في الصحاح.

وفي معنى الإفصاح: أعجم الكتاب.. بمعنى نقط حروفه.. واختلف اللغويون في وجه ذلك؛ فقال في الصحاح: خلاف أعربه.. وفي النهاية لابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) أزال عجمته بالنقط.. ولعل الجوهري لاحظ قول الحطيئة:

والشعر لا يسطيعه من يظلمه
يريد أن يُعربَه فيعجمُه(١)

مع أنه فسر البيت على وجهه.. بمعنى أتى به أعجميًا.. أي يلحن فيه.

قال غيره يريد أن يبينه؛ فيجعله مشكلاً لا بيان له.

وتفسير ابن الأثير يشرحه قول ابن سِيدَهْ (ت: ٤٥٨هـ) عن أعجمت الكتاب: هو عندي على السلب؛ لأن أفعلت - وإن كان أصلها الإثبات - فقد تجيء للسلب كقولهم: أشكيت زيدًا: أي زلت له عما يشكوه.. وقالوا: عَجَمْتُ الكتاب.. فجاءت فعلت للسلب أيضًا كما جاءت أفعلت.

وروى الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) في المفردات عن الخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ) - وهو موجود بكتابه العين - : أن حروف الهجاء تسمى بحروف المعجم؛ لأنها مقطعة، فهي أعجمية، وبين الراغب وجه أعجميتها بقوله: «قال بعضهم: معنى قوله: «أعجمته»: أن الحروف المتجردة لا تدل على ما تدل عليه الحروف الموصولة».

قال أبو عبدالرحمن: ما ذكره الراغب عن بعضهم موجود في المجمل لأحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ).

وحروف المعجم اختلف العلماء في مدلول تركيبها؛ فقال بعضهم: المعنى حروف الخط المعجم.. وجعلوا هذا التركيب مثل قولهم: «مسجد الجامع».. والمراد «مسجد اليوم الجامع»، ومثل قولهم: «صلاة الأولى».. والمراد «صلاة الساعة الأولى».

وقد تعقب ابن بري (ت:٥٨٢هـ) هذا الرأي في معرض ترجيحه لقول المبرد (ت:٢٨٦هـ) - الذي سيأتي إن شاء الله بيانه -.. قال ابن بري: «الأولى غير الصلاة في المعنى، والجامع غير المسجد في المعنى.. وإنما هما صفتان حذف موصوفاهما، وأُقيما مقامهما.. وليس كذلك حروف المعجم؛ لأنه ليس معناه حروف الكلام المعجم، ولا حروف اللفظ المعجم.. إنما المعنى أن الحروف هي المعجمة، فصار من باب إضافة المفعول إلى المصدر كقولهم"

هذه مطيةُ ركوب.. أي من شأنها أن تركب.. وهذا سهم نضال.. أي من شأنه أن يُناضل به.. وكذلك حروف المعجم.. أي من شأنها أن تعجم».

قال أبو عبدالرحمن: سلف أنَّ عَجْمَ الحرف هو نَقْطُهُ، وليست كل حروف الهجاء منقوطة، فكان الأولى أن تكون كلمة «حروف المعجم» للحروف المنقوطة وحسب، وقد أجاب ابن بري عن هذا الاستشكال بقوله: «إنما سميت بذلك، لأن الشكل الواحد إذا اختلف أصواته، فأعجمت بعضها، وتركت بعضها، فقد علم أن هذا المتروك بغير إعجام هو غير الذي من عادته أن يعجم(٢)؛ فقد ارتفع أيضًا ـ بما فعلوا ـ الإشكال والاستبهام عنهما جميعًا.. ولا فرق بين أن يزول الاستبهام عن الحرف بإعمال عليه، أو يقوم مقام الإعجام في الإيضاح والبيان(٣).

وقال الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ): «وناس يجعلون المعجم من الإعجام.. مصدرٌ كالمُدخل والمخرج.. أي من شأنه أن يعجم.. هذا نص الجوهري، وهذا القول ذهب إليه محمد بن يزيد المبرد، وصوَّبه.. كما نَبَّه عليه ابن بري وغيره، وقالوا، هو أسدُّ وأصوب من أن يُذهب إلى قولهم: إنه بمنزلة صلاة الأولى».

قال أبو عبدالرحمن: مضى كلام ابن بري في ذلك.

قال الزَّبيدي: «وسئل أبو العباس عنها فقال: أما أبو عمرو الشيباني (ت:٢٠٦هـ) فيقول: أعجمت: أبهمت.. وأما الفرّاء (ت:٢٠٧هـ) فيقول: هو من أعجمت الحروف.. قال: وسمعت أبا الهيثم يقول: معجم الخط هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط.. وقال الليث (ت:١٧٥هـ): سميت؛ لأنها أعجمية.. إذا قلت: كتاب معجم، فإن تعجيمه تنقيطه؛ لكي تستبين عجمته وتتضح.. قال الأزهري: والذي قاله أبو العباس وأبو الهيثم أبين وأوضح(٤).. وقال الزبيدي: «نص الجوهري: العجم النقط بالسواد.. مثل التاء عليها نقطتان.. يقال: أعجمت الحرف.. والتعجيم مثله.. ولا تقل: عَجَمْتُ.. هذا نصه، وإليه ذهب ثعلب (ت:٢٩١هـ) في فصيحه، ومشى عليه أكثر شراحه.. وقال الأزهري (ت:٣٧٠هـ): سمعت أبا الهيثم يقول: معجم الخط هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط..تقول: أعجمت الكتاب أُعْجمه إعجامًا.. ولا يقال عجمه.. إنما يقال: عجمت العود إذ عضضته، لتعرف صلابته من رخاوته.. وأجازه آخرون، وإليه مال ابن سيده والمصنف.

وإذا كان الجوهري التزم على نفسه الصحيح الفصيح، وهذا لا يثبت عنده على شرطه، فلا يكون ما قاله وهمًا(٥)؛ كما هو ظاهر.

وقال ابن جني: أعجمت الكتاب أزلت استعجامه.

قال أبو عبدالرحمن: تلخص عن إعجام الكتاب ـ في كل ما مضى ـ الأمور التالية مصحوبة بالتفسير، والتعليل، والتوجيه، والنقد:

١ـ إن إعجام الكتاب نقط ما حققه النقط من حروفه.. بلا خلاف من أحد في هذا المعنى.. وضد المعجم المهمل، وهو ما لا ينقط كالحاء والكاف والميم.

٢ـ زعم الجوهري أن أعجمه خلاف أعربه، وقد أسلفت أنه خلاف أهمله.. وضد الإعراب في عموم المعنى اللغوي فقدان البيان، أو وصوله بتعسر.. وضده في الاصطلاح العلمي إغفال التشكيل بحركات الإعراب وحروفه.

٣ـ مأخذ الاشتقاق أنّ أعجمه أزال عجمته.. ذهب إلى ذلك ابن جني، وابن سيده، وابن الأثير.

٤ـ وجه العجمة عند الخليل أن الحروف المقطعة لا تدل على شيء؛ فهي أعجمية.. وإنما تدل إذا وصلت.

ونقل عن أبي عمرو الشيباني: أن أعجمت بمعنى أبهمت.

قال أبو عبدالرحمن: إنْ أريد عموم معنى اللغة فالإعجام إبهام بلا ريب.. وإن أريد خصوص إعجام الكتاب فالمعنى إزالة إبهامه.. لا إبهامه.

وفي تفسير الليث: أن تعجيم الكتاب ـ بمعنى تنقيطه ـ يعني أنك تفعل ذلك من أجل أن تستبين عجمته وتتضح.

قال أبو عبد الرحمن: إن أراد استبانة العجمة بعد النقط بمعنى اتضاح وجودها، فذلك غير صحيح؛ لأن وجود العجمة ووضوحها موجود قبل النقط.. وإن أراد التعبير المجازي؛ ليكون عبَّر عن المسبب بدل السبب، وأن المراد أنه بالإعجام يتضح ما سببه من إبهام؛ فذلك صحيح؛ لأن الاتضاح حينئذ هو زوال العجمة، وهذا هو اللائق بمحمل كلام الليث.

٥ـ مثل ابن سيده لـ «أعجمت الكتاب» بقولهم: «أشكيت زيدًا»، وفسر ذلك بمعنى: زلت له عما يشكوه.

قال أبو عبدالرحمن: المناسب أن يقول: أزلت شكواه بزوالي عما يشكوه؛ ليقع الفعل عليه كما وقع على حروف الكتاب في قولك: أعجمته؛ أي أزلت عجمته.. ومثال ذلك في المهموز: أقذيت فلانًا: بمعنى قمت على إزالة قذاته.. ومثله في المضعف: مرّضت زيدًا.. بمعنى قمت على إزالة مرضه بالعلاج.

٦ـ منع ابن بري جعل حروف المعجم على مثال المسجد الجامع، ومنعُه وتعليلُه في منتهى الصواب. ثم جعل حروف المعجم على مثال «مطية ركوب»، وجعل ذلك من إضافة المفعول الذي هو مطية إلى المصدر الذي هو ركوب.

قال أبو عبدالرحمن: ليس في قولك «حروف المعجم» إضافة مفعول إلى مصدر، وإنما ذلك من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ لأن

قولك حروف المعجم بمعنى الحروف المعجمة.

٧ـ ليست كل حروف الهجاء معجمة، بل بعضها، فكيف توصف كل الحروف بأنها معجمة؟!.. وقد أجاب ابن بري بما حاصله أن إعْجامَ بَعضِها أزال اللبس عن جميعها؛ فصار الإعجام بمعنى الإزالة عامًا لكل الحروف.. وهذا وجه صحيح، فهيئة نطقك للجيم أزال اللبس عما هو في صورتها من الحاء والخاء.

قال أبو عبدالرحمن: وقد يكون وجه ذلك التغليب؛ لأن الحملَ على الأغلب والأشهر عادةُ اللسان العربي، والحروف المنقوطة أكثر، لأنها خمسة عشر حرفًا، وهي الباء، والتاء، والثاء، والجيم، والخاء، والذال، والزاي، والشين، والضاد، والظاء، والغين، والفاء، والقاف، والنون.. بينما الحروف المهملة ثلاثة عشر فقط، وهي الألف، والحاء، والدال، والراء، والسين، والصاد، والطاء، والعين، والكاف، واللام، والميم، والواو، والهاء.

٨ـ لو صح لابن بري أن المعجم مصدر كالمُدخل والمُخرج ـ بضم الميم في كل ذلك ـ: لم يصح أن الحروف مفعول؛ ليكون ذلك من إضافة المفعول إلى المصدر.

٩ـ المحقق أن المصدر الإعجام والإدخال والإخراج.. وكل صيغة فمصدرها واحد، ولا صحة لقول الجمهور بتعدد المصادر.. وإنما بعض الصيغ تعمل على المصدر؛ فظنوها مصادر متعددة من أجل ذلك، ولي تحقيق في هذا أرجو أن تتاح له مناسبة.

١٠ـ قال أبو عبدالرحمن: لا أعلم حجة لمن أجاز «عجمت الكتاب» بتخفيف الجيم دون الهمزة قبل العين؛ لأن المراد بإعجام الإزالة، ولا يحقق هذا المعنى غير صيغتي أَفْعَلَ، أو فَعَّل بتضعيف العين.

قال أبو عبدالرحمن: ومما اشتق من الخفاء والإبهام وكل ما هو ضد البيان المعاني التالية:

أـ استَعْجَم القراءة.. إذا لم يقدر عليها، بسبب غلبة النعاس؛ فالنعاس منعه من استبانة المكتوب، فحمل المكتوب على أنه أعجمي تشبيهًا.

ومنهم من جعل التشبيه للناعس نفسه، فقد ذكر ابن الأثير حديث «إذا كان أحدكم يصلي، فاستعجمت عليه قراءته فلينم».. قال ابن الأثير: أي أُرتِجَ عليه؛ فلم يقدر أن يقرأ.. كأنه صار به عجمة».

قال أبو عبدالرحمن: كلا الوجهين صحيح واقع على التشبيه.

ب ـ العجماء البهيمة. قال الزبيدي: «وإنما سميت عجماء لأنها لا تتكلم كما في الصحاح، وقال غيره: لأنها لا توضح عما في نفسها.. وقال الراغب: من حيث إنها لا تبين عما في نفسها في العبارة إبانة الناطق».

جـ ـ التعاجم التكنية والتورية.. ذكر ذلك الزبيدي في مستدركه، ووجهه أن في ذينك خفاء.

د ـ قال بعض الفقهاء: صلاة النهار عجماء.. المراد أنه لا يجهر فيها بالقراءة، فروعي في ذلك معنى الخفاء.

هـ ـ العجمة ـ بضم العين، وكسرها ـ ما تعقد من الرمل، أو كثرته، أو ما أشرف من الرمل على ما حوله، أو آخر الرمل.

قال أبو عبدالرحمن: وجه الاشتقاق: إما من الإخفاء والخفاء؛ لأنها تخفي من فيها، وتخفَى المعالم على من فيها؛ بسبب تعقد الرمل وكثرته، وإما من الخلو من النفع على التشبيه بما فيه سكوت، وعدم إفادة بالبيان؛ ولا يستبعد إرادة هذا الوجه وإن لم يكن هو الأرجح؛ لأنهم قالوا عن الرملة التي لا شجر بها: عجماء. روى ذلك ابن الأعرابي.

ومما حمل على معنى السكوت قولهم: «فحل أعجم.. فسر أبو عبيدة وجه الاشتقاق بأنه يهدر في شقشقة لا ثُقب لها، فهي في شدقه، ولا يخرج الصوت منها».. قال: «وهم يستحبون إرسال الأخرس في الشَّوْل؛ لأنه لا يكون إلا مئناثًا».

ومما حمل على السكوت استعجام الدار.. قال امرؤ القيس:

صَمَّ صداها وعفا رَسمُها

واستعجمت عن منطقِ السائلِ

قال الزبيدي: «عدَّاه بعن، لأن استعجمت بمعنى سكتت».

وقال الراغب: «واستعجمت الدار.. إذا بان أهلها، ولم يبق فيها عريب.. أي من يبين جوابًا؛ ولذلك قال بعض العرب: خرجت عن بلاد تنطق.. كناية عن عمارتها، وكون السكان فيها».

و ـ ضد البيان والوضوح: الاستغلاق؛ ولهذا نقل الجوهري قولهم: باب مُعجَم ـ بصيغة اسم المفعول ـ بمعنى مُقفَل.. وفسره الراغب بالمبهم.

قال أبو عبدالرحمن: المقفل للباب الحسي، والمبهم للباب المعنوي، وهو الباب من الكتاب إذا لم يُبيَّن عنوانه.

الهوامش

١ـ يتوقع أن ترد ميم «فيعجمه» مفتوحة، ولكنه رفعها، وعلل ذلك الفراء ـ فيما نقله عنه الجوهري ـ بقوله: رفعه على المخالفة؛ لأنه يريد أن يعربه، ولا يريد أن يعجمه. وقال الأخفش: لوقوعه موقع المرفوع؛ لأنه أراد أن يقول: يريد أن يعربه فيقع موقع الإعجام؛ فلما وضع قوله: «فيعجمه» موضع قوله «فيقع» رفعه.

٢ـ قال أبو عبدالرحمن: معنى ذلك أن فعلك الإعجام في بعض الحروف ميَّزها، كما أن ترك الإعجام لبعض الحروف ميزها أيضًا؛ فأفاد الإعجام إزالة الوهم فعلاً، ونتيجة فعل.

٣ـ في الكلام نقص بيان تمامه: أو يقوم مقام الإعجام ـ لما من شأنه أن لا يعجم ـ في الإيضاح والبيان.

٤ـ قال أبو عبدالرحمن: لم يسند هنا لأبي العباس قولاً؛ وإنما أسند روايته.. وإنما الترجيح للإعجام بالنقط لكون الحروف أعجمية.

٥ـ بل يكون صحيحًا، أو محتمل الصحة حسب درجة الثبوت ـ إلا أنه ليس على شرط الجوهري ـ.

نظرية داروين: جاهلية العلم

حسن بن حسين المهنا

تحدثنا من قبل عن الزيف العلمي الذي يختفي خلف هالة ساطعة من الإنجازات المادية الباهرة، ولم تمض إلا برهة من الزمن حتى جاء يوم سألتني فيه ابنتي عن مقولة تطور القرد إلى إنسان، فاستفسرت عن الداعي إلى هذا السؤال، فأجابت بأنها قرأت ذلك في موسوعة علمية للأطفال.

والحق يقال بأن هذا العصر المادي أخذ يرمينا كل يوم بقارعة، ويقذفنا كل حين بفاجعة،وهذا الذي يسمونه علماً يصر على العودة بالناس إلى الجاهلية الأولى، ولن يكفي أن تفسد أخلاق الناس، بل إن عقائدهم ومبادئهم أصبحت تعاني من عقيدة المادية التي راح يبشر بها نفر من الناس غير قليل، بل إن هناك من يبشر بأنها آخر العقائد، فما كدنا نفيق من دهشتنا لمقولة فوكوياما بـ نهاية التاريخ، حتى جاء جون هورغان ليبشرنا بكتابة نهاية العلم، وقال بأن تطور العلوم الصرف قد انتهى، وأن النظريات الكبرى، لداروين وأينشتاين ونيوتن، هي الأساس الدائم للعلم، ولم يعد بعدها شيء جديد ليكتشف.

ما كتبه هذا الرجل يصطدم بمفهوم وأساسيات العلم الحديث نفسه الذي بني على البحث اللانهائي، هذا المفهوم الذي نراه منسجماً مع قوله تعالى: وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً الإسراء:٨٥. وقوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحَقُّ، أَوَلَم يكف بربِّك أنه على كل شيء شهيد فصلت:٥٣. ومن ناحية أخرى، فإن هذه المقولة تبين لنا أن الطغيان المادي وأصحابه ليسوا أهلاً لقيادة البشر، أو صنع الحضارات، وأنهم إذا كانت ذروة إنتاجهم هي ما نراه اليوم، مقتصراً على الماديات دون الروحانيات، وأن السعادة ـ كما يرونها ـ في الاستمتاع الجشع بكل ما في الدنيا من ملذات، فإن ذلك إقرار واضح بالإخفاق مع زعمهم بتطور الحيوان إلى إنسان، إذ تدهور معنى الإنسانية ـ في ظل المادية ـ وأصبح والبهيمية سواء.

من ناحية ثالثة يتبين لنا أن اتهام الماديين للدين بأنه مجموعة من الأوامر الغيبية الغامضة التي لا يجوز التدبر في أسبابها أو الحكمة منها خطأ فادح، وفرية واضحة، حيث إنهم ينسبون العقلانية والحكمة كلها إلى العلم الطبيعي المادي والمشتغلين به فقط، فيزعمون أنه ليس فيه من الغموض مثل ما في الأديان. وأنهم لهذا يبيحون القول بنهاية العلم، وصلاحية نظرياته كأساس أبدي دائم للإنسانية، ولكنهم يرفضون أن يكون الإسلام صالحًا لاتباع ما جاء به إلى يوم القيامة.

وهنا لعل من المفيد أن نذكر المؤلف، بما سطره في كتابه نهاية العلم عن أحد أعظم علماء هذا العصر، حيث قال بأن تكهنات البروفيسور ستيفن هوكينج وأمثاله عن الثقوب السوداء ليست علمية، ولا تختلف عن تكهنات ونظريات الفلاسفة القدماء. فإذا كان هذا صحيحًا، وكان أعظم المشتغلين بالعلم يخبطون خبط عشواء، فإننا لا نرى هؤلاء العلماءالمعاصرين قد وصلوا إلى أقصى مقدرتهم، ونحن نرجو الله أن ييسر للبشرية علماء آخرين يأخذون بنهاية العلم الحالية، إلى آفاق جديدة.

أسلمة العلوم: كيف ولماذا؟

ولنضع الأمور في نصابها، فنحن لا يضيرنا أن تخرج العلوم كل يوم بجديد، ولا أن نتقبل ونستفيد مما صنعه غيرنا، ولا نقصد أن نتعصب تعصبًا أعمى أو نعود القهقرى كما يقول بعض الناس، إننا ندعو إلى المعاصرة والريادة العلمية والتقنية، وندعو إلى سباقات حضارية واعية رشيدة، ونتوجه في هذه الأسطر إلى المنظمات الإسلامية المتخصصة أو القريبة من هذا المجال، مثل المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، وهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لبذل المزيد من الجهد في مزج دماء هذه الأمة بالتقدم العلمي والتقني، مدفوعة بالرسالة الإسلامية التي حثت على التدبر في أرجاء هذا الكون.

هذه المنظمات مشكورة على جهدها في هذا العصر الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، ولكنَّ لنا طلبًا نتقدم به من منطلق الغيرة على هذا الدين، والاهتمام بمستقبل المجتمع الإسلامي، فنقترح على الهيئة ألا تكتفي بالتركيز على الإعجاز العلمي في القرآن، بل أن تأخذ على عاتقها أن تكون حلقة وصل بين الأمة من جهة، وعلماء الدين والعلوم الطبيعية من جهة أخرى، بمعنى ألا تكتفي بالعموميات، بل تبين الإشكالات التفصيلية للتساؤلات المعاصرة بين أفراد الأمة، وتتصدى للتداعيات الكبرى للمادية، وتعالج مرض الانبهار الكبير بدور العلوم والتقنية، فإن غفل العلماء والمنظمات عن هذه الأمور، سيذهب المسلمون في ذلك مذاهب شتى ويخبطون خبط عشواء، بلا علم أو بصيرة.

ولنتوقف قليلاً عند قضية «أسلمة العلوم» وهي قضية واردة في هذا الصدد، ولكنها محل أخذ ورد بين بعض المسلمين، وقد طرحت القضية يومًا ما في أروقة بعض الجامعات، وكان ذلك في الوقت الذي كان المسلمون فيه يذبحون في البوسنة والهرسك، ولذلك فإن بعضهم لم يخفوا سخريتهم منه، وقالوا بأن المسلمين يُقتَلون في

كل مكان، بينما يريد فريق من الناس تحويل العلوم الكافرة إلى علوم مسلمة!!.

ومع أن لدينا تحفظات على طريقة تناول بعض المفكرين لموضوع العلوم الطبيعية، فضلاً عن القول بأسلمتها، (مما يذكرنا أيضًا بقضية الأدب الإسلامي والأدب غير الإسلامي). لكن القضية مع ذلك ليست ترفًا فكريًا، بل تتلخص في البحث عن كل ما يحيط بعقائدنا من تساؤلات ذات صبغة علمية طبيعية، والإجابة عنها قبل أن تنمو الأجيال الناشئة (التي ترعرعت في ظل الطفرة المادية) فلا تجد أجوبة جاهزة عن تساؤلاتها، إننا قد ربينا - ولله الحمد - بطريقة انغرست فيها المفاهيم والعقائد الصحيحة في نفوسنا، وأصبحت لا تهزها المستجدات المتسارعة، ولكن الحال تختلف مع الأجيال الشابة التي تحيط بها ظروف لا تحسد عليها .

ويتمثل الدور المأمول من المنظمات الإسلامية المعنية في تنسيق أكبر بين علماء العقيدة والشريعة من جهة وعلماء الطبيعة ومهندسي التقنية من ناحية أخرى، في تحديد الإشكالات ومحاولة حلها قبل أن تكبر وتتضخم. ونضرب على ذلك مثالاً واحدًا، لعله يكفي، فنحن نعلم أن نظرية التطور، وتحول كائنات أخرى بالطفرة، فرية واضحة وكذبة كبرى، وسنبين ذلك في الصفحات التالية، ولكننا نتساءل عن موقف الإسلام من القول بحدوث التطور أو التحور في الفصيلة الواحدة من المخلوقات؟ هل هناك ما يمنع التصديق بذلك من الناحية الشرعية؟ هل هناك في العقيدة ما يمنع أن تتطور (أوتتحور) مخلوقات في ألوانها أو أحجامها بحيث لا تتحول إلى فصيلة أخرى؟

التحور والتكييف الشرعي له

وفي هذا الصدد نلفت النظر إلى اختلاف الأجناس في كل فصيلة من المخلوقات، والاختلاف بين الأجناس البشرية، فمع أن البشر كلهم من أصل واحد، إلا أنهم اختلفوا في صفاتهم وخصائصهم وأصبح لكل فئة (قوم) أشكال وخصائص معينة ثابتة يتوارثونها، فيمكنك أن تعرف أن هذا أفريقي وذاك آسيوي، وأن هذا أوربي أو من الهنود الحمر أو من آسيا الوسطى، والجميع - بالطبع - مازالوا من فصيلة واحدة ويمكن التزاوج بينهم مثلاً، فهل يجوز القول بأن التطور في الفصيلة الواحدة يحدث - بقدرة الله - فتتحول الفصيلة الواحدة إلى فئات مختلفة من الفصيلة نفسها؟

إننا نتساءل ونحن نتذكر ما طالعتنا به وسائل الإعلام المقروءة والمرئية من أن هناك قبائل من البشرلهم أقدام تختلف عن أقدامنا ذات الأصابع الخمسة، حيث رأينا في بعض المجلات استطلاعات عن بشر مثلنا، ولهم أقدام مشقوقة إلى شقين كأرجل النعام، وتم تصويرهم وهم يرفعون أقدامهم في اتجاه آلات التصوير، وهم يضحكون، وهم لا شك بشر مثلنا من جميع النواحي الأخرى. فما هو التكييف الشرعي الذي يراه العالم المسلم في هذه الحالة؟.

أسلمة العلوم ليست ترفًا فكريًا، بل تتلخص في البحث عن كل ما يحيط بعقائدنا من تساؤلات ذات صبغة علمية طبيعية

إن لدى الماديين التطوريين ذخيرة لا تنفد من وسائل خلخلة الإيمان في النفوس الضعيفة، أهمها التركيز على حب المرء لنفسه، وانسياق النفوس الضعيفة وراء الشهوات. ولكن لديهم أيضًا وسائل علمية، وشواهد مخبرية تجريبية، أحرى بنا أن نتأقلم على التعامل معها، فهناك مثلاً ما يطرحونه عن عملية تحور حدثت في فترة معاصرة لفراشة العث (كتاب العلم في ١٠٠١سؤال ص: ٧١-٧٣) حيث يقولون بأن فراشة العث في إنجلترا كانت منقطة بنقاط بيضاء، فلما بدأت الثورة الصناعية في بريطانيا، وصارت البيئة المحيطة بها رمادية اللون بسبب الدخان، أصبح لون هذه الفراشات رماديًا خاليًا من النقط البيضاء، واستمر هذا الأمر جيلاً بعد جيل، لسنوات عديدة، وأمكن للعلماء مراقبة ذلك نظرًا لقصر عمر هذه الفراشات، وحين انتشرت حركة المحافظة على البيئة، وقل الدخان في البيئة المحيطة، تطورت الفراشات مرة أخرى، وتغير لونها ثانية إلى اللون المنقط، وهي الآن تتوارث هذه النقط جيلاً بعد جيل.

في هذا المثال، يمكننا نحن المسلمين أن نقول بأن هذا التحور البسيط حدث لفصيلة معينة، ولكنها لم تتحول إلى فصيلة أخرى بحال من الأحوال، ويمكن للمسلم المختص بالعلوم الطبيعية أن يقول بأنه لا اعتراض على تحور يحدث - بإذن الله - لفصيلة ما حتى تتأقلم مع بيئتها، وهو يشبه ما يحدث لنا حين نتعرض لأشعة الشمس، فتتحول ألوان جلودنا إلى السمرة، ونعود إلى داخل بيوتنا، فتعود ألوان البشرة إلى ما كانت عليه، والأمر الجديد في قضية الفراشات أن سمرة أجنحتها استمرت في ذريتها جيلاً بعد جيل، أي إن الفصيلة تحورت إلى لون مختلف، ولكنها بقيت كما هي، ولم تتحول إلى فصيلة أخرى. هذا كله يمكن أن يقال إذا اتفق علماء الطبيعيات المسلمون مع علماء العقيدة والفقه، فإن لم يتفقوا فلا زال عليهم الخروج بأجوبة شافية للأجيال التالية (والحائرة) من المسلمين، وهذه الأجوبة جزء من الأمانة التي نرجو أن تتحملها المنظمات الإسلامية المعاصرة، والمختصة بالعلوم والتقنيات.

هل يعني هذا أننا نسعى إلى التوافق مع أقوال التطوريين على كل حال؟ أبدًا ليس هذا قصدنا، ولكننا نحاول أن نوفق بين الفكر الإسلامي والنظريات التي لا يبدو أنها تصطدم مع الإسلام، حيث لا داعي لاستنزاف طاقتنا في معارك ومواجهات لا داعي لها، لكننا - بلاشك - نقف بصلابة ضد مقولة داروين بتحول فصيلة إلى فصيلة أخرى حسب نظريته المعروفة.

لقد قال داروين بالانتخاب الطبيعي، وقال بأن بعض الكائنات تعرضت لظروف معينة في بعض المناطق، فتحولت ذريتها في تلك المنطقة إلى كائنات متحورة أو مختلفة، للتمكن من التأقلم مع الواقع الجديد، بينما بقيت الكائنات المماثلة في المناطق الأخرى بدون تغيير، والماديون الذين اتبعوه قد يستشهدون ببعض الكائنات التي تتعرض للمبيدات في منطقة ما، حيث يموت بعضها ويبقى بعضها سليمًا، وينتج حشرات لا تتأثر بتلك المبيدات، هكذا تتنوع الفصيلة الواحدة من الحشرات، فتوجد فئة تتأثر بالمبيدات وفئة لا تتأثر. ولكن القضية ضمن هذا الإطار لا تستدعي تحول فصيلة إلى فصيلة أخرى كما يقولون، فكيف يقبل عالم من العلماء أن يستدل بتحور بسيط يطرأ على فصيلةمعينة، ليستشهد به في إمكانية تحولها إلى فصيلة أخرى؟ ألا يرون في هذا خروجًا عن الوسائل المعقولة للاستنباط العلمي؟.

الماديون وعبثية الخلق

وبالرغم من تركيزنا على استحالة تطور فصيلة إلى فصيلة أخرى، فإن الجدل والتصادم حول هذه النظرية لم ينشأ من مجرد القول بتطور القرد إلى إنسان، بل يدعي الماديون بأن الكون كله ابتدأ من دون خالق، ثم ظهرت الأرض كما نعرفها الآن، وفي مستنقعات هذه الأرض بدأ تكون الأحماض الأمينية التي تحولت بعد ذلك إلى البروتينات (أساس الخلية الحية)، فنشأت بعض البروتينات المعقدةالتي نبضت فيها الحياة بعد ذلك ثم تطورت الكائنات الوحيدة الخلية إلى كائنات أخرى أكبر وأكثر تعقيداً .

والتطوريون يدعمون إيمانهم بنظريتهم بما تحقق في مختبرات التقنية من تكوين مواد كيماوية بروتينية على أيدي الكيميائيين، وظهرت عليها بعد ذلك بعض الأعراض التي تشبه أعراض الحياة مثل الانقسام والتكاثر، كما يستندون إلى أن البذور مثلاً قد نخزنها مئات السنين بلا هواء، أو تحت درجة التجمد وتعدّ

ميتة)، لكنها بعد ذلك يمكن أن تدب فيها الحياة بإضافة الماء إليها. وهذه كلها أمور تشير - في رأيهم - إلى أن فكرة الروح كما هي في تصور المتدينين، أمر غير صحيح.

وقد تسابق كثيرون في تصميم تجارب تدعم نظرية داروين، فقام أحد الداروينيين، واسمه ستانلي ميللر، بتصميم تجربة ليثبت بأن الأحماض الأمينية (اللبنة الأساسية للبروتينات) تكونت في المستنقعات بشكل طبيعي، حيث تتجمع في المستنقعات عدة مواد كيماوية، منها الماء وغاز الميثان (الناتج مما تنفث البراكين) وغاز الأمونيا ومواد أخرى، حيث قام بتوصيل أنابيب ودوارق زجاجية وأقطاب كهربية (يحاكي بذلك البرق في الطبيعة)، وتكونت فعلاً أحماض أمينية.

وبالرغم من أن البعض رأوا التجربة بأعينهم فقد أعادوا التجربة في مختبراتهم للتأكد، فلم يحصلوا على تلك الأحماض بتلك الكمية، واتضح بعد ذلك أن ميللر كان يستعمل مضخة ونظام ترشيح، فيفصل الأحماض الأمينية الناتجة، بينما يعيد ضخ المواد الأصلية التي لم يتم تفاعلها، ليسلط عليها الشرارة من جديد فتتكون كمية أخرى من الأحماض. أما في التجربة التي أعادها الآخرون فلم يعملوا على ترشيح الأحماض الناتجة وفصلها، بل تركت حيث هي في قنينة التفاعل نفسها، فلما تعرضت الأحماض الأمينية الناتجة للشرارة الثانية تفككت إلى موادها الأولية، وهكذا كلما سلطت الشرارة تكونت أحماض أمينية قليلة، ولكن تفككت الأحماض التي تكونت سابقًا، وهذا الأمر كثيرًا ما يحدث في التفاعلات الكيماوية، ويطلق عليه: التوازن الكيماوي، وهنا لا حاجة لأن نذكر أن المستنقعات في الطبيعة ليس فيها مرشحات لفصل الأحماض الناتجة عن المواد المتفاعلة، وقد سقط بذلك فصل آخر من مسرحية داروين.

وقد يتساءل قارئ عما ذكرناه من أن بعض الخلايا المصنوعة في المختبرات قد تكاثرت فعلاً، فالتكاثر من سمات وخصائص الكائنات الحية، وهذا إذا ثبت فإنه يدل على صحة ما يقال من تطور الكيماويات المعقدة إلى كائنات حية، فكيف يمكن لنا بصفتنا مسلمين معارضة شيء كهذا إذا كان حدث؟ للجواب عن هذا لا بد من إعادة التجربة في المختبر أولاً، على أننا وبسبب قناعتنا بنوعية الاستنتاجات المتعجلة وغير الواعية لدى هؤلاء، نستطيع أن نلفت النظر إلى نقطة مهمة؛ ففي علم الكيمياء ما يسمى بالتفاعلات المتسلسلة Chain reactions وفيها تقوم المواد الناتجة من التفاعل بالدخول في مراحل أخرى من التفاعل لتنتج كميات أخرى من المواد نفسها، ومن الأمثلة على هذه التفاعلات تأثير الكلوروفلوروكربونات في طبقة الأوزون، حيث يتخذ التفاعل صفة المتوالية الهندسية. فتقوم جزيئات الفريون بتدمير جزيئات الأوزون، وتستمر التفاعلات لينتج منها مزيد من الهالوجينات أو المنسلخات الحرة (free radicals)، التي تستمر في عملية التدمير، والذي نتصوره أن المواد الكيماوية الناتجة في التجارب المذكورة قد دخلت في تفاعلات متسلسلة معقدة أو غير معروفة، ففسروا الأمر على أنه تكاثر.

ونعود إلى الظواهر الخادعة التي قد تفسر على أنها من خصائص الحياة، فنتذكر أننا اشتركنا في برنامج عرض كيماوي سحري قبل عقدين من الزمان، وكان الهدف منه جذب الطلاب الجامعيين لدراسة الكيمياء، وكان أحد العروض يتكون من صحن صغير في قاعه كمية من الزئبق، ووضع في الصحن مسمار انغمس طرفه المدبب في الزئبق، كما غطت الزئبق طبقة سائلة من بعض المواد الكيماوية، المدهش في الأمر أن الزئبق كان يتحرك بين لحظة وأخرى مثل حركة نبض القلب تمامًا؛ وكان المنظر عجيبًا لمن يراه لأول مرة، لكن العملية لا تزيد على تفاعل كيماوي معين وليست مظهرًا من مظاهر الحياة أبدًا.

نظرية داروين والتدبير الأعمى

نعود إلى نظرية داروين، وهي قضية ملأت الدنيا وشغلت الناس، وما يكاد خبر علمي يخرج إلى الواجهات الإعلامية حتى تتصدرالموضوع مقولة داروين، وهي لهذا تفرض فرضًا عبرالإعلام العالمي كأساس فكري بديهي، بينما هي نظرية لا يزال الجدال محتدمًا حولها بين الأقوام الذين ابتدعوها، ونتذكر في هذا الصدد مقابلة حدثت في سبتمبر/ أيلول ١٩٩٦م في محطة إذاعيةأجنبية، دار الحديث فيها حول ثلاث قصص حدثت في تلك السنة: وهي اكتشاف ما قيل عنه إنه كائنات ميكروبية من المريخ، ودلائل الحياة على أحدأقمار المشتري، ووجود كائنات أرضية «صنفت بين الميكروبات والأحياءالأخرى» تعيش في مناطق حرارة عالية وتتجمد في حرارة الغرفة، وتشعب الحديث عن المؤمنين بالله وغير المؤمنين، والتفسيرات المختلفة للظواهر الطبيعية، فكان هناك من يقول بوجود ذكاء وراءهذه المخلوقات، حسب تعبيرهم، أي وجود خالق مدبر، ومنهم من ينكر ذلك.

وقال أحد المنكرين لوجود الخالق عز وجل، وله كتاب اسمه التدبير الأعمى Blind Intelligence، بأنه ليس هناك تدبير، وأن الأمر لا يزيد عن مصادفة محضة، فرد عليه العالم المؤمن بالله بتساؤل عن حشرة معينة لها أرجل كثيرة، حيث إن النظر إلى أرجلها من خلال مجهر يبين أنها مركبة من عدة أجزاء متكاملة لتؤدي الغرض منها بالضبط، ولو كانت عضوًا واحدًا فقط لأمكن القول بأنه تطورمصادفة ليؤدي غرضاً، ولكنها مركبة من عدة أجزاء متكاملة لو تطور كل واحد منها بمفرده لما أدى الغرض المنشود، فما هو تفسير التطوريين؟

وهذه ملاحظة مهمة ينبغي علينا التمعن فيها، فإيمان التطوريين بالمصادفة يجعلهم يقبلون أن تحدث طفرة تشكل عضوًا ما لغرض محدد، ولكن حدوث عدة طفرات عشوائية لتتكامل بينها، وتكون شيئًا ذا غرض محدد هو السخف بعينه. ويمكننا أن نضرب مثلاً بالنباتات الآكلة للحشرات فهي أساسًا نبات، وآليه الصيد فيها تتكون من الآتي:

قمع أملس جدًا من الداخل، لتسقط في داخله الحشرات إذا وقفت عليه .

لبعض هذه النباتات طبق به غطاء مفتوح يشبه المحار، ينغلق على الحشرات بمجرد وقوفها عليه.

القمع والطبق مزينان بألوان جذابة، مثل الزهور، لجذب الحشرات.

في جوف القمع أو الطبق عصارة هاضمة، تقع فيها الحشرات فتهضمها.

فلو افترضنا أن مصادفة أدت إلى تحور ورقة من النبات لتكون بشكل حوض أو طبق فالأمر يحتاج إلى مصادفة عشوائية أخرى لتزيينها بألوان جذابة، ومصادفة عشوائية أخرى لتكوين عضلات وجهاز استشعار لجعل الطبق ينغلق على الحشرة، ومصادفة أخرى لتحويل القمع إلى قمع أملس جدًا لاتستطيع الحشرة أن تقف عليه، بينما نحن نرى الحشرات تقف حتى على الزجاج الأملس، وهناك حاجة لمصادفة عشوائية أخرى لتوفير عصارة لهضم الحشرات بعد وقوعها ... إلخ. وإذا كان التطوريون على استعداد لتقبل سلسلة المصادفات هذه، فنحن قد أرحنا عقولنا، وقلنا بأن الله خلقها فأبدع خلقها.

ولنا سؤال نوجهه إليهم لاختبار مستواهم العقلي،

الجدل والتصادم حول نظرية داروين لم ينشأ من مجرد القول بتطور القرد إلى إنسان ، بل يدعي الماديون بأن الكون كله ابتدأ من دون خالق

كيف ولماذا تطور الطبق أو القمع الأملس؟ مادام أنه استمر لأحقاب وقرون طويلة (حسب لغتهم ونظرياتهم) في انتظار تطورالأجهزة الأخرى من جهاز الاستشعار أو العصارة الهاضمة، فإما أن تكون الأجزاء كلها قد ظهرت جميعًا (بتدبير مدبر) لتأدية الغرض منها، أو أنهم يناقضون أنفسهم بظهور الجزء الأول وحده لأنه تطور من دون سبب ولا غرض طول الفترة التي احتاج إليها تطور الأجزاء الأخرى التي لا يمكن من دونها صيد الحشرات.

الماديون وخطورتهم على تفكير النشء

ويمكننا أن نمضي قدمًا في مناقشة التطوريين وادعاءاتهم، ومنهم الدكتور ويل بروفاي، وهو عالم أحياء واختصاصي في تاريخ العلوم في جامعة كورنيل الأمريكية. وهو ملحد ومتطرف جدًا في إلحاده، ويقول بأن الخلقيين(أي المؤمنين بأ ن الله هو الخالق) يخافون من تحول أبنائهم وبناتهم إلى منهجه، وهو يتجول في أنحاء بلاده ويشرح التطور لطلبة المرحلة الثانوية، حيث أثمرت هذه الجولات في تحويل عقول شباب صغار ليس لديهم علم ولا فهم إلى الاتباع الأعمى والقول بالتطور، وقالت إحدى الطالبات المتعصبات لآرائه، وهي مراهقة في السادسة عشرة: أنا ضد فكرة إرغامنا في المدارس على القول بالخلق (أي خلق السماوات والأرض)، إنني ضد تدريس الدين في المدارس، والبعض لا يكتفي بما يسمعه يوم الأحد (في الكنيسة) بل يريدون سماع ذلك كل يوم، وهم لا يدركون أنهم يحرمون الناس من التعلم الحر(!!!).

وهذه عينة مما يقوله الدكتور بروفاين في محاضراته: أنا ملحد ومؤمن بالتطور، ومؤمن بالتبعات الهائلة لفكرة التطور، وأود أن أسألكم: ما التبعات المترتبة على الإيمان بالتطور؟ أجاب أحد الطلاب: يترتب على ذلك أننا لا نؤمن بالله والخلق. فأجابه: أحسنت. وسأله أحد الطلاب: ماذا عن القيم الأخلاقية، فأنت تبدو رجلاً خلوقًا وطيبًا، والأخلاق الحسنة مما تدعو إليه التعاليم الدينية السماوية، أجاب بأن والديه ربياه تربية حسنة، وأن مجتمعنا يفعل هذا عمومًا، يعلم الآباء أطفالهم بأن التعامل الطيب ينعكس على الشخص بشعور الرضا والسعادة، ولكن هذا شعور نفسي أناني، له علاقة بسعادة الشخص نفسه، ولكن لا علاقة له بالأخلاق أو التعاليم الدينية!!.

وعاد الدكتور بروفاين للحديث عن الموت فقال: إن التراث الثقافي (أي الأديان) عدَّ الإنسان خاصًا جدًا إلى درجة أنه لا يموت، وأصرَّ على أن الشخص إذا مات فإنه يعيش حياة أخرى، ولكن التطور يعلمنا أنه لا أحد يعيش بعد الموت، ثم سأل الطلاب: من منكم يود أن يعيش حياة أخرى بعد الموت، فرفع أكثرهم أيديهم، فقال الدكتور بروفاين: حتى أنا أود ذلك، ولكن هيهات، فليست هناك حياة بعد الموت، وهو يقصد بذلك أن الإيمان بالبعث مجرد تمنيات للإنسان صاغها في شكل عقيدة ودين وإيمان.

وبعد أن عرفنا آراءه، يمكننا أن نتوقف عند حقيقة تخفي وراءهاالسر حول آرائه المتطرفة وتجعلنا نمحص أغلب الحقائق العلمية التي يتخبط فيها هو وأمثاله، فالدكتور بروفاين اعترف بأنه يعاني من ورم في المخ ولن يعيش لسنوات طويلة، وقال بأن فكرة التطور جعلته يتأقلم مع وضعه، حيث أدرك أن كل مخلوق آخر سيموت، وليس هو فقط.

إننا نستنتج من ذلك أنه يعاني من عقدة كراهية بسبب مرضه، ويسأل: لماذا أنا بالذات؟ لماذا يستمتع الآخرون بهذه الحياة، بينما أموت أنا وأتركها؟ ولو أن طبيبًا تسلل إلى داخل نفسه وواجهه بذلك لتضعضعت ثقته المصطنعة بنفسه وبعلمه، وأجهش بالبكاء، ولقال لنا الطبيب النفسي بأن موقفه المتطرف كان لتغطية مشاعره المنكسرة، وكرهه لسعادة الآخرين، ولعل تركيزه على الشباب دليل قوي على ذلك حيث إنه يرى أمامهم حياة طويلة، بعكس حالته، فيريد أن يذيقهم من مشاعر الاستسلام لحتمية الفناء الأبدي.

هذا الرجل يقول بأن فكرة البعث أمنيات وأحلام للمتدينين، ونحن نقول أولاً: شفاه الله وهداه، ونقول ثانيًا بأن فكرة عدم البعث «اللابعث»حلم لنفس مريضة لا تريد للآخرين الاستمتاع بدنيا ولا آخرة، نفس تريد أن تحرم النفوس الأخرى من بهجة السعادة وحلاوة الإيمان، وطمأنينة اليقين... كما حرمت هي من الاستمتاع ببهجة هذه الحياة.

هل ما نقوله هذا مجرد تعبيرات إنشائية؟ لو كانت تعبيرات إنشائية فماذ يمكن أن يقال تعقيبًا على حديثه وقوله: هل تودون أن هناك حياة أخرى، هيهات، ليست هناك حياة. أليس هذا كلاماً إنشائيًا ألقاه جزافًا ويفتقر إلى دليل؟ هل مات وعاد من الموت مثلاً ، حتى يخبرنا بكل ثقة أنه لم ير شيئًا بعد الموت؟ ثم ليفسر لنا هذا الرجل العالم، كيف يمكن أن تكون هناك مصادفة عشوائية تجيء بنا إلى هذه الحياة، وتوفر لنا هذه الحياة البهيجة الثرية بكل ما هو ممتع وجميل وغريب، ويجزم بعد ذلك جزمًا قاطعًا بأننا لن نذهب إلى حياة أخرى؟

ما دام الأمر عشوائيًا كما يقول، والمصادفات المتلاحقة تنهمر كالمطر الغزير، كما يعتقد، فكل شيءجائز وممكن، أم أنه يجزم بالمصادفة التي صادفت هواه فقط.

عالمان لادينيان يقتدان نظرية داروين

ومن الدكتور بروفاين ننطلق إلى مقابلة اثنين من العلماء المعارضين بشدة لداروين ونظريته، ولكن قبل ذلك نستدرك، فقد يتساءل البعض من المتذبذبين: في كل مجتمع قد نرى شخصًا أو اثنين أو جماعة ممن يشذون عن العرف السائد والمبادئ والأفكار التي انعقد عليها الإجماع في ذلك المجتمع، فهل يكفي أن نستدل بأي اثنين من العلماء ضد علم متواتر وموثوق ومدروس كنظرية داروين؟ وقد تكون لهذا الجواب وجاهته لو أننا استشهدنا ببعض العلماء المتدينين الغربيين وهم كثرة، لكننا نستشهد هنا باثنين من غير المؤمنين أساسًا، ولا يتبعان أي دين من الأديان. وعدم إيمانهما بنظرية التطور لم يجعلهما تلقائيًا من المؤمنين بالله. بل إنهما يريان أن هناك ما لا يزال غامضًا ولا زالا في مرحلة البحث عنه.

هذان العالمان لم يقعا أسيرين للأعراف العلمية السائدة، غاية ما في الأمر أن البحث العلمي العميق أوضح لهما ثغرات واسعة في نظرية داروين. كما أنهما رأيا أن العرف السائد يحد أحيانًا من حرية الفكر العلمي حتى لو كان ذلك باسم العلم وإجماع العلماء في ذلك العصر. ويريان أن أساس البحث العلمي النزيه هو التجرد والموضوعية. ونحن نرى بوصفنا مؤمنين بالله نشد على يدي من هم بهذه العقلية الحرة، ونرى هذين العالمين سائرين - إن شاء الله - في أول الطريق التي دعا الإسلام إلى سلوكها من التفكر والتدبر.

المقابلة الأولى مع الدكتور باري سينوبثي، عالم الأحياء الجزيئية Molecular biologist وقد عمل سبع سنوات في المعهد الوطني الأمريكي للصحة، وثلاث سنوات في جامعة وسكونسن، ثم أسس شركة للتقنية الحيوية، وألف كتاب الولادة المستقلة للكائنات الحية:Independent Birth of Orgnisms، يقول الدكتور سينوبثي بأن نظرية داروين تفسر تطور فصيلة معينة، ولكنها لا تفسر ظهور الفصائل والأنواع الجديدة، وسجل الأحافير مملوء بالثغرات إلى درجة أن فكرة الحلقة المفقودة ما هي إلا خيال محض. ويقول بأنه لا يمكن أن تتحول فصيلة ما إلى أخرى مختلفة تمامًا، وأن جميع الكائنات الحية «النباتية والحيوانية»، نشأت معًا أثناء ما أسماه الانفجار الكامبريوني قبل نصف بليون سنة،

عالمان لا يتبعان أي دين من الأديان توصلا إلى ثغرات في نظرية دارون ، وقد يكونان سائرين في أول الطريق إلى الإسلام

وتطورت بعد ذلك بصفة مستقلة بعضها عن بعض.

يقول بأنه توصل إلى هذه الاستنتاجات بعد بحوث طويلة استغرقت عشرين عامًا، طرح خلالها أسئلة كثيرة على أتباع نظرية التطور فلم يجد لديهم جوابًا، لأنهم يجهلون كثيرًا من جوانب عملية التطور، وهي ثغرات واضحة في النظرية، فتساءل مثلاً: كيف تطورت الأخلاط الكيماوية في المستنقعات البدائية إلى مواد حيوية، وأصبحت كائنات حيةمن ذوات الخلية الواحدة؟ ثم كيف تطورت الكائنات ذات الخلية إلى كائنات متعددة الخلايا مثل الأميبيا؟ إنهم يعجزون عن تفسير ذلك.

ثم قال بأن داروين نفسه ذهب إلى جزر غالاباغوس، وكتب ملاحظاته عن السلاحف الضخمة هناك، ورأى أنها تختلف قليلاً من جزيرة إلى أخرى، فاستنتج أن الأصناف تتطور وتتحور إذا كانت في مناطق جغرافية معزولة بعضها عن بعض، وهذا أمر لا غبار عليه، فملاحظاته عن فصيلة واحدة، والتغييرات ضمن الفصيلة أمر صحيح، ولا زال العلماء يلاحظون حدوثها. لكن داروين عمم ملاحظاته على التطور بين الأنواع، وقال بالانتخاب الطبيعي وهذا أمر غير صحيح.

الإنسان لم يكن قردًا!!

وقد سئل إن كان يعارض مقولة تطور الإنسان من القردة، فأجاب: فعلاً، الإنسان لم يتطور من قرد، فلنتمعن في جينات الكائنات الحية ابتداء من البكتريا، سنرى حينئذ أن تركيبة الجينات في البكتريوم تختلف تمامًا عن تركيبة الجينات في الكائنات الأخرى النباتية والحيوانية كلها، ولا زال العلماء يحاولون فهم هذه الكائنات، فكيف نقول بأن هذا تطور من ذاك؟ ولو ارتقينا في سلسلة الكائنات الحية لرأينا أن جينات بروتين بلازما الدم في الحيوانات الفقارية مختلفة تمامًا عن جينات بروتين سوائل اللافقاريات، بل لا يتماثل زوج واحد منها، فكيف يمكن القول بأن الفقاريات تطورت من اللافقاريات كما تقول نظرية داروين؟.

وسئل عن التجارب الحديثة في الهندسة الوراثية، ألا يمكن أن تثبت نظرية التطور؟ فما يفعله الإنسان من التلاعب بالجينات يثبت أن الجينات يمكن تغييرها. فأجاب: لنسأل عن دم سرطان البحر مثلاً «ونسميه دمًا بصفة مجازية»، فسوائل جسمه تختلف تمامًا عن سوائل الفقاريات، بل إن السرطان ودودة الأرض يختلفان تمامًا من ناحية الدم والجينات والبروتينات، ولا يتماثلان في أي شيء منها، ولا يمكن لنظرية داروين أن تفسر هذا، لأنه لو تطور بعض منها إلى الآخر لأمكن وجود بعض الجينات التي تتشابه فيها ولوبصفة جزئية.

ثم صب انتقاداته على التطوريين، فهم ينظرون إلى جزء من المسألة فقط، ولكنهم لو نظروا إلى المسألة برمتها من منظور واسع لما أمكنهم تفسير ما يرون من النظرية، وهم مقتنعون بصدق نظريتهم، ويطرحون جانبًا أي شيء لا يستطيعون تفسيره، كما أنهم يتهمون كل من لا يؤمن بنظرية داروين بأن كلامه غير علمي، أو بأنه من الخلقيين الذين يؤمنون بالخلق.

ولنركز اهتمامنا وعقولنا فيما جاء في المقابلة الأخيرة، وهي مقابلة مع عالم مختص بفيزياء الفلك هو الدكتور أرنا ويللر، وقد عمل أستاذاً في أكاديمية العلوم الملكية السويدية لمدة عشرين عامًا، ونشر كتابًا أسماه العقل الكوكبي The Pleanetary Mind، وقال في المقابلة: إن التطور لا يفسر لنا ظهور فصائل جديدة من المخلوقات، كما أنه لا يفسر لنا التعقيد الشديد في فسيولوجية الحيوانات، وطرح نظرية مؤداها أن هناك حقلاً من الإدراك المحيط بالمخلوقات، وقد نظم الجزيئات المادية في أنظمة معقدة: كالرادارات الصوتية في الخفاش، والبصر التلسكوبي والعيون التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء في الحية ذات الجرس .فكيف يمكن للمصادفة وحدها أن تخلق شيئًا كهذا؟ إننا نعلم أن عمر الكون هو ثلاثة مليارات عام ونصف المليار. وهذ الزمن - على الرغم من طوله - غير كاف لصنع هذا كله بالمصادفات العشوائية.

واستمر في حديثه قائلاً : إن العائق الإحصائي الذي يوضح عدم إمكانية حدوث مصادفات التطور هي بمكان بحيث إن علينا أن نقفز خارج التيار الفكري الحالي، ونقف خارج الصف الفكري حتى يتسنى لنا التفكر الحر في سبل التطورالذي نراه.

ثم قال بأن نظريات نيوتن في الميكانيكا الكلاسيكية كانت قاعدة عامة ومقبولة لسنين طويلة، ولكن أينشتين جاء بنظرياته في الميكانيكا الكمية، وبعد جهد جهيد، تغيرت نظرة العلماء إلى نظرية نيوتن، وصارت في نظرهم حالة خاصة ولم تعد نظرية عامة، وكذلك داروين هو أول من فسر التطور، فقال بالانتخاب الطبيعي، فيمكننا القول بأن نظرية داروين في المصادفة والانتخاب الطبيعي هي أولى محاولات تفسير التطور، ولا بد من أن تعقبها محاولات لتعديلها وتحسينها حسب القوانين الثابتة للكيمياء والفيزياء.

وسأله المذيع عن الاحتمالات الأخرى لتفسير المستحيل الرياضي المتمثل بالمعدل العالي لتكون الفصائل الكثيرة للمخلوقات،إذا لم يكن ذلك بالمصادفة، فأجاب:

«لقد خرج بعض العلماء من قوقعة المصادفة والعشوائية، وباستعمال أجهزة حاسوب متطورة فقد أثبت بعض العلماء الأمريكيين إمكانية خروج النظام المرتب order من الظواهر التي تبدو لفرط تعقيدها أنها فوضى، إن في الطبيعة خاصية ضمنية تدفع إلى ظهور الحياة ، سماها علماء الأحياء بالتنظيم الذاتي Self Organization، وهي تحتاج إلى المزيد من الدراسة لمعرفة قوانينها. فهناك حقل يحيط بنا كالحقل المغناطيسي وحقل الجاذبية، وهو حقل العقل والإدراك Intellengence field وهذ الحقل يطور نفسه حسب معلومات يستقيها من مكان ما (!!!)

وسأله المذيع: هل هذا الحقل يدخل في الحامض النووي (دي إن أي) ويدفع بتطورالكائنات إلى كائنات أكثر تعقيدًا؟ فأجاب: لا نستطيع حاليًا معرفة الخطوات العملية الدقيقة لكيفية حدوث ذلك، ولكن هناك ملاحظة أن الفوتونات (جزيئات الضوء) قد تكون ذات دور في هذا المجال، فلها أهمية في بناء أجسامنا، حيث إنها تحفظ الذرات في أشكالها التي عليها كما أنها تتذبذب بين النواة والإلكترونات، وبذلك تمنع الإلكترونات من الانجذاب إلى النواة والالتصاق بها، وكل ذرة في أجسامنا تحتوي على كم كبير من جسيمات الضوء تكفي لإضاءة ملعب كرة قدم بمليون شمعة، ولمدة ثلاث ساعات.

سأله المذيع: هل تقصد بأن المعلومات يمكن أن تحملها مواد تشبه الضوء ذاته؟ فأجاب: هذه محاولة ضعيفة لتشكيل قوالب بناء محتملة، فإنك تحتاج إلى حقل الإدراك، ووسيط بين حقل الإدراك والمادة العادية المألوفة دي إن أي، حيث يمكن أن تصف المعلومات صفًا، وهذا الوسيط يمكن أن يكون هو الضوء الذي يوصل المعلومات بينهما، وربما كانت المعلومات تقطن في الضوء. وهذا يفتح آفاقًا جديدة في الفلسفة والدين.

انتهى نص المقابلة، ونحن نقول: الله أكبر، لا إله إلا الله . إن فيما ورد من حديث عن النور ما ليس جديراً بعض علامات الاستفهام فقط، بل إنه جدير من جانبنا ببعض الابتسامات المفعمة بحلاوة الإيمان. فنحن نعرف أن القرآن الكريم عبر بالنور عن أمور كثيرة تأتي من عند الله عز وجل، فعبر عن الوحي بالنور وعبر عن الهداية والخير بالنور. ولن نستغرب أن يكشف هؤلاء العلماء دور النور في نقل الأوامر الربانية إلى الماديات.

أليس الله عز وجل أرسل الرياح لواقح؟ فيمكن أن يكون النور قد أرسل في أمور الكون وشؤون الخلق. أليس النور هو الذي ينبي النبات عن طريق اليخضور؟ فقد يكتشف يومًا ما أن للنور دوراً أهم من ذلك فيما يتعلق بالبنية الأساسية للكائنات والمخلوقات. إننا لن نلوي أعناق الحقائق ولكننا سنتمسك بإيماننا وديننا الذي هو قرة عيوننا، وندعو الله لهم بالهداية وأن ينير الله لهم الطريق. ونختم هذه المقالة بقوله تعالى: وَمَنْ لم يجعل اللهُ له نوراً فما لهُ من نور. النور: ٤٠، وقوله عز وجل: واللهُ مُتِمُّ نُورِه ولو كَرِهَ الكافرونَ: الصف:٨ صدق الله العظيم.

قصة قصيدة

من شبّ على شيء شاب عليه

أميران شاعران على أبواب القسطنطينية

د. محمود جبر الربداوي

قال امرؤ القيس وهو في طريقه إلى قيصر الروم ليستعديه على العرب

سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصرا
وحلتْ سليمى بطن قوٍّ فعرعرا(١)

يقول فيها:

تذكرتُ أهلي الصالحين، وقد أتت
على خملى خوصُ الركاب وأوجَرا(٢)
فلما بدت حوران في الآل دونها
نظرتَ فلم تنظر بعينيك منظرا
بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه
وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ له: لا تبك عينُك، إنما
نحاول مُلكًا أو نموت فنُعذَرا
إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلةً
وراء الحساء من مدافع قيصرا(٣)
كذلك جَدّي، ما أصاحب صاحبًا
من الناس إلا خانني وتغيّرا(٤)
وكنّا أناسًا قبل عروة قَرْمَلٍ
ورثنا الغنى والمجد أكبرا أكبرا(٥)

من المقولات الحكيمة المشهورة كلمة قالها الصاحب بن عباد، جاء فيها قوله: «بدئ الشعر بملك، وخُتم بملك»(٦) وفسر الثعالبي هذا القول بأن الملك الأول هو امرؤ القيس، وأن الملك الثاني هو أبو فراس الحمداني(٧)، وإذا كان الصاحب بن عباد قد وجد قاسمًا مشتركًا بينهما هو الملوكية، فنحن إذا أردنا دقة الوصف قلنا: كلاهما كان أميرًا وليس ملكًا، ولكني آثرتُ الحديث عنهما لأنني وجدت بينهما قواسم مشتركةً عدة. منها أن هذين الأميرين كانا شاعرين، وأن لكل واحد من الأميرين قصيدة رائية تُعد من غُرر قصائده وفاخرها. ومنها أن ظروف كل منهما قد دفعته إلى بلاد الروم وأسكنتْه بين جدران القسطنطينية. ومنها أن الحب قد خامر قلب كل من الأميرين، فأودعا ديوانيهما قصائد رائعة تصور وجهة نظر كلٍّ منهما في العشق وتجسيد مشاعره تجاه المعشوقة.

ومع كل هذه القواسم المشتركة فالشاعران مختلفان اختلافًا جذريًا في المنزع والسلوك والنظر إلى القيم العربية والخصائص القومية. وربما نُرجع هذا الاختلاف الجذري إلى الاختلاف في الطباع والمنازع النفسية والظروف التي أحاطت بكلٍّ من الشاعرين.

فامرؤ القيس أمير عاش فترة شبابه عيشة أولاد الملوك المترفين المتحللين من تحمل أية مسؤولية عامة، وإنما كان كل همه الاسترسال في حياة اللهو والبطالة، والمجون والصيد، مالئًا فراغه - وهو القسم الأعظم من حياته اليومية - بمغامرات غرامية وملاحقة للفتيات الحسان اللواتي يتحدث عنهن وعن جمالهن الشبّان في مضارب قبيلة كندة والقبائل المجاورة لها. وليته اكتفى بتلكم المغامرات الغرامية ولزم الصمت بعد هذه المغامرات، ولكن شعوره بشبابه، وبما مُنحه من الجمال والوسامة، وإحساسه بمنزلته في قومه، واقتناعه الضمني بأنه ابن ملك كندة، كل هذه النوازع جعلته لا يكتفي بممارسة المغامرات الغرامية وتصيد الفتيات، وإنما كان يعمد إلى تجسيد هذه المغامرات شعرًا، وبدلاً من التستر على هذه المعاصي، كان لا يتورع عن المجاهرة بها، مما دعا ابنَ سلاّم الجمحي، الذي صنّف الشعراء الجاهليين في مذاهبهم الغزلية إلى صنفين، دعاه إلى أن يُدرج أمرأ القيس في الصنف الذي «كان يتعهر، ولا يبقي على نفسه، ولا يتستر»(٨).

واستشهدت كتب الأدب بالكثير من أشعاره على هذا النمط من السلوك. كقوله: « دخلتُ وقد ألقتْ لنومٍ ثيابها، سموتُ إليها بعد ما نام أهلها، كذبت لقد أصبي على المرء عرسَه، ويارب يوم قد لهوتُ وليلة بآنسة... إلخ» فهذه الأشعار وغيرها جعلت الرواة يصفونه بأنه من «عشّاق العرب الزناة»(٩) ولهذا تعددت معشوقاته، فقرأنا في ديوانه أسماء سلمى وبسباسة، وأسماء وعنيزة - وقصتها في دارة جلجل تناقلتها كتب الأدب - وأم الحويرث الكلبية وأم الرباب، وغيرهن كثيرات، ونضيف إليهن فاطمة «التي كان يطلب منها غرّة فأعجزه ذلك»(٩).

ويبدو أن والده بَرم بهذا السلوك الطائش، حتى لقد انتهى إليه أن تغزل بزوجة أبيه، فكانت حصيلة كل ذلك أن طلب والده من خادمه أن يقتله ليستريح منه، وقصة ادعاء الخادم قتله فيها تصوير يحمل على الشك فيها، ولكنْ لا تعنينا هنا، وتقول الروايات: إن الزوجة الوحيدة التي تحملت تصرفاته وصبرت على مغامراته هي هند(١٠). وجمع بالإضافة إلى الركض وراء النساء إسرافه في تعاطي الخمرة، حتى عندما علم بقتل أبيه قال جملته المشهورة: «اليوم خمر، وغدا أمر»(١١)، ونضيف إلى ذلك قسوة قلبه وغيرته على بناته، إذ يقال إنه كان يئد بناته، وإنه إذا وُلدت له أنثى سارع إلى وأدها، حتى أخذت نساؤه تكتم عنه ذلك، ثم يعمدنَ إلى تغييب بناتهن في القبائل حتى يكبرن فإذا علم بهن تتبعهن وسط القبائل وقتلهن كبيرات. وليس هذا السلوك بمستغرب، لأن أشد الناس توجسًا على أعراضهم أولئك الرجال

الذين يَلْغون في أعراض الناس. ولكيلا نظلم الرجل ننقل ما قاله عنه ابن قتيبة، يقول: «ويعاب عليه تصريحه بالزنا والدبيب إلى حرم الناس، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته»(١٢) كل هذه السيرة الماجنة العابثة والبطش بيناته وذوات رحمه جعلت الرسول يلخص رأيه فيه فيقول عندما سئل عنه: «هو قائد الشعراء إلى النار(١٣)، وفي خبر آخر ترويه كتب الأدب، وإن كنا لا نجد له ذكراً في كتب الحديث، قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسيٌّ في الآخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار»(١٤).

أضف إلى ذلك قصته المستفيضة عن اختياره ليهوديٍّ ليودع عنده أسلحته ومتاعه، وهو السموأل أثناء توجهه إلى بلاد الروم، وقوله القصيدة الرائية السابقة. وهنا نقف قليلاً عند هذه القصيدة، وهي موضوع قصتنا اليوم.

فالقصيدة تحكي قصة الرحلة منذ أن اصطحب معه صديق هذه الرحلة، عمرو بن قميئة الذي شعر أنه غُرِّر به فبكى حين لا ينفع البكاء، ولكنهما تابعا السير عبوراً بسهل حوران الخصيب، والتعريج على بعلبك - في لبنان حاليًا - ثم العودة إلى حمص، وفي قراها حل على صديق قديم له هو ابن جُريج، ولكنه تنكر له، فخلفه وسار إلى شيزر فحماة، ثم دلف إلى بلاد الروم، وحل في عاصمتها القسطنطينية. وقبل أن أواصل الحديث عن مغامرات امرئ القيس الغرامية، والآن مغامراته في بلدا الروم، أريد أن أذكر القارئ بشيئين أرجو ألا يكون قد نسيهما: الأول: المثل المشهور: «من شب على شيء شاب عليه»، والثاني: الأمير الآخر الذي ذكرت اسمه في معرض الموازنة بينه وبين امرئ القيس لمشابه كثيرة بينهما، وهو أبو فراس الحمداني، ومادام الحديث قد وصل بنا مع الأميرين إلى القسطنطينية فهاك صورة أبي فراس الأمير المقاتل الذي وقف للروم وقفة الند للند، وقفة كلها شمم وكبرياء، لا وقفة امرئ القيس التي كلها تخاذل واستجداء، استمع إلى أبي فراس يتحدث عن نفسه في القصيدة الرائية التي اظنك تعرف مطلعها:

أراك عصيَّ الدمع، شيمتك الصبر
أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمر
بلى، أنا مشتاق، وعنديَ لوعة
ولكنَّ مثلي لا يذاع له سر

دع عنك المطلع الغزلي، وانتقل إلى وصف المعركة التي خاضها وأُسر فيها:

أُسرت، وما صحبي بعُزْلٍ لدى الوغي
ولا فرسي مُهرٌ، ولا ربُّه غُمْر
ولكنْ إذا حُمَّ القضاء على امرئ
فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أصيحابي: الفرارُ أو الردى
فقلت: هما أمران أحلاهما مرُّ
ولكنني أمضي لما لا يعيبني
وحسبك من أمرين: خيرُهما الأسرُ
هو الموت، فاختر ما علا لك ذكره
فلم يمت الإنسان ما حَييَ الذكرُ

أرأيت إلى صورة هذا الأمير الشاب كيف يصور لك موقفًا من أحرج المواقف التي يمر بها الرجال في المعركة، والذي آثر أن يقع في الأسر على أن يفرَّ من جحيم المعركة، ومع أنه لم يجد من الأسر مناصاً فإنه لم يستسلم ولم يهن، ولم يتخاذل على الرغم من المغريات التي بذلها له الروم، انظر إلى هذه الكبرياء التي يرد عليهم بها، يقول:

يَمُنُّون أنْ خلّوا ثيابي، وإنما
عليَّ ثيابٌ من دمائهم حمرُ
وقائمُ سيف فيهم دُقَّ نصلُهُ
وأعقابُ رمح فيهمُ حُطِّم الصدرُ
فإن عشتُ فالطعن الذي يعرفونه
وتلك القنا والبيضُ والضمّر الشقر
وإن متّ، فالإنسان لابد ميتٌ
وإن طالت الأيام وانفسح العمر

وعلى الرغم من أن ما عنده من الشباب والفتوة أكثر مما عند امرئ القيس، وعنده من الشوق والصبابة لمن يحب أكثر مما عند امرئ القيس، إلا أنه ظل في غزله عاشقًا عفيفًا يقدّس الحب، انظر إليه كيف يصور حبه المشوب بالشمم والكبرياء، يقول:

إذا الليلُ أضواني بسطتُ يد الهوى
وأذللتُ دمعًا من خلائقه الكبر
تكادُ تضيءُ النار بين جوانحي
إذا هي أذكتْها الصبابة والفكر

أين هذا من قول امرئ القيس:

ألا زعمتْ بسباسة اليومَ أنني
كبرتُ، وألاّ يُحسن اللهوَ أمثالي
كذبت، لقد أصبي على المرء عِرسَه(١٥)
وأمنع عِرسي أن يُزنَّ بها الخالي
ويارب يوم قد لهوتُ وليلة
بآنسة كأنها خَطُّ تمثال
ومثلك بيضاء العوارض طفلة
لعوب تُنسيني إذا قُمتُ سِرَّ بالي
إذا ما الضجيج ابتزها من ثيابها
تميل عليه هونة غير مجيال(١٦)
سموتُ إليها بعد ما نام أهلها
سمو حباب الماء حالاً على حال
وصرنا إلى الحسنى ورقَّ حديثنا
ورضتُ فذلتْ صعبة أيَّ إذلال
فأصبحتُ معشوقًا، وأصبح بعلها
عليه القتام سيِّئ الظن والبال(١٧)

أظنك قد كوَّنت فكرة عن طبيعة غزل الأميرين، ولكنْ امض معي إلى النهاية، نهاية امرئ القيس الذي ترك الجزيرة العربية ويمَّم شطر بلاد الروم ليستنجد بقيصرهم لينجده بجيش يقاتل فيه بني أسد، ولكنه وقع فيما كان درج عليه من الاسترسال وراء الحسان، وكأنه نسي المهمة التي جاء إلى القسطنطينية من أجلها، فوقع في حب بنت قيصر الروم، وأغراها بوسامته، فعشقته، فكان يأتيها وتأتيه، فلما شاع أمره فكر القيصر أن يتخلص من هذا العربي الغويّ بطريقة (دبلوماسية) - كما يقول الناس في هذا الزمان - فأرسل إليه حلّة مسمومة منسوجة بالذهب، وقال له: «إني قد بعثتُ إليك بحلتي التي كنتُ ألبسها يوم الزينة؛ ليعرف الناس فضل منزلتك عندي، فإذا وصلتْ إليك فالبسها على اليُمن والبركة، فلما وصلت الحلة اشتد سروره بها، ولبسها في يوم صائف، فأسرع فيه السم، فتقرح جلده، والعرب تدعوه ذا القروح، فمات ودفن بالقرب من أنقرة(١٨). ألست تشاركني الرأي بأن (من شبَّ على شيء شاب عليه)، وأدمن على ما درج عليه فخسر ما كان في يديه؟! أيضاً ألا تشارك صالح بن عبدالقدوس في رأيه القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يوارى في ثرى رَمْسِه
لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ
ما يلغ الجاهلُ من نفسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله
كذي العيا عاد إلى نُكْسه؟!

الهوامش

١- قوّ وعرعر: موضعان في الجزيرة العربية.
٢- خملى وأوجر: موضعان قِبَل الشام، وخوص الركاب: غائرات العيون.
٣- الحساء: جمع حسي: ماء يغور في الرمل. ومدافع قيصر: أعماله وما اتصل ببلاده.
٤- الجد: الحظ.
٥- قرمل: ملك من ملوك اليمن.
٦- يتيمة الدهر للثعالبي ٢٧/١/
٧- طبقات فحول الشعراء لابن سلام٥٤.
٨- ديوانه ٢٩.
٩- الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٠٧/١.
١٠- وتذكر الروايات أن له زوجة اسمها أم جندب.
١١- الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٠٨/١.
١٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٣٦/١.
١٣- هذا الحديث تنسبه كتب الأدب للرسول صلى الله عليه وسلم. أما كتب الحديث فلم تأت على ذكره.
١٤- الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٢٦/١.
١٥- عرس المرء: زوجته.
١٦- ابتزها: خلع عنها. والمجيال: العظيمة الخَلْق
١٧- القتام: الغبار
١٨ الشعر والشعراء١٢٠/١

مفهومات تاريخ العلوم في الدراسات المعاصرة

محمد محمد يحياوي

إن تاريخ العلوم من أهم الدراسات الضرورية لمعرفة التطور الذي لحق بمختلف المعارف العلمية عبر التاريخ. ولذلك لا يمكن الاستغناء عن هذا النوع من الأبحاث. غير أن المهتم بهذا الميدان يواجه عدة عوائق تفرضها طبيعة البحث، ومن أهمها: أن تاريخ العلم غير محدد بشكل دقيق، سواء من حيث الحقل المعرفي، الذي تتحدد من خلاله الأبحاث في هذا الميدان، أو من حيث تعدد المفاهيم، وتضاربها، عند المهتمين بتاريخ العلوم.

فبخصوص العائق الأول نجد أن تاريخ العلوم يتطلب منا تحديد نوع المعرفة التي نبحث عنها عبر التاريخ؛ أي البحث عن المعرفة التي يمكن أن تنتمي إلى العلم، ومن ثمة البحث في مراحلها التاريخية وتمييزها من المعرفة التي لا تنتمي إلى العلم، ومن ثمة إقصاؤها من البحث التاريخي.

أما بخصوص العائق الثاني فإنه من طبيعة أخرى، حيث نجد أن تعدد مفاهيم تاريخ العلوم يجعل من الصعب الوقوف على نمط واحد من الدراسة(١)، وذلك لأن الأساس الذي نعود منه إلى ماضي العلم ليس واحداً عند المهتمين بهذا الميدان. وتعدد هذه الأسس التي يتم الانطلاق منها نحو هذا الماضي خلقت تعدداً في المفاهيم التي نجدها في تاريخ العلوم، ومن أهم هذه المفاهيم:

أ ـ البحث الوثائقي: وهو مفهوم يصبح تاريخ العلوم، من خلاله، محدداً بتناول المخلفات العلمية التي تركها الأوائل وجمع نصوصها ووثائقها ذات المحتوى العلمي، وتحقيقها من أجل التأكد من قيمتها العلمية. وذلك بإثبات صحة انتسابها إلى أصحابها، والبحث فيما إذا كانت أصيلة أو منحولة. والعمل على ترجمتها إلى لغة معاصرة. وهذا كله يتطلب استخدام تقنيات مختلفة معظمها تُستعار من علم الآثار، مما يعرض تاريخ العلوم إلى أن يصبح تابعاً لعلم الآثار الذي هو علم متميز بطبيعة موضوعه، يختلف عن تاريخ العلوم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا أظن البحث الوثائقي يمكن اعتماده، إذا كنا نريد البحث عن الحركة من حيث هي نشاط العقل البشري عبر التاريخ، لأن البحث الوثائقي عملية ضرورية ولكنها غير كافية، فهي على حد قول محمد عابد الجابري «عمل تمهيدي لتاريخ العلم هدفه جمع الوسائل الضرورية لبناء العلم»(٢).

ب ـ السرد التاريخي: أما هذا المفهوم، فإن تاريخ العلوم، يصبح من خلاله، مجرد عرض لمختلف الإنجازات التي عرفها العقل البشري عبر التاريخ، وذلك بتقديمها كما هي، أو بمقارنتها بما أنجزه الفكر العلمي الحديث والمعاصر، وهذا من أجل اكتشاف مآثر القدماء في الميدان العلمي، وعرض مختلف النتائج التي توصلوا إليها في هذا الميدان، وذلك حسب تسلسلها التاريخي. فمثلاً نقول: إن الفراعنة هم الذين أسسُوا الهندسة، لأنهم أنجزوا كذا وكذا. ثم أضاف اليونان إلى هذا العلم كذا وكذا، ثم تطور هذا العلم مع العرب لأنهم أنجزوا كذا وكذا... إلخ.

وكما هو واضح فإن هذا النمط من الأبحاث يقوم على العرض التاريخي أكثر مما يقوم على التحليل النقدي للمعرفة العلمية، اللهم إلا إذا حصرنا التحليل في معناه التاريخي، ولذلك فهذا النوع من البحث، في تاريخ العلوم، ينتمي إلى البحث التاريخي أكثر مما ينتمي إلى البحث العلمي.

وإذا كان هذا النوع، من البحث مهمًا بالنسبة إلى مؤرخ الحضارة الإنسانية، لأنه يعطيه المادة العلمية التي يبني عليها نظرياته وتصوراته، فإنه غير كاف لرجل العلم؛ اللهم إلا إذا حصرنا الفائدة من هذا البحث في تجاوز الخطأ الذي يكون قد وقع فيه القدماء؛ لأن رجل العلم لا يهمه الإنجاز العلمي الذي حققه الأوائل فقط، وإنما يهمه كذلك الأسس التي قامت عليها هذه الإنجازات.

جـ ـ قوميةالعلم: إن هذا المفهوم هو من أكثر المفاهيم تداولاً بين المهتمين بتاريخ العلم. وهو مفهوم يقوم أساسًا على البحث عن الشعوب التي ساهمت عبر التاريخ في العطاء العلمي. والتي كانت سباقة إلى الإنتاج العلمي والفكري. وهذا من أجل تعظيم شأنها ورفع مكانتها وتفضيلها على الشعوب التي لم تتمكن من المساهمة في الإنتاج العلمي. ومن ثم الحكم عليها بالقصور والضعف والغباء.

«يرى الدكتور محمد عابد الجابري أن هذا الشكل من البحث في تاريخ العلوم، إذا كان يفيد في إعطاء كل شعب نصيبه من الاكتشافات العلمية وإبراز مساهمته في تقديم العلم خاصة، والمعرفة البشرية عامة، فإن هذا التوزيع الجغرافي لا يفيد في تبين الأصل الحقيقي الذي قامت عليه الاكتشافات العلمية، فماذا يفيدنا إرجاعها إلى هذا الشخص أو ذاك، إلى هذا الشعب أو ذاك...»(٣). اللهم إلا إذا قلنا إن نشأة العلم وتطوراته كانت نتيجة صراع بين الأمم والشعوب.

كما أن هذا المفهوم لتاريخ العلم يقوم على مغالطة منطقية يمكن أن نلخصها فيما يلي: البحث عن انتساب العلم إلى هذا الشعب، أو ذاك، ينطوي على حكم مسبق هو: هناك شعوب أذكى وأقدر على التفكير المنهجي من شعوب أخرى. ومادام الأمر كذلك فإن البحث في تاريخ العلوم يتطلب البحث عن هذا الشعب الذي يملك خصائص التفكير العلمي، والذي منحته الطبيعة هذه القدرة الخاصة.

هذا هو الحكم الذي يحرك الكثير من المهتمين بتاريخ العلوم ويدفعهم إلى حصر تاريخ العلوم في هذا المفهوم دون غيره.

وكما هو واضح فإن هذا البحث مبني على خلفيات عرقية ودعوى عنصرية تريد أن تبرز بعض الإسهامات العلمية لشعب من الشعوب على حساب إسهامات شعب آخر. وهذا التحيز يكشف النظرةالذاتية الضيقة التي تُقصي مجهودات الآخرين ومشاركاتهم(٤).

د ـ أما المفهوم الأخير لتاريخ العلم فهو البحث عن المعرفة العلمية عبر التاريخ من حيث هي بنية فكرية معينة، أنتجها هذا الفكر أو ذاك، في وسط معرفي معين.

أي البحث في تاريخ العلم انطلاقًا من البحث في بنية الفكر البشري الذي أنجز هذه المعرفة أو تلك.

وأقصد ببنية الفكر: تحديد الأسس والقواعد الأولية التي تحكمت في إنتاج المعرفة العلمية، سواء أكانت هذه الأسس مستوى اجتماعيًا وثقافيًا بلغهما هذا المجتمع أو ذاك، أم كانت مستوى معينًا في طبيعة تفكير الأفراد الذين أنتجوا هذه المعارف، مثل الأساليب المنطقية التي يستخدمونها، أو القواعد الفكرية التي يحتكمون إليها.

إن نشاط الفكر تتحكم فيه معطيات ثقافية معينة تكون دائمًا هي الأصل في تعدد نوع ومستوى، المعرفة التي ينتجها هذا الفكر. وبتغير هذه المعطيات الثقافية يتغير نوع التفكير، ومن ثم نوع المعرفة. وقد أثبتت الدراسات العلمية المعاصرة، في ميدان علم النفس، وكذلك علم الاجتماع(٥)، أن نمو القدرات الذهنية تتحدد بنمو الأدوات المعرفية التي أنتجها الفكر في مرحلة سابقة. وهذه الأدوات المعرفية هي بدورها ابنة وسط ثقافي معين. فيصبح الفكر في آخر الأمر مرتبطًا بمحيطه الثقافي، وطبيعة هذا المحيط الثقافي مرتبطة بنشاط الفكر. باعتبار أن النشاط الثقافي، بمستوياته المختلفة، هو من إنتاج الفكر مما يجعل موضوع تاريخ العلوم هو دراسة المفاهيم العلمية، وتطورها التاريخي، من حيث اقترانها، وعلاقتها الوظيفية، بتطور الفكر الذي أنتجها.

إن هذا الموقع الذي ننظر منه إلى تاريخ العلوم هو ما يعرف اليوم بالمفهوم المعرفي (الابستيمولوجي) (EPISTEMOLOGIE)(٦). والدراسة (الابستيمولوجية) لتاريخ العالم تعني الاهتمام بالقواعد والأسس التي تُبنى عليها المعرفة العلمية في تطورها التاريخي؛ لأنه لا وجود لمعرفة علمية منفصلة عن تاريخها. وبالتالي فبناء المعرفة العلمية، الذي هو من مهام (الابستيمولوجيا)، يتطلب تناول التطور التاريخي لهذه المعرفة. وتناول التطور التاريخي للمعرفة العلمية الذي هو من مهام تاريخ العلوم، يتطلب المقياس الذي به تتحدد المعرفة العلمية من غيرها. وهذا المقياس، الذي يتطلبه البحث في تاريخ العلوم، هو عمل يقوم به الباحث (الابستيمولوجي).

ومن هذا التصور يصبح من الصعب فصل تاريخ العلوم عن (الابستيمولوجيا). فتاريخ العلوم يمارس ، دائمًا، مصحوبًا بتصور معرفي (ابستيمولوجي) معين. سواء أكان هذا التصور صريحًا أم كان ضمنيًا. فمن الضروري لمؤرخ العلم أن يعتمد على ما أنجزه (الابستيمولوجي) ليأخذ إنجازه منهجًا يعود من خلاله إلى إنجازات الفكر البشري عبر الزمان. كما أنه من الضروري على الباحث (الابستيمولوجي) أن يعتمد على تاريخ العلوم، لأن هذا الأخير هو المادة الأولية التي لا يستطيع أن يستغني عنها الابستيمولوجي.

غير أنه يجب التذكير بأن الدراسة المعرفية (الابستيمولوجية) لتاريخ العلوم لا تعني جعل تاريخ العلوم فرعًا من فروع (الابستيمولوجيا)؛ وإنما تعني استخدام القوالب والمفاهيم المنهجية التي تسمح لمؤرخ العلم أن يستخدمها في بحثه عن المعرفة العلمية عبر التاريخ.

وعلى حد قول محمد وقيدي - وهو أحد المهتمين بالبحث الابستيمولوجي - «إن الانفصال التام بين الابستيمولوجيا وتاريخ العلم غير موجود لأنه غير ممكن، ولأنه في حالة قيامه سيجعل عمل كل منهما متميزًا بالنقص. وإن التطابق التام بينهما غير موجود أيضًا. وهذا لأن قيامه سيمنع الفكر الإنساني من النظر إلى المعرفة العلمية من زاويتين مختلفتين من النظر تكمل كل واحدة منهما الأخرى...»(٧). وبذلك تصبح العلاقة بينهما علاقة تكامل، ففي الوقت الذي يستفيد تاريخ العلوم من (الابستيمولوجيا) يفيدها.

إن المعرفة العلمية هي عملية بناء عقلي، وسواء كان هذا البناء على مستوى الاستدلال التجريبي، أو الاستدلال العقلي (الرياضي)، فإنه يتطلب استخدام مجموعة من الوسائل المادية والفكرية. وهذه الوسائل لم تنشأ من فراغ، وإنما هي بدورها من صنع الفكر أثناء نشاطاته المختلفة.

ومن هنا تصبح عملية البناء العقلي للمعرفة العلمية إنتاجًا مشتركًا، تشارك في صنعه مختلف الأمم والأجيال المتعاقبة، بحيث يشارك كل جيل أو أمة، في إنتاج معين اعتمادًا على معارف أولية تلقاها من الأجيال والأمم التي سبقته، ليصبح هذا الإنتاج المعرفي الذي قدمه الجيل الجديد قاعدة يعتمدها الجيل التالي في إنتاج معارف جديدة. وبذلك يصبح تاريخ العلوم مرتبطًا بالبحث عن المعارف العلمية وعن الأسس الأولية التي تم، ويتم الاعتماد عليها في إنتاج هذه المعارف، وهذا ما جعل لويس دوبدويل يقول:(٨) «... وهكذا يتخذ العلم لنفسه، أثناء نموه، على هذا النحو، الوسائل التي يحتاج إليها؛ فهو من جهة يبتدع، أو يُحسّنُ أدوات القياس وأجهزته التي يشعر بضرورتها، كما يتابع من جهة أخرى ابتداع تصورات جديدة، واضعًا في الوقت المناسب طرائق جديدة للمحاكمة والحساب.. وهكذا يضع العلم بلا انقطاع أسلحة جديدة مادية أو فكرية تساعده على تخطي العقبات...»(٩). وبهذا يصبح العلم في الوقت الذي يؤسس يتأسس.

ووفق هذا التصور يمكن أن يتخلص تاريخ العلوم من النظرة الضيقة التي تحصر ظهور العلم عند شعب دون غيره. كما يمكن أن تتخلص (الابستيمولوجيا) من تبعيتها للمذاهب الفلسفية بأنساقها المختلفة والتي تردّ المعرفة العلمية إلى تصور مذهبي دون آخر.

وبهذا التكامل الوظيفي بين تاريخ العلم (الابستيمولوجيا) يمكن القضاء على الذاتية والتحيز المذهبي، أو القومي، اللذين يعصفان بالبحث الموضوعي الذي هو جوهر التفكير العلمي في ميدان تاريخ العلوم أو الابستيمولوجيا، أو أي ميدان علمي آخر على السواء.

الهوامش

١- من أجل التوسيع يمكن الرجوع إلى كتاب:.PIERRE BOUTROUX: l'IDEAL SCIENTIFIQUE P.V.F. - PARIS 1955

٢- محمد عابد الجابري: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة، بيروت ط١، ١٩٧٦م، ص٣٥.

٣- محمد عابد الجابري: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة، بيروت ط١، ١٩٧٦م، ص٣٥.

٤- قد نعود، في مناسبة أخرى، إلى هذا الموضوع، ونخصص له مقالاً مستقلاً لتوضيح البعد القومي في تاريخ العلوم، وطغيان التفسير الذاتي الذي يحركه الانتماء القومي.

٥- انظر سيل على المثال:

_ JEAN PIAGET: LA PSYCHOLOGIE DE l'iNTELLIGENCE, P.V.F. - PARIS.

- JEAN PIAGET: LA PSYCHOLOGIE DE GENETIQUE, P.V.F. - PARIS.

- PIERRE OLERON: LES ACTIVITES INTELLECTUELLES, P.V.F.- PARIS.

_ GEORGES GURVITCH: LES CADRES SOCIAUX DE LA CONNAISSANCE P.V.F. - PARIS

٦- الابستيمولوجيا هي من المفاهيم العلمية التي أنتجها الفكر العلمي المعاصر، حيث ظهرت في الفكر الفرنسي المعاصر مع «غاستون باشلار» (GASTON BACHLARD)، وتعني: «الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم، ولفروضها ونتائجها بقصد تحديد أصلها المنطقي الفلسفي (السيكولوجي)، وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية». انظر المعجم الفلسفي لـ «لالاند».

إذن الابستيمولوجيا هي علمٌ يتخذ العلمَ موضوعًا للدراسة أو التحليل.

٧- محمد وقيدي: ما هي الابستيمولوجيا، دار الحداثة، بيروت ط١، ١٩٨٣م، ص ٢١٠.

٨- لويس دوبدويل هو من أهم رواد الفيزياء المعاصرة، وأحد أقطاب نظرية الكوانتا في الفيزياء. ومؤسس الميكانيك التموجي التي ساهمت في تصحيح مفاهيم الفيزياء الكلاسيكية، ولأهميته اخترنا الاستشهاد بموقفه على طول النص.

9 _ L. DE BROCLIE: CHOIX DE TEXTES, PRESENTATION PAR: M.A. TONNELAT, EDITION SEGHURS, P. 220.

أعلام
في ذاكرة التاريخ

رابح فضل الله

أمير سوداني في حوض بحيرة شاد

ابن عمر عبيد الله

يرمي هذا المقال إلى محاولة إلقاء بعض الأضواء حول شخصية رابح فضل الله* الذي قام بدور جهادي في حوض بحيرة شاد*.

يرجع ميلاد رابح بن فضل الله إلى عام ١٨٤٥م في حلفاية الملوك(١)، في حين تذكر مراجع أخرى تاريخ ميلاده في عام ١٨٤٦م في إحدى القرى في بحر الغزال، وتدلل على ذلك بأنه كان ابنا لأحد ملوك القبائل التي استوطنت بحر الغزال(٢).

تلقَّى رابح تعليمه الأولي بدراسته للقرآن الكريم في كتاب قريته على يد الفقيه هاشم، وعندما بلغ العشرين من عمره اتجه إلى القاهرة حيث التحق بالجيش المصري في عهد الخديوي إسماعيل، وتلقى تدريبا عسكريا، إلا أنه في أثناء مناورة عسكرية أصيب في يده اليمنى مما ألحق بها تشويها، وترتب على ذلك إبعاده من الجيش حيث اضطر للعودة إلى بلاده واتجه إلى بحر الغزال.

وكانت منطقة بحر الغزال آنذاك قد اشتهرت بثروتها الطبيعية (العاج وريش النعام والأبنوس) وقد قصدها عدد من التجار، ومن أولئك الزبير باشا رحمة الذي عمل على ضم رابح إليه عند وصوله إلى بحر الغزال.

وفي هذه الفترة دخلت دارفور تحت حكم أسرة محمد علي باشا، غير أن خلافا دب بين الزبير وإسماعيل أيوب حاكم عام السودان استدعيا على أثره إلى القاهرة في عام ١٨٧٥م وطلب الخديوي منهما البقاء إلى جانبه في القاهرة، وظل سليمان بن الزبير ممثلاً لوالده في أملاكه وأتباعه من الرجال، وقد منح غردون عند مقدمه للسودان خلفا لإسماعيل أيوب وسليمان بن الزبير لقب «بك» وقلده حاكمًا لبحر الغزال غير أن الوشاية أدت إلى عزله من منصبه مما دفعه للانتفاضة في أوائل عام ١٨٧٨م.

وفي تلك الآونة تم تعيين (رومولو جسي) الضابط الإيطالي الجنسية من قبل غردون لقيادة الحملة المتجهة ضد سليمان، وفي النهاية استسلم سليمان للضابط جسي بعد اتفاق أبرم بين الطرفين، في حين رفض رابح بصفته قائدًا عسكريا فكرة الاستسلام لجسي محذرًا سليمان من العواقب، وحين لم يجد استجابة لرأيه من قبل سليمان انفصل عنه واتجه بأنصاره غربا(٣) حتى استطاع أن يؤسس ملكا في جنوبي بحيرة شاد، وقد حاولت المهدية جذبه إلى صفوفها غير أنه لم يقدم إلى أم درمان، ولكنه اختار راية المهدي راية لجيشه(٤) في أثناء توغله في حوض بحيرة شاد.

وقد استفاد رابح من البعثة التي أرسلتها فرنسا، بقيادة (بول كرامبل) إلى أفريقية الوسطى حيث نجحت تلك البعثة في اكتشاف الجزء الشمالي للكونغو الفرنسي، وقد أصيب رائدها بالحمى ومن ثم عاد إلى فرنسا، غير أنه عاد مرة أخرى عام ١٨٩٠م بهدف اكتشاف المنطقة الواقعة بين الكونغو وبحيرة شاد حيث التقت قوات كرامبل برابح فضل الله بالقرب من بلدة (كوتي) على الرغم من عدم الإشارة لمصادمات بين الجانبين إلا أن مقتل كرامبل ظل سراً غامضًا.

ومهما تعددت الآراء حول مصرع كرامبل إلا أن الراجح أن نهايته كانت على أيدي المسلمين، وقد استفاد رابح من ذلك كثيرا حيث ساعدت الأسلحة التي حصل عليها في مساندة جيشه وشجعت طموحه على إقامة أسس امبراطورية بإدراكه أنه إذا لم يوّحد القبائل المتفرقة في حوض نهر شاري وفي ضفاف بحيرة شاد فإنه لن يستطيع التمكن في هذه المناطق أو الوقوف في وجه التوسع الفرنسي(٥) حيث كان لرابح الفضل في إنهاء الصراعات الدامية التي كانت تدور في برنو وأراضي شاري الأسفل بين السلامات وبني سعد منذ عام ١٨٩١م بسبب الاعتداء على حقوق الغير وعمليات الأخذ بالثأر، وطلب من زعماء القبيلتين والقبائل المناصرة لهم المثول أمامه في حاضرته (ديكوة) حيث طلب منهم الصلح، ومن ثم أقسموااليمين على العيش في سلام وكان ذلك في عام ١٨٩٤م (٦).

وبعد أن خضعت برنو لرابح بدأ في تنظيم شؤون الحكم والإدارة فيها ونشر الحضارة في

أرجائها، ولذلك قسم البلاد إلى مقاطعات جعل على كل منها حاكمًا من أعوانه المقربين إليه، في حين مثل رابح السلطة العليا التي من مهامها إصدار الأوامر والقوانين. وقد بلغت مساحة المنطقة الواقعة تحت سيطرته نحو مئة ألف كيلو متر مربع، وبلغ عدد سكانها أكثر من خمسة ملايين نسمة، ومن ثم نقل رابح عاصمته من (كوكا) إلى مدينة (دكوة) التي صارت عاصمة له مدة سبع سنوات.

وقد اتخذ رابح الدين الإسلامي وشريعته أساسا للحكم في دولته، وصار القرآن دستور هذه الدولة، وأخذ الناس في التمسك به، وترتب على ذلك استتباب الأمن واستقرار الأمور، كما ظفر رابح بمحبة (البرنويين) له والذين تنازلوا عن كثير من المناطق له، ومن ثم اتسم نظامه باللامركزية حيث ظل يحمل لقب أمير الذي أطلق عليه منذ عام ١٨٨٠م، وقد أعطى رؤساء الألوية والوكلاء والنبلاء سلطة على أن تتم محاسبة كل منهم أمام مجلس استشاري تحت رئاسة رابح.

وقد تولى القضاء في دولة رابح الفقهاء الذين يتم تعيينهم من قبل رؤساء المقاطعات، حيث يرتكز القضاء على الشريعة الإسلامية، ولم يكن رابح يتدخل في الشؤون القضائية إلا في حالات نادرة. أما بيت المال في دولته فكانت من أهم موارده الغنائم والغرامات والزكاة والأموال التي تصادرها الدولة من الأفراد.

أما عن جيش رابح فتقدره بعض الدراسات في عام ١٨٩٠م بأنه وصل إلى ما بين ستة عشر وسبعة عشر ألف جندي من الزنوج وعرب دار سولا وأولاد راشد والبقارة من التعايشة والقبائل الأخرى، ويشير شاهد عيان في نهاية عام ١٨٩١م إلى أن قوة رابح بلغت حوالي عشرين ألفا من المشاة المسلحين بالبنادق، وخمسة آلاف من الفرسان، ويقول أحد شيوخ طرق القوافل أن جيش رابح الدائم كان يتكون من أربعين ألف رجل معظمهم من الخرطوم، وكانت الأسلحة التي يمتلكها هذا الجيش تتمثل في بنادق رمنجتون طراز ١٨٤٠م والسيوف والرماح والسهام، وكان رابح يقوم بتفتيش أسبوعي كل يوم جمعة على جيشه، وعندما يجد ثغرة في الاستعدادات يقوم باستدعاء الضابط المسؤول عن الفرقة ويقوم بجلده، ومن ثم فإن بعض الدراسات تذهب إلى أنه من الصعب تحديد عدد جيش رابح باعتبار أن هذا الجيش يعتريه التغيير من معركة لأخرى وبحسب عدد المنضمين له بعد ضم مناطق جديدة(٧).

وبعد أن تمكن رابح من تأسيس دولته على الشريعة الإسلامية أعلن أنه سوف يشن جهاداً إسلاميًا الأمر الذي يعني أن دولة رابح صارت عقبة كبرى أمام التوسع الأوروبي في المنطقة، إذ إن رابح مثل مشكلة كبرى أمام لجان تحديد الحدود بين الممتلكات الأوروبية في غرب أفريقيا، ومن ثم فإن القضاء عليه كان من أهم أسس الاستراتيجية الأوروبية بصفة عامة والفرنسية بصفة خاصة، ولذلك بدأ الصراع بين رابح والقوات الفرنسية(٨).

يذكر الدكتور محمد صالح أيوب أن قوات رابح ارتكزت على مملكة لوجون الإسلامية - تكونت نتيجة لانتشار النفوذ الإسلامي لباجرمي جنوبا - فترة من الزمن في مواجهتها للسيطرة الفرنسية لمنطقة بحيرة شاد. ومن ثم تقدم رابح نحو القوات الفرنسية في تلال (تجباو) بقيادة القائد (بريتونية) وانتهت المعركة بمصرع القائد الفرنسي حيث أبادت قوات رابح القوة الفرنسية في تلك المعركة التي أطلق عليها (مذبحة تجبار) التي كانت لطمة كبرى للفرنسيين ومن سار في ركابهم، ونصراً مؤزراً لجهاد المسلمين بقيادة رابح فضل الله، مما دفع عدداً كبيراً من سكان باجرمي إلى الانضمام للجيش الإسلامي، وشعروا أن الاحتماء في كنف الحضارة الغربية لن يقودهم إلا إلى الهلاك في الدنيا والآخرة(١٠).

ومن ثم توالت الحملات الفرنسية تجاه رابح حيث بدأت المعركة الأخيرة بين رابح والفرنسيين عندما تحرك القائد الفرنسي (لامي) حتى صار على مسافة ميل واحد من معسكر رابح، ومن ثم بدأت الاشتباكات بين الجانبين إلى أن انتهت باستشهاد رابح ومقتل لامي يوم ٢٢ نيسان/أبريل ١٩٠٠م (١١).

ووصفت بعض الدراسات شخصية رابح بطول القامة وكبر الهامة كما أنه واسع الحيلة، معقوف الأنف، خفيف اللحية، قصير الشاربين، أسود اللون، وتمضي الدراسة إلى القول بأنه كان يجمع بين وقار الكهول ورشاقة الشبان(١٢).

وكان رابح فضل الله من زعماء المسلمين الكبار الذين أدّوا دوراً مهمًا في نشر الحضارة الإسلامية في وسط أفريقيا، حيث انتقل من السودان الشرقي إلى وسط القارة، واستطاع بقوة إيمانه، فرضَ السكينة والأمان على جزء كبير من بحيرة شاد بتأسيسه لدولة واسعة(١٣)، كما قام بنشر الدين الإسلامي حيث تأثرت بعض قبائل الجنوب الوثنية التي استقرت شمال شرقي أوبانجي - شاري وجنوب شرق شاد بالإسلام، حيث كانت تشكل الجزء الأكبر من جيش رابح، وذلك من خلال احتكاكها بحياة المسلمين في برنو وباقرمي(١٤)، كما أن رابح استطاع الوقوف أمام التوسع الفرنسي في المنطقة حتى استشهاده بعد سبع سنوات من الجهاد المستمر(١٥).

ولذلك فإن بعض الدراسات تذهب إلى أن استشهاد رابح لا يُعدّ نهاية للمقاومة الإسلامية للاستعمار وذلك بقولها: «ورغم أن المصادر الفرنسية تعتبر تاريخ استشهاد (رابح) وموت (لامي) في كُرى في (٢٢/أبريل/١٩٠٠م، هو تاريخ انتهاء المقاومة الإسلامية للغزو الفرنسي لوسط إفريقيا إلا أن الحقيقة غير ذلك حيث ظل فضل الله بن رابح وقواته يناضل فترة من الزمن، وقد واجهت القوات الفرنسية مقاومة في أي بقعة وصلت إليها في هذه المناطق(١٦).

الإشارات

- يعرف أيضًا برابح الزبير
- أخذ هذا الحوض اسمه من بحيرة شاد، التي ترى بعض المصادر أنها أخذت اسمها من نوع من الأسماك «شاد» SHAD, CHAD، يكثر وجوده في هذه البحيرة، ولذلك فالأصوب أن تكتب وتنطق (شاد) إذ إنها تدل كذلك على (بحيرة الشط)، ثم حرفت مع مرور الزمن إلى (شاد).

المراجع والهوامش

١ - عبدالرحمن عمر الماحي: شاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٩٨٤-...١٩٦٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م - هامش(١) ص١١٦.

٢ - د. عبدالله عبدالرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، سلسلة عالم المعرفة(١٣٩)، الكويت، ذو القعدة ١٤٠٩هـ يوليو/ تموز ١٩٨٩م، ص١٨٤م.

٣ - الماحي: شاد، مرجع سابق، هامش(٢) ص١١٦.

٤ - نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ط٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م. ص٦١٧.

٥ - عبدالله عبدالرزاق: المسلمون، مرجع سابق ذكره، ص١٨٧ - ١٨٨.

٦ - الماحي: شاد، مرجع سابق ذكره، ص.١٣.

٧ - عبدالله عبدالرازق: المسلمون، مرجع سابق، ص ١٩٢ - ١٩٥.

٨ - المرجع السابق، ص ١٩٧ - ١٩٩.

٩ - الدكتور محمد صالح أيوب: الإسلام والثقافة العربية في شاد (الجذور والتحديات) تحت الطبع، دار جامعة الخرطوم للنشر، ص٩١.

١٠ - عبدالله عبدالرزاق: المسلمون - مرجع سابق ذكره، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

١١ - المرجع السابق، ص ٢٠٨.

١٢ - المرجع السابق، ص ١٨٥.

١٣ - المرجع السابق، ص ١٨٢.

١٤ - الماحي: شاد، مرجع سابق، ص١٣٠.

١٥ - عبدالله عبدالرزاق، المسلمون، مرجع سابق، ص١٨٢.

١٦ - محمد صالح أيوب: الإسلام والثقافة العربية في شاد، مرجع سابق، ص ١٠٠.

- حول هذه النقطة كذلك راجع:

TRIMINGHAM, J. SPENCER: A HISTORY OF ISLAM IN WEST AFRICA, OXFORD, 1970,P.219.

ابن هتيمل الضمدي
شاعر تهامة في القرن السابع الهجري ٢/٢



د. عبدالله أبو داهش

ولقد امتد بابن هتيمل العمر فانتظم القرن السابع الهجري بتمامه، حتى قيل: «إنه ما مدح أحداً إلا ورثاه لأنه تعمرّ طويلاً»(١)، وكان: «يبالغ في الممدوح حتى يهين من سواه»(٢)، مثل قوله:

إلى مَنْ لو وَزَنتَ الخلق طرّاً
بظفرِ منه ما وزنوا قُلامَه

وقوله:

إنّ الملوك بنو يعقوب قاطبةً
طرًا وكُلُّ ملوكِ غيرهم سُوَقُ(٣)

وبحكم حقيقة تكسب ابن هتيمل بشعره نلحظ سعة تحركه في طلب الرحلة نحو الممدوحين، فلم يكن المخلاف السليماني وجهته وحسب، بل نراه يكثر الوفادة إلى سلاطين اليمن وأئمتها، وكذلك كان يفد على أمراء حلى ابن يعقوب ومشايخها بما أوجد وفرة في نتاجه الشعري، وحيث إنّ غالب شعر ابن هتيمل المدح فإنّه كان يصرف أيضًا شيئًا من شعره نحو: الرثاء، والغزل. أما الرثاء فلأنه عمّر طويلاً وكانت صلاته بالممدوحين قوية، توجب عليه رثاءهم عند موتهم، وأما الغزل فيبدو أن الحياة الأدبية في عهده كانت تسعفه بهذا اللون، إذ الغلبة عندئذ لداعي الترف، والاتباع الشعري، ولم تكن البيئة التهامية عندئذ بعيدة عما كان يجري في الحجاز أو اليمن لولا تفردها بسلامة الشعر إلى حد كبير من: التكلف الأسلوبي والضعف الشعري.

ومهما يكن من أمر فمن شعره قوله في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

لولا محبة أهل الدار والدارِ
ما غاض صبري وجفني ماؤُه الجاري
ولا عكفت وأصحابي تعنفني
على العكوف على نؤي وأحجار
وإنما لي أوطار رزيت بها
رعيًا لها من لُبانات وأوطار
عيادة وزيارات نَثْنِيَ بها
عن النيات بعوّاد وزوار
وجيرة لعبت أيدي النوى بهم
والله أوصى بحفظ الجار والجار
ولي بنجد هوى والغور مأربة
يا بُعدَ ما بين أنجاد وأغوار
فكيف أصنع في جنبي وفي كبدي
قد أتلفا رمقي بالماء والنار

***

كم قلت للمدلج الغادي لطيته
صل الفدوَ ونص الرائح الساري
لا ترهب الليل واركب ظهره جملاً
فخير مركبه ما كان كالقاري
وانزل بطيبة تنزل بين منبرها
وقبرها بين جنات وأنهار
حيث النبوة والنور الذي فُسخت
بهديه ظُلَمُ الدنيا بأنوار

***

أسرى به الله إسراءً وكلّمه
من قاب قوسين أو أدنى بأسرار
وأمّ من أمّ من صف الملائكة ال
أبرار، فاعجب على برٍّ وأبرار
عزت به العرَبُ العرباء إذ نصرت
على جموعٍ لكسرى يوم ذي قار
ويوم بدر أمدته ملائكة
في جحفل كبياض الصبح جرار
والجذع حنّ إليه وابن جابر قد
أبراه لما فرى أوداجه الفاري
والعضو كلمه إذ صار في يده
بسمّه من بَغيٍّ ذات زنار
وفي البراق وفي ظل الغمامة وال
معراج نصُّ أحاديثٍ وأخبار

***

وأنت ياراكبًا تهوي به قلصٌ
كالطير منقضة تهوي لأوكار
أقرِ التحية من بعد النبي إلى
مهاجرين وأشياخ وأنصار
وقل لأحمد عني قول معترف
من الحقوق بتقصير وإقصار
والله ما طلعت شمس ولا غربت
إلاّ وحبك إسفاري وأسماري
ولا سرى البرق من تلقاء أرضكم
إلاّ وبلبل بالي برقُها الساري(٤)

بهذه الروح الإنسانية الصادقة اتجه ابن هتيمل بشعوره نحو المدينة المنورة وصاحبها النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فأمّ مسجدها المبارك وامتدح صاحبه عليه السلام، وأثنى على أصحابه رضي الله عنهم، حتى إذا امتلأ شعوره بالحبور والسعادة أفضى إلى واقع حاله بتهامة وما يجري في رحابه من حب النبي وتقديره، إذ هو شأنه وديدنه:

ما ينشد المنشد المثني عليك وقد
أثنى الإله بما يقرى به القاري

وعندما نحقق شأن مدحه من بعد نجد أنه يبالغ في ذلك، ويصدر عن ثقة تليق بمكانته وبشاعريته. يقول في مدح الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين:

إذا جئت الفضا ولك السلامة
فطارح بالتحية ريم رامه
وقل للوائلية هل لروحي
وما أتلفت من جسدي غرامه
حللت تهامة وحللت نجدًا
وأين وأين نجد من تهامه
وخفتِ من الكواشح أن تُلمي
بنا فمري خيالك يا أمامه
أغار على ثناياك اللواتي
تقبلها الأراكة والبشامه

***

أمهدية الملامة ما لنفسي
وحسرتها وما لك والملامة

عـلامَ وفيـم أمنح خـيـرَ عـمـري
أضاليل المنى(٥) سفهًا عـلامه
عليك بأعـــــزم الآراء تسلمْ
فكم رأيٍ عـواقـبــهُ ندامــه
ولا ترأم مــحل الضـيـمِ واشـمخ
بأنف لا تـدلـلـه الخـــــزامـــه
إلى المهــديّ أحـمــد ناقلت بي
مـراق العدو تحسبهـا نعامـة
إلـى مَنْ لـو وزنت الخلـق طـرًّا
بظفـر منه مــا وزنوا قـــلامــه
شـبـيـه سَـمـيِّـه خلقًـا وخلقًـا
وهديًا في الطريقـة واسـتقـامـة
حـقـيـق أن يجن الجـذع شـوقًـا
إلـيــه وأن يُظَلل بالغــمـــامـــة

***

خذ الحمزات بالإلطاف واخفض
جناحك للقـرابـة والرحـامـة
فــهـم عين وأنت لهـــا ســوادٌ
وهـم بيت وأنت لـه دعـــامـــه
ولا تعـــجل فــربّ حــمـي أنف
تمكّن بعـــد نـفــرته زمـــامـــه
فمـا استنجدت رأيهم عقيـمًا
ولا استـمطرت غيـمهم جهامه
وربتــمـــا غـــزوت فكان منهم
بجسـمك فوق سـود اللام لامه
فـــمـــا من ســـيــد رفـدوه إلاّ
حـموه خلفـهـم ومـضـوا أمامـه
وإلاّ فــانضُ ســيف الدين تفـعل
بصنعـا فـعْلَ خـالد باليـمـامـه
فلم يفـــتـح أبو بـكر ثُـغـــور الـ
عــدا إلاّ بقـتـل أبي ثـمـامــه
أمـــيـــر المؤمنين إليك ســحــرًا
كـلام الشعـر لا يحكى كـلامـه
جعلت فـداك قـد فخّمت قـدري
على أهل الرياسـة والزعـامــه
فـــقـــد ولّى النبي على قـــريش
وأمّـر دون سادتهم أسـامـه(٦)

ولم تسلم هذه الأبيات من المبالغة والغلو، إذ دلت على حال من ثقافة العصر وفكره، لم يتورع ابن هتيمل في قوله:

إلـى من لـو وزنـت الخلـق طـرًّا
بظفـر منه مــا وزنوا قـــلامــه

وهذا قـول مـرفوض مسـتـهـجن، أين، الرسل، والنبيـون، والصديقون، والصالحون ومن خلق الله في الأرض والسماء؟ إنما هي ثقافة العصر، وترف الأدباء، وكل إناء بمائه ينضح.

ولربما اعتدل ابن هتيمل في مدح مواطنيه أمراء المخلاف السليماني وسادته، إذ هم مـواطنوه وحزبه، يقـول في مدح القـاسم بن علي الذروي:

يا قـــاسم بن علي دام لـك الذي
يكوي وينضج أكـبـد الحسـاد
يكفـيـك عن شـرف الأوائل همـة
شـهـرتك في الأغـوار والأنجـاد
ألزمت نفـــسـك خطة لم تتكل
فــيـــهــا على الآباء والأجــداد
أنسيت ما لقي الحسين وما جرى
في الطّف من ولد الدعيّ زياد
غــدر الـلـئـام بخـــالد وبقـــاسم
وبغـانم ومـحـمـــد الصـــيـــاد
فوقفت نفسك في الجهاد فلم تزل
يومـــاك يومُ ندى، ويوم جـــلاد
وكـــأن كـــفـك ديمة مـــزنـيـــة
وكـــأن قلبك زبرة الحـــداد

***

هيـهات أن ترد الكتـائب جـهلتي
بيش، وأنت لـهن بالمرصــــــاد
أباك تـربيـــة الأعـــاجم مـــثلمـــا
ربى أبو حـــسن شـــقـيّ مـــراد
أعدمتـهم حـرضًا وما أجـلاهم
المهـديّ عن حـرض وآل الهـادي
فكأنهم بيت بلا عـــمـــد وهلْ
بيت يقـوم لهم بغيـــر عـمـاد
لا تجزعن لكون قومك أصبحوا
فــئـتين بين أصـادق وأعـادي
واصـبـر فـمـرجـعـهم إليك وإنما
تجري الشعاب إلى مسيل الوادي(٧)

ويتساوى في هذا النهج أمراء حلي مع إخوانهم أشراف المخلاف السليماني في الاعتدال المعنوي الذي يبسطه ابن هتيمل في مدحه لهم، إذ هم في بيئتين متجاورتين، تغشاهما وفادة الشاعر في واقع مطمئن من رحلته وتحركاته، لم يكلف نـفسـه الاسـتعداد، ولا الترحال البعيد نحو الحجاز واليمن، إذ هما عندئـذ من الحواضر الكبيرة في جزيرة العرب ذوات الهيئة الملكية، والمكانة الاجتماعية الحضرية المتقدمة، يقول على سبيل المثال في مدح أمير حلي بن يعقوب الأمير فخر الدين أحمد بن علي الكناني:

يا أحـــمـــد بن علـي قـد أغنيـتني
عن رحلة التـشـريق والتـغـريب
وكـفـيـتني ذلّ السـؤال وذلة الط
مـع الدنيء وعـــــزة المطلوب
عــودتني فـــجـــرت لخلك عـــادة
في الأرض قـــوة جنيـــبـــة وجنيب
وعـدا نصـيـبـك في بلادك والذي
حكمت عليـه يداك راح نصـيـبي
أ أبا عـمـارة لست أضـمـر فـيكم
بغـضًـا عـمـارة في بني يعـقـوب
أرعى لكم والدار غـيـر قـريـبـة
مـا بيننا والدهر غــيــر قـــريب
خـذها وإن نُـسجَت على منوالها
حُلَل فـمـا الأسلوب كـالأسلوب
مما يـهـــجـن بالوليـــد وربّمـــا
عبقت فبعض حبّها بحبيب(٨)

ومما يدل على تفاوت مـدحـه، واختـلاف مـعناه، بل وغلوه، ومبالغته فيه، أنه إذا امتدح اشراف الحجاز، أو سادته تجاوز مداه وأسرف على نفسه بما يجعل قوله مساويًا لاتجاهه ومنهجه الذي اعتاده مع أئمة اليمن، يقول على سبيل المثال في مدح الشريف محمد بن أبي سعيد أمير مكة المكرمة.

يهني بنـي حسن مـا سـرّ سـيدهم
مـحـمـد بن أبي سـعـد ويهنيـه
لولا النبـوة في أيامـه خـتـمت
بجـدّه مـا شككنـا في تنبيـه(٩)

وهذا القول في البيت الثاني خطل ظاهر لغلوه، وما أظهر فيه من المبالغة، مما يدل على استمراء الشاعر لمثل هذه المبالغات الممقوتة، إذ كـان عصره فيما يـبدو مسعفًا له، ومواتيًا، وهو ما هيأ لابن هتيمل هذا الميل، وتلك الخصوصية في شعره عن بقية شعراء عصره في المخلاف السليماني.

ويظل الحـديث عن واقع الأدب في تهـامة عبـر القـرون الإسلامية الوسيطة الماضية ميدانًا خصبًا للباحثين، إذ كانت مادته وافرة، وكـان أدباؤه مبدعين لم تنلهم أسباب الضعف، والتكلف شـأن غيرهم من شعـراء زمـانهم، وذلك في ظني يعـود إلى بُعْد تـلك المواطن عن حـواضر الأدب العـربي المعروفة، وبخاصّة في مصر، والشام، والحجاز التي تأثرت إلى حد بعيـد بدواعي الحـضارة، ومـا اتصل بهـا من: معايشـة الحضارات المجاورة، وفسـاد الذوق الأدبي، ودواخل العجمة، ونحـو ذلك مما سـلمت منه بلدان تهـامـة وبعض أحـوازها، والشواهد على ذلك كثيرة في شعر هذه الأنحاء، وما القاسم بن علي بن هتيمل ببعيـد عن هذا الظن، إذ يكاد يتفوق شعره على شعر معاصريه الشعـراء في بلدان الجزيرة العربية الذين شهدوا له بذلك في أكثر من مقام.

ويصدق هذا القـول على نماذج شعرية من شعـر هذا الشاعر الذي حـفل به ديوانه المخطوط، ومـا أكثـر الحسن في ذلك النتـاج الأدبي، وبخاصة أن الشاعر ابن هتـيمل قـد انتظم عمره القـرن السابع بتمامـة، فلم يغادر شيئًا من أحداثه، مما جعل لنتـاجه الشعـري الماثل في هذا الديوان نكهـة خـاصة، تحسب لهذا الشاعر لا عليه.

الهوامش

١- عبـدالله بن محـمد الحبـشي، «من شعراء ضمد في كتـاب: مطلع البـدور» العـرب، ح١، ٢، س٢٤ (رجب، وشعبان ١٤٠٩هـ) ٨١.
٢- المرجع نفسه.
٣- المرجع نفسه ٨١.
٤- «ديوانـه»: دراسـة وتحليل، جـمع العقيلي ٦٢، ٦٣.
٥- في الأصل: «المنا».
٦- «ديوانه»، مخطوط، ٣، ٤.
٧- «ديوانـه»: دراسـة وتحليل، جـمع العقيلي ٥٤، ٥٥.
٨- المصدر نفسه ١٦٠، ١٦١.
٩- عبـدالله بن علي العمودي، «تحفـة القارئ والسامع»٢٢.

المصادر والمراجع
أولا: المخطوطات:
- العمودي، عبـدالله بن علي. «تحفـة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع»، نسخة مخطوطة، توجد لدى الباحث، دون رقم.
- ابن هتيمل، القاسم بن علي. «ديوانه»، مخطوط، توجد نسخة مصورة منه لدى الباحث، دون رقم.
ثانيًا المطبوعات:
- ابن هتـيـمل، القـاسم علي «ديوانه: درسـاة تحليليـة» محـمـد بن أحمدالعقيلي، ط١، دار الكتاب العـربي، مـصـر، (١٣٨١هـ/١٩٦١م).
ثالثا: الدوريات:
- الحيشي، عبدالله بن محمد «من شعراء ضمد في كتـاب مطلع البدور»، مـجلة العـرب، ج١، ٢، س٢٤، (رجب، شعبان ١٤٠٩هـ) ص ص ٧٨-٩٢.

فاطمة سيراجو

من خرافات الهندوسية إلى نور الإسلام

في مجتمع هندوسي متعصب جاء مولد بثلامة سيراجو في أسرة هندية فقيرة لا تكاد تجد لقمة العيش إلا بشق الأنفس، ومع ذلك فإنها تتعصب لعقيدتها الهندوسية، وتقتصد من قوتها القليل من حين إلى آخر شيئًا تقدمه قربانًا لآلهة الهندوس في المعبد، وهو قربان لا يصل بالتأكيد إلى الآلهة المزعومة، وإنما يأخذ طريقه إلى الكهان، الذين هم ظل الآلهة على الأرض، فيزدادون ثراءً، ويزداد البسطاء فقرًا.

حين شبت بثلامة عن الطوق، بدأ أهلها يقلقون على مستقبلها، ففي عقائد الهندوس تدفع أسرة العروس مهرًا «دوطة» للعريس، كلما علا المهر كلما حظيت الفتاة بفرصة أكبر وأفضل للزواج، وفي حالة بثلامة لم تكن أسرتها قادرة على تقديم الكثير، فلم تجد سوى عريس لا يقل عنها فقرًا، رضي بالمهر القليل الذي تمكنت الأسرة من تدبير جزء منه، واستدانت الجزء الآخر، رضي العريس بالمهر القليل آملاً في زوجة شابة تساعده بعملها على توفير مطالب البيت الأساسية.

زواج وشقاء

تزوجت بثلامة وبدأت حياتها الزوجية، وما إن انتهى شهر العسل حتى وجدت نفسها مطالبة بالعمل لمساعدة زوجها، وزاد العبء عليها عندما حملت في طفلها الأول، وشهدت الأسرة الصغيرة أيامًا من البؤس حين اضطرت للانقطاع شهرًا عن العمل لظروف الولادة، حتى إذا ما أحست ببعض القوة في جسدها الواهن، عادت بسرعة إلى العمل لتسهم في إعالة الأسرة، لتوفر الحليب والملبس للوافد الجديد، ولو على حساب صحتها وراحتها الشخصية على الرغم من كل هذه الظروف القاسية حملت بثلامة للمرة الثانية، وأضيف إلى الأسرة عبء وافد جديد، ولم يكن أمام الزوجين سوى البحث عن مصدر آخر للرزق، فما يجمعانه معًا من مال لا يكفي الحد الأدنى من مطالب الحياة الأساسية، ولكن أين مصدر الرزق هذا في بلد يضيق بسكانه؟ ولو وقف متعطلوه والباحثون عن العمل في صف واحد لشكلوا حائطًا لا يقل في طوله عن سور الصين العظيم.

لذا كانت رحلة البحث عن عمل إضافي داخل الهند من ضروب المستحيل، ففكر الزوج مليًا، واتجه إلى سماسرة العمالة، ومكاتب التسفير باحثًا عن عمل له في بلدان الخليج العربي لمعرفته طلباتها للعمالة المنزلية واليدوية، وشاءت عناية الله ألا يجد الزوج فرصة سفر له، وأن يجدها لزوجته التي رحبت بالاغتراب من أجل أسرتها، معبرة عن كامل استعدادها للتضحية بسعادتها الشخصية من أجل طفليها وزوجها، الذي لم يمانع في قبول هذه التضحية، بل رحب بها كثيرًا، فهي فرصة تجعله ينتقل إلى مصاف الطبقةالمتوسطة، فالراتب الذي ستتقاضاه الزوجة من عملها الجديد كَشَغَّالة يزيد على ضعفي ما يتقاضاه خريج كليتي الطب والهندسة في بلاده.

الرحيل إلى الكويت

وفي صيف عام ١٩٨٣م، ودعت بثلامة زوجها وطفليها، وصعدت للمرة الأولى في حياتها إلى الطائرة لتحملها من شبه القارة الهندية إلى الخليج العربي، وتحديدًا إلى الكويت، للعمل لدى أسرة كويتية مسلمة.

حين وصلت بثلامة إلى الكويت وجدت كفيلها في انتظارها بالمطار، حيث اصطحبها إلى المنزل وفي داخلها مشاعر ألم لفراق أسرتها ووطنها وخوف مما قد ينتظرها في بلد غريب عنها، ولا تعلم شيئًا عن أهله سوى أنهم أثرياء، ويعتنقون الإسلام دينًا.

بوصفها هندوسية كانت تعلم جيدًا ما يلاقيه الهنود المسلمون من اضطهاد عرقي على أيدي بني جلدتها من الهندوس، لذا كانت خشيتها كبيرة أن تعاني هي من اضطهاد مماثل من قبل كفيلها المسلم وأسرته، لكنها ما لبثت أن وجدت ألا مسوغ لخوفها، فقد استقبلتها ربة المنزل بالترحاب، وتعاملت معها بنات الكفيل كأخت لهن، وكانت تنادي كفيلها «بابا» وربة البيت «ماما»، ولم يكونوا يعطونها فتات المائدة وبواقيها، مثلما كان يحدث لها في البيوت الهندوسية التي خدمت فيها، وإنما كانت تأخذ وجبة طعام مثل تلك التي يأخذها أفراد الأسرة، وتجد معاملة طيبة ومساعدة وعطفًا من ربة البيت وبناتها.

موازنة

قضت بثلامة عامًا كاملاً مع تلك الأسرة الكويتية، رأت خلاله الفرق الشاسع بين تلك المعاملة التي عرفت أن دينهم الإسلامي يحض عليها ومعاملة بني جلدتها الهندوس لمواطنيهم المسلمين.، بل ولطوائف من الهندوس ذاتهم ، ذلك أن العقيدة الهندوسية التي تقوم على عبادة ثالوث مكون من براهما وسينا وفشنو، تقوم على أساس طبقي هو من صميم العقيدة ذاتها، حين تجعل لطائفة البراهمة مكانة مرموقة فوق الجميع، فهم السادة ومن دونهم من الطوائف الهندوسية الأخرى خُلقوا ليقوموا بخدمة البراهمة، ويزداد الظلم على طائفة المنبوذين التي يساوي فيها الهندوس بين كفارة قتل المنبوذ وكفارة قتل الضفدع!!

وازنت بثلامة بين ما عاشته ولمسته من ظلم اجتماعي تُرسِّخُه عقيدتها الهندوسية، وماتراه وتحياه في كنف الأسرة الكويتية المسلمة من عدالة ومساواة يأمر بها الإسلام، ويشدد على وجوبها، فأدت الموازنة إلى مراجعتها لنفسها حول مدى صحة عقيدتها، ولم يلبث ترددها طويلاً، إذ فاجأت ربة البيت يومًا وهي تنضم إلى بناتها في الصلاة، فسألتها السيدة عما تفعله، فقالت أصلي مثلكن، فاستدعت زوجها الذي ناقش بثلامة حول ما إذا كانت ترغب في اعتناق الإسلام، وحين أجابت بالإيجاب، فرحت الأسرة بالروح التي اهتدت، وبدأت تعلمها كيف تتوضأ وتصلي.

إشهارها الإسلام

وحلّ شهر رمضان الكريم، وكان ثاني رمضان تحضره بثلامة مع الأسرة الكويتية، وحين لمس رب الأسرة حرصها على الصلاة والصوم، وجد أن الوقت قد حان لاصطحابها لإشهار إسلامها، وارتأى قبل أن

يصطحبها التأكد أولاً من رغبتها في ذلك، فوجد منها حماسة ورغبة، واتجه بها إلى مكتب الإفتاء، حيث استقبلها المسؤولون بالمكتب، وبعد عدة أسئلة اقتنعوا بأنها دخلت الإسلام عن رغبة وطواعية، وليس عن إكراه أوطمع، فأعطوها موعداً لتقابل شيخًا يتحدث بلغتها «التلجو» وكان مسلمًا هنديًا هندوسي الأصل، اعتنق الإسلام عن قناعة، وأصبح داعية، وعلى يد ذلك الشيخ واسمه محمد إسحق أشهرت بثلامة إسلامها واختارت أن تتسمى باسم «فاطمة» تيمنًا بفاطمة الزهراء، وأفهمها الشيخ إسحق أن ولديها قد صارا بإسلامها مسلمين أما زوجها فقد أصبحت محرمة عليه شرعًا ما لم يسلم، ودعاها لأن تطلب من زوجها دخول دين الحق.

سجلت فاطمة وثيقة ميلادها الجديد، في قلم الأحوال الشخصية بالمحكمة الشرعية، وأبلغت أسرتها بخبر إسلامها، فكان الرد عنيفًا، عبر تهديدات من الأسرة وزوجها بالقتل إذا لم ترتد عن دينها الجديد، وتعود إلى حظيرة الهندوسية، وقابلت فاطمة تلك التهديدات بسماحة، إذ واصلت إرسال ما تتمكن من توفيره من مال إلى زوجها وأسرتها لإعانتهم على الحياة، بل وزادرت من المبالغ التي ترسلها بعد أن حصلت على زيادة في راتبها من كفيلها.

تهديدات وملاينة

لثلاث سنوات استمر الوضع على ما هو عليه. فاطمة ترسل لأهلها وزوجها نقوداً، ويردون عليها بتهديدات بالقتل وهي صابرة ومحتسبة، وفي العام الرابع اتجهت الأسرة والزوج إلى الملاينة بغية استدراجها للعودة إلى الهند وقتلها، فبدأت الرسائل تحمل أخباراً أخرى فتارة يقولون: عودي والدتك مريضة، وأخرى طفلاك مريضان.

وعلمت فاطمة من معارفها أن أهلها وتحديداً زوجها يحاول بث الحنين في داخلها نحو ولديها وأمها وبث الطمأنينة في نفسها لتعود وتقتل. وعلى الرغم من ذلك قررت فاطمة العودة إلى وطنها في إجازة لمدة شهر، ووافق كفيلها على عودتها وهو مشفق مما قد ينتظرها، ولكنها طمأنته.

عادت فاطمة إلى الهند وعناية الله تحوطها، فما إن وصلت حتى وجدت زوجها الذي يهدد بقتلها قد نقل إلى المستشفى مشلولاً بلا حراك، فلم تتخل عنه، وإنما وقفت بجانبه في تلك المحنة، وظلت لأسبوعين تمرضه وتحاول هدايته، حتى فارق الحياة.

وفاطمة اليوم تحيا في بلادها مع طفليها، وتحرص على أن تربي الطفلين تربية إسلامية ليشبوا على دين التوحيد، الدين الذي يحفظ للإنسان كرامته.

قصيدة

صلوات ودموع

محمد صبحي السيد

قـــالوا أتبكي قلت لا بل إنه ... قلبي يذوب اليوم في عبراتي
فاضت به الأشجان ثم ترقرت ... بين الجفون مدامع الحسرات
طويت على نار السكون جوانحي ... والدمع قد يغني عن الكلمات
حظّي من الدنيا فؤاد شاعر ... جمّ الصبابة مرهف الخفقات(١)
يجري على عيني كدمع حائر ... رفقًا بدمعي فهو سر حياتي
أبكي بدمعي في صلاتي ضارعًا ... يارب فاقبل توبتي وصلاتي
وانظر لدمع واستمع لضراعة ... واسمع لقلبي جُن من آهاتي(٢)
وأنا أهدهد وحشتي وكآبتي ... وأهيم وحدي في الظلام حياتي
يا رب هب نور المحبة إنه ... نور يبدد حالك الظلمات
يا رب لا تعْصف بقلبي إنه ... سر الحياة يفيض من جنباتي
أودع به النور الذي لا ينتهي ... واجعله يهدي صحبتي وعُداتي(٣)
يا رب واجعلني قويًا مؤمنًا ... في الحق صلبًا لا تلين قناتي
رباه واجعل من دعائي قربة ... واقبل من الدمع الغزير زكاتي
خفقات قلبي إن توقف سيرها ... وتدافعت روحي مع السكرات
فالدمع يقطر من جفوني ساعة ... يزجي لك التسبيح بالقطرات(٤)

الهوامش:

١- الصبابة بالفتح - رقة الشوق وحرارته (مختار الصحاح).
٢ - ضرع بفتحتين يضرع ضراعة - أي خضع وذل (المصباح المنير).
٣ - يقال أعداء وعِدا بكسر العين - فإن أدخلت الهاء قلت عُداة بالضم (مختار الصحاح).
٤ - زجّته بالتثقيل - دفعته برفق - والريح تزجي السحاب تسوقه سوقًا رفيقًا (المصباح المنير)

طريق الهدى

فضيلة الشيخ

د. صالح بن سعد اللحيدان

قول يتردد!!

كثيراً مايردد بعض الناس أنه لولا فلان لما حصل كذا وكذا، هل في مثل هذا القول مايتعارض مع الشرع الحنيف؟

نجلاء عبداللطيف قورتي

أسوان ـ مصر

ترك مثل هذا واجب، لكن إذا اقترن به النفع والضر بغير الله فهذا شرك. فمن اعتقد أنه لولا كذا وكذا لحصل كذا، وتعلقت نية القائل بالمذكور دون الله، فهذا هو المحظور، والتوحيد حساس، والمسلم عليه أن يحذر الوقوع في مثل هذا.

الأهم العدل

هل الميل إلى زوجة دون الأخرى بسبب حسن الصورة وجمال الأخلاق، فيه ما يغضب الله سبحانه وتعالى؟

س. ع. خ.

الرياض

الواجب العدل في النفقة والمكث والعلاج والتبسط.

وميل القلب لا تملكه فلا تؤاخذ على هذا إلا إذا قادك إلى الظلم، لكن تودد لتلك وعاشرها بنية صالحة مخلصة.

للطلاق أسباب

كثيراً ما يلقي بعض الناس يمين الطلاق، كنوع من التهديد والمنع، ما رأي الدين في ذلك؟

جميل شرحبيل

مكة المكرمة

الطلاق أصلاً إنما شرع لكي يكون علاجاً تاماً إذا حصل سببه من كفر أحد الزوجين، أوتعذر الحياة جداً بسبب سوء خلق صعب التقويم، أو فسق ظاهر، أو انحراف بيّن، ومثل هذا.

والطلاق ليس حلاً، لكنه كما سلف لا يكون إلا بوجود سببه اللازم الذي لا مناص منه، فإذا علمت هذا، فإن الطلاق يقع حسب النية على قول كثير من العلماء الذين يقولون بهذا لصحة حديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، والقول عمل لأنه حركة، فما دام قد قصد المنع فهو على قصده.

لكن لا يحسن بالزوج استعمال هذا الأسلوب سداً للذريعة، ولئلا يكون هذا ديدنه فيقع منه ما لا تحمد عقباه.

وقد كان السلف لايستعلمون هذه الألفاظ، إنما يعالجون ما يحدث بكل وسيلة حسنة.

إياكم والظلم

إذا أقام إنسان عمارة على أرض اغتصبها باستخدام ذكائه وندم على فعلته، فما الذي يعمله إذا كان من وقع عليه ظلمه قد توفاه الله؟

طارق البحيري

القاهرة ـ مصر

هذا جيد، ولكن المشكلة هي النفس، وما توردِه من مسوغات، وتعليلات لظلم المغتصب، وبهذا ينتشر الظلم الذكي لكن عاقبته وخيمة.

على المغتصب أن يختار أحد هذه الرموز إذا أراد التكفير:

ـ أن يذهب للورثة ولا يخبرهم أنه احتال وأخذها بظلم قوي ذكي، لكنه يقول لهم إنه اشتراها منه ـ رحمه الله ـ مثلاً بمئة ألف دولار، لكن بقي له مئة ألف دولار أخرى هي القيمة الفعلية للأرض.

ـ أن يخير الورثة بين هذا، وبين أخذ العمارة ودفع التكاليف إليه، وهذا شديد عليه، لكنه فعل عظيم لأن فيه راحة الضمير.

ـ أن يخبرهم بكل شيء قد حدث فيتصرفوا معه بما يريدون وعليه أن يتوب بعد تنفيذ أحد هذه الخيارات، إذ لاتصح التوبة قبل هذا.

التزام وعصيان

كيف يمكن للمرء أن يفرق بين المسلم الملتزم والمسلم العاصي؟

محمد عبدالكريم سرور

الخرطوم ـ السودان

المعصية تكون بجهل وتكون بعلم. كما تكون بإصرار مستديم عليها، وتكون في حال تقطع. وتكون كبيرة كما تكون صغيرة.

والمقصود أن المسلم العاصي يضيق إذا مرض، ويحرص على مصلحة نفسه، وقد يظلم الآخرين ليعيش وقد يتساهل في كسب المال والجاه، ولو على حساب غيره.

وهناك فرق واضح يحسُّ به المسلم العاصي ولو لم يستطع تفسيره أويستطيع، لكنه يعيد السبب لأشياء حسب تفسيره هو. ومن ذلك: الخوف النفسي على الحياة أن تزول منه. والحذر الزائد وسوء الظن، والعقل المعيشي المقلق، والظلم المعنوي للضعيف، وكثرة اللهو والعبث الخاص، وظلمة في الوجه والقلب، والميل لاحتقار غيره.

أمر لايجوز

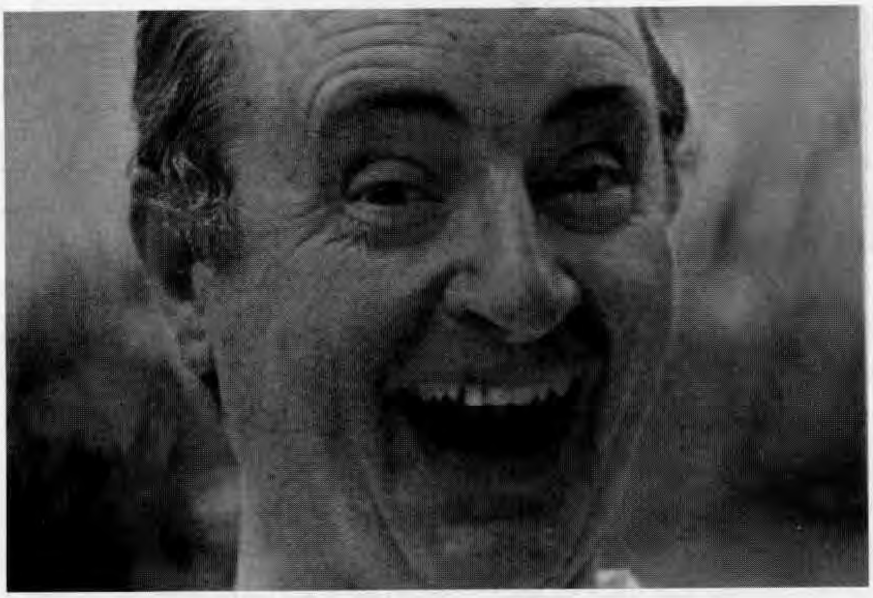
إذا كان لي دين على شخص لا تسمح حالته بسداده، هل يمكن أن أجعل هذا الدين له بدل الزكاة؟

سليمان المحجوب

القصيم

هذه حالة تحصل كثيراً بين الناس، فترى بعضهم يسقط الدين ويحسبه من الزكاة، وهذا أمر لا يجوز لعدم توافر النية حال الدفع، لكن النية هنا انقلبت ولابد من استقلالها.

والمخرج من هذا أن يأخذ بعض ما على هذا الشخص، ثم يدفعه إليه بقصد الزكاة. أو يسقطه نهائياً من باب كشف الضر وحل الكربات، لا أن يسقط الدين ويعده من الزكاة. والله أعلم.



في مفهوم الضحك

صالح خريسات

الضحك ظاهرة إنسانية بحت، لازمت الإنسان في جميع مراحل تقدمه وارتقائه، فعاشت معه أيام كان يجوب الأرض هائماً على وجهه، وتطورت بتطوره إلى إنسان بدوي ثم قروي فمدني فعصري.

ففي المراحل الأولى من الحياة البشرية على ظهر الأرض، كان الإنسان يظهر أسنانه وأنيابه دونما قصد منه للضحك، بل كان يرمي إلى استخدامها في شد الحبال، وقطع الأغصان، وحزم الحطب، ويبدو أن ظروف الحياة في الغابة ووسط الأدغال أو في كهوف الجبال، تحتم على الإنسان معايشة حيوانات مختلفة تفوقه قوة حين المجابهة، فكان يضطر - والحالة هذه - إلى استخدام أسنانه وأنيابه كسلاح يدافع به عن نفسه عند مهاجمة هذه الحيوانات له.

وباستمرار الحياة في الغابة، لاحظ الإنسان ظاهرة غريبة في الحيوانات، فالذئب مثلاً، يعوي فتسمعه بقية الذئاب وتسرع باتجاه الصوت لتلم شملها وتواجه الخطر الذي يتهدد جنسها، والظاهرة نفسها لاحظها الإنسان في الأسود والكلاب، وأنواع الطيور المختلفة، فتعلم أن يصرخ بصوت عال ليسمع أخاه الإنسان إذا ما داهمه خطر واحتاج إليه.

على أن الدراسات التاريخية المتعلقة بحياة الإنسان وظروف ارتقائه، تشير إلى أن ظاهرة الصراخ بدأت عفوية عند الإنسان، والرأي عندي، أن الإنسان الأول كان يصرخ لاحتمالات عديدة، منها، أنه إذا صادف حيواناً مفترساً لا يقوى عليه، فمن المحتمل أن يصرخ خوفاً منه، أو لإخافته، أو للاستنجاد بأخيه الإنسان، وقد يصرخ ساعة الانقضاض على هذا الحيوان، إذ إن الصراخ يقوي العزيمة، ويلهب الحماسة ويزيد من الشجاعة، ثم إنه قد يصرخ بعدالتغلب على هذا الحيوان، فتصدر عنه صرخة مدوية تنتشر في جميع أنحاء الغابة، ليظهر بذلك تفوقه ويشعر بزهو الانتصار.

وعلى مر العصور، لاحظ الإنسان مكانة الفم بالنسبة إلى وجه الإنسان، ورأى أن شكله عند الصراخ يكون أقرب ما يكون إلى الحيوانات عند هيجانها وافتراسها، لكنه يكون أبعد عنها عند الإقلال من الصراخ ومن سعة انفراج الشفتين.

وشعر الإنسان بوجود فرق كبير بين هاتين الظاهرتين، فالأولى تدل على التوحش والبشاعة، وتولد في النفس مشاعر الخوف وعدم الطمأنينة، بينما تميزه الظاهرة الثانية من الحيوانات المفترسة، وتولد له مشاعر الراحة والسعادة، لذلك هذب صرخاته وبات لا يستخدمها إلا في مواقف محددة، واستطاع برقيه وتطوره أن يتعلم لغة الضحك ويصنع دلالاتها المختلفة من السخرية والدعابة والهزل والتهكم وغيرها.

وشيئاً فشيئاً، تغلغلت ظاهرة الضحك في الحياة اليومية للإنسان، وأخذت تمثل بعداً عميقاً في حياة المجتمعات البشرية كافة، وأصبح من الصعب عزل هذا البعد الاجتماعي عن بقية الأبعاد الأخرى الملازمة لحياة الإنسان؛ صحيح أنه لم ينل الدرجة نفسها من الاهتمام الذي حظيت به الأبعاد الأخرى، إلا أنه ظل مؤثراً تحار أمامه العقول، فمازال هناك الكثير من التساؤلات الموضوعية والمنهجية التي من الممكن أن تثار حوله، غير أننا إذا توصلنا إلى مفهومه، صار من اليسير علينا استيعاب أنماط السلوك البشري كافة. إذ يظهر التنوع

والتباين في السلوك من خلال دلالات الضحك المختلفة، فهو إما أن يكون في طبع المرء لا إرادة له فيه، كالتشوه الخلقي، أو العقلي، أو الأمراض النفسية والعصبية، وإما أن يكون مبتكرًا لغاية كالتعبير عن مشاعر الغبطة والسرور، أو يقصد به معنى ودلالة، وهنا نتبين درجات الذكاء والغفلة والحماقة بين الناس، فما هو الضحك؟! وما مغزاه؟! ولماذا نضحك؟! ما الظروف الملائمة له؟! ما أثره في حياة الناس؟! ولماذا يحتاجون إليه؟! ما موجباته؟ ...إلخ.

لقد اهتم الفلاسفة وعلماء النفس بهذه الظاهرة وقدموا لها التعليلات والنظريات المختلفة، غير أن شروحهم لم تتجاوز حد المدلول اللغوي الذي صاغه علماء اللغة والنحو، على الرغم مما أدخل عليه من تعديلات في اتجاهات مختلفة خلال مراحل تطور الإنسان وتقدمه، لذلك لابد من تعريف كلمة الضحك في اللغة وتحديد معناها.

الضحك في اللغة من: ضَحِكَ يَضْحَكُ ضَحْكًا وضِحكًا وضِحْكًا وضَحِكًا، أربع لغات(١) ومنه (ضَاحَكه) أي ضَحك معه، و(أضحكه) أي حمله على الضحك، ومنه (تضاحك واستضحك) بمعنى ضحك، وقولهم (الضحَّاك) الكثير الضحك و(الضُّحكة) من تضحك عليه الناس و(الأضحوكة) ما يضحك منه وجمعه أضاحيك(٢).

وجاء في اللغة: تضَحّك وتَضاحَك، فهو ضاحك وضَحّاك وضَحُوك وضُحَكة: أي كثير الضحك، والضُّحْكة: الشيء الذي يُضحَك منه، والضُّحَكَة: الرجل الكثير الضحك يُعاب عليه، ورجل ضَحَّاك نعت على فَعَّال. وامرأة مضْحاك: كثيرة الضَّحك، والضَّحَّاك مَدْح، والضُّحَكَة ذم، والضُّحْكة أذم(٣).

والضحك ضد البكا، والضد في اللغة المخالف والمنافي، وهو من قولهم ضاده ضدًا أي خالفه أو صار له نقيضًا، وجمع ضد أضداد، والأضداد هي المفردات الدالة على معنيين متباينين، أما المضادات فهي الألفاظ المتباينة التي لا تجتمع، وقد جاء في القرآن الكريم في موضوع واحد: *سَيَكْفُرُونَ بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا*. **مريم**:٨٢. لذلك فعندما نقول (الضحك ضد البكَا) فهذا يعني أن له دلالته على الفرح والسرور مثل البكاء والنحيب في دلالته على الحزن.

والضحك هو انبساط الوجه وانفراج الشفتين بحيث تظهر الأسنان. قال ابن منظور: الضَّاحِكَة: السن التي بين الأنياب والأضراس وهي أربع ضواحك، وقال أبو زيد: للرجل أربع ثنايا وأربع رَبَاعِيَات وأربع ضواحك، والواحد ضاحك وثنتا عشرة رحًى، وفي كل شق ستٌ: وهي الطواحين ثم النواجذ بعدها، وهي أقصى الأضراس(٤).

وقالوا: الضحك، هو الافترار (الانكشاف) ومنه افترَّ فلان، أي ضحك كأنه أبدى أسنانه(٥)، فإذا ظهرت الأسنان ولم يرافقها صوت، فذلك هو التبسم، وقد أورد ابن منظور حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ما أوضحوا بضاحكة: أي ما تبسموا ولم تظهر لهم الأسنان، فإذا ظهرت الأسنان وصاحبها صوت يسمع فذلك القهقهة، وإن كان ظهور الأسنان مصحوبًا بصوت مسموع للضاحك فقط، فذلك الضحك وعليه الأكثرون(٦).

ولما كان الضحك له هذه الدلالة من الانبساط والفرح، فقد استعار العرب لفظه في كلامهم، ليدل على ما يستشعرونه من سرور وحلاوة، فقالوا الضَّحْك: الثغر الأبيض، والضحْك هو العسل، وقيل الزبد، وقيل الثلج، وقيل طلع النخل، وقولهم ضحكت النخلة: أي أخرجت طلعها، وضحك الورد: أي أزهر،

ظاهرة الضحك تمثل بعدًا عميقًا في حياة المجتمعات البشرية ، لا يزال محل تساؤلات موضوعية ومنهجية

وضحك البستان: أي أخرج ثمرًا، وفي الحديث الشريف: يبعث الله السحاب فيضحك أحسن الضحك، أي جعل انجلاءه عن البرق ضحكًا استعارة ومجازًا كما يفترّ الضاحك عن الثغر(٧)، وقد أكثر الشعراء من الأدباء من مثل هذه الاستعارة أثناء وصفهم للرياض أو تغنيهم بالطبيعة، ومن ذلك قول البحتري في قصيدته التي يصور فيها حال الربيع ضاحكًا مختالاً يقول: (أتاك الربيع الطلق يختالُ ضاحكًا).

وفي القرآن الكريم، وردت كلمة الضحك. في عشر آيات، كل منها في سورة منفصلة باستثناء سورتي المطففين والنجم، إذ وردت في كل منهما مرتين، وجميع هذه الآيات مكية إلا آية واحدة مدنية وهي في سورة التوبة: *فَلْيضحكوا قليلاً وليَبْكُوا كثيرًا*. **التوبة**:٨٢.

جاء في سورة عبس، قول الله تعالى: *فإذا جاءت الصاخَّة، يوم يَفِرّ المرءُ من أخيه، وأمّه وأبيه وصاحبَته وبَنيه، لكلّ امرئٍ منهم يومَئذ شأنٌ يُغنيه، وجوهٌ يومَئذ مُسْفرةٌ ضاحكةٌ مستبشرةٌ، ووجوه يومئذ عليها غَبَرةٌ، ترهقها قَتَرةٌ، أولئك هم الكَفَرة الفَجَرَة*. **عبس**: ٣٣ - ٤٢. فكلمة ضاحكة هنا، أفادت في تصوير حال المؤمنين يوم القيامة، فهم فرحون بما قدموا لأنفسهم من خير في دنياهم فوجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا، فوجوههم منبسطة لتيقنهم من الجائزة كما وعدهم الله، وهم فرحون بنجاتهم من العذاب الأليم، فالكفار أمامهم يصطلون النار، وهي تضطرم من فوقهم ومن تحتهم، وكلما نضجت جلودهم، بدلهم الله جلودًا غيرها كي يستمر العذاب الأكبر، وعندما يشاهد المؤمنون أهوال هذا اليوم العظيم الذي صورته لنا الآيات، ويتيقنون من نجاتهم من هذا الهول، يدخل الفرح إلى قلوبهم، فينعكس ذلك على وجوههم لتظهر وقد كساها السرور، فهي ضاحكة، مستنيرة، متهللة من الفرح(٨).

وهذه الحالة من السرور والفرح، لا تصل إليها نفس المؤمن، إلا بعد مرورها بمراتب من الشعور بالمخاوف والصراعات النفسية، كالارتباك، والاضطراب، والقلق، والضيق الشديد، ففي لحظات الترقب هذه تكسو الوجوه أمارات الخوف والذهول، وتصل المشاعر ذروتها عندما تفصل النفس عن محيطها وتستولي عليها لتصبح شغلها الشاغل «لكلّ إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» وفي هذا منتهى الشعور بالخوف والذهول، فمتى شعرت النفس بالارتياح، وزال ما علق بها من أدران الهم والغم، ظهرت كأنها ضاحكة مستبشرة.

وأفادت كلمة الضحك، المدلول السابق نفسه وذلك في قوله تعالى: *ولقد جاءت رُسُلُنا إبراهيمَ بالبشرى قالوا سلامًا، قال سلامٌ، فما لبث أن جاء بعجل حَنيذ، فلما رأى أيديَهم لا تصل إليه نكِرَهُم وأَوْجَسَ منهم خيفَةً قالوا لا تخف إنّا أُرسلْنا إلى قوم لوط، وامرأتُه قائمَةٌ فضَحكتْ فبَشّرْناها بإسْحاقَ ومن وَرَاء إسحاق يعقوبَ، قالت يا ويلتا أألدُ وأنا عَجُوزٌ وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيءٌ عجيب*. **هود**: ٦٩ - ٧٢.

وقد ينزلق بعضهم في تفسير هذه الآية الكريمة، بأن سارة زوجة إبراهيم عليهما السلام، ضحكت لبشراها بأنها ستلد وهي عجوز، والواقع أن سارة

في مفهوم الضحك

أصابها الذهول والخوف الشديد من هذا الأمر العجيب وهو الولادة في سن العجوز، ولم تهدأ نفسها وتعود إلى سكينتها إلا بعد أن قالت لها الملائكة: *أتعجبين من أمر الله رحمةُ الله وبركاتُهُ عليكم أهلَ البيت إنه حميد مجيد*. **هود**:٧٣.

وهذا ما حصل لسارة عليها السلام، فقد ضحكت قبل تبشيرها بالولادة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فإنها كانت تنظر إلى زوجها لما قدمت عليه الملائكة فجأة فلم يعرفهم وخافهم وظنهم ضيوفًا غرباء قدموا عليه، فهبَّ لإكرامهم وأتى بعجل حنيذ، ولكن هذا الخوف أخذ يكبر ويزداد تأثيرًا عندما رأيا أن هؤلاء الضيوف (الملائكة) لا يأكلون من العجل السمين المشوي الذي جاءهم به إبراهيم عليه السلام، فاستولى الخوف على نفس إبراهيم وزوجه لأن في ذلك خروجًا عن المألوف في حياتهم، متوقعًا الشر منهم، ولكن ما إن رأت الملائكة حال إبراهيم وزوجه حتى سارعوا لإخبارهما وقالوا له: «لا تَخَفْ إنّا أُرسلنا إلى قوم لوط» فهنا خوف فاطمئنان فبشرى مفاجئة على غير انتظار يكون نتيجتها انبساط الوجه والشعور بالفرح والسرور، والضحك هنا هو الأثر الملائم لهذه الحالة التي تشابكت فأصبحت في النفس حالات متناقضات(٩)، ثم وصلت إلى السكينة التي يدل على بلوغها الضحك.

ويذهب بعض المفسرين، إلى تفسير قوله تعالى: «وامرأتُهُ قائمةٌ فضحكت» بمعنى حاضت، وقد فسر ذلك على معنى العجب، أي عجبت من فزع إبراهيم وخوفه، وفي هذا مغالطة كبيرة، فالضحك جاء أولاً قبل البشرى ليدل على الخلاص من أزمة نفسية مرت بها سارة عليها السلام، ولو جاءت كلمة «فضحكت» بعد قوله تعالى: «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» لجاز لنا أن نجتهد ذلك، وروى الأزهري عن الفراء في تفسير ذلك فقال: لما قال رسول الله عز وجل لعبده وخليله إبراهيم «لا تخف» ضحكت عند ذلك امرأته، وكانت قائمة عليهم، فبشرت بعد الضحك بإسحاق، وإنما ضحكت هنا سرورًا بالأمن لأنها خافت كما خاف إبراهيم عليه السلام، وقال الفراء: أما قولهم فضحكت: أي حاضت، فلم أسمعه من ثقة، وعليه فالمدلول الأكيد لكلمة «فضحكت» هو السرور بالأمن من الخوف(١٠)، أو تهللٌ وفرحٌ بهلاك القوم الملوثين (قوم لوط)(١١) عليه السلام.

ويسمى هذا النوع من الضحكات (ضحكة الراحة، أو التنفيس، أو الانفراج) ففي مثل هذه الحالات، يشعر الشخص بأنه لم يكن مصيبًا في ظنه وتوقعه الهلاك والعذاب، فيضحك لإسرافه في شد أعصابه لشدة ما يرى أو يسمع، وربما راح يضحك من نفسه لا شعوريًا، فحالة التوتر هذه هي أشبه ما تكون بنابض مشدود حتى إذا بلغ الشد حده ورفعنا الإصبع، ارتد النابض فجأة وانكمش واتخذ وضعه الطبيعي(١٢).

ولما كانت الضحكة تقترن دائمًا بموجباتها، فإن ضحكة التنفيس قد تؤدي إلى الخلل النفسي أو الجنون إذا كانت شديدة الأثر، ولطالما سمعنا بجنون شخص كان لا يتوقع البراءة من تهمة أسندت إليه، أو رجل كان رهينة الموت فنجا بأعجوبة، فكيف حال المؤمنين عند نجاتهم من عذاب يوم القيامة؟ وكيف يكون حال إبراهيم وزوجته وقد زارتهم الملائكة وحلوا ضيوفًا عليهما؟! لا شك أن ضحكتهما ستكون بالغة الأثر في النفس وشديدة الوقع عليهما، لما يصاحبها من لهاث وتقطع أنفاس وسرعة خفقان في القلب لحدوث ما لم يكن يتوقع حدوثه، ولعلنا نجد في كتب الطب وعلم النفس ما يؤكد هذه الحالة وذلك ضمن الوصايا والإرشادات الطبية التي تنوه بضرورة أخذ الحيطة والحذر عند وقوع المفاجآت، وما حال المؤمنين بضحكهم يوم القيامة إلا دلالة على شدة الفاعلية في النفس على الرغم من أن الضحكة أدنى مراتب الضحك من حيث انبساط الوجه وظهور الأسنان وغياب الصوت.

وأفادت كلمة الضحك في القرآن الكريم، مدلولاً آخر، وذلك في قوله تعالى: *إنه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربَّنا آمنا فاغفرْ لنا وارحَمْنا وأنت خيرُ الراحمين، فاتخذتموهم سخْرِيًا حتى أنْسَوْكم ذكري وكنتم منهم تضحكون*. **المؤمنون**:١٠٩ - ١١٠. فبواعث الضحك هنا، تختلف عن سابقتها في الآيتين الكريمتين من سورتي عبس وهود، فباعث الضحك هنا، هو الخروج عن المعتاد في حياة مجموعة من الناس كانت تؤمن ببعض المعتقدات وتدافع عنها، فلما ظهر من بينهم من خرج عليها، هبوا جميعًا للدفاع عن معتقداتهم واستخدموا الضحك كسلاح لتحقيق ذلك. والآية هنا تشير إلى أن فريقًا من الناس، آمنوا بربهم، وتركوا دين أجدادهم وآبائهم، فكان هذا الإيمان بالله أمرًا غريبًا مستهجنًا، بالنسبة لحياة الجاهلية، فأخذ الناس يسخرون منهم ويضحكون من فعلهم، وكأنهم يؤكدون صحة معتقداتهم الجاهلية، وبطلان ما جاء به الفريق من المؤمنين.

وهذا النوع من الضحك يفيد أكثر من معنى، فهو من جانب الفئة الباغية، يفيد الاستهزاء والسخرية، للتعبير عن مدى الاستخفاف بالغير(١٣)، وهو من جانب الله يفيد القوة والمنعة والاقتدار والتوعد بالعقاب، فهو يتوعدهم بضحكهم الذي سيورثهم العذاب يوم الحساب، وهو من جانب الفريق المؤمن، يفيد معنى التألم والمرارة والحرقة لما يلاقونه من قومهم وهم يسخرون منهم ويضحكون.

وجاء في سورة المطففين، قوله تعالى: *إنَّ الذينَ أجرموا كانوا من الذينَ آمنوا يَضحكون، وإذا مَرُّوا بهم يَتغامزون، وإذا انقلبُوا إلى أهلهم انقلَبُوا فَكهينَ وإذا رأوْهُم قالوا إنَّ هؤلاءِ لضالُّون، وما أُرسلوا عليهم حافظين، فاليومَ الذينَ آمنوا من الكفار يَضحكون، على الأرائك ينظرونَ، هل ثُوِّبَ الكفارُ ما كانوا يفعلون*. **المطففين**: ٢٩ - ٣٦.

فالضحك هنا، يفيد معنى السخرية والاستهزاء،

ضحكة التنفيس قد تؤدي إلى الخلل النفسي أو الجنون إذا كانت شديدة الأثر

فالذين أجرموا بكفرهم وعصيانهم لأوامر الله وعبادته، كانوا ينظرون إلى الذين آمنوا نظرة سخرية وازدراء، وليس هذا فحسب، بل كانوا يتعالون عليهم ويصفونهم بالغبن والجنون، ولأن الفئة المؤمنة كانت أقل من الفئة الباغية، فقد أخذ المجتمع الجاهلي يستضعف الفئة القليلة ويضحك منها، واقترن ذلك بالتغامز الخفي الذي يدل على نكران الشيء وغرابته، حتى إذا خلا الذين كفروا بعضهم إلى بعض، جعلوا من المؤمنين مجالاً للفكاهة والتهكم والتسلية، فإذا التفت إليهم المؤمنون على حين فجأة، فإنهم لا يملكون إخفاء العبث كما يحدث عادة بين المتغامزين إذا انكشفوا وامتنع عليهم الكتمان والتمادي في الاستهزاء من وراء الأنظار(١٤)، ويحدث عكس ذلك يوم الحساب، فالكفار هم مجال السخرية وهم مادة ضحك المؤمن

لأنهم لم يحسبوا حساب يومهم هذا.

وأفادت كلمة الضحك المعنى نفسه في قوله تعالى: *ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين، فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون*. **الزخرف**: ٤٦ - ٤٧. فكلمة الضحك هنا، صورت لنا حال القوم عندما جاءهم موسى عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله، فهم، في بادئ الأمر، عدّوا أمره خروجًا عن المألوف، فظنوا فيه الظنون من السحر والجنون، وطلبوا منه المعجزات حتى يصدقوه، فلما أيده الله بها ظن موسى عليه السلام، أن قومه قد انصاعوا لأوامر الله،و ولكن الأمر الذي حدث، أنهم ضحكوا من معجزاته أيضًا، فالضحك هنا يفيد في جانب من جوانبه المدلول السابق الذي وصفناه في سورة المطففين، ويفيد في جانب آخر التعبير عن شعور الضاحك بالتفوق والتقزز من خصمه(١٥)، وهذا الشعور ينتج، إما عن الغرور أو عن الرغبة في التسلط، وهي رغبة يعاني منها بعض الذين أصابوا المكانة العالية في الحياة لإحساسهم بأنهم أفضل ممن هم دونهم منزلة أو مكانة، وهي تناظر السادية من باب التلذذ بآلام الآخرين، ولهذا غالبًا ما يحمل هذا المدلول للضحك طابع التهديد والتوعد، كما لاحظنا في الآيات السابقة.

وجاء القرآن الكريم، بمدلول آخر للضحك، وذلك في قوله تعالى: *وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى، والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى. فبأي آلاء ربك تتمارى، هذا نذير من النذر الأولى. أزفت الآزفة، ليس لها من دون الله كاشفة، أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا*. **النجم**: ٥٢ - ٦٢. فهنا إشارة من الله تعالى إلى الكافرين من قوم نوح عليه السلام، فهو يتوعدهم بالعذاب الأليم ويدعوهم إلى طاعته والسجود له، لأنهم أنكروا آياته البيّنات، وسخروا من رسله الذين بعثهم هداية لهم لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولعل كلمة «وتضحكون» أفادت الحالة التي كان عليها القوم، فالرسول يحسب أنه يأتيهم بما يبكيهم، ولكنهم لا يحسّون داعيةً للبكاء، ويستغربون ما جاءهم به الرسول، فينتقل بهم الاستغراب من أحاديث الرسول عن نذير الآزفة المطبقة إلى الأمان الذي يتصورونه ولا يحسون غيره(١٦)، ومن جانب آخر، أفادت الكلمة في تصوير حالة القوم من الضلالة والكفر، فإنهم لو علموا بشاعة فعلهم وعظمة شركهم لبكوا كثيراً من هول العذاب الذي سيصيبهم، ولكن الجهل المطبق الذي كان يخيم على عقولهم حال بينهم وبين الهداية، وبين هذين النقيضين المتباعدين، يتعجب القوم ويضحكون: موقف لا وسط فيه بين البكاء والضحك. فإما أن يحسّ السامع نذير الآزفة فيبكي أو يستغربها فيضحك تعجبًا من كلام القائل واطمئنانه إلى الأمان الذي يقال لهم إنهم مهددون فيه(١٧).ومثل هذا المدلول نجده في قوله تعالى: *فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً بما كانوا يكسبون*. **التوبة**: ٨١ و٨٢.

فالضحك هنا أفاد الفرح، أي فليضحكوا فرحًا من القعود وسخرية من المؤمنين، ولكن ضحكهم هذا زمنه قصير لانتهائه بانتهاء حياتهم، وسيعقبه بكاء كثير في الآخرة جزاء لهم بما ارتكبوا من الأعمال السيئة(١٨)، ففسر الضحك الساخر هنا، بأنه إثم ومعصية لهذا وجبت العقوبة، ولعلنا نلاحظ أن هذا الضحك مقرون بالسماع عن الخطر مع الشعور بالأمان، أي الخطر الذي سيأتي بعد حين والأمان الذي يشعر به هؤلاء القوم وهم في دنياهم بعيدين عن العذاب، أو قل لم يأتهم العذاب بعد، فهذا الشعور كالشعور بالخطر حيث يغلب اليقين بامتناعه أو يمتنع بعد نذير لا يخيف(١٩).

وجمع القرآن الكريم بين التبسم والضحك، في قوله تعالى: *وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون، حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين*. **النمل**: ١٧ - ١٩.

وهنا أفادت كلمة الضحك، التعجب والاستغراب من حدوث أمر لم يكن الإنسان يتوقع حدوثه، فالنملة الصغيرة تتصرف تصرف الملك بجنوده مما أثار عجب سليمان عليه السلام من تصرفها رغم ضآلتها، فهي تخاف على ملكها وجنودها، كما يخاف الملك الإنسان على ملكه ورعيته، ويأتي التبسم والضحك من مدى ما أصابته النملة الضئيلة من فصيح القول وسديدها ومعرفتها، فهي عندما قالت: «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم» جعلت تلك الحجرة مساكن والعرب تسميها كذلك، ثم قالت: «لا يحطمنكم سليمان وجنوده» فجمعت اسمه وعينه وعرفت الجند من قائد الجند ثم قالت: «وهم لا يشعرون» فكانوا معذورين وكنتم ملومين وكان أشد عليكم(٢٠)، فلذلك تبسم سليمان عليه السلام وضحك من قولها، لما لمسه من عذرها له وجنوده لأنهم لا يقصدون تحطيم النمل، وعلى النمل أن يأخذ حيطته وحذره لأنه هو الملوم والمسؤول عن شؤونه.

أما ابتسامة سليمان عليه السلام، فإنها، وإن دلت على التعجب الذي أفضى إلى الضحك، إنها ابتسامة روحانية ودودة طيبة، تخرج من القلب لتضفي على النفس هالة من الطمأنينة والسعادة، فلما أضيفت كلمة «ضاحكًا» أفادت في تصوير الحالة التي وصلت إليها نفس سليمان الملك أثناء سماعه كلام النملة وهو ما لم يسمعه غيره من البشر، وكانت حالته تنم عن مزيج غريب من مشاعر الدهشة والتعجب لقدرة الله عز وجل الذي وهبه هذه النعمة ومكنه من فهم ما قالته النملة للنمل.

وورد الضحك في القرآن الكريم، في معنى من أكبر معانيه، وذلك في قوله تعالى: *وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى، وأن إلى ربك المنتهى. وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا*. **النجم** ٣٩ - ٤٤.، فهنا يقرر الله تعالى، أن الضحك نعمة من نعمه على الإنسان ليعبر بها عن سروره وفرحه وارتياحه، وأنها منحت له دون سواه من المخلوقات ليسمو بها على غيره فلا يجوز له أن يستغلها في معصية الله بالسخرية من الناس أو الاستهزاء بهم. فهي فضيلة تستوجب الشكر لله كما أمر. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. لسان العرب لابن منظور (ضحك)
٢. دائرة معارف القرن العشرين
٣. لسان العرب (ضحك)
٤. لسان العرب (ضحك)
٥. الذخائر والبصائر ١/١٩٨
٦. دائرة المعارف/ قاموس عام لكل فن ومطلب - بطرس البستاني.
٧. لسان العرب (ضحك).
٨. في ظلال القرآن/ سيد قطب.
٩. جحا الضاحك المضحك/ عباس العقاد.
١٠. تيسير التفسير/إبراهيم القطان.
١١. في ظلال القرآن/سيد قطب.
١٢. سيكولوجية الفكاهة/أحمد عطية الله.
١٣. الضحك وفن الإضحاك، الحسيني علي فرعون.
١٤. جحا الضاحك المضحك/عباس العقاد.
١٥. سيكولوجية الفكاهة/أحمد عطية الله.
١٦. جحا الضاحك المضحك/العقاد.
١٧. المصدر السابق.
١٨. تيسير التفسير/إبراهيم القطان.
١٩. جحا الضاحك المضحك/العقاد.
٢٠. كتاب الحيوان/الجاحظ.

رؤية نقدية

الصراع الحضاري في أدب الرافعي

خيري السيد إبراهيم

الكتابات عن أدب الرافعي كثيرة، ولكنها ـ مع ذلك ـ تعد قليلة بالقياس إلى ما كتب عن بعض الأدباء الذين عاصروه، وكانت له معهم مساجلات ومعارك أدبية.. والذي يمكن أن يُقال عما كُتب عن الرافعي أن بعضه يتناول معاركه على أنها معارك شخصية متصلة بحدة المزاج التي طُبع عليها الرجل، وقليل منها كان منصفًا، وتناول تلك الخصومات من وجوهها الحضارية التي تصل إلى حد الاختلاف التام في كثير من القضايا، كما سنلاحظ.

بلغ الصراع أشدّه بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية إبان الهجمة الأوربية على العالم الإسلامي واحتلال أجزائه. وكان لهذا الصراع وجوه مختلفة، فمنها الوجه العسكري، والوجه الاقتصادي، والوجه الثقافي والحضاري عمومًا. ولم يكن الأدب الذي كان الرافعي فارسًا من فرسانه إلا وجهًا من وجوه هذا الصراع. وكان بحق صراعا حامي الوطيس ؛ لأنه لم يكن صراعًا أدبيًا محايدًا، بل كان كل أديب فيه يدافع عن فلسفته السياسية والثقافية. أو قل إنه يدافع فيه عن حضارة بذاتها، ويقف وراءه مؤيدون وأنصار، أو حكومات وأحزاب، إن لم يكن وراء هذه الحكومات والأحزاب قوى خارجية تناصر التيارات الموالية لها، والسائرة في ركاب حضارتها. وهذا ينطبق على التيارات الموالية للحضارة الغربية خاصة.

وإذا خصصنا رموز هذا الصراع قلنا: إن الرافعي وآخرين غيره ـ قلة ربما ـ كان يمثل المدافعين عن الإسلام وحضارته. وكان خصومه يمثلون المدافعين عن الغرب وحضارته.. ولهذا لم يكن الرافعي وحده في الميدان، بل وقف إلى جواره كثير من ممثلي الحضارة الإسلامية من العلماء والأدباء، وإن لم يبلغ بعضهم حماسته وقدرته الأدبية البارعة في تصوير أهداف خصومه، وخطل آرائهم وخبث معتقداتهم وخطرها على الأمة. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن خصوم الحضارة الإسلامية من حيث كثرتهم، وتظاهرهم على من سواهم، واستثمار الوسائل التي أتيحت لهم لتقوية جبهتهم.

ثقافة الرافعي

لعله من المفيد أن نقول كلمة موجزة عن ثقافة كاتبنا، لنتبيَّن فيما بعد صلة ذلك بمواقفه من التيارات الفكرية وممثليها.

نشأ الرافعي نشأة دينية فيها كثير من الالتزام، وفيها الكثير من التحصيل الديني والأدبي على السواء. إذ وَجَد في مكتبة أبيه زادًا من كتب الفقه والشريعة واللغة والأدب العربي القديم. وقد تمثل هذه الثقافة في نفسه تمثلاً عميقًا، فصارت جزءًا من حياته وملمحًا عامًا من ملامح سلوكه «فكان لا يُرَى إلا وفي يده كتاب. حفظ نهج البلاغة، ولما يبلغ العشرين في القطار بين طلخا حيث كان يعمل وطنطا حيث مسكنه ومأواه. وفي العمل أو (الديوان) كما كان يسمى على ذلك العهد. كان لا يكفّ عن القراءة حتى في حضرة ذوي المصالح والحاجات. فكان ذلك من جُملة الأسباب التي رُفع أمرُه من جرائها إلى أولي الأمر»(١).

وحسبك أن تقرأ رسائله التي جمعها تلميذه محمود أبو ريه، لتلاحظ مضامين توجيهاته إلى مَن يريد أن يدخل عالم الأدب ويجول في ميادينه فتجده ينصح سائليه بدراسة كليلة ودمنة ورسائل الجاحظ وكتاب الحيوان والبيان والتبيين والمثل السائر ويتيمة الدهر للثعالبي والعقد الفريد لابن عبد ربه، وغير ذلك من عيون الأدب العربيّ(٢). وكأنه بهذا يدل على الطريق الذي سلكه هو قبل أن يتمكن من ناصية الكتابة الأدبية.

وقد شهد له معاصروه بتعمقه في علوم الدين والقرآن واللغة والأدب، حتى قال عنه الأستاذ الزيات في وحي الرسالة: «كان الرافعي ـ رحمه الله

ـ حُجة في علوم اللسان، ثقة في فنون الأدب، عليمًا بأسرار اللغة.. فكنت إذا ذاكرته في شيء من دقائق النحو وخواص التراكيب وفروق اللغات وجدته على ظهر لسانه كأنما انصرف من مراجعته لوقته»(٣).

على أن الرجل هضم علوم عصره وصاغ منها مع ثقافته الإسلامية والأدبية شخصيته المتفردة، وطابعه الخاص في الفكر والتعبير. ويهمنا الآن بعد هذه الإشارة إلى الطابع العام لثقافة الرافعي، أن نحدد الميادين التي دار حولها الصراع بينه وبين خصومه.

الإعجاب بالحضارة الأوروبية

لقد مرّ الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بثلاث مراحل، الأولى قبل احتلال العالم الإسلامي، وتمثلت في التبشير والتوهين والتشكيك في قدرات العالم الإسلامي وعلاقته السياسية بالدولة العثمانية.

وكان للتجسس ورجاله دور خطير في هذه المرحلة، ثم مرحلة الاحتلال العسكري والتدمير الاقتصادي؛ استطاع الاستعمار خلالها أن يصنع له أحزابًا وأنصارًا ومؤيدين بين النخبة من أولاد المسلمين. أما المرحلة الثالثة فهي التي تتجسد من خلال الحكم الاستعماري غير المباشر وهو الذي نلاحظ آثاره الآن من خلال تولي ممثلين عن الاستعمار كثيرًا من شؤون العالم الإسلامي وتدجين أهله بوصف الحضارة الغربية وثقافتها أمرًا واقعًا لا مفرّ منه. وقد كانت حياة مصطفى صادق الرافعي ـ رحمه الله ـ خضرمة بين المرحلتين الثانية والثالثة. فشاهد بعينه ولمس بكيانه، كيف يُسحب البساط من تحت أقدام المسلمين، وكيف يُصبحون غرباء في أوطانهم، والأنكى من ذلك أن هذا كان يتم على أيدي بعض أبناء المسلمين أنفسهم، أو من المسيحيين الذين كان يدّعون الوطنية وحب الأرض.

وكان الأمر قد بلغ ببعضهم أن أعلن إعجابه بأوربا وحضارتها بشكل سافر لم يراع فيه مشاعر قومه، كما لم يراع فيه أصول المنطق والعلم الذي يدّعيه، فقال أحدهم وهو آغا أوغلي أحمد أحد غلاة الغربيين، حتى الالتهابات التي في رئاتهم والنجاسات التي في أمعائهم»(٤).

وعلى هذا النهج سار د. طه حسين ومحمد حسين هيكل (في المرحلة الأولى من حياته) ولطفي السيد وسلامة موسى، وقد وقف الرافعي لهؤلاء بالمرصاد وسمّى أحدهم بالمسلم لفظًا لا معنى؛ وكافح في سبيل الدفاع عن عقيدة الإسلام، مكافحة جعلته في مقدمة المحامين عن أصالة الأمة وعمق حضارتها في نفوس أبنائها. ومن حق الرافعي، كما هو من حق أيٍّ إنسان مسلم غيور على دينه، أن يستغرب هذا التوجه، ويعدّه قماءة وذلة وتردّيًا لا مثيل لها. إذ كيف يُكيّف الإنسان نفسه مع حضارة عدو حاقد، ثم يدعو، فوق ذلك، قومه إلى احتذائها، والاستخفاف بكل مقومات أمته من دين ولغة وتقاليد؟!(٥).

أدرك الرافعي أهداف المستعمرين من التشكيك في القرآن الكريم، فألف كتابه «إعجاز القرآن»

ألا يحق للرافعي أن يستغرب جرأة سلامة موسى على الإسلام والمسلمين في وطن المسلمين، حين يقول «إن الرابطة الشرقية سخافة. فما لنا ولهذه الرابطة الشرقية، وأية مصلحة تربطنا بأهل (جاوه)؟ إننا في حاجة إلى رابطة غربية كأن نؤلف جمعية يكون أعضاؤها من السويسريين والإنجليز والنرويجيين.. وغيرهم»(٦). ثم ألا يكون استغرابه واستغرابك أكثر من قوله: «وها نحن أولاء نجد أنفسنا الآن مترددين بين الشرق والغرب. لنا حكومة منظمة على الأساليب الأوروبية، ولكنّ في وسط الحكومة أجسامًا شرقية مثل وزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية تؤخر تقدُّمَ البلاد. ولنا جامعة تبعث بيننا ثقافة العالم المتمدن، ولكن كلية جامعة الأزهر تقف إلى جانبها تبث بيننا ثقافة القرون المظلمة، ولنا أفندية قد تفرنجوا لهم بيوت نظيفة ويقرؤون كتبًا سليمة، ولكنّ إلى جانبهم شيوخًا لايزالون يلبسون الجُبب والقفاطين، ولا يتورّعون عن الوضوء على قوارع الطرق في الأرياف. ولايزالون يسمون الأقباط واليهود كفارًا كما كان يسميهم عمر بن الخطاب قبل ١٣٠٠عام!».

الموقف من القرآن

وسوف نلاحظ كيف يرد الرافعي على هذا المسخ التغريبي في نقاط البحث التالية:

لقد أدرك المستعمرون أن القرآن الكريم هو أساس التماسك العقدي لدى المسلمين، وأنه لا غلبة حقيقية عليهم إلا إذا زحزح هذا الكتاب عن



مصطفى صادق الرافعي



طه حسين

صدورهم ومن واقعهم الحياتي، فكان أن عملوا بشتى الوسائل في سبيل هذا الهدف ابتداء بالتشكيك في هذا القرآن، إلى التحريف والإنكار.. وربما كان هذا هو الدافع الذي دفع بالرافعي إلى تأليف كتابه «إعجاز القرآن» الذي أبرز فيه الجانب التشريعي والبلاغي بأسلوب صدق سعد زغلول عندما قال عنه: إنه بيان كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم(٧).

وقد مرّ دفاع الرافعي عن القرآن الكريم بعدة مراحل بعد تأليف الإعجاز، منها رده على من يُسمى بـ (السيد حسن القاياتي) حين نشر في صحيفة «كوكب الشرق» في ٢٧ من شهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٢م مقالاً تهجم فيه على أسلوب القرآن، بعد أن أجرى موازنة بينه وبين المثل المشهور وهو (القتل أنفى للقتل) مدعيًا أن هذا المثل أبلغ من قوله

الصراع الحضاري في أدب الرافعي

تعالى: ولكُم فـي القصاص حياةٌ يا أولي الألباب(٨). وكـان ردًا مفحـمًا بحق حين اتبع فيه الرافعي أسلوب المنطق والتحليل الأدبي، بالإضافة إلى السخرية اللاذعة والعنف الشديد، ولكنها شدة عللها فيما بعد في: «تحت راية القرآن» بقوله: «فإن كان فيه من الشدة أو العنف المؤلم أو التهكم، فما ذلك أردنا، ولكنا كالذي يصف الرجل الضال ليمنع المهتدي أن يضل. فما به زجر الأول بل عظة الثاني(٩). وقد جاءت مقالة «الجملة القرآنية» منبثة عن السر الكامن وراء أسلوب الرافعي البليغ، وهو سر ليس بعيدًا عن أثر الروح القرآني والبلاغة القرآنية فيه. في حين أن جهلة العلم الحديث كانوا ينصحون الرافعي بأنه لو ترك الجملة القرآنية لكان له شأن عظيم في عالم الأدب، حتى ليمكن أن يجعله ذلك صاحب مذهب أدبيّ وحده!! فردّ على هؤلاء قائلاً: «إذا أنا تركت الجملة القرآنية وعربيتها وفصاحتها وسموها وقيامها في تربية الملكة وإرهاف المنطق.. إذا أنا فعلت ذلك ورضيته أفتراني أتبع أسلوب الترجمة في الجملة الانجيلية. وأُسف إلى هذه الرطانة الأعجمية المعربة. وارتضخ تلك الكلمة الموجهة. وأُعينُ بنفسي على لغتي وقوميتي، وأكتب كتابة تميت أجدادي في الإسلام ميتة جديدة، فتنقلب كلماتي على تاريخهم كالدود يخرج من الميت، ولا يأكل إلا الميت؟!»(١٠).

وهذا ما التفت إليه أمير البيان العربي شكيب أرسلان في مقالته «ماوراء الأكمة» التي نشرها في مجلة «الزهراء» بعد قراءته مقالة «الجملة القرآنية» للرافعي التي أشرنا إليها، فما كانت تريده إحدى الصحف العربية



عبد الحميد جودة السحار



د. محمد حسين هيكل

التي كانت تصدر في أمريكا آنذاك هو أن يترك الرافعي التأثر بالأسلوب القرآني، ليأتي أسلوبه عربيّ الألفاظ، أوربي الصياغة والروح والأهداف(١١).

ثم تأتي المعركة الكبرى مع د. طه حسين الذي كان ممثلاً كبيرًا للاتجاه المتغرب. وكان له طلابه ومريدوه، وكان يملك تأثيرا كبيرًا من خلال تدريسه بالجامعة المصرية بعد عودته من فرنسا، ومن خلال المناصب التي احتلها فيما بعد.

ابتدأت المعركة مع طه حسين في مرحلة مبكرة منذ عام ١٩١٢م، ولكنها اشتدت عندما صدر كتاب «الشعر الجاهلي»، وكان إعلانًا بالهجوم على القرآن، واستخفافا بقصة بناء سيدنا إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - للكعبة. إذ أنكر الدكتور هذه القصة مدعيًا أن القرآن اختلقها للتقرب من اليهود!! بالإضافة إلى ادعاءات أخرى تنال من رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، منها أنه عليه السلام كان يشجع على شعر الهجاء(١٢). إلى غير ذلك من المفاهيم التي اقتبسها من أساتذته المستشرقين اليهود وغير اليهود من الفرنسيين والإنجليز. ولم يكن له فيها إلا فضل التعريب والصياغة. وكان رد الرافعي في تلك المقالات ردًا أنزل طه حسين من كرسي الجامعة وأُحيل إلى النيابة العامة. وكاد يُسقط الوزارة آنذاك. لولا القرار الذي قضى بجمع نسخ «الشعر الجاهلي» من الأسواق ومصادرتها.

يقول الرافعي في معرض الحديث عن الكتاب ومؤلفه في أولى مقالاته التي كانت بعنوان «قال إنما أوتينه على علم..» من أقبح ما في كتاب الدكتور طه حسين أنه يعلن في مقدمته تجرّده من دينه عند البحث. يريد أن يأخذ النشء بذلك» وبعد أن ينقل كلام طه حسين: «يجب أن نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه، بأن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها. وأن ننسى ديننا، وكل ما يتصل به». يقول «وهذا لعمري هو منتهى الجهل. فإن هناك فرقًا بين البحث عن حقيقة فلسفية عقلية محضة، والبحث عن حقيقة أدبية تاريخية قائمة على النص، وقول فلان وفلان. وإن هو نسي دينه أو تأمل ما في هذه العبارة، فماذا يكون من أثر هذا التاريخ. مادامت المادة التاريخية لم تجتمع له. كما أسلفنا. ومادام الأستاذ مُبتلى بالنقص من كل جهة»(١٣).

ولايغيب عن ذهننا أن هذا الاتجاه نحو التشكيك في القرآن وفي الرسالة المحمدية، وفي حياة الرسول وسيرته كان يجد الجو الملائم والتشجيع من لدن الإدارة الاستعمارية والمؤسسات الثقافية التي ترعاها، ويمكنك أن تعود إلى كتاب «حياة محمد» لهيكل لترى مدى الحقد الذي كان يضمره الأوربيون وأشياعهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وما يزالون.

القديم والجديد

لقد قيل في الصراع بين القديم والجديد الكثير، ولكن الخلاصة التي استقرت في أذهان الناس، أو أريد لها أن تستقر، أن الذين يلتزمون قيم الدين أو يحافظون على التراث الحضاري لأمتهم، ويقفون من الفكر الغريب القادم إليهم من حضارات متباينة عن حضارتهم، هم أنصار القديم، وأن الذين يترخصون في أمور الدين ويتحللون من التزاماته ويستخفون بالتراث، ويفتحون

رفض الرافعي أن يترك التأثر بالأسلوب القرآني، ليأتي أسلوبه عربي الألفاظ، أوربي الصياغة والروح

الصراع الحضاري في أدب الرافعي

الأبواب والشبابيك لكل ريح قادمة من الشرق أو الغرب، فأولئك هم أنصار الجديد.

وكانت معارك الصراع بين القديم والجديد في حياة (الرافعي) قد بدأت في مرحلة مبكرة، خاصة بينه وبين الدكتور طه حسين الذي كان يعيب وينال من قدْر كل عمل أدبيّ يصدره الرافعي؛ حتى إذا ما أصدر «رسائل الأحزان» عام ١٩١٢م، ادّعى طه حسين أنه لم يفهمه لأنه بادي الصنعة والتكلف(١٤). غير أن الصراع احتدم أكثر من ذي قبل حين نشر الرافعي رسالته في «العتب»، فهاجمه طه حسين من حيث عدم ملاءمتها لذوق العصر الحديث، الذي حدث فيه تغيير في أذواق القوم في القرن الخامس أو القرن السادس للهجرة، كما قال(١٥) ولكن قضية (الذوق) هذه ـ وإن كان لها مظهر خادع، وتكسب إلى صفها الأنصار أكثر مما تجذب الرافضين ـ قضية ذات أثر خطير في التراث» من جهة وفي (المعاصرة) معًا. ثم ما المقصود بالذوق على وجه التحديد؟ أهو التذوق الطبيعي الذي يجعل الإنسان يقبل على النص الأدبي فيستسيغه؟! أو لايجد تجاوبًا نفسيًا معه فيعزف عنه؟ أم هو الذوق الذي تولد من فرض قيم أو حضارة أجنبية لم يكن للمرء خيار في رفضها في وقت يجد فيه نفسه محاصرًا بحرابها، ومجبرًا على أن يتلبس لبوسها؟ فحين تحارب ثقافة محلية ما، ويجبر أهلها عن طريق (التعليم) الإجباري على لغة الأجنبي. بعد أن تحارب كل المؤسسات التعليمية المحلية، فيتكون ذوق جديد وبالإكراه: ذوق في الملبس، وذوق في المأكل وذوق في الأدب. فماذا تسمي هذا الذوق الجديد. وبماذا نصف الذين شاءت لهم الظروف الا يتكيفوا مع هذا الذوق المفروض؟!

مناهج ونظريات

كان جيل البعثات إلى أوربا قد عاد محملاً رأسه بما درس من نظريات وما فيه من مناهج، فوجد في بلاده منابر ثقافية وإعلامية أسسها المستعمر، فطفق يعبر عن آرائه من خلال هذه المنابر والصحف. وكانت الجامعات مجالاً رحبًا لهذه المناهج والنظريات، لأنها لم ترتبط بإنسان المنطقة وتراثه. وكيف يتوقع منها ذلك ومعظم أساتذتها من الأجانب المستشرقين الذين ارتبطوا ارتباطًا وثيقًا ـ في الأغلب ـ بسياسة الاستعمار الرامية إلى تدجين العالم الإسلامي بحضارته الغازية! ومن هذه النظريات ما سُمِّي بنظرية (الانتحال) التي توسع فيها د. طه حسين إلى الدرجة التي أنكر

هاجم طه حسين الرافعي وأراد أن ينال من قدر كل عمل أدبي يصدره، وادعى أنه لم يفهم «رسائل الأحزان»

فيها الشعر الجاهلي كله. وهي مقدمة للشك، ليس في الشعر القديم وحده، بل في كل مسلمات التراث والدين، فقد استتبع ذلك الشك في رواية القرآن الكريم ثم رواية الحديث وبقية مصادر (التاريخ والدين والأدب). والأصل في هذه النظريات أنها من بنات أفكار المستشرقين! ولم يُقصَد بها وجه التحقيق العلمي البحت، بل الكيد والحقد والتشكيك في مقومات الحضارة الإسلامية وأصولها. فلم يعد مع هذه المناهج أية قدسية لكتاب سماوي أو أثر نبوي مادام البحث في منهج الشك الديكارتي يدعوه إلى أن يتخلى عن قيمه المسبقة كلها قبل الولوج إلى عالم الدراسة التاريخية أو الأدبية، وليس العلمية وحدها.

فالدكتور طه حسين يقول: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل. وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لإثبات وجودهما التاريخي. فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة... ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعًا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والتوراة والقرآن من جهة أخرى)(١٦).

وقد اختلط في هذه المناهج الافتراضات بالحقائق.. والقصص بالتاريخ، والهوى وحب الظهور بالبحث الذي يقصد به وجه البحث والتمحيص. وقد صور المرحوم الرافعي هذه النوازع كلها في مقالاته النارية التي كان لها تأثير بالغ في الحركة الفكرية والأدبية آنذاك. وقد يطول بنا المقام إن نحن وقفنا عند هذه المقالات التي ضمها كتاب «المعركة بين القديم والجديد» للرافعي.

خاتمة

لقد كان الرافعي ـ رحمه الله ـ أمة في الناس، حمل همّ الإسلام العظيم مع ثلة من أنصاره المخلصين في مرحلة كانت فيها بهرجة الحضارة الغربية وخداعها تكاد تُعمي الأبصار والبصائر، فوثب للفئات المنحرفة والمتغربة، وكأن السماء ادَّخرته لهذه المرحلة الحاسمة المنشودة، فذب عن حمى الإسلام.

رحم الله الرافعي وجزاه عن العقيدة الإسلامية خيراً.

المراجع

١ – د. حلمي مرزوق/ تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث. دار النهضة ـ بيروت.
٢ – رسائل الرافعي ـ دار المعارف ـ مصر.
٣ – دار نهضة مصر طبعه ١٩٦٨/١٩٦٩م.
٤ – محمد محمد حسين/ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٥ – تحت راية القرآن/ المكتبة التجارية بمصر.
٦ – د. مصطفى الشكعة. مصطفى الرافعي كاتبًا عربيًا.
٧ – د. محمد حسين ج٢ ص ٢٢٧.
٨ – وحي القلم ج٣.
٩ – المصدر السابق ص٣.
١٠ – تحت راية القرآن مصدر سابق.
١١ – المصدر السابق ص٣١.
١٢ – مقال د. عبدالحكيم العيد (معركة الأسلوب بين طه حسين والرافعي) مجلة دراسات عربية/نيجيريا.
١٣ – تحت راية القرآن ص ١٤٠ والشكعة ص٩٥.
١٤ – د. الشكعة ص ٨٣.
١٥ – حديث الأربعاء ـ د. طه حسين / دار المعارف بمصر ج٣.
١٦ – تحت راية القرآن نقلاً عن (في الشعر الجاهلي لطه حسين) ومن المعلوم أن الكتاب سحب من الأسواق واستبدل به كتاب في (الأدب الجاهلي).



وديع فلسطين

في مقعده بين المتفرجين: شاهد على أجيال الأدب

حاوره في تجربته: **د. حسين علي محمد**

تخرج وديع فلسطين في قسم الصحافة من الجامعة الأمريكية عام ١٩٤٢م، وفور تخرجه عمل بجريدة «الأهرام»، وفي الفترة مابين أول آذار/مارس ١٩٤٥م ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٢م عمل محرراً في «المقطم» و«المقتطف» رئيساً للقسم الخارجي بالمقطم، فمحرره السياسي والدبلوماسي، وناقده الأدبي، ومعلقه الاقتصادي وممثله في المؤتمرات الصحفية حتى انتهى به الأمر إلى ممارسته لجميع اختصاصات رئيس التحرير دون أن يكتب اسمه بهذه الصفة على «ترويسة» الجريدة.

ولقد نشر في «المقتطف» عشرات المقالات والدراسات تأليفا وترجمة، كما كتب فصولاً في العلوم، والنقد الأدبي، والقصة، وكان القارئ يجد له في العدد الواحد أكثر من مادة منشورة.

ولقد أصدر حتى الآن تسعة كتب بين تأليف وترجمة، أشهرها كتابه «قضايا الفكر في الأدب المعاصر» ١٩٥٩م، كما كتب مئات الفصول في دراسة الأدب ونقده أهمها:

ـ حلقاته عن «الأدباء المهجريين»، ونشرها في مجلات مختلفة مثل: «المقتطف»، و«الرسالة»، و«الثقافة»، و«الكاتب المصري»، و«الكتاب»، و«العالم العربي»، و«الأديب»، و«الآداب»، و«العلوم»... وغيرها.

ـ حلقاته عن «الأدب والأحذية» التي كتبها بعد مهجره في ليبيا إلى الوطن عام ١٩٧٠م.

ـ حلقاته «أحاديث مستطردة» عن صلاته بأدباء العصر مثل: العقاد، وزكي المحاسني، وزكي مبارك، ومصطفى الشهابي، وميخائيل نعيمة... وغيرهم، وهي دراسات يكتبها في أسلوب فريد قل أن تجد لها نظيرا بين معاصريه الآن.

وقدْ كُتبت عن وديع فلسطين عشرات الدراسات والقصائد لعل من أهمها دراسة الدكتور أحمد زكي أبو شادي التي نشرها في مجلة «الهدى» التي تصدر في «نيويورك»، في سلسلة أحاديث كان يزمع أبو شادي كتابتها عن «الأدباء الأقباط» (وقد كتب منها ثلاث حلقات فحسب عن وديع فلسطين، ومكرم عبيد باشا، وسلامة موسى... ثم عاجله الموت).

ويعد المفكر العربي الكبير عجاج نويهض في مقال نشرته «الأديب» البيروتية (آذار/مارس ١٩٧٤م) كتاب وديع فلسطين «قضايا الفكر» مع كتاب آخر لمحمد عبدالغني حسن من أهم الإنجازات الأدبية المعاصرة في دراسة الأدب ونقده.

وهذه مواجهة أدبية معه:

ـ أين ترى نفسك في الحياة الأدبية؟

* أرى نفسي في أقصى مقعد خلفي من مقاعد المتفرجين على موكب الحياة الأدبية، وهو مكان آثرته لنفسي بعدما «توظف» الأدب، وصار الأديب يُعرف لا بإنتاجه بل بدرجته الوظيفية أو عضويته للجان والمجالس المختلفة. فإذا توفّر الأديب على أداء رسالته في ترهبٍ الناسكين كعلي أدهم، أو إذا أبت عليه كبرياؤه أن يُسخِّر شعره في الاسترضاء أو الاستعطاء كمحمود أبي الوفا، أو إذا ضاق بشموخ عقله القالبُ المصبوبُ كمحمود محمد شاكر، أو إذا أزورّ عن القعود في «قهوة الفن» كمحمود البدوي، فبشرهم بالنسيان

حاضرا، وإن كنت على يقين أن المستقبل لن ينساهم مهما استطالت أزمنة الجحود.

ـ وماذا رأيت من مقعدك بين المتفرجين؟

* رأيت ظواهر أغلبها لا أرتاح إليه، أذكر بعضها في تعميم لا تخصيص: فهناك نزعة احتكارية بادية معالمها في الجو الأدبي كلّه. فخمسة أو ستة أو عشرة من الأدباء هم الذين آلت إليهم منابر الأدب جميعها؛ فهم في مجلس الفنون، وفي جمعية الأدباء، وفي نادي القصة، وفي اتحاد الكتاب، وفي مجلات الأدب، وفي أركان الإذاعة، وفي «استوديوهات التليفزيون»، وفي منتديات الأدب ومؤتمراته. وهناك إحجام عن التعريف بالكتب الجيدة القليلة الصادرة، و«إسهال» في التعريف بالكتب التي تشول في ميزان النقد. وهناك جنوح إلى الأخذ بأساليب «الموضة» في الأدب. و«الموضة» معناها قيام مناسبة ما، فيتسابق على التأليف فيها الأدباء والشعراء، حتى إذا جاءت مناسبة أخرى سايروا «موضتها»، وهكذا دواليك. وهناك استخفاف بأهم عنصرين من عناصر الكتابة الأدبية، وأعني بهما الأسلوب والفكرة. وما أكثر ما نقرؤه اليوم مما يسمى أدبًا، فإذا هو مسلوب من الأسلوب ومحروم من الفكرة.

ومن الظواهر التي لا تعجبني في الحياة الأدبية انعدام النقاش الحيوي بين الأدباء، سواء لتقصير من جانبهم، أو لتعسف من دوريات الأدب. فما أكثر ما نُطالعه مما يستحق الرد والنقاش، ولكن باب النقاش لا يكاد ينفتح، ويبقى الرأي منحصرًا في جانب واحد لاغير.

ولكن أشد ما يفزعني وأنا لصيق مقعدي بين المتفرجين، هو أن أفذاذنا من المفكرين والأدباء إذ يُخلون مكانهم لا يجدون من توافرت لهم الأهلية لاستخلافهم. فطه حسين والعقاد وسلامة موسى ومصطفى عبدالرازق وهيكل والمازني ومن إليهم قد مضوا عن دنيانا دون أن نستطيع بإنصاف أن نشير إلى خليفة لأي منهم. فمع انتشار أسباب العلم والثقافة كان ينبغي أن يكون هناك عشرات من أمثال العقاد وطه حسين يملؤون علينا حياتنا الفكرية، ولكن الواقع الصارم يؤكد لنا أن حياتنا الأدبية خلوٌ من «الخلفاء الأكفياء» لجيل العباقرة.

ـ إلى أي جيل تنتمي من حيث تكوينك الأدبي؟

* ليس هينا عليَّ أن أحدِّد الجيل الذي أنتمي إليه سواء بمطامح شبابي أو بواقع حاضري. ففي شبابي الأول فُتنت «بمدرسة المقتطف» التي خالطت أعلامها، وكنت على مودَّات أثيرة بأغلبهم؛ فالدكتور فؤاد صروف وخليل ثابت والدكتور فارس نمر وخليل مطران ونقولا الحداد وإسماعيل مظهر وسلامة موسى والأمير مصطفى الشهابي كانوا جميعا يبذلون لي صداقاتهم الملهمة وأستاذيتهم النيرة، فنشأت ولي من المطامح ما يشدني إلى هذا الجيل الرائد أملاً في أن أكون في غد شعاعا من أشعتهم، وكنت إلى هذا الجيل منجذبًا، وإلى مناهجه وقيمه واتجاهاته مستجيبًا. ولكن احتجاب «المقتطف» كواحدة من أتعس فواجع الأدب، ثم انتهاء جيل الرواد الكبار، وتعاقب موت المجلات الأدبية والعلمية «كالرسالة» و«الثقافة» و«مجلة علم النفس» و«الكتاب» و«الكاتب المصري» و«الفصول»، كل هذا أشعرني بأنه ليس في حياتنا الفكرية موضع للأدب الجاد، فقد فشت السوقية، واستهتر الأدباء بالأساليب الرصينة، وجاءت بدعة



عبد الرحمن شكري

الشعر الجديد بألفاظه المنكرة «كالغثيان»، و«السأم» و«القرف»، وسيطر على الحياة الفكرية قوم إلى الجهالة أقرب، فماتتْ فيَّ مطامحي القديمة وإن بقيت على ولائي ووفائي «لمدرسة المقتطف»، أعُدُّ نفسي منها دون أن أكون لها امتدادًا.

أما الجيل الذي أنتمي إليه بحكم عمري، فلعلي لا أجد بيني وبين أحد منهم مشابهة. وربما كنت أقرب عاطفيًا ووجدانيًا ومن حيث تذوق الأدب إلى جيل محمد عبدالغني حسن، ومحمد عبدالمنعم خفاجي، وعلي أدهم، وحسن كامل الصيرفي، ومصطفى عبداللطيف السحرتي، ومحمود أبي الوفا قرناء لي من حيث السن، هذا مع مراعاة الفارق الكبير في المنزلة الأدبية بين أساتذتي أولاء وبيني.

وهكذا ترى أن مكاني ضائع بين الأجيال، وهي جميعًا تكاد تنكرني، ممًّا يجعلني أوثر الاستقلال على ادعاء الانتماء إلى هذا الجيل أو ذاك.

ـ ماذا تقصد «بالأحاديث المستطردة» التي تكتبها عن أعلام المفكرين الذين عرفتهم؟

* ليس بخاف عليك أن التكتلات أو «الشلل» التي تهيأت لها أسبْاب النشوء والترعرع في حياتنا قد نجحت في إخمال ذكر كثيرين من الأدباء الذين لا ينتمون إليها، وإنكار كل فضل لهم في الحياة الأدبية. وهذه الحقيقة نبهتني إلى ضرورة «إثبات وجودي»، أو بتعبير أرباب المعاشات، تقديم «شهادة وجود على قيد الحياة»، فاستصوبت أن أسوق أحاديث مستطردة عن كبار الأدباء متوخيًا ـ في غير ما تفاخر أو ادعاء ـ أن أسرد طرفا مما كان لي معهم من مودات وُثقى، مؤكدًا دائمًا ما تخلق به هؤلاء



أحمد زكي أبو شادي

الكبار من أريحية أستاذية طوَّعت لهم أن يُفيضوا بعلمهم وأدبهم وتجاربهم على من هم بمقام التلاميذ مثلي. ولئن حسب البعض أنني استهدفت غرضًا أنانيًا من سوق هذه الأحاديث، ولئن توهم بعض الفضلاء ـ كالصديق الأستاذ إميل توفيق ـ أنني قد ابتغيت الإعراب عن وفاء التلميذ لأساتذته، فقد كان من أهم مقاصدي أن أبين للجيل الطالع كيف كان أعلام عصر مضى يحدبون على الناشئة ويشجعونهم، ويتعهدونهم بالتوجيه والتزكية، وهذا هو ما اصطلحتُ على تسميته «بالأريحية الأستاذية».

فالعالم العظيم هو الذي يبذل أسباب العلم لمن يحملونها بعده. أما العالم الذي يقول: لا قبلي ولا بعدي، ويحتكر في صدره وفي ذاته ما استقام له من

في مقعده بين المتفرجين شاهد على أجيال الأدب

حظوظ العلم، فهو بتصرفه هذا يُنكر بديهة علمية هي أن العلم تراث إنساني مبذول للناس جميعًا، ومن الخير الجزيل أن يصرف العالم الكبير بعض جهده في تربية تلاميذ يحملون من بعده المشاعل.

«فالأحاديث المستطردة»، وإن نسبتني بحق التلمذة إلى أعلام عصري، فقد أتاحت لي أيضا أن أذكر التكتلات الأدبية ـ أو الشلل ـ بأن الحياة الأدبية أوسع من أن نحصرها في فئة قليلة لها وحدها حيثيات الأدب ووجاهاته، وليس لسواها إلا خمول الذكر.

وقد وهم البعض أنني في هذه الأحاديث المستطردة أؤرخ للأدب المعاصر، ومضوا يُؤاخذونني على إهمال تواريخ الميلاد وتواريخ الوفاة، وإغفالي الحقائق المتعلقة بالنشأة والدراسة، وعدم احتفالي



أحمد لطفي السيد

بسرد قوائم بمؤلفات أولئك الأعلام، وما إلى ذلك مما يدخل في باب السيرة.

ولكنني في حقيقة أمري لم أنشد كتابة تاريخ للأدب، فهي مهمة واقع عبؤها على عاتق رجال التاريخ الأدبي. وإنما كان مبتغاي أن أروي ما ارتسم في ذهني وانطبع في قلبي من معاصرة أولئك الأعلام لفرط قربي منهم واتصالي بهم. وطبيعي أن مسؤولية القلم التي أنا بها مؤمن، واعتبارات الأخلاق التي بها أدين قد ألزمتني ألا أنشر إلا ما هو جائز في عرف الحق والخُلق، وأما ما لا ينفع الناس فلست موكلا بتسجيله ولا أتاني خبره.

ـ عملت في بداية حياتك العملية في «المقتطف» التي ما زلت تحمل لها الوفاء والتقدير، فهل ترى أن «المقتطف» كانت تمثل مدرسة فكرية متميزة؟

* إن «المقتطف» يمثل جامعة لا مدرسة، بمعنى أنه كان دائرة معارف حية يتناول كتابها موضوعات الاقتصاد والزراعة والطب والأدب والشعر ومشكلات الاجتماع والمؤتمرات العلمية، هذا عدا أبواب الكتب الجديدة وسير الأعلام، ومساجلات القراء، وأخبار الحركة الفكرية في البلاد العربية والعالم. ولعلك تدهش إذ تعلم أن «المقتطف» كان في يومه رائجًا في الريف بين المشتغلين بالزراعة، لأنه كان يقدم إلى القراء آخر التطورات في مستحدثات الآلات الزراعية، ومكافحة الآفات، وتربية النحل والبهائم، وما إلى ذلك من الموضوعات.

وطبعيٌ إذن أن تتسع هذه الجامعة لكل شيء حتى للآثار وتاريخها، بل حتى لموضوعات تحضير الأرواح، والتراسل الذهني، ولمغامرات الرحالة وصيادي الوحوش في الأدغال.

ولما كان معظم كتاب «المقتطف» من أهل العلم والمتطوعين، وكلهم لا يشغلون وظائف تحريرية مأجورة في المجلة، فقد تفاوتت أساليبهم ومناهجهم واتجاهاتهم، ولكنها جميعًا تشترك في خصائص معينة هي الوضوح الكامل مهما كان الموضوع فيها شديد التعقيد، والحرص على اللغة العربية كأداة للتعبير حتى عن المصطلحات الأجنبية العلمية، ثم الحرية المطلقة في التعبير عن الآراء؛ باستثناء موضوعين كانت المجلة تتحاشاهما، الدين والسياسة، وأعتقد أن هذه المجلة مازالت تحتفظ بجدية موضوعاتها إلى اليوم، وهي مرجع لا غنى عنه لأي دارس للحركة في البلاد العربية في القرن الأخير، وقد عُمرت ٧٧ عامًا.

ـ ما دور هذه المجلة في الحركة الفكرية في العالم العربي؟

* أنشئت مجلة «المقتطف» في بيروت عام ١٨٧٦م، وانتقلت إلى مصر في عام ١٨٨٤م، وظلت تصدر بصورة شهرية منتظمة إلى آخر عام ١٩٥٢م، أي إنها عاشت سبعة وسبعين عامًا، وكانت وقتها أطول المجلات العربية عمرًا، وإن كانت «الهلال» واصلت السير حتى كادت أن تتم عامها المئة.

وكانت «المقتطف» طول عمرها الممتد منبرًا رصينًا للعلوم والمعارف جميعًا، كما شارك في تحريرها كبار العقول العربية في أكثر من ثلاثة أرباع قرن، عدا ما كانت تنشره من ترجمات عن المجلات العلمية المتخصصة لمسايرة التطورات في الميادين العلمية والصناعية والعمرانية.

أحْصِ وجوه الأمة العربية فلن تجد منهم أحدًا تخلف عن المساهمة في تحرير «المقتطف»، مثل أحمد شوقي، والشيخ محمد عبده، والشيخ جمال الدين الأفغاني، وخليل مطران، وشبلي شميل، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم عبدالقادر المازني، والشيخ عبدالقادر المغربي، والأمير مصطفى الشهابي، والفريق أمين باشا المعلوف، وعيسى إسكندر المعلوف، وأحمد زكي أبو شادي، والدكتور فيليب حتي، ومصطفى صادق الرافعي، وشيخ العروبة أحمد زكي باشا، وميخائيل نعيمة، وجميل صدقي الزهاوي، والأب أنستاس ماري الكرملي، وإيليا أبي ماضي، وعلي محمود طه، وحافظ إبراهيم، وطه حسين، وسلامة موسى، ومي زيادة، والأمير شكيب أرسلان، والدكتور أمير بقطر، ولطفي السيد باشا...إلخ.

وقد أنشأ هذه المجلة أستاذان شابان يُدرِّسان العلوم في جامعة بيروت الأمريكية لينشرا فيها خُلاصة لما يطلِّعان عليه من بحوث علمية في المجلات الغربية المتخصصة. وحمل عددها الأول الصادر في مايو/أيار ١٨٧٦م عبارة «جريدة علمية صناعية» لمنشئيها: يعقوب صرُّوف معلم الفلسفة الطبيعية والرياضيات، وفارس نمر المعيد في المرصد ومعلم علم الهيئة واللاتيني في المدرسة الكلية السورية (وهو الاسم القديم لجامعة بيروت الأمريكية). ولكن المجلة لم تلبث أن اتسعت لبحوث أوسع نطاقا من مجرد «العلوم» و«الصناعة»، مما أزعج السلطات العثمانية الحاكمة، فنقلا المجلة إلى القاهرة حيث وجدت ترحيبًا من شريف باشا رئيس الوزراء، وأصدرا إلى جانب هذه المجلة الشهرية جريدة يومية اسمها «المقطم» في عام ١٨٨٨م.

وقد اختص الدكتور يعقوب صروف بتحرير مجلة «المقتطف»، في حين توفّر زميله الدكتور فارس نمر باشا على تحرير «المقطم» وتعاقب على تحرير «المقتطف» يعقوب صرُّوف، ثم ابن أخيه فؤاد صروف، ثم الدكتور بشر فارس، وإسماعيل مظهر، ونقولا الحداد، وأخيراً سبيرو جسري الذي صحح اسمه إلى سامي الجسري.

ولو قلب القارئ مجموعة «للمقتطف» الصادرة في ٧٧ عامًا، أو حتى فهرسها المنشور في ثلاثة مجلدات ضخام، لتبيّن أن هذه المجلة الباذخة تناولت جميع قضايا العصر من اقتصادية وأدبية وعلمية، ومن نظريات سياسية وفلسفية ومذهبية، وأنها كانت سجلاً عظيما لكل ما عمر به هذا العصر من مظاهر

الإبداع الفكري والحضاري، وإليها يرجع الفضل في نشر أول معجم للفلك، وأول معجم للحيوان، ومعجم للنبات، وهي التي ترجمت نظرية أينشتين، ووصلت أدباء المهجر بأدباء الوطن المقيم. وكانت المجلة في كل تاريخها مجلة علمية رصينة، تجتنب المهاترات وترحب بالمناقشات الجادة، وإن كانت آلت على نفسها ألا تخوض في المسائل الدينية والمسائل السياسية (باستثناء النظريات السياسية) لتنأى بنفسها عن ميادين الجدل العقيم.

وقد عاصرت السنوات العشر الأخيرة من عمر «المقتطف»، وكنتُ من محرريها ومديريها المسؤولين، وكانت لنا في مقرها ندوة أسبوعية عمرتْ بوجوه كريمة من رجال الأدب والعلوم والفلسفة. وفي اعتقادي أن احتجاب «المقتطف» خسارة لا تعوض، وأن الدور الذي أدته في الحياة الثقافية العربية يحتاج إلى دراسة جادة.

ومن أسف أن ندوة المجلات العربية التي أقامتها مجلة «العربي» بمناسبة احتفالها بانقضاء ربع قرن على إصدارها قد شهدت أحكامًا متسرِّعة جائرة على مجلة «المقتطف»، ولم ينبْرِ أحد للرد عليها إنصافًا للتاريخ الفكري لأمتنا العربيَة.

- ترجمت في أول حياتك الأدبية مسرحية «الأب» للأديب السويدي ستريندبرج، فلماذا لم تترجم مسرحيات أخرى وأنت صاحب أسلوب عذب؟

* إنني بعد تخرجي في الجامعة عام ١٩٤٢م لاحظت انعدام المكتبة المسرحية انعدامًا كاملاً في الأدب العربي، كما لاحظت أن كبار المثقفين يجهلون روائع المسرح الغربي، فقررت أن أسد هذه الثغرة بادئًا بمسرحية «الأب» التي ترجمتها في ثلاثة أيام عام ١٩٤٢م، ولم يتسن نشرها إلا عام ١٩٤٥م عندما اتصلت بلجنة النشر للجامعيين وأعضائها العاملين: عبدالحميد جودة السحار، ونجيب محفوظ، وعادل كامل، وعلي أحمد باكثير.

وثنيت بترجمة مسرحية «دعوى قذف» لإدوارد وول، وحاولت نشرها في السلسلة نفسها (سلسلة الجامعيين)، ولكن السحار ثبَّط همتي، وأفهمني أن المسرحيات للتمثيل لا للمطالعة، وطويتها ضمن أوراقي إلى هذا اليوم، ولم أحاول بعثها في ثلاثين سنة كاملة، وكنت قطعت شوطًا في ترجمة مسرحية ثالثة عنوانها «الطريق المقمر» للمسرحي النمسوي آرثر شنتزلر، ولكنني نفضت منها اليدين زهدًا في بضاعة لا سوق لها.

ومع أنه ظهرت بعد ذلك سلاسل جديدة للمسرحيات: واحدة أصدرتها وزارة الثقافة، وواحدة أصدرها عبدالحليم البشلاوي، وثالثة مازالت تصدر في الكويت، فلم أحاول طرق أي من هذه الأبواب.

- أنت صادقت معظم أدباء العالم العربي، وراسلت الكثير منهم، فلماذا لا تنشر رسائل الراحلين منهم حتى تفيد تاريخ الأدب بنظراتهم وآرائهم، ولعلك اطّلعت على ما نشره صديقكم نقولا يوسف من رسائل عبدالرحمن شكري في مجلة «الأدب» فقد أفاد منها كثير من الباحثين؟

* أخبرك أن لديَّ أطنانا من رسائل الأدباء تلقيتها منذ أكثر من ثلاثين سنة ولم يضع منها شيء. وصحيح أن نقولا يوسف نشر رسائل عبدالرحمن شكري في مجلة «الأدب»، كما أن الدكتور فؤاد صروف نشر رسائل شكري في مجلة «الأبحاث» البيروتية، ونشر أحمد محمد عيش رسائل «الزهاوي»، ونُشرت كذلك رسائل الرافعي إلى الشيخ محمود أبي رية، ورسائل مي وجبران، ومي ولطفي السيد، ورسائل أمين الريحاني، ورسائل الأمير شكيب أرسلان، ورسائل الحبيب بورقيبة إلى محمد علي الطاهر، ورسائل الأب الكرملي وأحمد تيمور باشا، ورسائل الشيخ محمد رشيد رضا.. وقد اطلعت على هذه الرسائل جميعا، وأغلبها تحت يدي ، ولكن لي رأيا أعلنته غير مرة، وهو أن رسائل الأدباء من الخصوصيات التي تُعرِّض أصحابها لأشد الحرج في حالة نشرها، كما أنها تسيء إساءات بالغة إلى كاتبيها، إذ كانوا فيها صرُحاء، ولم يكتموا ما في صدورهم، ولذا أرفض رفضًا باتًا نشر ما عندي من رسائل وقد جاءتني من أعلام معاصرين، ومن أعلام مفكري الأمة العربية، ومن جميع الطبقات، هذا مع العلم بأنني لو نشرت هذه الرسائل لدخلت تاريخ الأدب من أوسع أبوابه، لأن فيها من عبارات الثناء الموجهة إليَّ ما يجعلني كبيرًا في نظر الناس. وحسبك أن تعرف أن من هذه الرسائل التي عندي ما جاءني من الأمير مصطفى الشهابي، وسلامة موسى، والعقاد، والشاعر القروي، وإسماعيل مظهر، وسيد قطب، وأحمد أمين، وفارس نمر، وخليل ثابت باشا، ومحمد علي علوبة باشا، ومفتي فلسطين الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني، ورئيس حكومة عموم فلسطين أحمد حلمي باشا، وصالح حرب باشا، والدكتور حافظ عفيفي باشا، وعادل زعيتر، وأكرم زعيتر، وقدري حافظ طوقان، وعلى أدهم، وأبو رية، ومحمود أبو الوفا، والشيخ علي عبدالرازق باشا، وعبدالرحمن الرافعي بك، وعبدالقوي أحمد باشا، وحسين فهمي بك، والدكتور فؤاد صروف، والدكتور قسطنطين زريق، ومحمد علي الطاهر، وبولس سلامة، ونزار قباني، وأمين نخلة، ومحمد جميل بيهم، ونظير زيتون، وإلياس فرحات، وجورج صيدح، وإلياس وزكي قنصل، وأبو شادي، والدكتور فيليب حتى، والمستشرق جرمانوس، والدكتور أمير بقطر، وطاهر الطناحي، وعادل الغضبان، وإبراهيم المصري، وماشئت من أسماء الأحياء من الأدباء في مصر، والبلاد العربية، والمهاجر، وديار الاستشراق.

- ما حال النقد العربي اليوم؟ وهل يقوم بوظيفته في نقد العمل الأدبي وفي مخاطبة جمهور القراء المتعطشين إلى المعرفة النقدية؟

* حال النقد الأدبي لا يسر، سواء لأنه يكاد يختفي من حياتنا الأدبية بعد اختفاء أعلامه مثل طه حسين والعقاد ومحمد مندور وسيد قطب ومحمد عبدالغني حسن ومصطفى عبداللطيف السحرتي، أو لأن ما نصادفه من نقد اليوم - على قلته - يكاد يندرج تحت تصنيفين عريضين هما: «النقد الأبوي» كما وصفه نجيب محفوظ، وفيه يحتفي الناقد بكتابات شابة من قبيل التشجيع والعطف، و«النقد التكنولوجي» - كما أوثر أن أصفه - وفيه يعمد الناقد إلى تطبيق معايير مستعارة من خارج الأدب، كالمعايير الرياضية والهندسية والكمبيوترية، على الآثار التي يتصدّى لنقدها، ومن هنا دخلت إلى ساحة النقد تعبيرات مثل «المعمار» و«البناء» و«التفكيك» و«الزخم» وما إليها، وهي تعبيرات ألصق بالهندسة والميكانيكا منها بالأدب.

ولا يختلف اثنان على أن وظيفة النقد تكاد تكون عالةً على الأدب، بمعنى أن الناقد يُصبح من المتعطلين عن العمل - وفي بطالة دائمة - إذا انتفى

آلت منابر الأدب إلى خمسة أو أكثر من الأدباء، فتراهم يستأثرون بكل مجلس وجمعية وناد واتحاد وإذاعة وتلفاز فيما يخص الأدب وقضاياه

وديع فلسطين

في مقعده بين المتفرجين شاهد على أجيال الأدب

الأدب من حياتنا، وهو افتراضٌ جدليٌّ ليس إلا. وبعبارة أخرى: إن الناقد شبيه بطبيب الأطفال الذي لا يستطيع أن يشرع في تطبيق طبه إلا بعد أن يخرج الوليد إلى الحياة، وعندئذ فقط يزاول طبيب الأطفال المهمة التي نذر نفسه لها وتخصص فيها. وكما أن الطبيب يعالج كل قصور يشخِّصه في حالة الطفل، فإن مهمة الناقد أن يتناول العمل الأدبي بنفس القدر من نطاسيّة الطبيب من حيث تشخيص أوجه القصور فيه والتنبيه على سبل تداركها، وإظهار ما في العمل الأدبي من خصائص تستقل بها أو أنها منتحلة من عمل سواه، وفي يد الناقد دائمًا ميزان ذو كفتين: كفّة لتبيان المزايا التي يتحلى بها العمل الأدبي، وكفة للتنبيه على أوجه النقص التي يرتئيها في هذا العمل، وله بعد ذلك أن يخرج برأي جامع يضع العمل الأدبي في المرتبة التي يستحقها ارتفاعًا وانخفاضًا. وهنا تُصبح وظيفة الناقد أشبه بوظيفة القاضي الذي يوازن بين الدعاوى المنظورة أمامه، ثم يُصدر حكمه المتضمِّن رأيه الرجيح.

وإذا كان القاضي يسترشد في قضائه بمواد القانون التي لا يسعه أن يُخالفها، فإن الناقد يضع لنفسه قانونه الذي يطبقه ويستهدي به. سواء أكان هذا القانون مستمداً من مذاهب النقد - عربية كانت أو غربية - أم من وحي اجتهاداته الخاصة. ولهذا فإن الأثر الأدبي الواحد قد يرجح في ميزان ناقد ويشول في ميزان ناقد آخر، لأن لكل من الناقدَيْن أدواته واجتهاداته التي صدر عنها في إصدار أحكامه، ومادام الناقد بشرًا فهو لا يخلو من هوى، والهوى هو أول مطعن يُوجَّه إلى الناقد.

ووظيفة الناقد تُحتِّم عليه أن يخاطب الجمهور القارئ إلى جانب صاحب العمل الأدبي الذي يهمّه أن يعرف آراء النقاد في كتاباته، ولكن بعض النقاد عندنا ينسَوْن حق الجمهور في متابعة نقدهم، لأنهم يستخدمون في نقدهم مصطلحات أعجمية دون محاولة لشرحها أو تبيان معناها، كما أنهم يشيرون إلى أعمال أدبية أفرنجية دون أن يُحدِّدوا للقارئ ملامحها، ولعلهم يفترضون أن كل قارئ ملم بآداب العالم شرقًا وغربًا. فما دام الناقد يريد أن يوصِّل رسالته إلى الجمهور العريض في الصحيفة التي يكتب فيها، فلابد له من أن يرعى حق القارئ في الفهم، وحقه في الإحاطة بالعمل الأدبي المنقود، وحقه في أن يخرج بعد ذلك برأيه الخاص، سواء أوافق رأي الناقد أم خالفه.

- هل يعني ذلك أن معظم النقد المكتوب اليوم لا يقوم بدوره في الحياة الأدبية بخاصة والثقافية عمومًا؟ وفي توجيه القارئ إلى الكتب الجيدة؟

* لكي تكتمل رسالة النقد لابد أن يجتمع لها ثالوث يتمثل في المؤلف أو صاحب الكتاب المنقود، والناقد الذي يضطلع بتقويم الأثر المنقود، ثم القارئ الذي خوطب عن طريق الصحيفة أو المجلة بكلام الناقد، وكنت على مدى العمر أنتقي ما يهمني من الكتب الجديدة استنادًا إلى آراء النقاد المنشورة، ولا سيما النقاد الذين أورثوني ثقة في كتاباتهم، وبت أرتضي شهادتهم قبل أن أدفع ثمن الكتاب. ولكنني كففت عن الاحتكام إلى آراء نقاد هذا الجيل في الكتب الجديدة الصادرة، بعدما خابت ظنوني في موازينهم النقدية.

ففي ما يتعلق بمدارس الشعر الجديدة التي خرجت على قواعد الخليل وثارت عليه، والتي وجدت نقاداً يتحمسون لها من الدكاترة وغير الدكاترة، فقد حفزتني الرغبة في متابعة هذه المدارس الجديدة - أو قل هو الفضول الذي دفعني إلى ذلك - في قراءة كم ضخم من الآثار التي جاء بها المحدثون، سواء في مجلة «شعر» اللبنانية التي طالعت كل ما نشر في عمرها، أو في الدواوين الصادرة، وألفيتني - بتحكيم ذوقي الخاص - أستشعر التعرض لعملية خداع ضخمة من جانب النقاد الدكاترة وغير الدكاترة، أولئك الذين حاولوا تزيين القبح وتجميل «الكلام الفارغ» من أمثال: «وشربت شايًا في الطريق، ورتقتُ نعلي»! إلى آخر هذا الكلام الفارغ الذي احتفى به - وما انفك يحتفي به - دكاترة النقد وصبيانهم!

والناقد الذي يحترم رأي القارئ وذوقه يستحيل عليه أن يُطري مثل هذا «الكلام الفارغ» سواء باسم الإبداع، أم باسم آخر يخترعونه من معاجم مصطلحاتهم الغامضة.

- قدمت لنا مثالاً للشعر الذي تعدُّه «كلامًا فارغًا» ومع ذلك احتفى به النقاد، فهل تقدِّم لنا مثالاً من النقد المعاصر الذي لا يعجبك حتى يكون القارئ على بينة؟

* من قبيل التمثيل أورد فقرة من مقال نقدي نُشر في مجلة «فصول» المصرية (عدد يناير ١٩٩٢م)، وقد جاء فيه: «وشواغل اللغة يجب أن تكون في منطقة وسطى بين التجريد والتجسيد، بمعنى أن تبتعد قدر إمكانها عن مفردات الوقائع الجزئية، وأن تتحاشى - إلى حدٍّ ما - الهموم اليومية النمطية، وإن كان هذا لا ينفي إمكان تسرُّب بعض هذه المفردات إلى الشخوص أو الأحداث في أوقات بعينها تقتضيها الطبيعة الدرامية (وهذا ما يعني وجود الوعي بها حتى مع غيابها) بل من المسموح به أن تتحول اللغة - في مواجهة مثل ذلك - إلى كائن صامت يرمز إلى الغائب ويستحضره بالصمت، أكثر مما يستحضره بالكلام»!.

وأقرُّ - بادئَ ذي بدء - بجهلي الفاضح في فهم هذا الكلام المنقول بنصّه. فما معنى أن شواغل اللغة يجب - أي من الحتم - أن تكون في منطقة وسطى بين التجريد والتجسيد؟ وما معنى أن من المسموح به (ومن سمح بذلك؟) أن تتحوّل اللغة إلى كائن صامت يرمز إلى الغائب ويستحضره بالصمت أكثر مما يستحضره بالكلام؟ (فهل هناك لغة صامتة ولغة متكلمة؟ لعلها توجد في عالم الخُرس والصمّ، وليست في عالم الأدب الذي وسيلته الأولى هي اللغة مكتوبة ومنطوقة.

- أخيرًا.. لماذا أنت مقل في الكتابة هذه الأيام؟

* إنني وإن كنت سيَّال القلم - كما وصفني رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق د. شاكر الفحام - فإنني أعد نفسي مُقلاً بالنسبة لما في ذهني من موضوعات أحب الكتابة فيها، ورغبات أشتاق إلى تنفيذها، ولكني مضطر إلى صرف ١٨ ساعة يوميًا في العمل المتصل برزقي، فلا يبقي لي بعد ذلك من الجهد أو الوقت أو صفاء البال ما تهون معه تأدية تبعات الأدب على الوجه الذي أحب.

- ما مشروعاتك الأدبية الحالية؟

* المشروع الذي أتوفّر عليه هو إخراج أربعة دواوين مخطوطة مات عنها المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي في أمريكا ولم تر النور منذ وفاته في عام ١٩٥٢م، ويُخشى عليها من الضياع. وقد تكرمت الأديبة صفية أبو شادي ابنة رائد جماعة أبولو، فوضعت تحت تصرفي النسخ الأصلية المخطوطة لهذه الدواوين، وقمت من ناحيتي، وفاء لهذا الصديق العظيم، بإعدادها للنشر مع هوامش رأيت ضرورة إثباتها من قبيل الإيضاح. وقد وفقت فعلاً إلى إصدار أول هذه الدواوين وعنوانه: «الإنسان الجديد»، وبقية الدواوين الأربعة تنتظر دورها لدخول المطبعة.

وفي المهاجر الشمالية والجنوبية في أمريكا عشرات من المخطوطات من دواوين الشعراء ومؤلفاتهم، وقد مات عنها أصحابها، وآلت إلى أبناء يجهلون العربية. فليت هيئاتنا الثقافية تنبري للاتصال بهؤلاء ومحاولة إنقاذ هذه الآثار قبل أن تتبدد إلى الأبد. وإذا كانت هيئاتنا الثقافية تُعنى بتصوير المخطوطات المحفوظة في المكتبات العالمية، فأحرى بها أن تُعنى بهذه المخطوطات التي آلت إلى من لا يعرفون قيمتها أو لغتها، والتي مصيرها المؤكد الضياع، إن لم تكن ضاعت فعلاً.

الكتاب: مؤهلات الداعية المسلم العلمية والخلقية
المؤلف: أحمد بن محمد الدسم العدناني
الناشر: دار لينة للنشر والتوزيع ـ دمنهور ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ص ١٤٦ من القطع المتوسط.


غلاف الكتاب

الكتاب شرح وتوضيح لأهم الصفات والميزات والمؤهلات التي يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله. قسم المؤلف هذه المؤهلات إلى علمية وخلقية، فالعلمية كثيرة منها: حفظ القرآن الكريم وقراءته وترتيله مجوداً ومعرفة تفسيره، والاعتماد عليه في معرفة العقيدة السليمة الصافية النقية من الشوائب، وتوظيف قصصه في الدعوة، ومعرفة أهم الأحكام الشرعية التي قد يسأل عنها ولاسيما العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج، واطّلاع على السنة النبوية التي هي المصدر الثاني للتشريع، والتي تشمل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته، وأهم الكتب التي دونّت السنة وشرحتها كالصحاح وشروحها وغيرها. ودراسة السيرة النبوية من مصادرها كسيرة ابن هشام، وابن كثير، والروض الأنف للسهيلي، وزاد المعاد لابن القيم وغيرها.. ومعرفة التاريخ لوعظ الناس وتذكيرهم بالأمم السابقة، وسير الرجال العظماء، ومواقف المصلحين، والاهتمام بالمغزى الأخلاقي، ودور الإسلام في حركات مقاومة الاستعمار، وتوضيح الشبهات التي ينثرها المستشرقون وأعداء الإسلام في تاريخنا الإسلامي العظيم. ومعرفة عميقة باللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها؛ لأن ذلك يساعد الداعية في فهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح، والاطلاع على أدبها ولاسيما الأخبار والقصص والأشعار التي تدل على قضايا أخلاقية وتربوية يوظفها في مجال الدعوة والتوجيه.

وأما مؤهلات الداعية الخُلُقية فكثيرة منها وعلى رأسها وأهمها الإخلاص لله تعالى في السر والعلن، في كل أعماله وأقواله لا يبتغي غير وجه الله؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وقوة الإيمان والتقوى بفعل الطاعات، والتزام العبادات والقربات إلى الله، وحضور مجالس الإيمان والذكر، لأن كل ذلك يقوي الإيمان ويزيد فيه، ويجعل له حلاوة خاصة به، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والتضحية في سبيل الله بماله ونفسه ووقته وجهده وجاهه وكل ما يملك في هذه الحياة الفانية.

وأمثلة التضحية في تاريخ الإسلام لا تعد ولا تحصى.. والشجاعة صفة لصيقة بالداعية اقتداء برسول الله أشجع الناس، وبصحابته الأبطال الأشاوس، والصبر والثبات وترك الشكوى من ألم البلوى في كل المواقف الصعبة والظروف القاسية.

والحكمة التي هي وضع الأمور في مواضعها، تساعد الداعية على النفاذ إلى قلوب الناس ومعرفة أحوالهم.

والتواضع سلوك لابد منه للداعية فيخفض جناحه للمؤمنين ويترفق بهم، ويتلطف معهم، والحلم وهو الأناة وسعة الصدر، وبالحلم يسوس الداعية الناس ويكسب ثقتهم وحبهم وطاعتهم، وبالحلم أسلم كثير من الناس، ومنها القناعة، وهي الرضى بما قسم الله للإنسان، فالقنوع ساكن عند الطمع متحرك عند الفزع.

والكرم والسخاء، والكريم محبوب عند الناس يمدحونه في كل مجلس وهو محبوب عند الله كذلك والكرم سلاح فعال في يد الداعية؛ لأن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها. وكان صلى الله عليه وسلم يحض دائما على إكرام الناس، وتعوذ كثيراً من البخل. والوفاء بالوعد والأمانة كذلك من صفات الدعاة إلى الله، فالإخلاف بالوعد من صفات المنافقين، ولا يكون الداعية كذلك بل يجب أن يفي بكل ما يعد حتى يألفه الناس ويحبوه. والأمانة صفة مهمة للداعية لأن الناس تأمنه على أموالها وأعراضها وأسرارها لثقتهم به وحبهم له، وأكبر أمانة يحملها الداعي إلى الله هي المحافظة على هذه العقيدة سليمة نقية، والدفاع عنها.

هذا بعض ما قاله المؤلف في هذا الكتاب. وقد ختمه بفهرس للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

الكتاب: الرواية في المملكة العربية السعودية: نشأتها وتطورها ـ (١٩٣٠ ـ ١٩٨٩م) دراسة تاريخية نقدية.
المؤلف: د. سلطان بن سعد القحطاني.
الناشر: مطابع شركة الصفحات الذهبية، الرياض ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ ط١، ٢٩٥ صفحة من القطع المتوسط.


د. سلطان بن سعد القحطاني


غلاف الكتاب

الكتاب دراسة تاريخية نقدية للرواية السعودية في مرحلة النشأة، ثم في مرحلة التطور، وما صاحب ذلك من العقبات خلال ستين عامًا من (١٩٣٠-١٩٨٩م)، والأسباب والعوامل التي كونت خصوصية لهذا النوع الأدبي، بالإضافة إلى التأثر بالرواية العالمية والعربية التي كان لها الدور الكبير في ظهور روايات لها قيمة فنية، جعلت العوامل الفنية، والمقاييس النقدية لدى الدارسين تتخذ منها نموذجًا للدراسة والتحليل منذ الخمسينيات، حيث بدأت القناعات تتكون لدى الأدباء والنقاد بضرورة وجود هذا النوع الأدبي في الأدب السعودي الحديث، مجاراة للأدب العربي والعالمي.

يذكر المؤلف أن هذه الدراسة تعدّ الأولى من نوعها التي انفردت بدراسة الرواية في المملكة العربية السعودية وترمي إلى استخلاص شخصية حقيقة للرواية السعودية التي يتجاهلها كثير من الباحثين والدارسين للرواية العربية، وقد قامت الدراسة على تناول واحد وستين عملاً، منها ما هو رواية، ومنها ما أدرجناه لنثبت أنه ليس من الرواية في شيء، وقد أثبته بعض الباحثين على أنه «رواية».

ويتكون الكتاب من مقدمة وستة فصول، وقد

ذكر المؤلف في المقدمة أن هذه الدراسة هي رسالة علمية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة كلاسكو في أسكتلندا بإشراف الدكتور جون نيكولاهي متوك أستاذ الآداب الشرقية والعربية في الجامعة المذكورة عام ١٩٨٨م - ١٩٩٤م.

ففي الفصل الأول: فن الروية: تعرض الكاتب للقصة في المملكة العربية السعودية، والرواية، ودور الصحافة السعودية في ظهورها.

وفي الفصل الثاني: عوامل ظهور الرواية السعودية: يناقش فيه الكاتب عدداً من العوامل التي أدّت إلى ظهور الرواية، أو أثرت، أو تسببت في ظهور النثر الروائي وانتشاره في المملكة العربية السعودية.

والفصل الثالث: الرواد: يغطي هذا الفصل أعمال الرواد من السعوديين في مجال الرواية التعليمية الذين قاموا بهذه المغامرة الصعبة، وما تعرضوا له من عقبات عديدة، كعدم وجود الطباعة والنشر منذ عام ١٩٣٠م - ١٩٤٨م. وإلقاء بعض الأضواء على حياة كل واحد منهم.

الفصل الرابع: المدخل إلى الرواية الفنية: ١٩٥٤- ١٩٥٩م يناقش هذا الفصل المدخل إلى الرواية الفنية، وذكر المراحل الثلاث التي مرت بها الرواية السعودية، وتحدث عن أثر الترجمة في الكتّاب الكبار ذوي الموهبة العالية، وأهم الكتب التي تُرجمت، وتدخل الرواية السعودية مرحلة الفن الروائي حين ظهرت رواية حامد دمنهوري «ثمن التضحية» ١٩٥٩م ثم روايات إبراهيم ناصر.

الفصل الخامس: الرواية بين ١٩٥٩م - ١٩٧٩م: ظهور الفن الروائي: يناقش هذا الفصل ظهور الروايةالفنية وروادها حامدالدمنهوري وإبراهيم ناصر، حيث دخلت الرواية السعودية مجال الرواية الفنية العربية، وأخذ كتاب هذه المرحلة يتأثرون عربيًا ودوليًا بالأسس الفنية للرواية.

الفصل السادس: الرواية بين ١٩٨٠- ١٩٨٩م ظهور الرواية الحديثة: تناول في هذا الفصل الرواية السعودية في مرحلة الثمانينيات، حيث وجد فريقان من الروائيين، فريق تأثر بالرواية التاريخية ومنهج جرجي زيدان، وذكر المآخذ على هذا الفريق، وفريق تأثر بعمالقة الفن الروائي العالمي والعربي، واستطاع هذا الفريق أن يخطو بالرواية السعودية خطوات كبيرة، وقد استعرض عدداً كبيراً من روايات هؤلاء الروائيين وحللها تحليلاً نقديًا فنيًا.

وختم الكتاب بخاتمة ذكر فيها ولخص أهم النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة، وذكر في نهاية الكتاب ملاحق المراجع العربية والأجنبية والمترجمة والدوريات والمجلات والمقابلات والرسائل الجامعية غير المنشورة، والروايات الصادرة ما بين ١٩٣٠- ١٩٨٩م، حسب سنة الصدور، وصنع فهرساً بمحتويات الكتاب في أول الكتاب.



غلاف الكتاب

الكتاب: الاستثمار بالأسهم في السعودية
المؤلف: د. ياسين عبدالرحمن الجفري
الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة - ط أولى١٤١٧هـ/١٩٩٧م ص٧٨ من القطع المتوسط.

الكتاب دراسة اقتصادية للسوق المالي السعودي، وآليات الاستثمار فيه. يتعرض الكتاب لنشأة السوق المالي في المملكة العربية السعودية، والتطورات التي حدثت فيه، والأجهزة الرقابية عليه. ويركز الكتاب على إيضاح الفروق بين السوق السعودي وغيره من الأسواق العالمية. ويتناول نقاط الضعف والقوة في السوق، والتطلعات المستقبلية له، وكيفية استخدام الأدوات المالية، والأدوات الإحصائية في تفعيل القرار الاستثماري. ويتكون الكتاب من عشرة فصول:

الفصل الأول: يبدأ بمقدمة يتحدث فيها عن أسواق الأسهم، وهي التي تنظم عملية جمع رأس المال وتكوينه واستثماره، وهي المتنفس للمدّخرين، والسبب في نمو مدخراتهم وتحريكها. ثم ذكر الغَرض من وجود سوق الأسهم، وأنواع أسواق الأوراق المالية المتوافرة في السعودية. وقسم الأوراق المالية عدة أقسام: حسب الإصدار (أولي وثانوي)، وحسب الملكية، وحسب الزمن (حالية ومستقبلية)، وقسمها كذلك أربعة أقسام رئيسة هي الأسهم العادية، والأسهم الممتازة، والسندات، ومشتقات الأوراق المالية. وألقى بعد ذلك نظرة على تطور سوق الأسهم السعودي.

الفصل الثاني: تناول في مقدمته أدوات تسجيل التداول وإنهائه في السوق السعودي والعالم. ثم تحدث عن الأوراق المالية المتداولة، وحجم السوق السعودي وأسلوب عمله، ثم عرّج على نقاط الضعف في السوق السعودي، ونقاط القوة فيه، وأساليب التعامل معه.

الفصل الثالث: ذكر في مقدمته أهمية المعلومات المالية وخدمات أبحاث السوق، ومن أنواع المعلومات المالية ثلاثة أنواع: اقتصادية، والقطاع الذي تنتمي له الشركة، وبيانات مالية وإدارية للشركات المساهمة. واستعرض بعض المصطلحات المالية، وعرّفها بإيجاز.

الفصل الرابع: تكلم في مقدمة هذا الفصل على قواعد وأسس الاستثمار المالي، ثم تحدث عن تحديد الهدف الاستثماري، والأهداف الاستثمارية القصيرة الأجل، والطويلة الأجل، والتدفق النقدي، والنمو الرأسمالي. وأخيراً ناقش طرق تقويم الشركات المساهمة والخاصة، عن طريق التدفق النقدي، ومكرر الأرباح.

الفصل الخامس: تحدث فيه عن العلاقة بين العائد والمخاطرة، وقياس العوائد والمخاطر، ونظرية فيشر في فعل القرارات، ونظرية كفاءة السوق، والكفاءة التشغيلية، ونظرية المحافظ.

الفصل السادس: تناول في هذا الفصل التحليل الفني لأسعار الأسهم المتداولة، وأنواع الرسوم البيانية المبسطة التي تستخدم في التحليل الفني.

الفصل السابع: ناقش في هذا الفصل الأساليب التي تعتمد على التحليل القطاعي، والاقتصادي، وهي أنسب الأساليب للاستفادة من سوق الأسهم.

الفصل الثامن: عرض في هذا الفصل دوافع الاستثمار في الشركات المساهمة، ومزاياها، وحجم الاستثمار اللازم للدخول في السوق مهما كان صغيراً، وتنويع الاستثمار، والعائد والمخاطرة.

الفصل التاسع: ناقش هذا الفصل الرقابة على الشركات المساهمة وصدق المعلومات، وذكر الجهات الرقابية.

الفصل العاشر: عرض في هذا الفصل تقويم أداء الرقابة على سوق الأسهم، لأن انعدام الرقابة له آثار سلبية عديدة في السوق، وذكر بعض هذه الآثار السلبية. وتحدث عن دور مؤسسة النقد العربي السعودي في الرقابة. وختم الكتاب بفهرس للموضوعات.

العرب والكلام

د. نوره الشملان

لعل من نافلة القول أن نذكر أن العرب أمة كثيرة الكلام، وأن الأقوال فيها تطغى على الأفعال، والتهديد أكثر من التنفيذ، والنظر إلى الماضي وكثرة الحديث عن أمجاده تفوق التبصر بالحاضر والإعداد للمستقبل.

ويبدو أن كثرة الكلام عادة متأصلة في العربي، ومن هنا فإننا نجد تراثنا الثقافي شعراً ونثراً يحفل بالحديث عن الصمت ومزاياه وعواقب الكلام الوخيمة.

فعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «وهل يكُبُّ النَّاسَ في النَّار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».

وقال الأصمعي: من كثر كلامه كثر خَطَلُهُ.

وكان السلف الصالح حريصًا على الابتعاد عن كثرة الكلام، فقد سئل عمر بن عبدالعزيز عن قتلة عثمان، فقال: تلك دماء كفَّ اللهُ عنها يدي، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني.

وقال أيضًا: المحظوظ التقي يلجم لسانه. ويبدو أن أبا نواس كان متكئًا على هذا المعنى حين قال:

إنما العاقل من أل
جَمَ فاهُ بلجام
مُتْ بداء الصمت خير
لك من داء الكلام

وقال عمار الكلبي:

وقُلِ الحقَّ وإلاَّ فاصمتَنْ
إنه من لزم الصمت سَلِمْ
إن طول الصمت زينٌ للفتى
من مقالٍ فيه عي وبكَمْ

وقال نصر بن أحمد:

إذا ما لسان المرء أكثر هَذْرَهُ
فذاك لسانٌ بالبلاء موكَّلُ

وحين يتحدثون عن الكلام يجعلون له شروطًا:

فاللاحقي يقول:

اخفض الصوت إن نطقت بليلٍ
والتفت بالنهار قبل الكلام

ولا شك أن ذلك مقصود إليه خوفًا ممَّن قد يستمع إلى الكلام فيحرفه أو يريد شَرًّا بصاحبه، فالكلام في أضيق حدود الممكن مع من تثق به، ولا ترفع صوتك لئلا يسمعك أحد محافظة على سرية ما تقول.

والدعوة إلى الصمت تأتي من منطلق الخوف من زلة اللسان التي تؤدي بصاحبها إلى المهالك أحيانًا، وقد عبر عن ذلك عمرو بن العاص داهية العرب وأحد أذكيائهم حين قال: زلة الرِّجل عظم يجبر وزلَّة اللسان لا تبقي ولا تذر، وقد عبر عن هذه الفكرة شعرًا أعرابي فقال:

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرِّجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه
وعثرته بالرجل تبرا على مَهْلِ

وكثرة الكلام تقلل من قيمة صاحبها، ومن هنا فقد قال منصور الفقيه معبرًا عن هذا المعنى:

واخرسْ إذا خَفيت أمو
ر الحق عنك عن الإجابهْ
فأقلُّ ما يجزى الفتى
بسكوته عزُّ المهابهْ

وللكلام شروط عندهم يا حبذا لو أفدنا منها، فهم يدعون إلى الصدق، يقول الشاعر:

عَوِّدْ لسانك قول الصدق تحظَ به
إن اللسان لما عودتَ معتادُ

ويختبر صبر الإنسان في كيفية محافظته على لسانه من الزلل ومقدرته على الاحتفاظ بالسر، يقول امرؤ القيس:

إذا المرءُ لم يَخزُنْ عليه لسانه
فليس على شيء سواه بخزَّانِ

والإنسان عندما يتحدث يكشف عن هويته، ورب إنسان له هيبة ومكانة ولكنه حين يتحدث تسقط تلك المكانة لأن حديثه يكشف عن تفاهة تفكيره أو سطحية ثقافته، يقول علي بن محمد العلوي:

ويُعجبني زيّ الفتى وجَمالُهُ
فيسقط من عينيَّ ساعة يلْحَنُ

واللسان هو عنوان العقل:

رأيت لسانَ المرء رائدَ عقله
وعنوانَهُ فَانْظُر بماذا تعنونُ

وأشد ما كره العرب اللحن الذي نسمعه ليل نهار من عامة الناس بَلْهَ المثقفين منهم، يقول عبدالله بن المبارك: اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه.

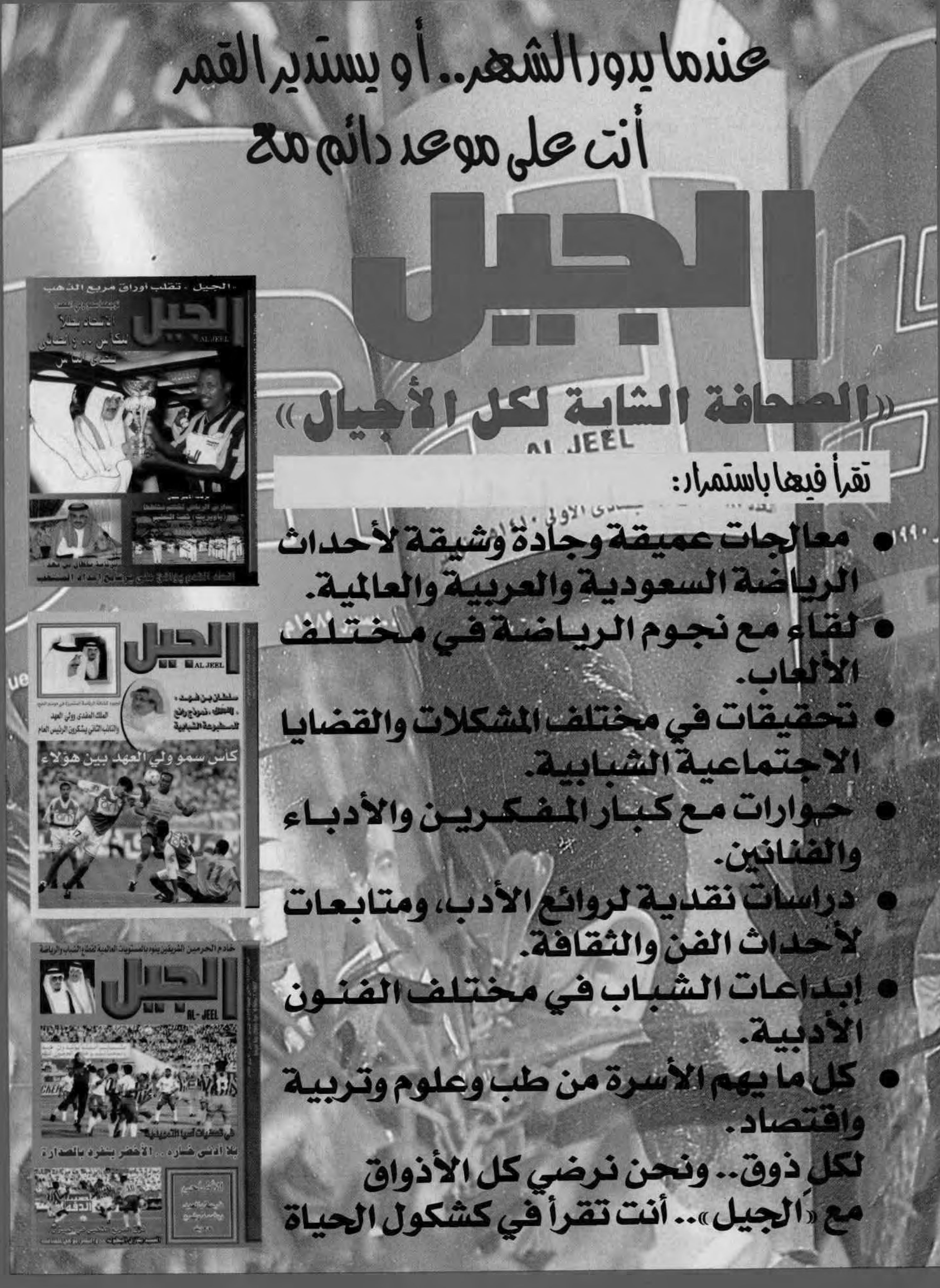
وقال الشاعر:

النحو يصلح من لسانِ الألكن
والمرءُ تكرمه إذا لم يلحن

وقد تأتي الهيبة من الكلام خوفًا من سوء فهمه، وإلى هذا أشار المتنبي حين قال:

وكم من عائب قولاً صحيحًا
وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه
على قدر القريحة والعلوم

أشك أن أحدًا لم يتعرض لسوء فهم الناس لمقاصده وتحميله من الأقوال ما لم يقله، بسبب قلة الإدراك وعدم التثبت وتغليب الظن السيّئ، وتحميل الألفاظ أكثر مما تحتمل، أو ليّ عنقها لتحمل معاني ربما لم تخطر على بال المتكلم. ولعل أكثر من يتعرض لسوء فهم الناس هم المفكرون الذين لا يرتقي من يستمع إليهم أو من يقرأ لهم إلى مستوى تفكيرهم، فيفسرون أقوالهم تفسيرًا بعيدًا عن الواقع.


عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع
الجيل
«الصحافة الشابة لكل الأجيال»
AL JEEL
تقرأ فيها باستمرار:
• معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
• لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
• تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
• حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
• دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
• إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
• كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.
لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة
الجيل.. تقلب أوراق مربع الذهب
الجيل
AL JEEL
الجيل
AL JEEL
كاس سمو ولي العهد بين هؤلاء
الجيل
AL-JEEL
بلا أدنى خساره .. الأخضر ينفرد بالصدارة

المحطة الحارة

بداية عصر المولدات الصديقة للبيئة

عدنان عضيمة

على الرغم من أن اكتشاف تقنية «خلية الوقود» FUEL CELL لم يمض عليه أكثر من عامين فحسب، فلقد أدت الجهود المشتركة التي بذلها المصممون والمهندسون الذين يعملون في العديد من مراكز البحوث الألمانية إلى توسيع مجالات استخدامها، حتى أصبحت تدخل في عدد لا يحصى من التطبيقات المفيدة. وفي الوقت ذاته، أدى مفهومها التقني (التكنولوجي) الجديد إلى خفض هائل في تكاليف إنتاج الطاقة الكهربائية، وفتحت آفاقًا جديدة لابتكار محطة منتجة للطاقة، وصديقة للبيئة تدعى «المحطة الحارة» HOT MODULE.

من الناحية التقنية، تعد خلايا الوقود ابتكارًا قديمًا أثبت فاعليته آلاف المرات. ومن ذلك أنها أظهرت إمكانات الوثوق بأدائها عندما فازت بمكانها في رحلات مجموعة عربات أبولّو الأمريكية إلى القمر، حيث تكفلت بإنتاج الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل أجهزة العربات. ومع وصولها إلى هذه المرتبة المتقدمة من الأداء، فإنها بدأت تأخذ مكانتها بوصفها مصدرًا مثاليًا للطاقة في اقتصاد الطاقة المعاصر، وحيث أصبحت الطاقة تمثل عصب الحياة؛ فالمحطات الصناعية والحواسيب والهواتف وآلات الغسيل وبقية الأجهزة والأدوات الأساسية في الحياة المعاصرة التي لا حصر لها، أصبحت تُشغّل بضغطة زر لتبدأ باستهلاك الطاقة.

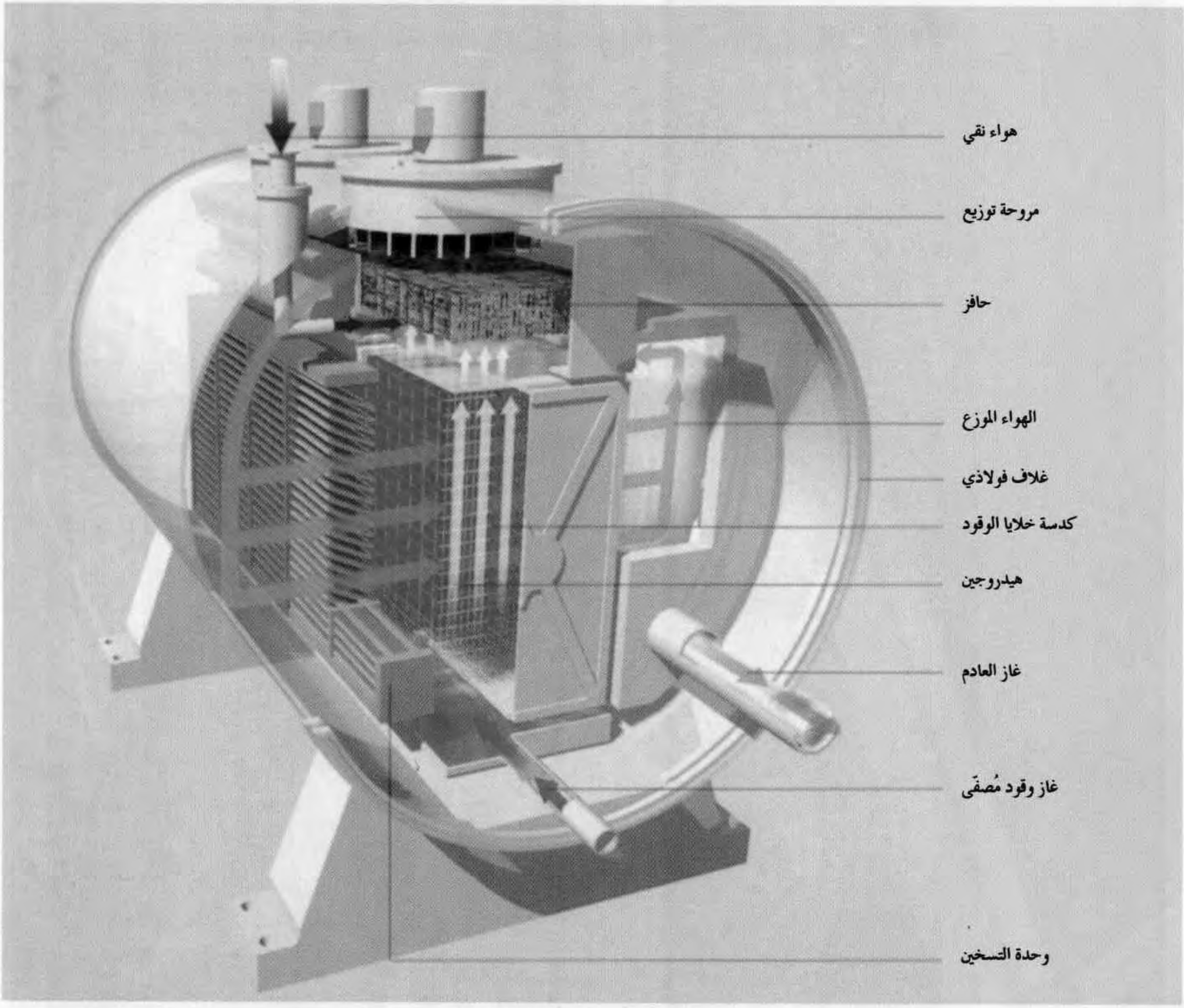
ولقد اهتم المهندسون كثيرًا بخلايا الوقود. وعندما بدأت بإنتاج الطاقة عمليًا قبل أقل من عام واحد، بلغ العائد الصافي من الطاقة المُحررة من «محطة طاقة خلية الوقود» المدعّمة بتوربين مولد للبخار ٦٥٪، وهو مستوى أفضل بكثير من مستوى الـ ٤٠٪ الذي تم التوصل إليه بوساطة المحطات التقليدية لتوليد الطاقة بحرق الغاز الطبيعي أو الفحم الحجري. وأكثر من هذا، وبناء على كونها تعمل بفعاليتها القصوى تحت حمل يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠٪، فإن خلية الوقود تبدي أيضًا خصائص تحميل جزئي متميزة، بمعنى أنها تتكيّف على الأداء تحت أحمال الاستهلاك الكهربائي العالية والمنخفضة.

ما خلية الوقود؟

تشبه خلية الوقود، من حيث مبدأ عملها، مُدَّخِرات الطاقة الكهربائية العادية (البطاريات) المستخدمة في السيارات، إلا



محطة حارة في مرحلة التجميع وتبدو إلى اليسار كدسة خلايا الوقود المولدة للطاقة التي تثبّت ضمن أسطوانة فولاذية.



مخطط الهندسة الداخلية للمحطة الحارة

أنها تحرر طاقتها من تفاعل الهيدروجين مع الأوكسجين بطريقة غير مباشرة. وتتألف من طبقات متوازية من صفوف الأقطاب الكهربائية الرقيقة. ويفصل بين كل قطبين (سالب وموجب) غشاء رقيق لا يتعدى سمكه بضعة أعشار المليمتر ويدعى «غشاء تبادل البروتونات»، ويشكل المادة المتحللة الجافة، كما تكون له وظيفة فصل غازي الهيدروجين والأوكسجين ومنع اختلاطهما. ويُطلى وجها الغشاء بمعدن البلاتين المحفّز الذي يحفز جزيئات الهيدروجين على التفكك إلى ذرات، ثم يدفعها إلى التشرّد.

وعبر هذا الغشاء تتجه شوارد الهيدروجين (البروتونات) لتقابل شوارد الأوكسجين، وتتفاعل معها، لتشكيل جزيئات الماء. وحتى تتشكل هذه الشوارد، تفقد كل ذرة هيدروجين إلكترونًا لمادة القطب الموجب لتهبط بعد ذلك نحو الغشاء بصورتها الشاردية. وتمر الإلكترونات التي تتخلى عنها ذرات الهيدروجين عبر النواقل الكهربائية مولّدةً تيارًا كهربائيًا لتعود إلى القطب السالب. وتكتسب كل ذرة أوكسجين إلكترونين من القطب السالب لتتحول إلى شاردة ثنائية الشحنة. وهكذا ينشأ فرق في

المحطة الحارة

بداية عصر المولدات الصديقة للبيئة

الكمـون الكهـربائي بين كل قطبين متجاورين من أقطاب خلية الوقود ويتولد التيار.

ويعـود فضـل ابتكار خليـة الوقـود أصلاً إلى الخبـراء الكنديين العاملين في شركـة «أنظمـة بايار لـلطاقـة» الذين كـانوا يعـملون على ابتكار محرّك كهربائي للسيارات يعوّض عن محـرك الانفجار الداخلي، ويجنّب سكان المدن الأخطار الناجمة عن انتشار غازات عـادم احتراق البنزين والمازوت في الجوّ. ولقد أثمرت جهودهم هذه عن ابتكار محرك يعـمل بخليـة الوقـود دون أي ضجيج وبلا نشر أي ملوثات. ولكن الخبـراء الألمان أثبتـوا جدارة أكبر في استغلال هذا النظام عندما تمكنوا من تطوير مبـدأ عمل خلية الوقـود في سلسلة متتالية من الاختراعات أثمرت في أواسط عام ١٩٩٥م عن ابتكار أول سـيارة متطورة تتحرك بخلية الوقود دون تلوث أو ضجيج. وبعد ذلك بنصف عام فقط أصبحت «السيارة الكهربائية الثانية»، الأكثر تطوراً بكثير من الأولى، تجوب شوارع ألمانيـا وهي تستـهلك الهيـدروجين المخزون في أسطوانات فـوق سطحـهـا، والذي يتم ضخّه إلى خليـة الوقـود ليـتـفـاعل هناك مع الأوكسجين المجلوب إليها من الهواء الجـوي. ولا تطرح هذه السيارة من عوادم التفاعل سوى بخار الماء النظيف.

وبناء على هذا النجاح الباهر الذي حققته هذه التقنية مؤخراً لم يتردد الملاحظون والخبراء في أن يصفوا خلية الوقود بأنها تمثل (اختراع القرن).

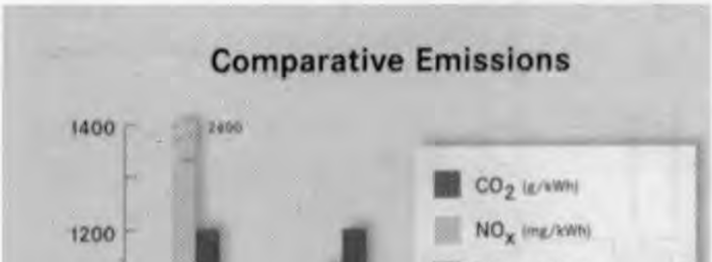
وتجـدر الإشـارة إلى أن الأنظمـة التي تستـخـدم «تكنولوجـيـا غـشـاء تبادل البروتونات»، والتي أصبحت تُستغل الآن في تسيير السيارات والحافلات الكهـربائية بواسطة خـلايا الوقـود، لا تصلح لتطبيقات إنتاج الطاقة في المحطات؛ لأنها لم تُبْتَكر لإنتاج الطاقة الكهربائية بكميات كبيرة. ولقد تم مؤخراً ابتكار العديد من أنواع خلايا الوقود وتطويرها من أجل استعمالها في أنظمة محطات توليد الطاقة على نطاق واسع. وهناك الآن ثلاثة أنواع من خـلايا الوقـود التي وجـد أنهـا صـالحـة للاستخدام في هذه المحطات تمّ تقسيمها بناء على نوع المتحلل الكهربائي الجاف الذي ينقل الشوارد ضمنها وهي:

- خليـة وقـود حـمض الفوسفور: تستخدم حمض الفوسفور كمتحلل كهربائي، وهي الآن قيد الاستعمال في العديد من محطات الطاقة.
- خليـة وقود الأوكسيد الصلب.
- خليـة وقـود الكربونات المنصهرة.

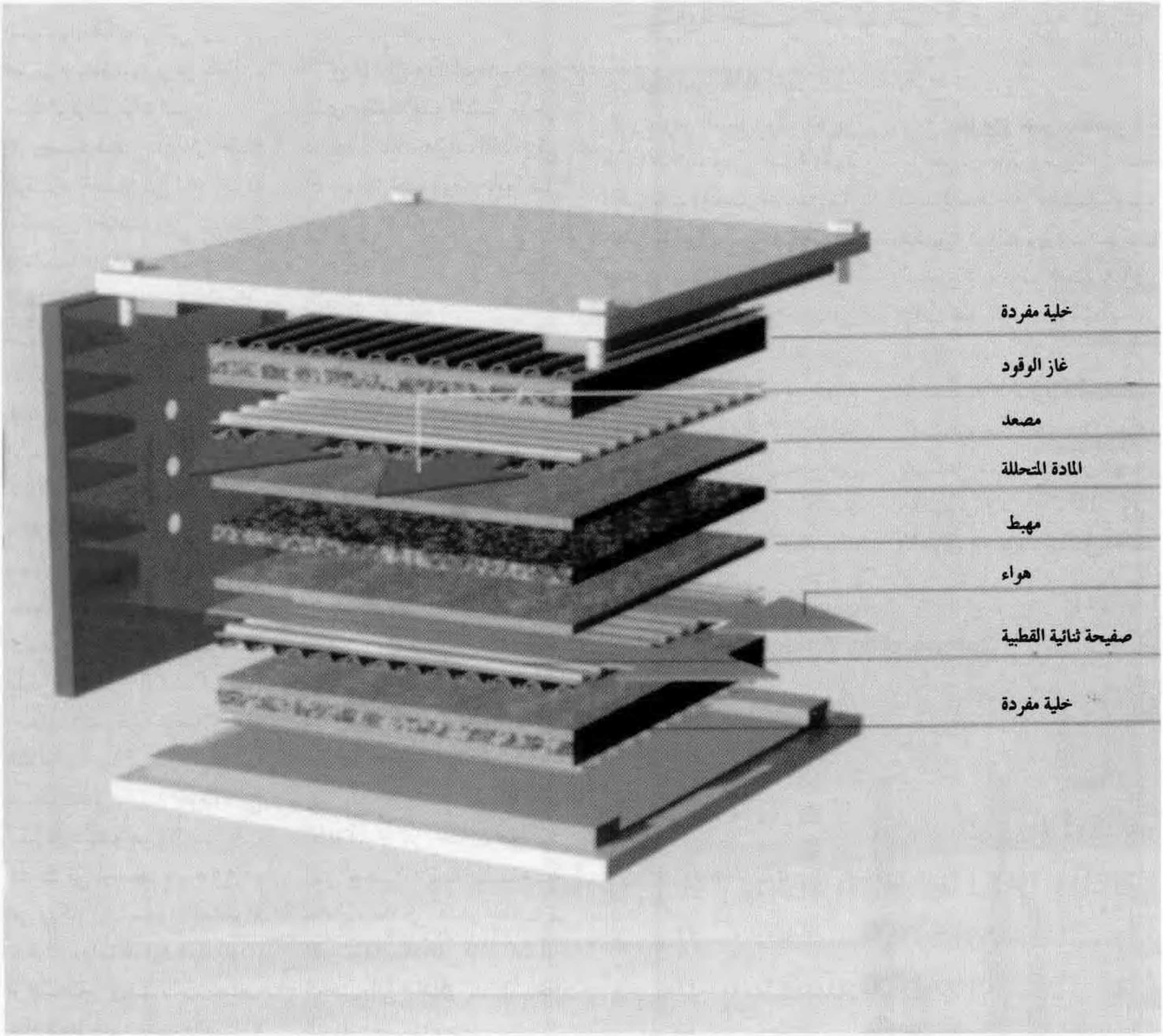
ولقد قرر مجلس استشاري من المهندسين الألمان التركيز على تطوير العمل بواحدة من هذه الخلايا، وهي خلية وقود الكربونات المنصهرة؛ فبتشغيل هذه الخلية تحت درجة حرارة مرتفعة تصل إلى نحو ٦٥٠ درجة مئوية، تمكن الباحثون من تركيب مولّد هائل للطاقة يمكن أن تُستخدم فيه العديد من أنواع الغازات الرخيصة كمصادر مباشرة لتحضير الهيدروجين اللازم لتشغيل الخلية، كالغاز الطبيعي وبعض الأكاسيد وأنواع الهيدروكربونات.

مزيج غير متفجر

عند درجات الحرارة المرتفعة السائدة داخل «خلية وقود الكربونات المنصهرة»، تتفكك الهيدروكربونات العضوية التي تؤلف غاز الوقود بوجود بخار الماء إلى هيدروجين حرّ وثاني أوكسيد الكربون . ويصبح الهيدروجين بعد ذلك حرّاً للتفاعل مع أوكسجين الهواء الجـوي لإنتـاج الماء. وفي الأحوال العادية، يشكل خليط



مخطط بياني يقارن بين الانبعاثات الغازية الضارة بالبيئة التي تنتجها مختلف محطات إنتاج الطاقة ويظهر منه أن محطة خلية الوقود (المحطة الحارة) هي الأقل تلويثاً للبيئة



مخطط لتوضيح تجمّع خلايا الوقود في المحطة الحارة

الهيدروجين والأوكسجين مزيجًا شديد القدرة على الانفجار، إلا أن الأمر مختلف تمامًا ضمن خلية الوقود لأنها صممت بحيث يتم التحكم تمامًا بهذا التفاعل ضمنها.

وبوصف أكثر دقة، يكون هذان العنصران معزولين عن الاتصال المباشر الواحد بالآخر بوساطة المادة المتحللة التي تؤدي دور الوسيط. وفي هذا النوع من خلايا الوقود، يتألف المتحلل الكهربائي من مزيج من كربونات البوتاسيوم والليثيوم، وهما مادتان رخيصتان جدًا.

ومن أجل توليد الطاقة الكهربائية باستطاعة كبيرة، تُكدّس حوالي ٢٧٠ إلى ٣٠٠ خلية وقود بعضها فوق بعض، وتُرفع درجة حرارة مجموعة الخلايا بوساطة وحدة تسخين كهربائية للدرجة التي تؤدي إلى انصهار الكربونات حتى تسمح بالحركة الحرة لشواردها.

وبتوجيه تيار الأوكسجين الجوي وغاز ثاني أوكسيد الكربون نحو مهبط الخلية (قطبها السالب) الذي يكون على شكل مربع طول ضلعه متر واحد، فإنهما يذوبان في الصهير ليشكلا شوارد جديدة من الكربونات سرعان ما تنتقل

المحطة الحارة

بداية عصر المولدات الصديقة للبيئة

إلى مصعد الخلية (قطبها الموجب) بسبب التعاكس في الشحنتين الكهربائيتين. وهناك، تتحد هذه الشوارد مع الهيدروجين المستخلص من غاز الوقود لإنتاج ثاني أوكسيد الكربون والماء، وتتحرر الإلكترونات التي تولد التيار الكهربائي.

وينتج هذا التفاعل فرقًا في الكمون الكهربائي يشبه ذلك الذي تنتجه مدّخرة السيارة العادية (البطارية). وتتميز خلايا الوقود في أن بإمكان الواحدة منها أن تنتج نحو كيلو واطٍ واحدٍ من الطاقة الكهربائية. وبعض الطاقة الحرارية المتحررة عن التفاعل تستخدم في تسخين المتحلل الكهربائي للخلية حتى يبقى منصهرًا، ولكن أغلب هذه الحرارة الناتجة تستخدم على نطاق واسع في التطبيقات المنزلية والصناعية.

محطة خضراء للطاقة

إن الفاعلية العالية وغياب الشعلة العارية تجعل من المحطّة الحارة مولّدًا لا يُجارى من حيث سهولة تشغيلة وصيانته وتحقيقه لأفضل معايير الصداقة مع البيئة. فهي لا تنشر إلا القليل الذي لا يكاد يذكر من الغازات الملوّثة، موازنة مع محطات إنتاج الطاقة التقليدية التي تلوّث الجو بعدد كبير من الغازات الضارة كأكاسيد الآزوت المتنوعة وأوكسيد الكبريت والسخام والغبار. يضاف إلى ذلك أن ما تطلقه من غاز ثاني أكسيد الكربون، أو ما أصبح يدعى بـ «غاز البيت الأخضر»، أقل بكثير من الذي تطلقه المحطات التقليدية. ومن المقدّر أن تؤدي إشاعة استخدامها إلى تناقص كبير في نسبة ما تضيفه التطبيقات الصناعية يوميًا من غاز ثاني أوكسيد الكربون إلى الجو.

ولم يكن الوصول إلى هذا النجاح التقاني (التكنولوجي) الباهر بالأمر الهيّن، فلقد واجهت العلماء صعوبات كبيرة في بداية الأمر عندما لاحظوا بأن هذا النظام عالي التكلفة، ويعزى سبب ذلك إلى قلة عدد ما كان يتم صنعه من هذه المحطة. ويتعلق السبب الآخر بالتكنولوجيا المستخدمة نفسها. حيث لم يكن بالإمكان تحقيق الفاعلية العالية للمحطة إلا باستخدام شبكة معقدة من الأجهزة الملحقة بها كالمراوح والوحدات الإضافية ومجموعات التحكم والأنابيب المتداخلة. وباختصار يمكن القول: إن هذه التكنولوجيا، بالرغم من أنها كانت تتميّز ببساطتها العالية، كانت عالية التكلفة بسبب التعقيدات الهندسية التي رافقت تصميم مؤلفاتها. وكانت الشركة التي تشتري مثل هذه المحطة تدفع ثلثي تكلفتها الكلية ثمنًا للأجهزة والأدوات الكثيرة الملحقة بها، التي ثبت فيما بعد إمكان الاستغناء عنها. وهذا ما جعلها غير قادرة على منافسة المحطات التقليدية لتوليد الطاقة في بداية الأمر. يضاف إلى ذلك وجود بعض المشكلات المتعلقة بنوعية المواد المستخدمة في بناء المحطة، من حيث إن الكربونات المنصهرة كانت تؤدي إلى تأكّل مؤلفاتها الداخلية مما أدى إلى انخفاض كبير في الزمن الأقصى لقابلية التشغيل. ولقد كان من الطبيعي أن يؤدي التلف والاهتراء السريع للمحطة إلى زيادة تكاليف الاستفادة منها.

اختصار عناصر المحطة

وانصرف المهندسون المبتكرون إلى حل معظم هذه المشكلات مؤخرًا عندما عمدوا إلى إعادة النظر تمامًا في طريقة تركيب نظام التصميم الهندسي للمحطّة الحارة برمته، وتمكنوا بذلك من اختصار معظم الأجهزة والأدوات والأنابيب الملحقة بها. وتم ضمّ الشبكة المحيّرة من الأنابيب وغرف الغازات إلى نظام المحطة بعد أن تم الاستغناء عن الكثير منها. وأصبح هذا النظام الجديد لا يتضمن إلا ثلاثة أنابيب: واحدًا للتغذية بغازات الوقود، وآخر لغاز العادم وثالثًا للتغذية بالهواء.

وتجلّت نتائج هذا التطوّر في ابتكار «المحطة الحارة الحديثة» التي أصبحت على شكل أنبوب معدني بسيط المظهر يتضمن مروحتين تعملان على دفع غاز الوقود والهواء إلى داخل خلايا الوقود.

وتمّ تثبيت المجموعة الكاملة والأدوات داخل غلاف فولاذي أسطواني الشكل، واختصرت الأجهزة والأدوات داخل هذا الغلاف إلى أعلى الدرجات.

وبرزت البراعة التقنية للمهندسين أيضًا في الاهتداء إلى طريقة مبتكرة لترتيب خلايا الوقود ضمن المحطة بحيث تثبت نحو ٣٠٠ منها واحدة فوق الأخرى لتشبه بذلك «شطيرة همبورغر» بعدد كبير من شرائح اللحم والخبز. وبالطبع فإن استطاعة المحطة تتناسب طرديًا مع عدد خلايا الوقود التي تتضمنها والتي تنتج الطاقة.

مواد مضادة للتآكل

أدى العلماء الألمان المتخصصون بدراسة المواد مؤخرًا دورًا بارزًا في جعل «المحطة الحارة» أداة صالحة للتطبيقات العملية على المدى البعيد من خلال البحوث المكثفة التي أنجزوها للتغلب على الخاصة التأكّلية للكربونات المنصهرة. فتحت تأثير الحرارة العالية التي تشتغل عندها المحطة والبالغة ٦٥٠ درجة مئوية،

المحطة الحارة

بداية عصر المولدات الصديقة للبيئة

تصبح شوارد الكربونات عوامل أكّالة للمعادن للدرجة التي تجعل المواد المعروفة بقدرتها على الصمود حتى أمام حمض الكبريت المؤكسد غير قادرة على الصمود والثبات أمامها، مما أوجد ضرورة البحث عن معادن تصمد أمام هذه التأثيرات لصنع مؤلفات المحطة منها. وكان من الضروري أيضًا أن تكون المواد الجديدة المقاومة للتأكّل، والتي عكف العلماء على البحث عنها، رخيصة إلى الحد الذي يجعل من استعمالها في المحطة الحارة يمثل نجاحًا جديدًا في خفض تكلفتها أكثر فأكثر.

ولقد أعطت هذه البحوث التقنية المعقدة ثمارها مؤخرًا عندما ابتكر العلماء سبيكة معدنية قادرة على الصمود أمام الخواص المؤكسدة للكربونات المنصهرة، وبلغت خلية الوقود الآن مرحلة من التطور جعلتها تثبت كفاءتها العالية في التطبيقات العلمية. وأضحت المحطة الحارة تبعًا لذلك صغيرة ومدمجة بحيث أصبح من السهل تحميلها على شاحنة لنقلها إلى وجهتها كالمدينة أو الحي أو المصنع، ولا يتطلب وضعها قيد التشغيل بعد ذلك إلا القليل من الخبرة والأيدي العاملة. ولا يبقى بعد ذلك إلا ربط موصلاتها بوصلات التغذية بالطاقة، كشبكة الطاقة الكهربائية وخطوط أنابيب نقل الطاقة الحرارية. وتمخضت نتيجة هذه البحوث عن ابتكار محطة طاقة خالية من مسببات التلوث كافة، وخرساء لا تصدر الأصوات والضجيج على الإطلاق، ويمكن تزويد كل حي من أحياء المدن والتجمعات السكنية بها بسهولة كبيرة، ويمكنها أن تنتج ما بين بضع مئات الكيلو واطات وحتى عشرة ملايين واط من الكهرباء وفقًا لحاجة الاستعمال الاجتماعي والصناعي على حد سواء.

وتتوزع الطاقة التي تنتجها المحطة الحارة بين ٥٠٪ طاقة حرارية و ٣٥٪ طاقة كهربائية، وتمثل نسبة الـ ١٥ بالمئة المتبقية الطاقة الحرارية المبدّدة بالتسرب إلى الوسط الخارجي.

وتوضح هذه الأرقام المشكلة الوحيدة التي تنطوي عليها «المحطة الحرارية» والمتمثلة بارتفاع نسبة الطاقة الحرارية الناتجة قياسًا إلى الطاقة الكهربائية. فكيف سيتم العثور على النشاطات الصناعية أو المنزلية التي يمكنها أن تستفيد من هذه الحرارة؟

تعد الطاقة الحرارية القابلة للاستغلال التي تنتجها المحطة نتاجًا ثانويًا ذا قيمة عالية.

ولقدرة المحطة على إنتاج بخار الماء فإن بالإمكان استخدامها في تطبيقات التعقيم في المستشفيات، وتكييف هواء البيوت والمكاتب والمطاعم وحظائر تربية الحيوانات والدواجن، كما تجد استعمالاتها الواسعة في مصانع الورق والأغذية. وعند تزايد الحاجة للطاقة الكهربائية، يمكن أن يُلحق بالمحطة الحارة توربين تقليدي يقوم بتوليد الطاقة الكهربائية باستخدام بخار الماء.

ولقد أثبتت البحوث والدراسات التي أنجزت مؤخرًا على المحطة الحارة بأنها قادرة على الاستمرار في إنتاج الطاقة لمدة ٤٠٠٠٠ ساعة متواصلة دون الحاجة إلى صيانتها أو تبديل خلايا وقودها. والأهم من ذلك أنه بعد انقضاء فترة الأداء الأمثل هذه يمكن استبدال خلايا وقود جديدة بالخلايا القديمة، وإعادة المحطة إلى العمل خلال بضعة أيام فقط. كما تبدو ميزات المحطة الحارة جلية من خلال موازنتها بمحطات إنتاج الطاقة التقليدية بحرق الغاز الطبيعي أو الفحم الحجري التي شاع استعمالها في معظم دول العالم والتي لا تؤدي عملها الأمثل إلا لفترة ٢٠٠٠٠ ساعة فقط، وعندئذ تتطلب صيانتها وإعادتها للتشغيل تبديل الكثير من قطعها التالفة، وهدر الكثير من الوقت والجهد والمال.

وتتجلى أعظم ميزات المحطة الحارة في العدد القليل من الفنيين اللازمين للإشراف على تشغيلها وصيانتها نظرًا لعدم وجود حاجة لاتخاذ أية إجراءات وقائية في أثناء التشغيل، وقد يكفي فني واحد لتشغيلها والإشراف عليها من خلال متابعة لوحة المراقبة التي توضح بيانات إدارتها الفنية وأساليب ضبطها والتحكم بوظائفها المتنوعة كافة.

ومن أجل تعزيز فرص نجاح المحطة الحارة في الأسواق، اتّجه العديد من المؤسسات البحثية الألمانية للتعاون فيما بينها، بالاستفادة من الدعم المالي الكبير الذي تلقته من كل من الحكومة الفيدرالية الألمانية والاتحاد الأوروبي والعديد من المؤسسات الألمانية العاملة في حقل إنتاج الطاقة من أجل الترويج لها وصناعتها بأعداد كبيرة. وكان شهر يونيو/حزيران الماضي (١٩٩٧) نقطة تحول بارزة في تاريخ ابتكار محطات إنتاج الطاقة عبر العالم عندما دشنت أول محطة حارة لإنتاج كل الطاقة الكهربائية التي تحتاج إليها مدينة دورتسن الألمانية.

ونظرًا لكل هذه الفوائد الاقتصادية والبيئية التي تنطوي عليها المحطة الحارة، لم يعد هناك ثمة شك في أنها ستصبح قريبًا الأداة الرئيسة، إن لم تكن الوحيدة، لإنتاج الطاقة في دول أوروبا كلها.. وربما في العالم أجمع.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

المخترع في فنون من الصنع

تأليف الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي

أصبح من نافلة القول أن للعرب والمسلمين إسهامًا ودورًا كبيرين في إغناء العالم بشتى أنواع المعارف العملية والنظرية، وكتابتهم الآلاف المؤلفة من الكتب النافعة، واختراعهم للعديد من الأدوات والآلات، واكتشافهم الكثير من النظريات العلمية التي حققت الخير العميم للبشرية جمعاء. وما الخوارزمي وابن النفيس وابن الهيثم بخافين عن أنظار العالم.

ولقد ساهم في تطور المعارف والعلوم عند المسلمين - غير حث الإسلام على العلم طبعًا - اهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين بالعلم والعلماء، وتشجيعهم على تقدمه وتطويره، والقارئ في كتب التاريخ الإسلامي يجد هذا واضحًا جليًا.

ولكن اللافت للانتباه أن نجد الملوك والسلاطين لم يقفوا عند التشجيع الخارجي فقط، بل دخلوا باب العلم أيضًا، وألّفوا فيه الكتب النافعة، وهذا من النادر حدوثه، ومن النادر كذلك أن يكون التأليف في مواضيع نادرة.

وفي هذا العدد من باب نوادر التصنيف نتحدث عن كتاب «المخترع في فنون من الصنع» من تأليف الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الرسولي (المولود سنة ٦١٩هـ، والمتوفى سنة ٦٩٤هـ)، والمعروف بالمظفر الرسولي. وهو ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن، وكان حسن السياسة في رعيته، بعيدًا عن أموالهم، وله اهتمام كبير بالعلوم، حيث درس الفقه والنحو وغيرهما على أكابر شيوخ عصره، وألف العديد من الكتب، منها: المعتمد في الأدوية المفردة، والبيان في كشف الطب للعيان، والعقد النفيس في مفاكهة الجليس، وغير ذلك كثير.

ومن مؤلفاته النافعة، بل والنادرة: كتاب المخترع، وهو يتحدث في العلم الصناعي، ولا يقتصر على نوع بعينه من الصناعات شأن الكتب الأخرى، بل يبحث في مجموعة من الصناعات التي تهم الخاصة والعامة من الناس، كل حسب اختصاصه.

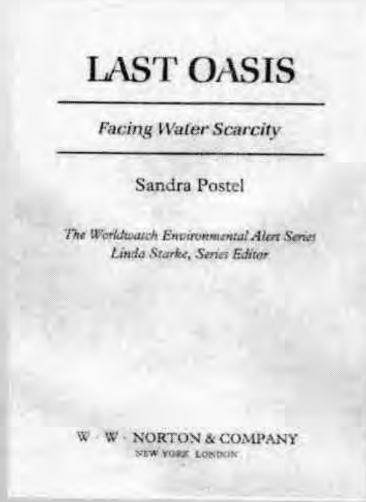
ولا بأس من إيراد ما كتبه ناشر الكتاب في التعريف به، حيث قال: «يعتبر كتاب المخترع في فنون من الصنع من أندر كتب الصناعات في التراث العربي الإسلامي، وذلك بسبب إبداعه في تناول صناعات عزّ تداولها من قبل سابقيه. لقد أبدع مؤلفنا في صناعة الأسلحة، وخاصة في هندسة أنواع المجانيق المختلفة، وصناعة قنابل (المولوتوف) وقنابل (الملز). أما في مجال الثياب والملابس، فقد تميز في كيفية تنظيفها بالبخار وقصرها وصبغها بالطرق المختلفة. وفي الصناعات المنزلية، فقد تناول هندسة صناعة الهودج والمحفة وغيرها من أدوات الأثاث المنزلي. وتبرز أهمية الكتاب في فصوله التي اختصت بصناعة الكتاب، من حيث صنع الأخبار ووضع الأسرار في الكتب ومحوها، وكذلك في تشكيل أنواع الأقلام وقصها وصناعتها وبريها بطرق مختلفة لاستخدامها في أنواع مختلفة من الخطوط. وكان المؤلف مبدعًا في فن حل الذهب والفضة والكتابة بهما، وكذلك في فن تجليد الكتب. والكتاب يعدّ حلقة مهمة لتنظيم الصناعات الإنسانية، وفيه فوائد تتوافق والعمل لبناء نهضة عربية إسلامية حديثة».

والحق ما قاله الناشر، حيث نرى (الملكَ المؤلفَ) طرق موضوعات شتى تهم الخاصة والعامة، فبناء الدولة يكون بالعلم، ولابد من قوة وسلاح يحميان هذه الدولة الناشئة، فبقدر اهتمامه بالكتاب وأدوات الكتابة وكيفية صناعة الأقلام وبريها وتجليد الكتب وتحليتها بماء الذهب، نجد أنه في الوقت نفسه يرشدنا إلى كيفية صناعة المجانيق والدبابات وقنابل النفط، وأكد ضرورة إتقان صنع هذه الآلات والأدوات، والتزام مقاييس ومواصفات معينة محدودة في صنعها، ورأى ضرورة إجراء اختبار لمن يقوم بهذه الصناعة للتأكد من خبرته وكفاءته. كما يتحدث عن موضوع يهم كل فرد وكل بيت من بيوتات الدولة، ألا وهو صناعة الملابس والعناية بها من صبغ وتنظيف، وكيفية إزالة البقع العالقة بها، والأدوات المستخدمة في ذلك.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى عشرة فصول، جعل الستة الأولى منها وجزءًا من السابع للحديث عن صناعة الكتاب وما يتعلق به، وفي بقية الفصل السابع تحدث عن صنع الخيم وعمل الحرير والملابس، وفي التاسع أرشدنا إلى طرق جيدة ونافعة لإزالة آثار البقع من الملابس، وكيفية عمل الصابون، وفي الفصل العاشر بين كيفية صنع الأسلحة النفطية، أو ما يعرف اليوم بقنابل المولوتوف، وكيفية صنع الألعاب النارية، وتناول أيضًا في هذا الفصل كيفية طلاء المعادن بالذهب والفضة، وكيفية لحام المصوغات الذهبية والفضية.

بقي أن نقول: إن الكتاب قد طبع بتحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية، وقد بذل في تحقيقه جهدًا مشكورًا، قدم له بدراسة وافية عن الكتاب وعن مؤلفه، وأتبع ذلك بمجموعة قيمة من الفهارس اشتملت على خمسة عشر فهرسًا.

نافذة على ثقافة العالم



تأليف:
ساندرا بوستل
ترجمة:
د. بهاء الدين محمود عبدالحميد

الواحة الأخيرة

أعلنت منظمة الأرصاد الجوية العالمية في ٢٧ مايو/أيار أن الطلب على المياه في العالم قد ازداد ثمانية أضعاف ما كان عليه في بداية القرن الحالي، كما قالت: إنه سيتضاعف مرتين قبل حلول منتصف القرن المقبل، كما حذرت المنظمة من الإفراط في استخدام المياه، وأشارت إلى أن أكثر من مئتين وخمسة وعشرين مليون نسمة محرومون - في الوقت الحالي - من مياه الشرب النقية في العالم.

كما أضافت المنظمة أن معدلات استهلاك المياه تتفاوت بين الدول، ففي الوقت الذي يستهلك فيه الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية ١٥٠٠متر مكعب سنويًا، فإن استهلاك الفرد الأوربي لا يزيد عن ٥٠٠ متر مكعب سنويًا، بينما لا يزيد هذاالاستهلاك عن ١٠٠ متر مكعب للفرد في بقية بلدان العالم.

ويتحدث الكتاب الذي بين أيدينا، والذي صدر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٢م عن التحدي الأكبر لمواجهة مشكلة ندرة المياه في جميع أنحاء العالم.

ففي الفصل الأول يتحدث المؤلف عما أسماه بخداع الوفرةAN. ILUSION OF PLENTYفيذكر أنه من السهل على الإنسان أن يفتح صنبور الماء - حين يصحو من نومه في الصباح للاستحمام أوالشرب دون تفكير متعمق في هذه القطرات التي تتدفق من الصنبور، فمما يجدر ذكره أن العديد من المسطحات المائية قد جفت أو تقلصت مساحتها في مناطق عديد ة من العالم.

ولقد أعلن العديد من قادة الدول في الشرق الأوسط أنه قد تحدث في وقت قريب صراعات كثيرة نتيجة لندرة المياه في هذه المنطقة الحيوية من العالم.

ويرى المؤلف في موضع آخر من الكتاب أن الاستخدامات الصناعية ومتطلبات الحياة الحديثة من المياه قد تضاعفت عدة مرات خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وتستأثر الزراعة بنصيب الأسد من هذه الاستخدامات (ما يربو على ٦٥٪ من هذا الاستخدام).

إن توليد الطاقة الذرية واستخراج البترول من باطن الأرض مثلاً يستهلك كميات هائلة من المياه.

وفي الفصل الثاني يتحدث المؤلف عما أسماه بعلامات الندرة، فيذكر أنّ من نعم الله على البشر أن المياه التي على كوكب الأرض تتجدد دائمًا، وذلك عن طريق ما يسمى بالدورة الشمسية للمياه، SOLAR POW-ERED WATER CYCLE.

فالطاقة الشمسية تبخر ما يقرب من ٥٠٠ ألف كيلومتر مكعب من بخار الماء إلى طبقات الجو العليا (٨٦٪ من المحيطات، ١٤٪ من فوق سطح الأرض)، وتسقط الكمية نفسها مرة أخرى في صورة أمطار أو قطقط SLEET أو جليد.

ثم يتحدث المؤلف في موضع آخر عن معاناة أكثر من أربع عشرة دولة من دول الشرق الأوسط ندرة المياه، وما سيخلقه هذا الموقف من نزاعات مستقبلية بين العديد من هذه الدول.

ويتحدث المؤلف في الفصل الثالث عن آمال الهندسة ENGINEERING'S PROM-ISES فيرى أن استهلاك المياه قد تضاعف ثلاث مرات منذ عام ١٩٥٠م حتى الآن،

في مـواجـهـة ندرة الميـاه



ويقدر الخبراء أن الاستهلاك العالمي الحالي للمياه يعادل ثمانية أضعاف محتوى نهر الميسيسبي، ثم يتحدث المؤلف عن إقامة السدود في العالم، فيذكر أن حركة بناء السدود في العالم قد تناقصت في السنوات العشر الأخيرة عن نصف ما كانت عليه منذ خمسة وعشرين عامًا.

كما يتحدث المؤلف في موضع آخر عن تحلية مياه البحر فيذكر أنه يوجد في أنحاء شتى من العالم مايقرب من ٧٥٠٠ محطة تحلية للمياه من جميع الأنواع والأحجام، وتنتج هذه المحطات ما يبلغ ٤٫٨ بليون متر مكعب من المياه العذبة في العام.

وتستخدم هذه المحطات التبخير وإعادة التكثيف أو ترشيح المياه في مرشحات، أو ما يعرف بالضغط الأسموزي العكسي -RE VERSE OSMATIC PRESSURE، وتعد هذه الطريقة من المعالجة من أكثر الوسائل تكلفة(نحو ٤ ـ ٨ أضعاف طرق تكرير المياه التقليدية).

ويرى المؤلف أن تحلية المياه ربما تكون في المستقبل القريب طوق النجاة لمواجهة الزيادة المطردة في عدد سكان العالم، وبخاصة سكان المدن الساحلية، ولكنه لن يمثل الواحة الأخيرة في هذا المجال.

ويتحدث المؤلف في الفصل الرابع عن الخبز والماء WATER AND BREAD فيرى أنه من المحتم أن يبتكر العلماءوسائل عديدة وحديثة للري، وذلك لمواجهة الزيادة السكانية العالمية المطّردة، لتوفير الغذاء للبلايين من البشر.

ويرى المؤلف أنه يوجد كثير من الوسائل الجديدة والمقترحة لري الأراضي الزراعية

الواحة الأخيرة في مواجهة ندرة المياه

ولري الحدائق أيضًا GARDEN IRRIGATION لمواجهة هذه الزيادة ومن هذه الوسائل: الري بالمياه الجوفية الضحلة SHALLOW GROUND WATER.

ويتحدث المؤلف في فصل آخر عن سياسات المياه فيورد مقولة لبطرس غالي الأمين العام السابق للأمم المتحدة حين كان يشغل منصب وزير دولة للشؤون الخارجية في حكومة مصر عام ١٩٨٩م فقد قال: «إن الأمن القومي المصري يتحدد بأيدي ثمانية دول أفريقية أخرى وهي دول حوض النيل»، وتحمل هذه المقولة دلالة عميقة على الصراع الدائر على نقطة المياه في منطقة حوض النيل.

ويقدر الخبراء أن ما يعادل ٤٠٪ من سكان العالم يعيشون على أحواض مشتركة من الأنهار، حيث تشترك دولتان أو أكثر في حوض من هذه الأحواض، مثلاً: الأردن وإسرائيل والضفة الغربية المحتلة تشترك في مياه نهر الأردن، أما حوض نهر النيل فتشترك فيه أكثر من تسع دول إفريقية، ولذا فإن الحديث عن أزمة المياه في الشرق الأوسط أصبح حديثًا معادًا، وربما يتمخض المستقبل القريب عن بعض النزاعات على قطرة المياه في هذه البقعة المهمة من العالم. وعليه، فإن التعايش بين الدول وإبرام الاتفاقات واحترامها ربما يكون سبيلاً إلى التعايش مع هذه المتغيرات الدولية بروح من التعاون والثقة.

ويتحدث المؤلف في فصل آخر عن التغيرات المناخية الحادثة في العالم خلال القرن العشرين، وذلك تحت عنوان «العالم يزداد سخونة» A WORLD HEATING UP فيذكر أن المناخيين (علماء المناخ) CLIMATOLOGISTS يرون أن درجة حرارة الأرض ستزداد بمقدار درجة ونصف الدرجة إلى أربع درجات ونصف الدرجة المئوية في العقود القادمة، وذلك نتيجة لزيادة الغازات الممتصة للحرارة في طبقات الجو العليا بسبب النشاط الصناعي المتزايد، ولذا فإنه من المتوقع أن تتغير نظم هطول الأمطار في أنحاء متفرقة من العالم. ومن ثم ستعاني بعض المناطق من القحط، وتعاني مناطق أخرى من الفيضانات المدمرة، ولذا يطالب المؤلف بسرعة إيجاد حلول عاجلة لمعضلة زيادة حرارة الأرض حفاظًا على بيئتها من الدمار.

وفي فصول متعاقبة يرى المؤلف أنه يمكن الاقتصاد في مياه الري في العديد من الزراعات، فقد انتهجت العديد من الدول مثل: استراليا وإسرائيل والمكسيك ونيوزيلاندا وسائل جديدة من الري مثل الري بالتنقيط، وذلك من الستينيات من هذا القرن كما يجري حاليًا العديد من الأبحاث في معاهد متفرقة بأنحاء شتى من العالم لابتكار وسائل حديثه لتحسين إنتاجية المحاصيل بأقل كمية من المياه، ثم يوجه المؤلف إلى أنه يمكن استغلال الصحراء الكبرى الإفريقية في الزراعة على نطاق واسع وذلك من طريق استخدام مياه الآبار، باستخدام مضخّات الأعماق الضخمة لرفع المياه الجوفية لري هذه الصحراء.

وفي فصل آخر وتحت عنوان «لا مزيد من فقد المياه» WASTE WATER NO MORE يرى المؤلف أنه يمكن استخدام مياه الصرف الصحي الصناعي والمنزلي (مياه البالوعات والمجاري) في ري المحاصيل الزراعية بعد معالجتها، وأنه، بهذه الطريقة، يمكن تحويل ملوثات المياه إلى أسمدة عضوية تستخدم في الزراعة، ثم يمكن القضاء على مشكلة مزمنة من مشكلات تلوث المياه في البحار والأنهار.

ويرى المؤلف أن إعادة استخدام الصرف الصحي مرة أخرى في الدول النامية، إنما تحتاج إلى إعادة نظر، لأنها ليست في مأمن من المخاطر الصحية، وفي ختام حديثه في هذا الفصل يرى المؤلف أن العلم الحديث قد مكن البشر من معالجة مياه الصرف بطرائق علمية متعاقبة كالطرائق الفيزيقية والحيوية (البيولوجية) والكيماوية، للوصول إلى ماء معالج صحي وآمن.

بيد أن العوائق التي تحول دون تحقيق ذلك ليست عوائق تقنية، ولكنها عوائق نفسية لا أكثر ولا أقل.

ثم يتحدث المؤلف في فصل آخر عن أمن المياه TOWARDS WATER SECURITY فيرى أنه يمكن للإنسان أن يحقق هذا الأمن على نطاق واسع عن طريق إعادة معالجة مياه الصرف مستعينًا بالتقنيات الحديثة التي تستطيع توفير الماء اللازم للصناعة والزراعة والاستعمال المنزلي.

وفي الفصل الأخير يتحدث المؤلف عن أخلاقيات التعامل مع المياه WATER ETH-ICS، ويرى فيه أنه يجب على دول الشرق الأوسط أن تحل فيما بينها صراعات المياه وضغوطها، إذا كانت ترغب في العيش بسلام، ويضرب المؤلف مثلاً على ذلك بمزارعي الأردن، حيث يرى المؤلف ـ على حد قوله ـ أن عليهم انتهاج نهج إسرائيل في الري بالتنقيط، ويمكنهم بهذه الطريقة توفير ١٧٠مليون متر مكعب من مياه نهر الأردن كل عام. أما على مستوى الأفراد فيجب على البشر في جميع أنحاء العالم أن يعيدوا النظر في أسلوب تعاملهم مع قطرة الماء التي يستخدمونها، وأنماط استهلاكهم لها.

وختامًا لهذا البحث يجدر الذكر بأنه قد تم عقد المؤتمر العالمي الأول للمياه بمدينة مراكش المغربية وذلك في ٢١مارس/آذار، وحذر الملك الحسن الثاني ملك المغرب في الجلسة الافتتاحية من خطورة نقص المياه مع بداية القرن الجديد، وطالب جميع المهتمين والمسؤولين عن قضايا المياه في العالم بالعمل على تنفيذ سياسات وبرامج وخطط مائية حاسمة، لتجنب الأخطار المتزايدة والمتوقعة من نقص المياه في العالم.

تطوانيات مشرقيات

د. حسن عبدالكريم الوراكلي

كان للمغرب، خلال القرن الهجري الماضي حديث طويل في المشرق العربي لعل أبرز عناوينه ثورة عبدالكريم الخطابي - الظهير البربري - ثورة الملك والشعب وهلم جرا. وكان لتطوان من ذلكم الحديث حظ وافر لأسباب عدة: تاريخية وعلمية ووطنية، فهي في إطار الأولين تعد وريثة حضارة غرناطة وتراثها، وهي في الإطار الثالث كانت منبت رجال نذروا أنفسهم وما ملكت أيمانهم في سبيل تحرير الوطن واستقلال البلاد، وكانت لهم في ذلك مواقف شهد بها الأعداء وإن بخس بعضها الأودّاء!

وإذا كانت تلكم الأسباب في طليعة ما عرّف المشارقة بتطوان، فإن الفضل في شيوع اسمها وذيوعه بينهم خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي خاصة يعود إلى الشعر شعر، وما أكثر ما كان الشعر سببًا في رفعٍ أو خفض، ونشرٍ أو طيٍّ، يقول فيه منشئه محدداً رقعة الوطن العربي.

بلادُ العـــرب أوطـاني
من الشـــام لبـــغــــدان
ومـن نجــــد إلـى يمـن
إلى مـــصــرَ فـــتطوان (١).

ولست أذكر أنني حضرت ندوة علمية أو ملتقى ثقافيًا بقطر من أقطار المشرق العربي في العقدين الأخيرين وسئلت من قِبلِ من سعدتُ بمعرفتهم من الأساتذة والعلماء عن مسقط الرأس إلا وردد أغلبهم بعد تسميته البيتين السابقين.

وفي هذا السياق أذكر، ولعل بعض الحضور يذكرون معي كذلك، أن أستاذنا الدكتور أمجد الطرابلسي (٢)، وهو، كما تعلمون، سوري مولداً ونشأة، مغربي داراً وقراراً، حين بدأ الحديث بوصفه رئيسًا للّجنة العلمية التي تولت في السنة الجامعية المنصرمة، مناقشة رسالة طالبنا النابغة حافظ الروسي بمدرج عبدالله كنون بهذه الكلية قال أو كما قال (عرفت هذه المدينة الجميلة - يعني تطوان - في ربيع العمر من خلال نشيد كنا نردده في المدارس والثانويات ثم لم يقدر لي أن تكتحل عيناي برؤيتها إلا وأنا في خريف العمر) وأنشد البيتين.

ولم يقف أثر هذا النشيد عند هذا الحد في ترديد المشارقة لاسم المدينة مقرونًا بأسماء أشهر الأقطار والحواضر العربية، بل كان مبعث إلهام لشعراء آخرين تغنوا بوحدة الوطن العربي، نمثل لذلك بهذا البيت من بائية للشاعر السعودي محمد بن سعد الدبل بعنوان (البيت العربي) يقول فيه جاعلاً من تطوان داره وقراره.

غنيت نجدًا لحون الحبّ في حلب
تطوان داري وشط النيل منتدبي

ولا بد أن نذكر هنا أيضًا عواملَ أخرى أربعًا كانت وراء شيوع اسم المدينة في أوساط المشارقة والتعريف بها لديهم، وهي:

١- البعثات الطلابية التي أوفدتها تطوان لاستكمال الدراسة في مختلف المعاهد والمدارس والكليات بنابلس وبغداد والقاهرة وغيرها، والبعثات التعليمية المشرقية والمصرية بخاصة التي كانت تحل تطوان، أيام الحماية وبعدها، للتدريس بمدارسها ومعاهدها، فقد كان لأعضاء هذه البعثات وتلك دور ملحوظ في التعريف بالمدينة والحديث عن ماضيها وحاضرها.

٢- قيام مؤسسات علمية بها كمعهد مولاي الحسن للأبحاث، فقد كان له إشعاع ثقافي كبير بما نشر من أعمال وطبع من دراسات تلقفتها مراكز البحث العلمي ومحافله في المشرق، وفي غير المشرق، بإعجاب وتقدير بالغين مما كان له دور إعلامي بعيد الأثر في لفت الأنظار إلى المغرب عامة وتطوان العالمة بخاصة.

٣- زيارة بعض رجال المشرق المشاهير للمدينة من زعماء وكتاب وعلماء مثل الأمير شكيب أرسلان و أمين الريحاني و حسين مؤنس وغيرهم. وكان لزيارة أولهم خاصة أثر متميز في حركة المدينة الوطنية والثقافية مثلما كان لها صدى طار باسم المدينة كل مطار في أجواء المشرق وآفاقه.

٤- أما العامل الرابع والأخير فهو ما أسهمت به تطوان في مجال الإصلاح الديني من دعوة إلى نبذ الضلالات والبدع والتمسك بتعاليم الكتاب والسنة. ثم ما عرفته خاصة في العقدين الأخيرين من صحوة إسلامية شملت شبابها والكهول، وتبلورت في ألوان من العمل الدعوي والثقافي والإعلامي مما نهضت به جمعياتها وصحافتها حمل اسم المدينة إلى ساحات العمل الإسلامي في الوطن العربي والإسلامي بوصفها أحد معاقل الإيمان والالتزام الواعي بالإسلام شرعة حياة في بلاد المغرب.

قبل أن نحاول استخلاص ما في هذه التطوانيات المشرقيات مما يفيد منه المؤرخ وينتفع به الدارس لحياة المدينة في جوانبها المختلفة نحب أن

نشير إلى أمرين اثنين:

أولهما أن منشأ هذه التطوانيات عند أصحابها واحد وإن تباينت دواعيه فيما بينهم، وهو محبتهم لها ولأهلها. وقد عبر عن ذلك الريحاني وهو يلقي النظرة الأخيرة على ساحة المدينة التي شغف بها حبًا أيام إقامته بها وتمنى لو تسمى باسمه، بل أطلقه هو عليها (ومن ساحة مولاي... أقف لأسجل الأعجوبة: أجوبتها. فقبل أن أنطق بالاسم ساعة الوداع سمعت صوتًا ولا كالأصوات، صوتًا كصوت الأجراس فيما وراء الجبال صوتًا من الساحة نفسها وقد تجسدت بكل ما فيها ونطقت بمئة من الألسنة، ألسنة الزهور والمصابيح، ألسنة الجبال، ألسنة الصغار أنفسهم، وكلها باللسان الواحد تقول. ساحة الريحاني، ساحة من أحببنا حبًا صافيًا. حبًا شعريًا خالدًا).

وعبر الشاعر حيدر الغدير عن اشتياقه لتطوان وتعلقه بها لأمجادها ومآثرها وخصال أهلها في هذه الأبيات من (تطوانية) سماها (بطاقة حب إلى تطوان) أهداها (إليها وإلى الأحباب فيها...).

تطوانُ أتيتُكِ مشتاقًا
ومنحتك من شعري الأجودْ
وفدى عينيك أهازيجي
وهديل صدّاحٌ غَرّدْ
شهد الأنجاد بأنجاد
في أبيض دهرك والأسودْ
شهدوا والدهر لهم رصد
وأنا والشعر لها نشهدْ
وروى الراوون مناقبها
فأتى التاريخ وقد أيّدْ
ولقد أدمنت محبتها
من قلب معطاء أصيدْ
عزّتْ تطوان وأهلوها
بخصال غُرٍّ تتفرَّدْ
المجد لها والفتح لها
ودعاءٌ ريانٌ سرمدْ.

ويصور المهدي بنونة، وهو أحد أبناء المدينة الذين تركوها في فتاء العمر إلى المشرق طالبًا للعلم والتحصيل، حبه العارم لمسقط رأسه في أبيات، إن قل حظها من رواء الفن وألقه، فهي لم تعدم حرارة التجربة وصدق المعاناة:

أذوب إليكِ يا تطوان شوقًا
وأطرب كلما ذُكِرتْ رُبَاكِ
أحِن وفي فؤادي من بعادي
لهيبٌ زادَ في نفسي هواكِ
وأرسلُ في النسيم سلامَ حبّ
سلامَ محطَّم الآمال شاك
يُذكِّرهُ الغرام زمانَ أُنسٍ
قضاه بين نشئك كالملاك
ألا أعْظِم بهذا البُعد إني
سئمت العيشَ في بلدٍ سواك
أيصبِرُ من أحب على بعاد
لعمري ما البعادُ سوى الهلاك
أناجي في الدجى النسماتَ علّي
ألاقي نسمة لمست شذاك.

وثاني الأمرين أن مُنشئي هذه (التطوانيات) أحد رجلين: مشرقي زارها وكلف بها وبأهلها فكانت له أهزاج فيهما مضمخة بأنداء المحبة وأشذائها، أو مغربي من بنيها خاصة، تركها ليلقي رحله بعيدًا عنها ويتوطن سواها بالمشرق فكانت له فيها وفي أهلها أهزاج مترعة بلواعج الحب والشجن والشوق. فهذه الأهزاج وتلك كلها (تطوانية) لدورانها حول تطوان دارًا وأهلاً، وكلتاهما (مشرقية) إما لصدورها عن مشرقي أو عن غيره في أرض المشرق.

وأيًا ما كانت الحال فإنّ هذه التطوانيات المشرقيات عكست، على اختلاف منشئيها، فضلاً عن حبهم لها وتقديرها لأهلها، صورًا من حياة المدينة في مجالات عدة، نمثل لها بما يلي:

مجال الدعوة

فقد كان لتطوان، كما أسلفنا، قدم سبق في النهوض بالدعوة السلفية ومحاربة مظاهر الشرك والضلال والزيغ عن عقيدة التوحيد. ومن بين رجال تطوان الذين نذروا حياتهم للدعوة إلى الإصلاح الديني ونشر الروح السلفية بين أبناء المدينة الأستاذ الطنجي الذي وجهت إليه هذه الأبيات من قبل أحد بلدية المقيمين بالمشرق يومئذ وهو (المرحوم الأستاذ محمد بن عبود) وهي، أي الأبيات، وإن كانت موجهة أصلاً إلى محمد الطنجي الداعية (المصلح)، وهذا عنوانها فإنها تسجل ذلكم الصراع الحاد الذي كان يحتدم بين دعاة السلفية وأهل البدع في تطوان وفي غير تطوان من حواضر المغرب:

تعيش لفكرةٍ وتذود عنها
وتتخذ العذابَ لك الدليلا
وتلقى في حياتك كلَّ هُون
وتخلف بعدها ذكرًا جميلاً
كشفتَ نقائصًا ووصفتَ داء
وصرت تقاومِ الداءَ الوبيلا
فقاومك المريض يريدُ فتكًا
فآه لو يُحسّ ولو قليلا
ظُلِمتَ وكان ظلمَكَ شرَّ ظلم
فأهْوِنْ بالممات له مثيلا.

وعلى نحو ما كانت تطوان سبّاقة إلى النهوض بالدعوة السلفية الإصلاحية كانت سباقة كذلك إلى الإسهام في تفجير ينابيع الصحوة الإسلامية في نفوس الشباب وغير الشباب بفضل ما عرفته المساجد على منابرها من خطب ملتزمة، وفي مجالسها من دروس بانية، وفي حلقاتها من عظات هادفة، يصور ذلك الشاعر حيدر الغدير في هذه الأبيات:

تطوانُ منارةُ إيمانِ
للأقرب هذي والأبعدْ
زانتها النُّعمى هانئةً
وأذانٌ هادٍ يترددْ
ومنائر شُمٌّ باذخة
ومساجدُ باسمةٌ تُقصَدْ
فيها الأبرار وقد خشعوا
صفًا من درٍّ يتنضَّدْ
وشيوخ جلّتْ ودروس
ورحاب غصت بالسُّجَّدْ
والعلم، وحبر، وكتاب
ونشيجُ إمامٍ قد جوّدْ
والآي وتالٍ يتلوها
ودعاء من قلب أرشد
وحكاية وعظٍ صادقةٌ
عن زيد الخيرِ (٣) وعن مخلد
ورواية ثقة عن ثقة
وحديث يأتي في المسند
فيصححه ويضّعفه
قول لمعِينٍ (٤) أو أحمد (٥)
وعلى المحراب أخو عزم
بوشاح التقوى يتقلد
وعجوز في طرفٍ يبكي
وغلام أمردُ يتهجد
وضراعة قلب أوّاه
الجمرةُ فيه تتوقّد

وهدير خطيب ذي أنف
وبيان كالغيث مسدد
أعلته جرأة آساد
ومكارم من مجد أمجدْ.

ويرسم الشاعر لأبناء الصحوة في تطوان صورتين تدلان على رهافة حسّه ونفوذ بصيرته، إحداهما خص بها الفتاة التطوانية الملتزمة، فلننظر إليها:

وفتاتك حسناء كرُمتْ
تزهو بعفاف كالفرقد
الهديُ المؤمن نجواها
وكتاب الله لها معبد
والطهر بعينيها كحل
والطهر هبات لا تنفد.

وخص بثانيتهما فتى تطوان الملتزم تعاليمَ دينه ومُثُلَهُ بما ينعكس على أخلاقه ومواقفه على نحو ما نرى في الصورة:

وفتاك ذؤابةُ أمجاد
وعزيمة صقر تتصعّدْ
وإباء عيوف مقدام
لم يسجد إلا للأوحد
ومضاء جسور مرقال
مسماحٍ للجُلّى ينهدْ
الحق رفيق مطارفه
إنْ أتْهمَ يومًا أو أنْجدْ
كشّاف كروب إن عسفتْ
أو أرغى الباطلُ أو أزْبدْ
وهّاج والدنيا مرج
وسراج في يوم أرمدْ
ما هاب الظلمَ ومخلبَهُ
غدّارٌ في عهد أربد
يسري للمجد به دأب
وحصان وثّاب أجرد.

وبفضل توافر هذا الفتى وتلك الفتاة من أبنائها الملتزمين دينَهم، الواعين رسالته التغييرية والاستشرافية في تطوان في سنوات الصحوة المعطاء، باتت منبرًا من منابر الدعوة إلى النهوض بالمسلمين وتغيير أوضاعهم، وهو ما يسجله الشاعر نفسه في قصيدة أخرى إذ يقول:

أيا تطوانُ حيّتك الغوادي
وجُنّبتَ المكارهَ والعوادي
وزانكِ من شذا الإيمان عطرٌ
يُضمّخ كل حاضرة وباد
ويدعو المسلمين ألا أفيقوا
فقد طال التمادي في الرقاد
لديكم من كتاب الله نور
ومن هدْي الرسول أجلُّ زاد
فهلا عودة تسمو وتعلو
وتسقي من جناها كل صاد
وترفعكم كما كنتم نجومًا
وتجعل هامكم فوق العباد.

مجال الوطنية

كان لتطوان، شأنها شأن غيرها من الحواضر الكبرى في المغرب، رسوخ قدم وطول باع في نشأة الحركة الوطنية بالبلاد، وفيما نهضت به هذه الحركة من نشاط دؤوب استهدف توعية المواطنين بكيانهم وهويتهم، وفيما كان لها من مواقف في مقاومة الاستعمار والمطالبة باستقلال الوطن. وفي فترة باكرة في حياتها، حرصت على أن تمد الجسور بين هذا الجزء من الوطن العربي وغيره من الأجزاء في المشرق إيمانًا بما يجمع هذه الأمة، فضلاً عن العقيدة، من لغة واحدة وتاريخ مشترك، لذلك وجدنا أصداء الحركة الوطنية بتطوان وأخبار زعمائها تتردد في الصحافة المشرقية سيما حين حطت رحالها بنابلس أول بعثة تعليمية أوفدتها تطوان للدراسة بالمشرق العربي. وكان في طليعة مؤسسي هذه الحركة رجل تدين له تطوان بشيء غير قليل مما عرفته من وعي وطني وقومي، وهو المرحوم السيد عبدالسلام بنونة، وكانت تربطه ببعض زعماء المشرق وخاصة الأمير شكيب أرسلان صداقة حميمة. وتُعدّ بعض الرسائل التي وجهها الأمير إلى الحاج عبدالسلام بنونة، وكذلك بعض ما كتبه أو خطب به عن تطوان وفي تطوان، من (التطوانيات المشرقيات) التي بلورت لنا جوانب من نشاط الحركة الوطنية بتطوان وزعامتها متمثلة في شخصية المرحوم بنونة الذي كان الأمير يرى فيه على حد تعبيره (مثال ما يجب أن يكون عليه المجاهد المسلم في هذا العصر العصيب، يعلم ما وراءه وما أمامه فيرجع من شريعته السمحة وتاريخه المجيد وتقاليده الكريمة إلى نصاب صادق ونصيب وافر يتمكن بهما في كل محفل من الإدلاء بالحجة البيضاء التي يُفْلجُ بها على الخصوم، ويفقأ الحصْرم في أعين المكابرين، ويعلم في الوقت نفسه من أحوال العالم الأوربي الآخذ اليوم بزمام العالم كله ما لا يعلم أوسع منه الراسخون في العلم بأحوال الأوربيين...).

وقد عاد الأمير مرة أخرى لإبراز بعض هذه السمات والملامح في صورة الزعيم التطواني حين قال في رثائه:

كانت له في هوى الإسلام صارخة
الموتُ في سُبْلها والعيشُ سيّانِ
وعزة العَرَب العرباء مائلة
عروقه ملء أنداء لأغصان.

ولقد كان التوجه الإسلامي للحركة الوطنية منذ نشأتها الأولى أهم ميسم لها ولزعائمها من مثل الحاج عبدالسلام بنونة الذي كانت فجيعة فقده فجيعة للعالم الإسلامي قاطبة على نحو ما صور ذلك الأمير شكيب أرسلان في هذه الأبيات:

يا راحلاً فجعَ الإسلامَ أجمعَه
فالشرقُ في ندبه والغربُ صنوان
ومسلمًا بطلاً كانت حميّتُه
تملأ الفجاج بإسلام وإيمان
إنا فقدناك يا عبدالسلام لدُن
كنتَ المرجى لأوطار وأوطان.

مجال الأعراف والتقاليد

وقد ظلت تطوان، مع تفتحها على الحياة العصرية في وعي لإيجابياتها وسلبياتها، متشبثة بتقاليدها الأصيلة وأعرافها العريقة، وهو ما رصده بعض الشعراء فيما كتبوا من (تطوانيات) على نحو ما نقرأ عند الشاعر الغدير وهو يصور كرم أهل المدينة في قوله:

وبيوتك خيمةُ طائيٌ
ورماحٌ سُمْرٌ ومهنّدْ
وخِوانٌ ممدودٌ عبِقٌ
البِشْر عليه يتوردْ
والماءُ قراحٌ وسماح
والمسكُ الأطيبُ والأرغدْ
لا أعذبَ منه ولا أنقى
لا أطيبَ منه ولا أبردْ.

وهو كرم يغمر به أهل المدينة ضيوفهم مقرونًا بالترحاب والابتسام:

والبسمةُ روحٌ مشرقة
ما أحلى الروحَ وما أسعد
وطيوبٌ هبّتْ وقلوبٌ
شفّتْ كالهاطل يتجمّد
أعلتها أخلاقٌ بيض
وجراءةُ شهم لا تُغْمد

تطوانيات مشرقيات

وعرفت تطوان بنظافة بالغة يحافظ عليها أهلها، أغنياؤهم والفقراء في مساكنهم وأبدانهم وملابسهم، ومآكلهم، وهو ما رصده الريحاني في زيارته لها، فكتب (... وأهل تطوان، إن كانوا من ذوي الفقر أو اليسار، هم أبناء مدينتهم، لا يرددون الكلمة (النظافة من الإيمان) إلا ليعملوا بها. خذ المثال من صغارهم. فقلما رأيت بين أولئك الصغار ما ينفي العقيدة الشائعة. قلّ من رأيت من الولدان الوسخَ الثوب أو الوجه، ومن البنات المهملة أمهاتُهُنَّ لهُن.)

واسترعى نظر شاعر آخر هو الشاعر السوري د. صالح الأشتر - رحمه الله - مظهر من مظاهر المحافظة على الأصالة في اللباس عند المرأة التطوانية وهو المتمثل في الجلباب، فرسمه في إعجاب بالغ:

كالهمس
كالنسمة
كالصيف
يا حسنه... جلبابها الصيفي
ورحت أجيل في جلبابها
طرفي
فرأيته كالنور
يغمدها ويسلها
فتضيء كالسيف...

مجال العمران

و تتميز تطوان بما تحويه في هذا المجال من آثار عمرانية. نكتفي في التمثيل بما صوره الشعر من عمران تطوان وساحاتها، بما خلدته إحدى (التطوانيات المشرقيات) حين رسم صاحبها في دقة وبراعة صورة لإحدى الساحات الجميلة في المدينة، وهي ساحة مولاى المهدي. يقول الريحاني مصوراً هذه الساحة (... ساحة بحديقة هي في نظري أجمل ساحات المدينة. اسمها ساحة مولاي المهدي (والد الخليفة الحسن). ووجهها يمثل الإتقان والأناقة في الهندسة والتجميل، في وسطها جنينة زاهرة، مفروشة مماشيها بالإسمنت. وبالمجالس المصنوعة منه على الطراز الروماني القديم، لا ظهر لها ولا جوانب، وحول الجنينة عمد عالية من حديد، في رأسها مصابيح كهربية ضمن زجاجات كبيرة مستديرة، بيضاء غبراء، في كل عمود مصباحان، وفي وسطها العمود الأكبر يحمل حلقة من المصابيح فتبدو في الليل بهجة للناظرين... فهي في النهار جميلة بمشاهدها، كما هي جميلة في الليل بأنوارها، وهي، ولا مبالغة، منقطعة النظير ليس في تطوان فقط، بل في المغرب والمشرق، فإنك إذا وقفت تحت دائرة مصابيحها، ونظرت شمالاً تستقبل الرابية القائمة فوقها الثكنة العسكرية وما يحيط بها من اخضرار وأزهار، وإذا وليت وجهك شطر الجنوب الشرقي تشاهد هناك رابية أخرى في آخر السوق كأنها جزء منه وما هي قريبة من آخر بناية فيه).

مجال الطبيعة

وكان لموقع تطوان الطبيعي المتميز وقعهُ العميق في نفوس الذين زاروها وكلفوا بها؛ ومن هؤلاء الكاتب اللبناني أمين الريحاني الذي رسم من ساحة مولاي المهدي التي أحبها حبًا شديداً مشهداً من مشاهد الطبيعة في تطوان (وهناك في الجبهة الجنوبية المشهد الأجمل ذو الروعة والجلال. هنالك؟ قل: ها هنا ولا تخطىء. ها هنا بالقرب من البناية الجديدة ذات الطبقات الخمس. جبل كامل هو بوزيتون بقممه الشبيهة بالمنشار، المذكرة اللبناني في بعض روابيه. هاك بوزيتون لاحقًا بالشارع كأنه نقل من مكانه طوعًا للخداع البصري، ولكنني مدقق مع ذلك فهو على بضعة أمتار من البناية الزاحف إليها. فأين الحقيقة في المسافة بينه في مكانه وبين الشارع الممتد من الساحة؟ سبحانه وتعالى الزارع بذور الشعر في الحقيقة وبذور الخيال في الشعر وبذور الحقائق الصغيرة المختبئة في الخيال. إن المسافة بين بوزيتون وآخر الشارع الممتد من ساحة مولاي المهدي لتزيد على الثلاثين كيلومتراً. وهي كلها ساعة تنظر من الساحة إلى ذلك الأفق مختبئة في الوادي - وادى مرتين - الممتد بينه وبين الطرف المرتفع من المدينة حيث ينتهي الشارع).

وممن فتنوا بالطبيعة في تطوان الشاعر حيدر الغدير الذي يقدم إحدى قصائده عنها بقوله (تطوان مدينة من سحر وشعر وجلال وجمال، يتعانق فيها السهل والبحر والجبل في تناسق بديع). وهو يصور جوانب من هذه الطبيعة في قصيدته. فيقول:

تطوانُ ترابُك كالعسجدْ
وهواؤك من نشر أجود
وجبالُك شامخةٌ تعلو
تعتم بنُبْلٍ يتجدَّدْ

وهو في هذه (التطوانية) يعبر، في حب غامر، عن الموقع الأثير الذي يحتله المغرب في نفسه فيقول:

المغرب حلو مزيان
ينبوع عطاء لا يهمد
المغرب دارٌ وملاذ
لغريب حر ومشرَّد
و منار جمالٍ وجلال
صرح فينان وممرَّد
وعليه من النعمى شممٌ
فوق الجوزاء لها مقعدْ
جادته سحائبُ إيمان
أهدتها القِبْلَة ومحمد.

أما تطوان فهي عنده عروس هذا المغرب (الحلو المزيان) وتاج الدنيا:

ولأنت عروسُ شمائله
أغلتك سجَايا تتورّد
لازلتِ على الدنيا تاجًا
في أطرف مجدك والأتلد
بيتًا يبنيه ذوُو فضل
ولنعمَ البيت ومن شيَّد
تنداح الآي عليه شذى
كالفجر الوردي المهتد

تلكم نماذج من (التطوانيات المشرقيات) التي جمعت نصوصها وأنا بعيد عن تطوان، لئن تباينت حظوظها من رواء الفن فإنها لم تتباين في السمة الوثقية التي ميزتها جميعها. وبهذه السمة يستمد صاحبكم (مشروعية) الدخول إلى مجلسكم الموقر حضرات الزملاء المؤرخين. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الهوامش:

* ورد مكان الكلمة فارغًا في الأصل، وقد أثبتنا كلمة يستقيم بها الوزن، ولا ينكرها المعنى، ولكنها لا تفصح عن حسٍ شاعري.

١- اشتهر هذا النشيد الذي كان يردده الطلاب في مظاهراتهم العدائية للاستعمار الفرنسي، وقد نظمه فخري البارودي أحد الزعماء الوطنيين في دمشق.

٢- العالم الشاعر، قامت الحرب العالمية الثانية بعد وصوله إلى باريس للدراسة، ثم عاد بعد الحرب فدرس في جامعة دمشق مدرسًا للنقد العربي القديم، ثم يمم شطر المغرب ولا يزال فيها حتى الساعة، وهو عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣- هو زيد الخيل بن مهلهل البطل المشهور، أسلم فسماه الرسول عليه السلام: زيد الخير (توفي عام ٩ هـ).

٤- هو يحيى بن معين، من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، وصفه الإمام أحمد بن حنبل بقوله: هو أعلمنا بالرجال. ووصف بأنه إمام الجرْح والتعديل (ت: ٢٣٣هـ).

٥- هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، صاحب المذهب، وجامع (المسند) الذي يحتوي على ثلاثين ألف حديث، وله كتب كثيرة، ومواقف مشهورة في رفضه قول المعتزلة بخلق القرآن. (ت: ٢٤١هـ).

صحوة

عبد السلام كامل عبد السلا م

أنصتي، مهجتي ومني استزيدي   واستعدي لهول يوم الوعيد
وتزيّي من الحياء بلبس   مستفيض من زي أهل اللحود
إنه الهول! ما فعلت ؟ أجيبي   أو أصغيت للنداء البعيد
أو صليت في الظلام صلاةً   بدعاء مرتل كالنشيد
أو ناجيت ربّ كلّ البرايا   في ابتهال وخشية في السجود ؟
أو بالصيف صمت صوم نسوك   أو تصدَّقت بالقليل المفيد ؟
لا وربي ..فما رأيتك إلا   خلف نهد يهتز أو خلف جيد
وتهازلت حين أمكنك الجد   وأقصيت في المكان البعيد
وتصاممت عن سماع نداء   جاء يدعوك دعوة التوحيد
ثم ها أنتِ تنشدين رضاء   من إلاه الدّنا وربّ العبيد
استعدي ! ففي غدٍ ينتهي الأمر   وتبلي العظام تحت الجلود
يصبح الوجه محض عظم قميءٍ   وكذا ينتهي رُواء الخدود
ويصير الجمال كوم تراب   فيه عاث الفساد موكب دود
والصبا والبهاء يضحي رماداً   والحديث الشجيّ للمستزيد
كم تراقصت والجمال حضور   وتمايلت .. فعل أهيف عود
وتشاغلت بالهوى والأماني   وتناسيت يوم قصف الرّعود
حين تغدو نجومها في انكدار   والسماوات أنذرت بالوعيد
وتفنّنت في التهتك ظنًا   أن هذا الرواء للتأبيد
هكذا كنت أنت بين البرايا   في مجون وغفلة وشرود
أو تبقين هكذا دون موت ؟   أو قد نلت مقعداً في الخلود
لا وربي فأنت محض تراب   عائد رغمه برغم الجحود
وستبكين حين لات بكاء   وستشقين بالعذاب الشديد
فاسمعي مهجتي، فإنا سنمضي   وجميع راجع لدار بعيد
فاتركي هازلاً وخلي خليًا   واستعيني بأهل رأي سديد
لا تنامي .. تجهزي لمسير   فغداً ينتهي رُواء الخدود

لغة

دور أقسام اللغة العربية في الجامعات الفرنسية في نقل الثقافة العربية

د. محمد إسماعيل بصل

ما يداهمنا - نحن الدارسين في الجامعات الغربية - سؤال ماكر من طُلابنا أو من غيرهم: لماذا تهجرون أقسام اللغة العربية في العالم العربي، وتذهبون للتخصص في الأدب العربي في أوربا؟ وهل من المعقول أن يُدرس النحو العربي، أو الشعر العربي في فرنسا أو ألمانيا أو روسيا؟ وهل يعقل أن نبحث في شعر بشار بن برد أو المتنبي أو أبي العلاء المعري في اللغة الأجنبية، ثم نعود لقراءة هذا الشعر باللغةالعربية.. وفي كل مرة أتلقى فيها هذه التساؤلات، أجد ما قاله لوركا ذات يوم خير ردّ، وأصلح إجابة على من يزعم بوجود دم صاف، أو ثقافة نقية (إنني إسباني مئة في المئة، ولا يمكنني أن أواصل الحياة خارج حدودي الجغرافية، ولكنني أكره من هو إسباني ليكون إسبانيًا لا غير. إنني أخ للجميع، وأمقت الإنسان الذي يضحي بنفسه من أجل فكرة قومية مجردة، لا لسبب إلا لأنه يحب وطنه وهو معصوب العينين. إن الصيني الصالح أقرب إلى نفسي من الإسباني الفاسد، وأنا أتغنى بإسبانيا وأحسها حتى في نخاع عظامي، ولكنني أولاً مواطن من مواطني العالم، وأخ للجميع، وطبعًا لا أومن بالحدود السياسية للبلاد).

وإذا كان الفكر الاستشراقي الذي ساد في نهاية القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، قد حرم العالم الغربيّ من الاطلاع على حقائق الحياة الثقافية العربية، فإن ثمة فكرًا استشراقيًا جديدًا، يريد أن يعرف كلّ شيء عن الجهود العلمية العربية من أجل تدعيم فرضيات لا يمكن في الواقع تدعيمها أو تحويلها إلى نظريات من دون أن تمد جسوراً مع العربية والفكر العربي، ومن ينظر اليوم إلى الجامعات الغربية، وأقسام اللغة العربية المزدهرة في رحابها، يدرك أهمية الثقافة العربية بالنسبة للغربيين. وتعد هذه الأقسام بحدّ ذاتها، ردًا عقلانيًا على الاستشراق باتجاهاته العدائية.

وإذا كنا نزعم أننا أصحاب فكر مفتوح لكل التجارب الإنسانية، نتأثر ونؤثر من دون تعصب أو مركبات نقص، فإنه يتوجب علينا أن ندرك أن قراءة الأصول لا تتم بتصنيف ما كتب عنها وإعادة تصنيفه، وتكرار لغة المؤرخين والشارحين والمفسرين. فمن أجل إضاءة الأصول، والإفادة منها في الحاضر والمستقبل لا بدّ من المثاقفة.

إذا كان الغربي الذي يدرس العلوم الإنسانية المتعلقة بشعوب الشرق مستشرقًا، فإن الشرقي الذي يدرس هذه العلوم مستشرق أيضًا، ولسنا بحاجة إلى ردود فعل، وإعلان مصطلحات هجومية كمصطلح الاستغراب للرد على الاستشراق، لأننا مستغربون شئنا أم أبينا.

إننا ندرس الغرب بالضرورة، ومحافلنا الثقافية التي لا تخلو من الكلام على الغرب وتراثه وفنه وأدبه وعلمه تشهد بذلك، فالدرس الغربي جزء من ثقافتنا،والامتزاج الحضاري بين الشرق والغرب قديم قِدم المشرق والمغرب.

لقد اتفق مفسرو القرآن في تفسير قوله تعالى: *من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية* **النور**:٣٤ على أن هذه الشجرة ليست مما تطلع عليها الشمس في وقت شروقها، أو في وقت غروبها فقط، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بالغداة والعشية، فهو أنضر لها وأجود لزيتونها وزيتها، وهكذا فإن الحضارة الإنسانية ملك كل الناس، والحوار بين الغربي والشرقي ضروري وحتمي.. ولكن كيف نحاور هذا الآخر من دون أن نذهب إليه ونتعرف عليه ونقرأ في فكره ونكتب في لغته!.

ذهب عام في ١٨٢٦م شاب أزهري يدعى رفاعة الطهطاوي على متن سفينة تحمل بعثة علمية مصرية إلى فرنسا، وكانت مهمته الأساسية تكمن في مراقبة اللغة العربية وأصول الدين بين أفراد البعثة العلمية، ولكن هيهات أن يبقى الإمام واقفًا جامداً أمام اللغة الفرنسية والفكر الجديد، وما هي إلا سنوات حتى أصدر العلامة الطهطاوي كتابه «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» يشرح فيه كلّ ما رآه وأدهشه في فرنسا، بدءًا من أدوات الطعام وانتهاءً بفن العمارة. ولا أظن أن أحدًا يقلل من أهمية تجربة رفاعة الطهطاوي التي تمثل حوارًا فذًا بين الغرب والشرق يقدم لنا المزايا والعبر.

وبعد مئة سنة تقريبًا، أصدر الشاب الأزهري الآخر طه حسين كتابًا بعنوان (مستقبل الثقافة في مصر) بعد أن ذهب هو الآخر إلى فرنسا ودرس في جامعاتها، وأتيح له أن يقرأ في مكتباتها عن التراث الغربي والتراث العربي، ليعود إلى بلده حاملاً رؤية منهجية مكنته من النفاذ إلى رؤية ما لا يراه الآخرون، ومن الممكن الزعم بأنّ الرؤية المنهجية التي اختارها طه حسين، أو التي انطلق منها وانحاز لها ما تزال تشكل أهم إسهام قدّمه الفكر العربي الحديث في مواجهة المجتمع التقليدي، بل ما تزال هي الطريق التي لن يبلغ المجتمع العربي أهدافه في التحديث والمعاصرة، إلا إذا أنجز العقل العربي والمجتمع العربي تحقيق تلك الرؤية المنهجية في قلب الحياة العربية على اختلاف مستوياتها، بدءًا بتحديث العقل وانتهاءً بتحديث المجتمع الذي لا يتحقق إلا بتحديث وساطات الحياة(١).

وتتالت من بعد البعثات العلمية العربية إلى فرنسا، لأن ما يجب أن نعترف به، هو أن كثيرًا من المستشرقين الفرنسيين كانوا قد نشروا منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي كتبًا من التراث العربي لم نستطع نحن العرب أن ننشرها على الرغم من أهميتها البالغة.

ومن يطّلع على حركة المستشرقين الفرنسيين في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها ونقلهاإلى اللغة الفرنسية، يدرك أهمية الثقافة العربية بالنسبة للفرنسيين. ولكثرة المخطوطات العربية، عمد المسؤولون في المكتبات الفرنسية العامة إلى وضع فهرس جديد شامل ومطبوع ليكون أداة عمل بين أيدي العلماء والباحثين من (المستشرقين) أساتذة وطلابًا على حد سواء(٢).

نذكر من هذه المخطوطات على

سبيل المثال، مقدمة ابن خلدون ومقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وكتاب الخطط للمقريزي والفتوحات الإسلامية لابن عبد الحكم، ومروج الذهب للمسعودي وقصة حي بن يقظان، والكشف في مناهج الأدلة لابن رشد.. ناهيك عن الترجمات المتعددة للقرآن الكريم، نذكر منها ترجمة سفاريSAVARY في عام ١٧٨٣م وترجمة مونتيهMONTET في عام ١٩٢٩م وترجمة بلاشيرBLACHIR في عام ١٩٤٩م، بالإضافة إلى الكتب الأدبية واللغوية الكثيرة جدًا.

نستطيع أن نقول إذن، إنّ الباحث الذي يذهب إلى فرنسا للتخصص في مجال الأدب العربي، لن يشقى في جمع مصادر بحثه، لأن هذه المصادر على كثرتها وتنوعها متوافرة ومفهرسة بشكل يسمح للباحث أن يفيد منها بسرعة وبلغة أخرى تؤهله لتشييد حوار مع الآخرين.

ولم تكن عملية نشر المخطوطات العربية في فرنسا أو ترجمتها تجري عشوائيًا بلا ضابط أو ناظم، بل كانت هناك ضوابط وقواعد نشأت منذ أن بدئ بنشر هذه المخطوطات أو ترجمتها،ثم تطورت مع الزمن وترسخت وشاعت بين (المستشرقين) حتى أثبتها جميعًا المستعربان الفرنسيان بلاشير وسوفاجيه في كتيب نشر في باريس سنة ١٩٥٣م ليكون دليل عمل يهتدي به المستعربون عامة والناشئون خاصة(٣)، وعنوان هذا الكتيب هو (قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها).

يرجع اهتمام الفرنسيين بالحياة العربية إلى القرن الثامن الميلادي، ومهما كانت الأسباب التي دفعتهم إلى الاهتمام بالتراث العربي، فإنه لايمكن بأية حال أن نتجاهل أثر الحضارة العربية التي أخذ منها الغرب، لذا فإن العربية هي مفتاح الغرب للشرق. من هنا جاء اهتمام الفرنسيين بإنشاء معاهد وجامعات تدرّس العربية وعلومها، فكان معهد فرنسا أو الكوليج دوفرانسLa college de france الذي يعلم العربية وآدابها وتاريخ العرب، والإسلام ونظمه ومجتمعاته وتراثه، ولا يمنح هذا المعهد درجات علمية، ولا يُجرى لطلابه امتحانات كما أن دروسه ميسرة لكل راغب في متابعته، وليس هناك تسجيل ولا رسوم، وحريةالوصول إلى قاعات التدريس فيه مكفولة للاستماع إلى مايلقى فيها من محاضرات في مختلف صنوف المعرفة والعلوم والاختصاصات(٤).

وهناك المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحيةL' ecole Nationale des Langues Orientales Vivantes التي تهتم بتعلم وتعليم اللغة العربية اهتمامًا خاصًا، وتضم مكتبة تحتوي على أمهات الكتب العربية القديمة المحققة والمترجمة والمفهرسة، وكان منهاج الدراسات الإسلامية في هذه المدرسة موزعًا على الشكل التالي: السنة الأولى مخصصة لدراسة بدايات الإسلام والأنظمة الإسلامية وتاريخ خلافة الشرق والحركات الإسلامية الكبرى المعاصرة وجغرافية الجزيرة العربية، وتتركز موضوعات السنة الثانية على الدراسة التاريخية لكل الأندلس وأفريقيا الشمالية ومصر والهند، أما السنة الثالثة فهي لدراسة بلاد الرافدين وفارس وتركيا.

يستحق الطالب الحائز على شهادة الثانوية الأدبية أن يسجل في هذه المدرسة، ويتخرج بعد ثلاث سنوات حاصلاً على دبلوم في اللغات الشرقية، يؤهله للحصول على وظيفة مرموقة في وزارة الخارجية أوالبحرية أو الحربية أو الإعلام أو غيرها. وثمة مؤسسات عملية أخرى تؤكد أن فرنسا كانت وما تزال من أنشط الدول الأوربية وأكثرها حيوية في الحوار مع العرب وكان لها إسهام كبير في دعم الدراسات العربية، بما قدم مستشرقوها من جهود وأنشطة على مختلف الأصعدة(٥).

فجامعة السوربون الشهيرة تضم أكثر من مركز لتعليم العربية وآدابها، وتمنح شهادات الإجازة والماجستيروالدكتوراة بفضل أساتذة كبار من عرب ومستعربين يشتغلون معًا يدًا بيد في مجال التدريس والإشراف والترجمة، وبجهودهم أسست دور نشر خاصة لنقل المؤلفات العربية القديمة والحديثة إلى اللغة الفرنسية.

نذكر من المستعربين أندريه ميكيل Andre Miquel الذي ترجم شعر بدر شاكر السياب إلى الفرنسية، بالإضافة إلى أعماله التي تشمل تطبيقات عملية ودروسًا نظرية في الأدب العربي قديمه وحديثه، ومن العرب جمال الدين بن شيخ الذي ترجم (ألف ليلة وليلة)، بالإضافة إلى تكوين الطلاب على أساس متين بحسب المناهج اللسانية الحديثة، وفي جامعة مرسيليا ثمة قسم كبير لدراسة الأدب العربي ومترجمون، وكذا في جامعة إيكس أون بروفانس وبوردو ومونبلييه وستراسبورغ، وفي مدينة ليون يوجد معهد الدراسات الشرقية الذي يهتم اهتمامًا كبيرًا باللغة العربية والتاريخ والدين والجغرافيا والسياسة، كما أن هناك جامعة تضم قسمًا للغة العربية وآدابها يدرس فيه طلاب من مختلف الأقطار العربية، بالإضافة إلى طلاب فرنسيين وغير فرنسيين، ويدير هذا القسم أساتذة عرب ومستعربون، نذكر منهم أندريه رومان الذي ترأس هذا القسم من عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٨م، وله إسهامات كبيرة في مجال الإشراف على الطلاب العرب، وفي مجال الدرس النحوي العربي، وفي مجال ترجمة شعر بشار بن برد إلى اللغة الفرنسية، نذكر من العرب الجزائري الأخضر سوامي الذي نقل الجاحظ إلى الفرنسية، وما يزال يجادل الفرنسيين حول أهمية وأصالة الأفكار اللسانية التي طرحها الجاحظ وسبق فيها عصره.

ونذكر المصري أنورلوقا المعروف بمساهماته الإبداعية المميزة، ودوره في تعميق الحوار بين الشرق والغرب، وترجمته لأعمال الرحالة العرب ولرفاعة الطهطاوي وطه حسين، وصدر ترجمة (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) Lor de Parisعن دار سندباد في عام ١٩٨٨م، والفتنة الكبرى La grande epreuve عن دار Vrin في عام ١٩٧٤م، وترجم (الأيام) ولم تظهرالطبعة بعد.

وأنور لوقا يترجم ويحلل لطلابه نصوص ابن عبدالحكم والمقريزي والطهطاوي تحليلاً لسانيًا دقيقًا يكشف عن تعلقه وإيمانه الكبيرين بالتراث العربي، وضرورة نقله إلى اللغات الأجنبية، وما يزال هذا المعلم مولعًا بالترجمة والكتابة، وهو الذي تثقف على يد طه حسين الذي علمه أن يقف من الغرب موقف الندّ، ويجب أن نكون جديرين بما لدينا من حضارة، باستيعاب حضارتنا أولاً لأننا مصدر الحضارات التي أخذ منها الغرب، ومن هذا المنطلق لا بد أن يبدأ الحوار، ومهمتنا أن نظل مستغربين بفطريتنا، أي مستوعبين لعلاقتنا بالغرب، ونحن واثقون من أنفسنا ونحاورهم محاورة الندّ للندّ..وأرى أن ابتعادنا عن فهم لغة الغرب عن طريق الترجمة يجعلنا بعيدين عن الحوارمعه، وبالتالي نفقد جانبًا من الرد عليه(٦).

هذا ما تعلمناه من أنور لوقا وغيره من الأساتذة العرب الموجودين في الجامعات الفرنسية، وهذا ما تقوم به أقسام اللغة العربية في فرنسا، وما الرسائل الجامعية التي يحضرها الطلاب العرب مكتوبة باللغة الفرنسية، وبإشراف هؤلاء الأساتذة سوى لبنات جوهرية في سبيل إغناء المكتبات الفرنسية بالثقافة العربية.

الهوامش:

١ـ د. يوسف سليم سلامة، ديكارت وطه حسين، قضايا وشهادات، عيبال للدراسات والنشر، وقبرص ، بلا تاريخ ،ص٨٣.
٢ـ د. محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م، ص١٧.
٣ ـ المرجع السابق ص٨٤.
٤ ـ المرجع السابق، ص١٠٠.
•ـ ينظر تاريخ الدرسات العربية في فرنسا، ص١٢٣.
٥ ـ المرجع السابق، ص١٣٠.
٦ ـ حوارمع الدكتور أنور لوقا، جريدة الثورة دمشق، العدد، ٩١٢، ١٩٩٣م

شيوخ الأزهر

إعداد:
خالد خلف زيدان مهني

أ

الأنبابي، شمس الدين محمد بن محمد (١٢٤٠ - ١٣١٣ هـ/١٨٢٤ - ١٨٩٦م)

فقيه شافعي ولد بأمبابة بالجيزة، ودرس بالأزهر وأجيز للتدريس ١٢٦٧هـ. تولى مشيخة الأزهر ١٢٩٩هـ أثناء قيام الثورة العرابية لكنه لم يستمر في منصبه طويلاً إذ تركه في نهاية العام، ثم عاد إليه مرة أخرى ١٣٠٤هـ وظل به إلى أن استقال ١٣١٢هـ. كان رجلاً خيراً سمح النفس. أجاز تدريس العلوم الحديثة بالأزهر وكان الشيوخ قبله يحرمونها. عمل بتجارة الأقمشة وأصيب بالشلل قبل وفاته بعامين.

من مؤلفاته: «الصياغة في فنون البلاغة»، «رسالة في تأديب الأطفال»، «شرح على مقدمة سلم العلوم»، «رسالة في البسملة»، «رسالة في مبادئ علم النحو»، وله تقريرات على حواش معروفة على كتب شهيرة في البلاغة والفقه والنحو.

ب

الباجوري، إبراهيم محمد (١١٩٨ - ١٢٧٧هـ / ١٧٨٤ - ١٨٦٠م)

ولد بمدينة الباجور بمحافظة المنوفية، قدم الأزهر ١٢١٢هـ وتلقى العلم على كبار علمائه، وبعد أن تصدر للتدريس معهم كان يقضي وقته من أول النهار حتى صلاة العشاء في الدراسة والتأليف. تولى مشيخة الأزهر ١٢٦٣هـ، لكنه لم يستطع القيام بأعبائها في آخر حياته لمرضه فتكونت لجنة رأسها الشيخ مصطفى العروسي للقيام بأعماله وامتدت مهمة اللجنة بعد وفاة الشيخ الباجوري طوال خمس سنوات أخرى (١٢٧٧ - ١٢٨١هـ).

من مؤلفاته: «تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، «فتح الفتاح على ضوء المصباح»، «فتح الخبير اللطيف في التصريف»، «المواهب اللدنية في الشمائل المحمدية»، «الدرر الحسان فيما يحصل به الإسلام والإيمان» وغيرها كثير.

الببلاوي، علي بن محمد بن أحمد (١٢٥١ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٣٥ - ١٩٠٧م)

ولد بقرية ببلا بمركز ديروط بمحافظة أسيوط. وفد إلى القاهرة ودرس بالأزهر وبعد تخرجه باشر التدريس بالمسجد الحسيني، ثم توظف بدار الكتب المصرية ١٢٨٠هـ وظل يتدرج في وظائفها حتى تولى نظارتها ١٢٩٩هـ. عين شيخاً للمسجد الحسيني بعد أن أحيل للمعاش ١٣١١هـ واختير نقيباً للأشراف في العام التالي. ثم تولى مشيخة الأزهر ١٣٢٠هـ وبسبب اضطهاد الخديوي له قدم استقالته ١٣٢٣هـ.

من مؤلفاته: «إعجاز القرآن الكريم»، «الأنوار الحسينية»، «رسالة في فضائل ليلة النصف من شعبان».

البرماوي، إبراهيم بن محمد (١٠٣٤ - ١١٠٦هـ/١٦٢٤ - ١٦٩٤م)

من مواليد قرية برمة بمحافظة الغربية. تلقى العلوم الشرعية واللغوية في الأزهر ثم تصدر للتدريس به بعد أن نهل من علم شيوخه حتى صار من أبرز علماء الشافعية في عصره. ولي مشيخة الأزهر ١١٠١هـ وظل بها حتى وفاته.

من مؤلفاته: «الميثاق والعهد فيمن تكلم في المهد»، «رسائل الدلائل الواضحات في إثبات الكرامات والتوسل بالأولياء بعد الممات».

البشري، سليم بن أبي فراج (١٢٤٨ - ١٣٣٥هـ/ ١٨٣٢ - ١٩١٦م)

ولد بقرية محلة بشر بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة، وتلقى تعليمه بالأزهر ثم أخذ يباشر التدريس به اعتباراً من ١٢٦٩هـ. أصيب بالروماتيزم فلزم فراشه حولين كاملين، ولما أتم الله عليه العافية عين شيخاً لمسجد السيدة زينب ثم تولى نقابة المالكية. ولي مشيخة الأزهر ١٣١٧هـ لكنه استقال من منصبه ١٣٢٠هـ ثم عاد إليه مرة أخرى ١٣٢٧هـ واستمر به حتى وفاته.

من مؤلفاته: «المقامات السنية في الرد على القادح في البعثة النبوية»، «عقود الجمان في عقائد أهل الإيمان»، «الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس».

بيصار، محمد عبد الرحمن (١٣٢٨ - ١٤٠٢هـ/١٩١٠ - ١٩٨٢م)

ولد في قرية السالمية بمحافظة كفر الشيخ. نال العالمية من كلية أصول الدين في الأزهر ١٣٥٨هـ وحصل على الدكتوراه في الفلسفة العامة من جامعة أدنبرة بإنجلترا.

اختير مديراً للمركز الإسلامي في واشنطن ١٣٧٥هـ، ورأس بعثة الأزهر التعليمية إلى ليبيا على مدى خمس سنوات (١٣٨٣ - ١٣٨٨هـ) وبعد عودته عين أميناً عامًا للمجلس الأعلى للأزهر، ثم أميناً عامًا لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٩١هـ فوكيلاً للأزهر ١٣٩٤هـ. وفي عام ١٣٩٨هـ عين وزيراً للأوقاف، ثم شيخًا للأزهر في العام التالي، غلب الاهتمام بالعلوم الفلسفية على معظم مؤلفاته ومنها: «الوجود والخلود في فلسفة ابن رشد»، «العالم بين القدم والحدوث»، «العقيدة والأخلاق في الفلسفة اليونانية»، «تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة»، «الإسلام بين العقائد والأديان»، «الإسلام والمسيحية».

ت

تاج، عبدالرحمن (١٣١٤ - ١٣٩٥هـ/ ١٨٩٦ - ١٩٧٥م)

ولد بمدينة أسيوط، ونال العالمية ١٣٤١هـ. عمل مدرساً بمعهدي أسيوط والقاهرة (١٣٤٣ - ١٣٥٠هـ) ثم اختير عضواً في بعثة الأزهر التعليمية إلى فرنسا حيث حصل على الدكتوراه من السوربون ١٣٦٣هـ وبعد عودته عين مدرساً بكلية الشريعة، ثم شيخًا للقسم العام والبحوث الإسلامية

بالأزهر. نال عضوية كبار العلماء ١٣٧١هـ وعين شيخًا للأزهر ١٣٧٤هـ وبقي في منصبه حتى عين ١٣٧٨هـ وزيرًا في الاتحاد العربي بين مصر وسوريا.

اختير عضوًا بمجمع اللغة العربية ١٣٨٣هـ. قرر تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر وسعى لبناء مدينة البعوث الإسلامية لسكنى طلاب العالم الإسلامي بدل الأروقة، كما كان أول من أدخل التربية العسكرية لطلاب الأزهر.

من مؤلفاته: «البابية وعلاقتها بالإسلام»، «السياسة الشرعية»، «الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية»، «تاريخ التشريع الإسلامي»، «حكم الربا في الشريعة الإسلامية»، «مناسك الحج وحكمها».

ج

جاد الحق، علي جاد الحق (١٣٣٥ - ١٤١٦هـ / ١٩١٧ - ١٩٩٦م)

ولد في قرية بطرة بمركز طلخا بمحافظة الدقهلية. تعلم بالمعهد الأحمدي بطنطا، ونال العالمية من كلية الشريعة في الأزهر ١٣٦١هـ. وفي عام ١٣٦٣هـ نال إجازة القضاء الشرعي وظل يتدرج في مناصب القضاء والإفتاء حتى عين مفتيًا للديار المصرية ١٣٩٨هـ. ثم عين وزيرًا للأوقاف ١٤٠٢هـ. كما اختير شيخًا للأزهر في العام نفسه. نال وشاح النيل من رئيس مصر ١٤٠٣هـ ووسام الكفاءة الفكرية والعلوم من ملك المغرب، وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ١٤١٥هـ.

من مؤلفاته: «هذا بيان للناس»، «الفتاوى»، «المسجد إنشاءً ورسالةً وتاريخًا».

الجيزاوي، محمد أبو الفضل (١٢٦٤ - ١٣٤٦هـ/ ١٨٤٧ - ١٩٢٧م)

ولد بقرية وَرّاق الحَضَر بمركز امبابة بمحافظة الجيزة، والتحق بالأزهر وتلقى علوم اللغة والدين على أكابر شيوخ عصره، وأذن له بالتدريس ١٢٨٧هـ واشتهر بتدريس المنطق والأصول. عين شيخًا لمعهد الاسكندرية لفترة، ثم عين رئيسًا لمشيخة الأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة وشيخًا للمالكية، ثم عين شيخًا للأزهر ١٣٣٥هـ وظل بمنصبه حتى وفاته.

من مؤلفاته: «الطراز الحديث في فن مصطلح الحديث»، «تحقيقات شريفة»، «حاشية على شرح العضدية».

ح

حسن مصطفى مأمون (١٣١٢ - ١٣٩٣هـ / ١٨٩٤ - ١٩٧٣م)

ولد بالقاهرة والتحق بمدرسة القضاء الشرعي ١٣٢٧هـ، وتخرج منها ١٣٣٦هـ. عمل في المحاكم الشرعية بالزقازيق وطنطا والقاهرة قبل أن تتم ترقيته إلى قاض من الدرجة الأولى ١٣٤٩هـ. ثم رقّي إلى منصب قاض عامٍّ ١٣٥٨هـ. عين قاضيًا لقضاة السودان ١٣٥٩هـ، وبعد عودته عين رئيسًا لمحكمة القاهرة الابتدائية الشرعية، فنائبًا للمحكمة العليا الشرعية. اختير مفتيًا للديار المصرية ١٣٧٤هـ، ثم اختير شيخًا للأزهر ١٣٨٤هـ لكنه استقال من منصبه ١٣٨٩هـ لاعتلال صحته.

من مؤلفاته: «السيرة العطرة»، «الجهاد في الإسلام»، «تفسير لقصار السور».

الحفني، محمد بن سالم (١١٠٠ - ١١٨١ / ١٦٨٩ - ١٧٦٧م)

من مواليد قرية حفنا بمركز بلبيس بمحافظة الشرقية. وفد إلى الأزهر ١١١٤هـ وأخذ العلم عن أشهر علمائه، واجتهد حتى أجازه أساتذته للتدريس والإفتاء. ذاق مرارة الفقر في بداية حياته فكان ينسخ الكتب ويبيعها للراغبين، ثم أقبلت عليه الدنيا فكثر ماله، فكان سخي اليد كريم النفس على جانب عظيم من الحلم ومكارم الأخلاق. تولى مشيخة الأزهر ١١٧١هـ وظل بمنصبه حتى وفاته.

من مولفاته: «الثمرة البهية في أسماء الصحابة البدرية»، «أنفس نفائس الدرر»، «رسالة في الأحاديث المتعلقة برؤية النبي»، «رسالة في فضل التسبيح والتحميد».

حمروش، إبراهيم (١٢٩٧ - ١٣٨٠هـ / ١٨٨٠ - ١٩٦٠م)

ولقد بقرية الخوالد بمركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة. نال العالمية من الأزهر ١٣٢٤هـ، وبدأ حياته العملية مدرسًا بالأزهر فمدرسًا بمدرسة القضاء الشرعي ثم شيخًا لمعهدي أسيوط والزقازيق. اختير عضوًا في هيئة كبار العلماء ١٣٥٣هـ، وعضوًا في مجمع اللغة العربية في أول إنشائه في العام نفسه. وكان قبل ذلك بعامين قد تولى عمادة كلية اللغة العربية بالأزهر ثم اختير عميدًا لكلية الشريعة ١٣٦٤هـ إلى أن تولى مشيخة الأزهر ١٣٧٠هـ غير أنه أعفي من منصبه بعد أقل من ستة أشهر بسبب البيان الذي أصدره «لإدانة الإنجليز الذين حاصروا الشرطة في الإسماعيلية وقتلوا عددًا من رجالها».

من مؤلفاته: «عوامل نمو اللغة».

خ

الخراشي، محمد بن عبدالله (١٠١٠ - ١١٠١/ ١٦٠١ - ١٦٩٠م)

من مواليد قرية أبي خراش بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة. أول من تولى مشيخة الأزهر وذلك عام ١٠٩٠هـ وظل بها حتى وفاته. درّس الفقه المالكي وتصدر لتدريسه بالأزهر بعد أن تزعم ركن المالكية به. كان متواضعًا عفيفًا كثير الأدب والحياء، كريم النفس حلو الكلام، كثير الشفاعات عند الأمراء.

من مؤلفاته: «فتح الجليل على مختصر خليل»، «رسالة في البسملة»، «منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة»، «الأنوار القدسية في الفرائد الخراشية».

الخضر حسين، محمد (١٢٩٣ - ١٣٧٧هـ / ١٨٧٦ - ١٩٥٨م)

ولد بمدينة نفطة بتونس ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة تونس ١٣٠٥هـ وفيها حصل على العالمية من جامع الزيتونة ١٣٢١هـ، وفي نفس العام أنشأ مجلة «السعادة العظمى». بدأ حياته العملية مدرسًا بجامع الزيتونة ثم ولي قضاء مدينة بنزرت ١٣٢٤هـ وبعد عامين عين مدرسًا بالمدرسة الصادقية الثانوية. أكرهه المستعمرون الفرنسيون على ترك تونس فتوجه إلى دمشق ومنها إلى استانابول ١٣٣١هـ غير أنه عاد إلى وطنه في العام التالي فكان من أعضاء لجنة التاريخ التونسي. عمل مدرسًا للغة العربية في المدرسة السلطانية بدمشق قبل أن يستقر بالقاهرة ١٣٣٩هـ حيث تجنس بالمصرية ونال العالمية من الأزهر. رأس تحرير مجلتي الأزهر (نور الإسلام ١٣٤٩هـ ولواء الإسلام ١٣٦٦هـ)، كما اختير عضوًا بمجمع اللغة العربية وعضوًا بهيئة كبار العلماء ١٣٧٠هـ ثم تولى مشيخة الأزهر ١٣٧١هـ لكنه استقال من منصبه بعد أقل من خمسة عشر شهرًا بسبب الافتراءات المتعمدة على رجال القضاء الشرعي والتي كان من نتيجتها إدماج القضاء الشرعي في القضاء الوطني.

من مؤلفاته: «آداب الحرب في الإسلام»، «حياة اللغة العربية»، «الخيال في الشعر العربي»، «رسائل الإصلاح»، «مدارك الشريعة الإسلامية»، «بلاغة القرآن»، «محمد رسول الله»، «خواطر الحياة - ديوان الشعر».

د

الدمنهوري، أحمد بن عبدالمنعم (١١٠١ - ١١٩٠هـ / ١٦٨٩ - ١٧٧٦م)

من مواليد مدينة دمنهور عاصمة محافظة البحيرة. قدم الأزهر وهو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجَدَّ في تحصيله. اشتهر بالمذاهبي لأنه درس المذاهب الفقهية الأربعة وبرع فيها. تولى مشيخة الأزهر ١١٨٢هـ وظل بها حتى وفاته. كان عالمًا موسوعيًا إذ لم يكتف بدراسة علوم الدين بل عني أيضًا بالعلوم الطبيعية كالرياضيات والفلك والكيمياء والطب وعلم طبقات الأرض، وله فيها مصنفات عديدة منها: «سبل الرشاد إلى نفع العباد»، «كشف اللثام عن مخدرات الأفهام»، «حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون»، «القول المفيد في شرح درة التوحيد»، «عقد الفرائد فيما للمثلث من فوائد»، «القول الصريح في علم التشريح»، «رسالة عين الحياة في استنباط المياه».

الدمهوجي، أحمد (١١٧٠ - ١٢٤٦هـ / ١٧٥٦ - ١٨٣٠م)

ولد بالقاهرة وينسب لقرية دموج بمحافظة المنوفية. عرف بدقته العلمية وانقطاعه الكامل للدراسة والعبادة وبُعده عن مظاهر الحياة ومشاغلها. ولي مشيخة الأزهر لمدة ستة أشهر بداية من رجب ١٢٤٦هـ وحتى وفاته في ليلة عيد الأضحى من العام نفسه.

س

السجيني، عبدالرؤوف بن محمد (ت ١١٨٢هـ - ١٧٦٨م).

من مواليد قرية سجين بمحافظة الغربية. نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم فحفظ القرآن على يد والده ولزمه عمه «الشمس السجيني» حتى تخرج على يديه ثم خلفه في دراسة مذهب الشافعية. تولى مشيخة الأزهر ١١٨١هـ لكنه لم يعمر بها طويلاً إذ توفي في العام التالي.

السفطي، أحمد عبدالجواد (ت ١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م)

ولد بقرية سَفْط العُرْفَا بمركز الفشن بمحافظة بني سويف. قدم إلى القاهرة ودرس على العلماء المبرزين في عهده ثم اشتغل بالتدريس في الأزهر فاتسعت حلقته وكثر روادها.

تولى مشيخة الأزهر ١٢٥٤هـ وظل بها حتى وفاته. اشتهر بالصائم لكثرة صيامه، وعُرف بالعفة والصلاح كما كان شاعراً موهوباً.

سليم، عبدالمجيد (١٢٩٩ - ١٣٧٤هـ / ١٨٨٢ - ١٩٥٤م)

ولد بقرية ميت شهالة بمركز الشهداء بمحافظة المنوفية والتحق بالأزهر ونال العالمية ١٣٢٦هـ. تقلب في مناصب التدريس والقضاء قبل أن يصبح مفتياً للديار المصرية (١٣٤٦ - ١٣٦٤هـ) عين شيخاً للأزهر ١٣٦٩هـ ولما ضغطت الحكومة ميزانية الأزهر غضب وقال عبارته الشهيرة: «تقتير هنا وإسراف هناك» وفُسر الإسراف بتبذير الملك، وبناء عليه أعفي من منصبه بعد أقل من عام ثم أعيد إليه مرة أخرى ١٣٧١هـ لكنه ما لبث أن قدم استقالته بعد سبعة أشهر.

ش

الشبراوي، عبدالله بن محمد (١٠٩١ - ١١٧١/ ١٦٧٠ - ١٧٥٧م)

ولد بالقاهرة. وورث حب العلم عن أبيه وجده منذ الصغر، فشب شاعراً مرموقاً وكاتباً فريداً وعالماً واسع الاطلاع. تلقى دراسته في الأزهر وتصدر للتدريس به ثم تولى مشيخته ١١٣٧هـ واستمر في منصبه إلى أن توفي. سجل أحداث عصره شعراً ونثراً وتغنى بقصائده معاصروه. كان مولعاً باقتناء التحف النادرة وجمع الكتب النفيسة.

من مؤلفاته: «مفاتيح الألطاف في مدائح الأشراف»، «شرح الصدر في غزوة بدر»، «نزهة الأبصار في رقائق الأشعار»، «درس الآداب وفرحة الألباب»، «عنوان البيان وبستان الأذهان»، «الاستغاثة الشبراوية».

الشربيني، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد (ت ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م)

فقيه شافعي ولد بمدينة شربين بمحافظة الدقهلية، وتلقى تعليمه بالأزهر وواصل التدريس به حتى عين شيخاً له ١٣٢٣هـ لكنه استقال من منصبه قبل أن يكمل العامين بعد علمه بمحاولة الخديوي السيطرة على الأزهر وما له من أوقاف. اشتهر بتمسكه بالتقاليد المتوارثة وضيقه الشديد من حركات التجديد والإصلاح، وقد ظهر هذا بوضوح لما أحرق كتاب «العلم والعلماء» للشيخ الظواهري الذي دعا فيه إلى إصلاح الأزهر متأثراً فيه بالإمام محمد عبده، فهاجمه الإمام محمد عبده في جريدة المقطم.

من مؤلفاته: «تقرير على جمع الجوامع»، «تقرير على حاشية ابن قاسم»، «فيض الفتاح على شرح المفتاح».

الشرقاوي، عبدالله (١١٥٠ - ١٢٢٧هـ / ١٧٣٨ - ١٨١٢م)

من مواليد قرية الطويلة بمركز بلبيس بمحافظة الشرقية. عاش مغموراً فترة طويلة ذاق خلالها مرارة الفقر ثم رفعته الأقدار إلى مصاف العلماء الكبار فتولى مشيخة الأزهر ١٢١٨هـ، وزاد في تكبير عمامته حتى صارت مضرباً للمثل في عظمتها. حاول نابليون بونابرت التقرب إليه فاختاره على رأس العلماء العشرة الذين شكل منهم الديوان الوطني الذي أقامه تألفاً إلى الشعب واسترضاء له. كما اضطر محمد علي إلى مهادنته لما علم بعلاقته الطيبة بجميع طوائف الشعب.

من مؤلفاته: «التحفة البهية في طبقات الشافعية»، «العقائد المشرقية»، «تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من السلاطين»، «مختصر الشمائل»، «شرح الحكم والوصايا الكردية»، «مختصر مغني اللبيب لابن هشام».

شلتوت، محمود (١٣١٠ - ١٣٨٣هـ / ١٨٩٣ - ١٩٦٣م)

ولد في قرية منية بني منصور بمركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة. نال العالمية من الأزهر ١٣٣٦هـ. تنقل في التدريس إلى أن عمل بالقسم العالي بالقاهرة ١٣٤٧هـ. سعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل بالمحاماة (١٣٥١ - ١٣٥٥هـ) ثم أُعيد إلى الأزهر فعين وكيلاً لكلية الشريعة، ثم نال عضوية كبار العلماء ١٣٦١هـ. كما اختير عضواً بمجمع اللغة العربية ١٣٦٥هـ. وظل يتدرج في مناصب الأزهر حتى عُيّن شيخاً له ١٣٧٨هـ. له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً منها: «فقه القرآن والسنة»، «الإسلام عقيدة وشريعة»، «توجيهات الإسلام»، «الإسلام والوجود الدولي للمسلمين»، «القرآن والمرأة»، «عنصر الخلود في الإسلام»، «الإسلام والتكافل الاجتماعي».

الشناوي، محمد مأمون بن أحمد (١٣٠٢ - ١٣٦٩هـ / ١٧٨٤ - ١٩٥٠م)

من مواليد الزرقا بمحافظة الدقهلية. قدم الأزهر للدراسة لكنه ضاق بالمتون والحواشي في بادئ الأمر فعاد إلى قريته ليعمل بالفلاحة، غير أن والده خفف عنه حتى عاد وانتظم وظهر نبوغه فنال العالمية ١٣٢٤هـ وعمل مدرساً بمعهد الاسكندرية واختير للقضاء الشرعي ١٣٣٥هـ. ثم عين شيخاً لكلية الشريعة ١٣٥٠هـ ونال عضوية كبار العلماء ١٣٥٣هـ، كما تولى رئاسة لجنة الفتوى في العام نفسه.

اختير شيخاً للأزهر ١٣٦٧هـ إلى أن توفي. لم يعرف من آثاره غير كتاب واحد بعنوان «الإسلام».

شنن، محمد (١٠٦٥ - ١١٣٣/ ١٦٥٦ - ١٧٢١م)

ولد بقرية الجدية بمركز رشيد بمحافظة البحيرة. كان - فضلاً عن تراثه العريض وعلمه الغزير - فقيهاً مجتهداً وعالماً جليلاً من أبرز أئمة المالكية في زمانه. تولى مشيخة الأزهر ١١٢٥هـ، وظل بها حتى وفاته؛ وفي أثناء هذه الفترة أنفق كثيراً من ماله لتجديد الجامع الأزهر، كما رفع مذكرة بهذا الشأن للسلطان أحمد الثالث الذي أوفد بدوره بعثة رسمية تحمل المال والخبراء لإجراء الإصلاحات اللازمة.

الشنواني، محمد بن علي بن منصور (ت ١٢٣٣هـ /١٨١٧م)

فقيه شافعي ولد بقرية شنوان الغرف بمحافظة المنوفية وتلقى تعليمه على أيدي كبار العلماء فشب متبحراً في علوم اللغة والدين، مولعاً بعلمي الكلام والرياضيات. كان عند فراغه من إلقاء الدروس يغير ثيابه ويقوم بتنظيف المسجد حتى المراحيض، ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل. تولى مشيخة الأزهر ١٢٢٧هـ - بعد أن امتنع عنها كثيراً - نزولاً على رغبة العلماء والطلاب الذين ألحوا عليه حتى قبلها، وظل بها حتى وفاته.

من مؤلفاته: «الجواهر السنية بمولد خير البرية»، «حاشية على مختصر البخاري»، «حاشية على السمرقندية»، «حاشية على العضدية».

ط

طنطاوي، محمد سيد (١٣٤٥هـ - .... ١٩٢٨م - ....)

ولد في قرية سليم بمركز طما بمحافظة سوهاج. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمعهد الاسكندرية، وأكمل تعليمه

العالي بكلية أصول الدين التي حصل منها على الدكتوراه في التفسير والحديث ١٣٨٦هـ، وفي العام نفسه عمل مدرساً بجامعة البصرة، وبعد عامين عين مدرساً بكلية أصول الدين بالقاهرة، انتقل بعدها للعمل بفرع الكلية بأسيوط إلى أن أصبح عميداً لها ١٣٩٦هـ. سافر إلى المملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ ليعمل رئيساً لقسم التفسير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وبعد عودته اختير مفتياً للديار المصرية ١٤٠٦هـ ثم عين شيخاً للأزهر ١٤١٦هـ.

من مؤلفاته: «بنو إسرائيل في القرآن والسنة»، «الإسراء والمعراج معجزة كبرى أيد الله بها نبيه»، «التفسير الوسيط للقرآن»، «رؤية إسلامية لمرض الإيدز»، «الدعاء».

ظ

الظواهري، محمد الأحمدي بن إبراهيم (١٢٩٥-١٣٦٣هـ/ ١٨٧٨-١٩٤٤م)

من مواليد قرية كفر الظواهر بمحافظة الشرقية. نال العالمية من الأزهر ١٣٣٠هـ وعين شيخًا للجامع الأحمدي في طنطا بعد أبيه ثم نقل شيخًا لمعهد أسيوط. ترأس الوفد المصري في مؤتمر مكة الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز ١٣٤٥هـ. وعين شيخًا للأزهر ١٣٤٨هـ لكنه استقال من منصبه ١٣٥٥هـ نزولاً على رغبة الطلاب الذين ثاروا مطالبين بعودة الإمام المراغي. صدرت في عهده مجلة «نور الإسلام» التي لا تزال تواصل الصدور حتى اليوم باسم «مجلة الأزهر».

من مؤلفاته: «العلم والعلماء»، «السياسة والأزهر»، «خواص المعقولات»، «رسالة الأخلاق الكبرى»، «الوصايا والآداب»، «التفاصيل بالفضيلة».

ع

العباسي، محمد بن محمد أمين المهدي (١٢٤٣-١٣١٥هـ/ ١٨٢٧-١٨٩٨م)

ولد بالإسكندرية بعد إسلام جده المسيحي على يد الشيخ محمد الحفني ببضع سنوات.

أتى القاهرة ١٢٥٦هـ وأقبل على حفظ القرآن، فأحبه إبراهيم باشا وأوكل إليه منصب الإفتاء ١٢٦٤. كان أول من تولى مشيخة الأزهر من فقهاء الحنفية، كما كان أول من تولى هذا المنصب مرتين الأولى ١٢٨٧هـ لكنه عُزل من منصبه ١٢٩٩هـ لعدم تجاوبه مع الثورة العرابية وامتناعه عن التوقيع على عزل الخديوي توفيق. ولما فشلت الثورة كافأه الخديوي إسماعيل بإعادته للمشيخة مرة أخرى وظل بها حتى استقال ١٣٠٤هـ بسبب ما أصدره من فتاوى أضرت الخديوي الذي حنق عليه وجعله لا يبرح بيته.

من مؤلفاته: «رسالة في تحقيق ما استتر من تلفيق»، «رسالة في مسألة الحرام على مذهب الحنفية».

عبدالحليم محمود (١٣٢٨-١٣٩٨هـ/ ١٩١٠-١٩٧٨م)

ولد في قرية أبو حمد بمركز بلبيس بمحافظة الشرقية. نال العالمية من الأزهر ١٣٥٢هـ وحصل على الدكتوراه من السربون بفرنسا ١٣٦٠هـ. بدأ حياته العملية مدرسًا بكلية اللغة العربية فأستاذًا بكلية أصول الدين ١٣٧٠هـ ثم عميداً لها ١٣٨٤هـ. اختير أمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٩هـ ووكيلاً للأزهر ١٣٩٠هـ فوزيرًا للأوقاف ١٣٩٢هـ ثم شيخاً للأزهر ١٣٩٣هـ وحتى وفاته.

من مؤلفاته: «الفيلسوف المسلم»، «التصوف عند ابن سينا»، «أوربا والإسلام»، «أسرار العبادات في الإسلام»، «التفكير الفلسفي في الإسلام»، «القرآن والنبي»، «الإسلام والشيوعية»، «دلائل النبوة ومعجزات الرسول».

عبدالرازق، مصطفى (١٣٠٢-١٣٦٦هـ/ ١٨٨٥-١٩٤٧م)

من مواليد قرية أبي جرج بمركز بني مزار بمحافظة المنيا. نال العالمية من الأزهر ١٣٢٦هـ وانتدب للتدريس بمدرسة القضاء الشرعي لكنه ما لبث أن استقال من وظيفته وسافر إلى فرنسا وأكمل دراسته في باريس وليون. ولما عاد إلى القاهرة ١٣٣٤هـ عين سكرتيراً عاماً لمجلس الأزهر فمفتشاً بالمحاكم الشرعية ١٣٣٨هـ فأستاذاً للفلسفة بآداب القاهرة. اختير وزيراً للأوقاف ١٣٥٧هـ ثم عين شيخاً للأزهر ١٣٦٤هـ واستمر بمنصبه إلى أن توفي.

من مؤلفاته: «التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية»، «فيلسوف العرب والمعلم الثاني»، «الدين والوحي والإسلام»، «البهاء زهير»، «الإمام الشافعي»، «الإمام محمد عبده»، «فصول في الأدب».

العروسي، أحمد بن موسى (١١٣٣-١٢٠٨هـ/ ١٧٢١-١٧٩٣م)

من مواليد قرية منية عروس بمركز أشمون بمحافظة المنوفية. درس بالأزهر ومال للصوفية في بداية حياته. كان من كبار علماء الشافعية المعروفين بالتقوى ورقة الطباع. آلت إليه مشيخة الأزهر ١١٩٢هـ بعد فترة ظل فيها هذا المنصب شاغراً بسبب النزاع والشغب بين أنصار الحنفية والشافعية حول أحقية كل منهما للمشيخة عقب وفاة الشيخ الدمنهوري. وبعد أن انتهى النزاع أصبح الشيخ العروسي شيخ الأزهر على الإطلاق ورئيس العلماء بالاتفاق إلى أن توفي.

من مؤلفاته: «شرح على نظم التنوير في إسقاط التدبير»، «حاشية على الملوي على السمر قندي».

العروسي، محمد بن أحمد بن موسى (ت ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م)

ولد بالقاهرة وأخذ العلم عن أبيه ثم تصدر للتدريس محله عقب وفاته. فكان يقضي جل يومه من الصباح إلى المساء - لا يقوم إلا للصلاة - في إلقاء الدروس على طلبته. تولى مشيخة الأزهر ١٢٣٣هـ واستمر بها حتى وفاته.

العروسي، مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى (١٢١٣-١٢٩٣هـ/ ١٧٩٩-١٨٧٦م)

فقيه شافعي ولد بالقاهرة وتلقى العلم على يد والده. تولى مشيخة الأزهر ١٢٨١ عُرف بمحاربته البدع والخرافات، فأبطل عادة الشحاذة بالقرآن في الطرق، كما عزم على عقد امتحان لمن يتصدى للتدريس في الأزهر، فخافه الشيوخ والطلبة وأوعزوا إلى الخديوي إسماعيل لعزله فوافقهم على ذلك ١٢٨٧هـ.

من مؤلفاته: «نتائج الأفكار القدسية»، «كشف الغمة في تقييد معاني أدعية سيد الأمة»، «العقود الفرائد في بيان معاني العقائد»، «أحكام المفاكهات في أنواع الفنون والمتفرقات»، «الأنوار البهية في بيان أحقية مذهب الشافعية».

العطار، حسن بن محمد (١١٨٢-١٢٥٠هـ/ ١٧٦٨-١٨٣٤م)

ولد بالقاهرة وإن كانت جذوره ترجع إلى المملكة المغربية، أعانه والده الذي كان يعمل بالعطارة على التعلم بالأزهر وألحقه به، وجدَّ في التحصيل حتى أجازه أساتذته للتدريس والفتوى في زمن قصير. جمع بين الثقافتين العربية والغربية بعد اتصاله بعلماء الحملة الفرنسية، حيث كان يرى في مجيء الحملة على مصر مكسبًا علميًا وبركة لأنها فتحت أعين العلماء على حقائق خفية. كما أجاد بالإضافة إلى الفرنسية عدة لغات منها التركية والألبانية لكثرة رحلاته إلى الخارج، ولهذا أسند إليه محمد علي إنشاء جريدة الوقائع المصرية والإشراف على تحريرها في بدء صدورها. تولى مشيخة الأزهر ١٢٤٦هـ، وظل بها حتى وفاته. من مصنفاته: «حاشية على الجواهر المنتظمات في عقود المقولات»، «حاشية على التهذيب للخبيصي»، «موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب»، «ديوان العطار»، «حاشية جمع الجوامع في أصول الفقه»، «رسالة في كيفية العمل بالاسطرلاب».

ف

الفحام، محمد محمد (١٣١٢-١٤٠٠/ ١٨٩٤-١٩٨٠م)

ولد بالاسكندرية ونال العالمية من الأزهر ١٣٤٢ ثم أرسل في بعثة تعليمية إلى فرنسا ١٣٥٥هـ لكنه لم يستطع العودة إلى مصر بعد حصوله على ليسانس الآداب بسبب الحرب العالمية الثانية فاستمر هناك حتى ١٣٦٦هـ وخلال

تلك الفترة حصل على دبلوم تعليم اللغة العربية من جامعة بوردو ١٣٦٣هـ، ودبلوم في اللهجة السورية واللبنانية ١٣٦٥هـ، والدكتوراه من السربون ١٣٦٦هـ. وفور عودته عمل مدرسًا للأدب العربي بكلية الآداب بالاسكندرية ثم عميدًا لكلية اللغة العربية بالأزهر حتى ١٣٨٠هـ. تولى مشيخة الأزهر ١٣٨٩هـ لكنه أعفي من منصبه ١٣٩٣هـ لاعتلال صحته، وكان قبل إعفائه من منصبه بعام واحد عين عضوًا في مجمع اللغة العربية.

من مؤلفاته: «معجم المصطلحات النحوية باللغة الفرنسية»، «سيبويه وآراؤه»، «المسلمون واسترداد بيت المقدس».

الفيومي، إبراهيم بن موسى (١٠٦٢ - ١١٣٧هـ / ١٦٥٢ - ١٧٢٥م)

ولد بالفيوم، وتعلم بالأزهر، وعمل معيدًا للشيخ الخراشي يلخص دروسه عقب الانتهاء منها ويلقيها على الطلبة، لذا امتاز بغزارة البحث وسعة العلم. ولما تصدر للتدريس كان لا يغادر مجلسه حتى يطمئن على فهم طلابه له. كان من أبرز علماء المالكية في زمانه، تولى مشيخة الأزهر ١١٣٣هـ وظل بها حتى وفاته.

من مؤلفاته: «شرح المقدمة العزية للجماعة الأزهرية» وهو في مجلدين في فن الصرف.

ق

القليني، عبدالباقي (ت١١٢٤هـ/١٧١١م)

من مواليد قلين بمحافظة كفر الشيخ. درس بالأزهر ثم جلس للتدريس به فانتظم في حلقته كثيرون من مقدري علمه وعارفي فضله. عني بتوجيه طلابه إلى قراءة الكتب القديمة والغوص في أعماقها واستخراج ما بها من كنوز ومعارف، وكان يشرح لهم ما استغلق فهمه عليهم. ولي مشيخة الأزهر ١١٢٠هـ بعد فتنة بين أتباع الشيخ النشرتي الذين ناصروا الشيخ القليني وطالبوا به للتدريس مكان شيخهم بعد وفاته، وانتهت الفتنة بتدخل كبار الشيوخ والسادة الأشراف الذين ألزموا خصمه الشيخ أحمد النفراوي العكوف في بيته وتثبيت الشيخ القليني في المشيخة التي ظل بها حتى وفاته.

القويسني، حسن بن درويش (ت١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م)

من مواليد قويسنا بمحافظة المنوفية. نشأ كفيف البصر لكنه جد وثابر وانصرف إلى الدرس والتحصيل حتى صار في طليعة علماء عصره. اشتهر بلقب البرهان الشافعي حيث كان حجة في الفقه الشافعي. مال للتصوف واستغرق فيه لدرجة الشطحات فكان إذا ما استغرق لا يدري بما حوله ويظل فيما يشبه الغيبوبة، حتى إذا جاء وقت درسه أفاق وقرأه.

اختير شيخًا للأزهر ١٢٥٠هـ وظل في منصبه حتى وفاته.

من مؤلفاته: «شرح السلم المرونق لعبدالرحمن الأخضري»، «سند القويسني»، «رسالة في المواريث».

م

المراغي، محمد مصطفى (١٢٩٨ - ١٣٦٤هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٥م)

ولد بالمراغة بمحافظة سوهاج. وانتقل للأزهر وتتلمذ للشيخ محمد عبده وتأثر بفكره. تولى قضاء مدينة الخرطوم ١٣٢٢هـ ثم عين مفتشًا بوزارة الأوقاف ١٣٢٥هـ، وواصل التدريس بالأزهر حتى صدر قرار بتعيينه قاضيًا لقضاة السودان ١٣٢٦هـ. ولما عاد إلى مصر عين رئيسًا لمحكمة مصر الكلية الشرعية ١٣٣٧هـ فرئيسًا للمحكمة الشرعية العليا ١٣٤١هـ. عين شيخًا للأزهر ١٣٤٨هـ فمكث عامًا وقدم استقالته ثم أعيد إلى منصبه مرة أخرى ١٣٥٥هـ واستمر به إلى أن توفي.

من مؤلفاته: «الأولياء والمحجورون»، «رسالة في الزمالة الإنسانية»، «الدروس الدينية»، «بحوث في التشريع الإسلامي»، «تفسير جزء تبارك».

ن

النشرتي، محمد (ت ١١٢٠هـ/١٧٠٨م)

من مواليد نشرت بمحافظة كفر الشيخ. تعلم في الأزهر ثم جلس للتدريس فيه حتى بلغ في هذا المجال شأوًا عظيمًا جعل الطلاب يتوافدون على مجلسه من كل مكان، وكان هذا اعترافًا بمكانته الرفيعة وإقرارًا بزعامته لعلماء المالكية في عصره، الأمر الذي جعله يحرص على مواصلة حلقاته الدراسية بعد توليته مشيخة الأزهر ١١٠٦هـ إلى أن توفي.

النواوي، حسونة بن عبدالله (١٢٥٥ - ١٣٤٣هـ/ ١٨٣٩ - ١٩٢٤م)

ولد بقرية نواي بمركز ملوي بمحافظة المنيا. وفد إلى الأزهر وحضر دروسه على كبار العلماء، وبعد تخرجه قام بتدريس الفقه في جامع محمد علي بالقلعة، ثم عمل أستاذًا بكلية العلوم ومدرسة الحقوق. انتدب وكيلاً للأزهر ١٣١١هـ إثر مرض الشيخ الإنبابي ثم حل محله في المشيخة بعد استقالته ١٣١٣هـ. كما تولى منصب الإفتاء بعد وفاة الشيخ المهدي ١٣١٥هـ. ظل يواصل عمله في إصلاح الأزهر والنهوض به حتى أصدر الخديوي قرارًا بتنحيته وتولية ابن عمه الشيخ عبدالرحمن القطب النواوي شيخًا للأزهر ١٣١٧هـ. وفي عام ١٣٢٤هـ عاد الشيخ حسونة إلى المشيخة مرة أخرى لكنه استقال من منصبه ١٣٢٧هـ.

من مؤلفاته: «قانون تنظيم الأزهر»، «سلم المسترشدين في أحكام الفقه والدين».

النواوي، عبدالرحمن القطب (١٢٥٥ - ١٣١٧ / ١٨٣٩ - ١٩٠٠م)

ولد بقرية نواي بمركز ملوي بمحافظة المنيا. تخرج في الأزهر وتولى أمانة فتوى مجلس الأحكام ١٢٨٠هـ ثم تولى قضاء الجيزة ١٢٩٠هـ فقضاء الغربية ١٢٩٦هـ. نقل إلى المحكمة الشرعية بالقاهرة ١٣٠٦هـ ثم إلى قضاء الاسكندرية ١٣٠٩هـ. تولى إفتاء وزارة الحقانية ١٣١٣هـ. ثم اختير شيخًا للأزهر بعد تنحية ابن عمه الشيخ حسونة النواوي لكنه لم يمكث بها إلا شهرًا واحدًا حيث وافته المنية.

المصادر والمراجع

١ - الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف، القاهرة، مطابع الشعب ١٩٦٤م.
٢ - الأزهر في اثني عشر عامًا، وضعته لجنة من علماء الأزهر، القاهرة: الدار القومية ١٩٦٤م.
٣ - الأزهر في ألف عام، محمد عبدالمنعم خفاجي، القاهرة: المطبعة المنيرية ١٣٧٤هـ.
٤ - الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١١، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٩٥م.
٥ - الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد، القاهرة ١٣٦٨ - ١٣٧٤هـ.
٦ - أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، أحمد تيمور، القاهرة: دار النصر ١٩٦٧م.
٧ - تاريخ الجامع الأزهر، محمد عبدالله عنان، القاهرة ١٩٥٨م.
٨ - تاريخ الإصلاح في الأزهر، عبدالمتعال الصعيدي، القاهرة: مكتبة الاعتماد د. ت.
٩ - تراجم الأعلام المعاصرين، أنور الجندي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م.
١٠ - الخطط التوفيقية الجديدة، علي مبارك، القاهرة ١٣٠٤ - ١٣٠٦هـ.
١١ - دور الأزهر في الحفاظ على الطابع العربي لمصر إبان الحكم العثماني، عبدالعزيز محمد الشناوي، القاهرة: دار الكتب ١٩٧٢م.
١٢ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، القاهرة ١٣٠١هـ.
١٣ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمن الجبرتي، القاهرة: لجنة البيان العربي ١٩٥٨ - ١٩٦٧م.
١٤ - فهرس المكتبة الأزهرية، أبو الوفاء المراغي، القاهرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
١٥ - القول الإيجابي في ترجمة الإنبابي، أحمد رافع الطهطاوي، القاهرة: المطبعة الشرقية ١٣١٤هـ.
١٦ - الكنز الثمين لعظماء المصريين، فرج سليمان فؤاد، القاهرة: مطبعة الاعتماد ١٩١٧م.
١٧ - كنز الجوهر في تاريخ الأزهر، سليمان الزياتي، القاهرة ١٣٢٠هـ.
١٨ - مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر، إلياس زخورة، القاهرة ١٩١٦م.
١٩ - مشيخة الأزهر، علي عبدالعظيم، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٢٠ - مقدمة شرح الأم في تراجم الشافعية (مخطوط)، أحمد الحسيني، القاهرة: المكتبة التيمورية.
٢١ - من أعلام الفكر الإسلامي الحديث، محمود حمدي زقزوق، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة» للصحافة والطباعة والنشر. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ ، تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

بلاغ عن مقتل البهجة

رجب سعد السيد

حين أصل إلى باب مسكني، أشعر بانتهاء اليوم فعلاً. عند الباب، أفكر في «البيجاما» و«الشبشب» والحمام، ثم السرير. عندما أضغط الجرس ويتأخر فتح الباب، تمر اللحظات بطيئة جدًا، وأشعر بالإرهاق الشديد.

من خلال التشويش الذي ملأ رأسي، بزغت فكرة أنها لم ترجع حتى الآن. حاولت أن أحمل اللفافات بيد واحدة لأبحث بالأخرى عن المفتاح في جيوبي. أفلتت بعض الأكياس، ثم تهاوت كلها. انطلقت يداي تبحثان. لم أجد المفتاح.. سمعت صوت حركة خلف باب الجيران. أنير مصباحهم الخارجي. قبل أن أتحرك وأعتدل في وقفتي، كان جاري يقف قبالتي في حلق بابه. كانت الدهشة تملأ وجهه. اندفع منحنيًا يحاول جمع الطماطم والخيار من على البلاط: يا ساتر.. ماذا حدث؟!

تبعته زوجته وولدان. اشتركوا جميعًا في إعادة كل صنف إلى كيسه. تحدثوا أثناء ذلك، ولكنني كنت ـ خلال العملية ـ واقفًا أحتضن حقيبتي فيما يشبه البلاهة. قال الرجل:

لا يمكن أن نتركك واقفًا على السلم.. تفضل بالدخول عندنا لحين تحضر الأستاذة..!

نظرت في عينيه. كان وجهه يبتسم. كانت ملامحه تقول إنه يعرف كل شيء. وهذه أول مرة أرى وجهه بوضوح. إنه ـ ببساطة ـ يقتادني إلى الداخل. سبقتنا الزوجة الشحيمة. جلست في أول مقعد. رتلت الزوجة كلمات الترحيب. خرجت. لم يكفّ الرجل عن النظر في وجهي والابتسام. كان المقعد وثيرًا، فاسترخيت فيه. ردد الرجل «أهلاً وسهلاً» لخامس مرة، فرسمت ابتسامتي لخامس مرة. هربت من عينيه الغبيتين، ورحت أتفحص مكونات الحجرة. قال الرجل:

خطوة عزيزة.. رب صدفة خير من ألف ميعاد!

الله يكرمك.!

نعم الجيرة.. شهادة لله.

دخلت الزوجة. وضعت المشروبات على المائدة الصغيرة أمامي.. نظرت إلى زوجها بقسوة:

الدكتور يزورنا لأول مرة. وأنت جالس هكذا لا تقوم بالواجب؟!

مدت يدها إلى علبة خزفية وقدمتها لي. أخذت مكعبًا. أصرت على أن آخذ قطعة أخرى للأستاذة!. أخذت ألوك قطعة الشيكولاتة. داهمني الإحساس بالجوع. جاء ولد وتقدم إلى معلبات المشروبات وفتحها. صبتها الزوجة وقدمت لي كأسًا بلورية. ذهب الولد وانضم إلى أبيه ينظران في وجهي.

رفعت المرأة وجهها. كانت عيناها واسعتين مكحولتين، لا جمال فيهما ولكنّ فيهما قوة وتسلطًا. أمرتني:

صلِّ على شفيعك.

تمتمت: عليه الصلاة والسلام.

وضعتني في بؤرة المفاجأة. انطلقت:

كلمنا الأستاذة من قبل. ولكنها لم تسأل فينا.. طبعًا، لا تعض في عمها.. لا مؤاخذة.. الموضوع باختصار أن سكان العمارة قرروا استرداد المبالغ المدفوعة كخلو رجل لمالك العمارة.. عم الأستاذة.. قلنا نتصل به لننهي الموضوع من غير وجع دماغ.. ما رأي الدكتور؟ أرهقني التطلع في عينيها وحاجبيها المهتزين. قال الزوج:

طبعًا.. حقنا..

أسعفني. فرددت وراءه: طبعًا. حقكم.

عادت الزوجة إلى إطلاق كلماتها:

بصراحة.. كل السكان قالوا لعلك تنضم إلينا.. كلنا نعرف أنه لم يرحمك ولم يراع القرابة وأخذ منك ألفين.

فاجأتني تمامًا. لا بد أن أعترف بأنها صدرت إليّ حماستها. نعم. كان يعرف أن ابنة أخيه مريضة، ومع ذلك لم يعطنا إلا شقة في الدور السادس وأخذ كل مدخراتنا.. ولازالت تقول عمي.. عمي! وهي تعرف أنه عاملنا كالأغراب. فهل يمكن أن أصدمها بموقف ضده؟

سأدرس الموضوع..

شف يا سي الدكتور. الموضوع لا يحتاج دراسة. إن كنت محرجًا، اخرج من اللعبة.. وما على الرسول إلا البلاغ. قل له يا عم الناس تطالب بفلوسها، وتعرف لنا رده! كيف تستطيع أن تجعل الأمور واضحة وبسيطة هكذا؟! سعل الزوج سعالاً خفيفًا:

خير.. خير. معرفة خير بإذن الله يا دكتور.

ضقت تمامًا. وفي الوقت المناسب دخلت بنت صغيرة وأعلنت أن الأستاذة وصلت. انتفضت واقفًا. حييت واستدرت إلى الباب.

استقبلتني زوجتي بنفس الابتسامة. استدارت وتركتني أغلق الباب. وضعت الأشياء، وأسرعت إلى حجرة النوم. نزعت ملابسي، وتنفست مرتاحًا في الجلباب الفضفاض، لأول مرة منذ الصباح. جلست مسترخيًا في انتظار أن تأتي لتكلمني. لا بد أنني غفوت قليلاً.. مرت بي، وقالت «حمامك معد». ودخلت تحت الأغطية.. سألتها:

ألن نأكل؟

قالت: أنا متعبة. سأنام.

بعد الحمام سأعد وجبة سريعة لكلينا.

لست جائعة أكلت عند أبي.

انسحبت إلى الحمام صامتًا. في مرآة الحوض، رأيت وجهي. لم أسترح له. لم يكن وجهي هكذا أبدًا. كان وجه رجل آخر. لماذا لم أتفحصه كل صباح وأنا أحلق ذقني. كان يجب أن أدقق فيه كل يوم وأتتبعه ولا أتركه يفاجئني هكذا. هل أنا ـ حقًا ـ أصبحت لا أعبأ وأعيش مستكينًا؟. قالت أيضًا إنني نسيت كل شيء ـ بما في ذلك نفسي ـ وأصبحت أهملها هي أختي الوحيدة. قالت أيضًا إن هذه

الزيجة كانت كارثة على الجميع، وأولهم أمنا التي قتلها الحزن بعد أن أدركت أنها لن ترى أحفاداً لها مني.
تركت الماء الساخن ينسال فوق جسمي. أحسست بالكآبة تزايلني وأنا أحيط رأسي بالمنشفة. جاءني صوت «منى» وأنا أمر بالصالة إلى المطبخ.
أنبوبة الغاز فرغت.
توقفت. وأنا الذي كنت أحسب الحمام أزال توتري. اتجهت إليها. وقفت بجانب جسمها الممدد على السرير.
منذ متى نفد الغاز؟
فوجئت بذلك حالاً.
فنمت جائعة وتكاسلت عن إعداد العشاء.
أماطت الغطاء عن وجهها:
أنت تعرف صعوبة التعامل مع موقد الكيروسين.
أردت أن أصرخ محتجًا بلهجة قاسية، ولكني اكتفيت بأن أردد:
لست أدري إلى متى هذه الفوضى.
ذهبت إلى المطبخ. التفت إلى الثلاجة لأضع بها الفاكهة. تذكرت عطب محركها. قذفت بالأشياء في أي اتجاه. توقفت شهيتي تمامًا. أطفأت الأنوار، وعدت أسحب قدمي. ارتميت فوق السرير مترعًا بالكآبة. كان الدم يسري في رأسي حاراً، وتوهجات تتدافع من كل الاتجاهات، تكاد عيناي المقفلتان تمسكان بالتماعاتها المراوغة. أين النوم. أطلق صدري زفرة طويلة. أحسست بحركة «منى» قبل أن تتساءل في حذر:
هل ستنام؟
لم أرد. أردفت:
لم تقل لي تصبحين على خير!
مرت لحظات قبل أن ترسل ـ كما توقعت ـ سؤالها الثاني:
هل أكلت؟
هي تعرف، وأنا أعرف، أنها لن تستطيع النوم جائعة. مع ذلك، جعلني ذلك الخاطر العابر أبتسم. وتحقق ما عنّ لي:
أنا عارفة. لك حق. أنا امرأة كسول، لا تصلح لشيء.
انتابتني رغبة شديدة في الضحك. لم أقاوم كثيراً. انطلقت أضحك بصوت أحاول كتمانه، ثم اعتدلت مسندًا رأسي إلى جدار السرير. وأطلقت ضحكاتي عالية. فزعت «منى» وأضاءت مصباحًا بجانبها. أخذت تنظر في وجهي مرتعبة. تعالت ضحكاتي وطالت. شعرت بآلام في صدري وسالت دموع كثيرة على وجهي. كفت الضحكات دون تدخل مني.
كانت «منى» تسند رأسي إلى كتفها، وتجفف دموعي. خيّل إليّ أنها تنزع عني أربطة تشد عضلات وجهي. كانت لا تزال تنظر إليّ في خوف. وكانت الدموع تملأ عينيها.
ماذا جرى؟
لم أضحك بقوة منذ سنوات
فاجأتني وأرعبتني. لم يكن ثمة ما يدعو لكل هذه القهقهات.
قلت بهدوء شديد:
حقًا..؟
ما سر هذه القدرة ـ الليلة ـ على الاكتشاف؟
ما سر هذا التوهج؟
في بداية اللقاء مع المنغّصات كان التوتر والضيق. كنت لا أرى غير أن أعطال الثلاجة مستمرة وإهمال «منى» وإرهاق اليوم الطويل، وقضية الجيران، والرغبة في الراحة وإسكات عواء المعدة. في تلك اللحظة النادرة، مر شعاع، فرأيت الحقيقة تخرج لسانها معابثة. جلست وهي تقذف بالغطاء:
وهل يكون الضحك هكذا؟ جنون!
لم أكن أعرف أن ذلك هو الجنون.
علام تضحك؟ مني؟
عودي إلى النوم. عودي إلى النوم.
كانت الكلمات بطيئة، بعد أن هدأت تلك الجذوة والتي تسميها زوجتي جنونًا.
ألقت بنفسها خارج السرير:
أعرف أنك لم تعد تطيقني. هل وصل تأثيرهم فيك إلى هذا الحد؟ كنت أعرف هذه النغمة. قمت أنا أيضًا وبقيت جالسًا على الفراش. صاحت فيّ:
أليس كذلك؟ لماذا لا تتكلم.؟
كان الانفلات واضحًا. كانت واقفة تتحفز. وكان هدفي أن أحمي قلبها من موجة توتر عاتية. قلت من خلال الدهشة:
منى.. تعرفين أنني لا أستمع لأي أحد.. تعرفين كم أحبك.
واصلت الصياح القاطع:
لم تعد.. لم تعد..
نزلت من الفراش، واتجهت إليها.
منى..
كانت تبتعد عني خارجة من الغرفة إلى الصالة ـ تصيح:
ولكني سأعرف كيف أوقفهم عند حدهم.
التفتت إليّ، وهي تجلس، وقد هدأ صوتها فجأة:
هل تريد أن تعرف أين كنت اليوم؟
وكان شبح ابتسامة غريبة يترامى فوق وجهها. ولم أكن مستعداً لتلقي كلماتها وهي تنطلق واضحة، محددة، مهولة:
ذهبت مع أمي إلى الطبيب. وتأكدت من أنني حامل.
لست أدري ماذا قالت «منى» بعد ذلك. فلا بد أنه قد مضت فترة قبل أن أتمكن من سماع صوتها وأراها وهي تدور في الصالة مهتاجة.
أليس هذا هدفكم؟. ألا يسعدك ذلك. لكي لا تندم على زواجك بامرأة مريضة!
حاولت أن أوقفها لأحتضنها، وأخبئها من الأيام المقبلة التي صارت علامة استفهام كبيرة. زاغت مني. انفلتت من بين يدي، وهربت إلى حجرة النوم، وأقفلت خلفها الباب. ناديتها. كان صوت نشيجها يصلني. طرقت الباب. صوت النشيج. مال رأسي إلى الباب. لم أكن أفعل إلا تساؤلاً يتردد:
لماذا.. لماذا؟
استدرت ببطء. ظللت واقفاً أحدق في الظلام الخارجي من خلال النافذة الزجاجية. رأيت على مرمى البصر ظلالاً مرتعشة في نافذة قاصية قبضة وسكين.. وجسم آدمي يقاوم قليلاً ثم ينهار. جريت إلى النافذة. كان الجسم قد سقط، واختفت كل الظلال.

الحركة الثقافية في شهر

وفاة الشيخ متولي الشعراوي

مئة بحث في مؤتمر الإسلام والقرن الحادي والعشرين بالقاهرة

المتحفيون العرب يطالبون باتفاقية لمكافحة سرقات الآثار

معرض الطفولة العالمي العاشر باليابان

السوربون تحتفل بمئوية ابن رشد

السعودية

الأمير سلطان يشتري صورًا نادرة لمكة والمدينة


صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

اشترى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران، والمفتش العام نسخة نادرة من أول مجموعة فوتوغرافية نادرة لمكة المكرمة والمدينة المنورة عرضت للبيع في مزاد علني بمبلغ مليون و٣٧٦ ألفًا و٥٠٠ جنية إسترليني.

تجيء هذه الخطوة من سموه لتؤكد حرص مسؤولي المملكة على التراث الإسلامي بمختلف أنواعه وأشكاله، انطلاقًا من مسؤوليتهم في خدمة الحرمين الشريفين.

يذكر أن الصور التقطها محمد صادق بك خلال عامي ١٨٨١ - ١٨٨٢م، وهو ضابط مصري، ترأس بعثة الحج المصرية في القرن الماضي وتوفي عام ١٩٠٢م، وتوجد من هذه الصور أربع نسخ فقط.

المسابقة الدولية للقرآن الكريم

تنظم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره في مكة المكرمة في الفترة من ١٨ إلى ٢٩ رجب ١٤١٩هـ/٧-١٨ نوفمبر ١٩٩٨م.

ووجهت الوزارة الدعوة رسميًا إلى ٥٦ دولة إسلامية عضوًا في منظمة المؤتمر الإسلامي، و٩٢ جمعية إسلامية في البلدان غير الإسلامية للمشاركة في المسابقة التي يشترط فيها ألا يكون المرشح قد سبقت مشاركته، أو يزيد عن ٢٥ عامًا، أو يكون من مشاهير القراء أو محترفي التجويد.

برنامج النشاط الثقافي بالطائف

بدأ في ٢٠ ربيع الأول الماضي برنامج النشاط الثقافي الذي تتضمنه فعاليات التنشيط السياحي بالطائف بافتتاح جناح الطفل ومركز توزيع

مسابقة أبها للثقافة حول مئوية فتح الرياض وتأسيس المملكة



صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل

قررت لجنة جائزة أبها الثالثة تنظيم مسابقة حول الذكرى المئوية لفتح الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ لمدينة الرياض وتأسيس المملكة العربية السعودية.

وتقبل الترشيحات من الآن إلى نهاية شهر رمضان المبارك ١٤١٩هـ.

وأعلنت جائزة أبها للثقافة التي يدعمها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ورئيس لجنة التنشيط السياحي بمبلغ مليون ريال سنويًا عن فرعها الثقافي لعام ١٤١٩هـ الذي تضمن موضوعات تخص هذه الذكرى الوطنية في مجالات الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية والرواية والفن التشكيلي والتصوير الضوئي.

ففي الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية موضوعان رئيسان هما: الحركة العلمية والأدبية بمنطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز، وملامح تاريخية عن منطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز، وجائزة كل واحد منهما ٣٠ ألف ريال، والمطلوب بحث موثق عن الموضوع الواحد بما لا يقل عن مئة وخمسين ورقة مطبوعة بالآلة.

أما في مجال الرواية، فالمطلوب تناول سيرة الملك عبدالعزيز، وقيمة جائزتها ٣٥ ألف ريال، بحيث لا تقل عن مئة وخمسين ورقة مطبوعة بالآلة، وفي مجال الشعر، مطلوب مجموعة شعرية مضمنة في ديوان لا يقل عن خمس عشرة قصيدة، وقيمة الجائزة ٣٥ ألف ريال، ورصد مبلغ ٣٥ ألف ريال لجائزة الفن التشكيلي الذي تتطلب مسابقته تقديم ثلاث لوحات تعبيرية تاريخية عن الملك عبدالعزيز، بحيث لا يقل حجم اللوحة عن ٦٠× ٦٠ سم٢.

ومقدار جائزة التصوير الإيضاحي ٣٥ ألف ريال، والمطلوب تقديم ثلاث صور عن الآثار التاريخية في عهد الملك عبدالعزيز، بحيث لا تقل حجم الصورةعن ٦٠× ٦٠ سم٢.

أما الشروط العامة الخاصة بجائزة أبها للثقافة فهي على النحو التالي:

ـ الجائزة مفتوحة للسعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي.

ـ تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالمملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح.

ـ لا تجوز مشاركة أعضاء لجنة جائزة أبها للثقافة.

ـ تُقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.

ـ ترفق ثلاث نسخ كاملة من الأعمال المقدمة، ما عدا اللوحات والصور الضوئية فيكتفي بنسخة واحدة من الأعمال المقدمة.

ـ تسلّم الأعمال المقدمة لصاحبها أو من ينيبه، بعد المسابقة ما عدا الفائزة منها.

ـ الترشيحات والأعمال المقدمة مع عنوان المتسابق كاملاً بما في ذلك الهاتف والفاكس ترسل أوتسلّم إلى النادي الأدبي «أبها ـ ص.ب ٤٧٨» هاتف: (٠٧٢٢٦٤٢٣٠) ـ فاكس (٠٧٢٢٦٢١٦٥) أما الصور واللوحات فتُقدم إلى فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (أبها ـ ص.ب ٨٤٨) هاتف وفاكس (٠٧٢٢٥١٩٧٢) في موعد أقصاه نهاية شهر رمضان ١٤١٩هـ ولا يُقبل شيء بعد هذا التاريخ.

الكتاب السعودي إضافة إلى محاضرة ألقاها معالي الدكتور راشد بن راجح الشريف. كما ألقيت محاضرة بعنوان «الصحافة الثقافية: الواقع والتطلعات» في ٢٧ ربيع الأول الماضي.

ويتضمن البرنامج عددًا من المحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية وهي على النحو التالي:

ـ الثلاثاء ١١ ربيع الآخر: أمسية شعرية يشارك فيها كل من إبراهيم بن دخيل وجاسم بن محمد الصحيح.

ـ الثلاثاء ١٩ ربيع الآخر: محاضرة للدكتور فهد بن عبدالله اللحيدان بعنوان «الإنترنت واللغة العربية».

ـ الثلاثاء ٢٦ ربيع الآخر: محاضرة عبدالعزيز السبيِّل بعنوان «مفهوم القصة القصيرة بين آراء النقاد ورؤى المبدعين».

ـ الثلاثاء ٣ جمادى الأولى محاضرة للدكتور حمود بن ضاوي القثامي بعنوان «تأثير الحضارة في الحجاز في أقاليم المملكة»

ـ الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى: محاضرة للدكتور صالح بن علي الهذلول بعنوان «لماذا نحافظ على التراث؟».

ـ الثلاثاء ٢٤ جمادى الأولى: محاضرة للدكتور عبدالوهاب بن أحمد أبو سليمان بعنوان «العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز».

نتائج مسابقة التأليف المسرحي بجامعة الملك عبدالعزيز

أعلنت في الشهر الماضي نتائج

العالم الإسلامي ينعى الشيخ الشعراوي

نعت الأمة الإسلامية فقيد الدعوة الداعية الإسلامي الكبير سماحة الشيخ محمد متولي الشعراوي، الذي لاقى وجه خالقه عن عمر يناهز ٨٧ عامًا، وعطاء استمر ما يزيد على ستين عامًا في خدمة الدعوة الإسلامية.

وكانت آخر كلمات تلفظ بها الشيخ الشعراوي قبل وفاته: الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

والفقيد من مواليد ١١/إبريل/١٩١١م، في مدينة ميت غمر بمحافظة الدقهلية. وتلقى تعليمه في معهد الزقازيق الأزهري، وحصل على الشهادة العالمية في كلية اللغة العربية عام ١٩٤١م، وشهادة العالمية مع إجازة التدريس «تعادل الدكتوراه» عام ١٩٤٣م، وعمل في سلك التدريس بالمعاهد الأزهرية حتى أعير للملكة العربية السعودية عام ١٩٥٠م، التي عمل فيها مدرسًا بكلية الشريعة في جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة، وحين عاد إلى مصر عام ١٩٦٠م، عُين وكيلاً لمعهد طنطا الأزهري، ثم مديرًا عامًا للدعوة في وزارة الأوقاف ١٩٦١م، ومفتشًا للعلوم العربية بالأزهر



المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي

١٩٦٢م، فمديرًا لمكتب شيخ الأزهر عام ١٩٦٤م، ثم عاد إلى جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٩٧٠م، أستاذًا زائرًا، وعين عام ١٩٧٥م، مديرًا عامًا لشؤون الأزهر، ثم وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر بين عامي ١٩٧٦-١٩٧٨م، وعُرض عليه مشيخة الأزهر إلا أنه اشترط أن يتم ترشيحه وانتخابه من قبل العلماء، وليس بالتعيين كما هو متبع منذ السبعينيات، فتعذر ذلك.

والراحل عضو بالمجلس التأسيسي لرابطة اللغة العربية إلى جانب عضويته للجان أخرى كثيرة.

وقد كسب الفقيد ـ يرحمه الله ـ الملايين من خلال أحاديثه التلفازية والإذاعية، وأنفقها في وجوه البر وبناء مركز إسلامي ثقافي ديني طبي في قريته ومساعدة المحتاجين.

وحظي تفسيره للقرآن الكريم بإقبال العامة والمثقفين لما تميز به من بساطة الشرح ووضوح المعنى والرؤية، مما أهله لأن يحصل على جوائز عديدة منها: جائزة الدولة التقديرية وآخرها جائزة الشخصية الإسلامية التي منحته إياها إمارة دبي، وتبرع بقيمتها ـ كعادته ـ إلى وجوه الخير.

وبوفاة سماحة الشيخ الشعراوي يختفي صوت من أحب الأصوات إلى جموع المسلمين ليس في مصر وحدها وإنما في أرجاء العالم الإسلامي، وتفقد الدعوة الإسلامية أحد أبرز عناصرها.

محاضرات وندوات

ـ «العين والسحر» عنوان محاضرة ألقتها في مركز الأمير سلمان الاجتماعي بالرياض د. جمال حسان.

ـ «النسوقراط والكوننة» موضوع محاضرة ألقتها في جامعة لندن د. خديجة صفوت.

ـ «الإسلام والسياسة» عنوان محاضرة ألقاها في فندق ماريوت بإسلام آباد د. طاهر القادري.

ـ «خطوة ممكنة نحو مستقبل ممكن» عنوان محاضرة ألقاها في قصر العدل ببيروت محمد حسنين هيكل.

ـ «الفنون التطبيقية الإسلامية: اتجاه عملي جديد» عنوان محاضرة ألقاها في قاعة بروناي بجامعة لندن عبدالعزيز كامل.

ـ «التطورات القانونية في السعودية» عنوان محاضرة ألقاها في قاعة بروناي بجامعة لندن صلاح الحجيلان.

ـ «نظم ديوان الكوفة في لندن أمسية تكريمية لذكرى أربعين الشاعر الراحل نزار قباني، شارك فيها: صلاح نيازي، أنطون رعد، وألفريد البابلي.

ـ « السلام والدستور والتنمية الاقتصادية» عنوان محاضرة جماعية عن التطورات السياسية في السودان ألقاها في المركز

مسابقة التأليف المسرحي لعام ١٤١٨/١٤١٩هـ التي نظمتها جامعة الملك عبدالعزيز، ففاز النص المسرحي «الراية» المؤلف حسام محمد خضر بالجائزة الخاصة بالمسرحية الوطنية والتاريخية، وقيمتها خمسة آلاف ريال، بينما فاز عبد الأمير شمخي نصيف بالجائزة الخاصة بالمسرحية العلمية الاجتماعية عن نصه «العودة»، وقيمتها ستة آلاف ريال، وتلاه نعمان محمد كدوة بنصه المسرحي «شرذمة على كوكب»، ونال جائزة مقدارها أربعة آلاف ريال، وحصل محمد مطلق الحارثي على مكافأة مقدارها ثلاثة آلاف ريال عن نصه المسرحي «الليلة الأخيرة».

سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصوت والضوء

رعى صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن ماجد بن عبدالعزيز، محافظ مدينة جدة افتتاح معرض بالصوت والضوء لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نظمته جمعية تحفيظ القرآن الكريم في جدة برعاية قناة ART3، المخصصة للأطفال في نهاية شهر صفرالماضي.

ضم المعرض مجسمات تبسط شرح السيرة النبوية باستخدام الوسائل التعليمية بالصوت والضوء.

ترسية المشروع التوثيقي للمتحف الإسلامي بالمدينة المنورة

تمت ترسية المشروع التوثيقي للمتحف الإسلامي بالمدينة المنورة على شركة استشارية سعودية لعمل الدراسات اللازمة.

وكانت الموافقة السامية قد صدرت على إنشاء المتحف في مقر السكة الحديدية، لتعرض فيه بعض الآثار الإسلامية المهمة، فضلاً عن صور تحكي تطور التاريخ الإسلامي بعامة، والمدينة المنورة بخاصة.

مجلة جديدة

أصدر المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية «دار الاستشارات الطبية والتأهيلية» العدد الأول من مجلته «العالم».

يرأس تحرير «العالم» د. محمد بن حمود الطريقي، وتضمن عددها الأول مجموعة من الموضوعات منها: هموم الفكر وعذابات المفكرين، جارودي بين المطرقة والسندان، والمياه والصراع القادم في الشرق الأوسط، وموضوعات أخرى.

معجم للإشارات الوصفية ولغة الصم

صدر أول معجم عربي للإشارات الوصفية ولغة الصم، بعد عامين من العمل الدؤوب والتجارب والدراسات.

قام بإعداد المعجم مجموعة من منسوبي إدارة تعليم جدة هم: خالد محمد العتيبي، خالد عبدالله علا، خالد الذكير، وعبدالله الثقفي.

ويحتوي المعجم على جميع المفردات التي تفيد الصم بالإشارة والصور.

كتب جديدة

التفسير الميسر للقرآن الكريم، إشراف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، صدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة.

الإفريقي في لندن كل من: خلف الله الرشيد، والطيب زين العابدين، وأندي امبروز، وعبدالرحيم حمدي.

- «صياغة وترميم الآثار الإنجليزية» عنوان محاضرة ألقتها في ديوان الكوفة في لندن سوزي بورسن.

- «المشكلات النفسية في الغربة» عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من رابطة الجالية الفلسطينية في لندن د. عمر أحمد.

- «حرب الناقلات في الخليج وآثارها الاقتصادية في دول المنطقة» عنوان محاضرة ألقتها في قاعة تلفز ببلدية ايلينج في لندن بدعوة من المنتدى الاقتصادي العراقي د. نادية الشاذلي.

- «قواعد لفهم كتب العلماء» عنوان محاضرة ألقاها في جامع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في حي الششة بمكة المكرمة الشيخ صالح بن محمد الأسري.

- «أهمية الوقت في حياتنا» عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير بالجبيل الشيخ مسند بن محسن القحطاني.

- «قانون الاضطهاد الديني الأمريكي وانعكاساته على مصر» عنوان محاضرة ألقتها في مقر جمعية النداء الجديد بحي المهندسين في القاهرة الكبرى منار الشوربجي.

- «دور المرأة المصرية في الحياة الاجتماعية في مصر قبل الحملة الفرنسية» عنوان محاضرة ألقاها في مقر رابطة الأدب الحديث في القاهرة د. مصطفى رمضان.

الإمارات

مشغل ثقافي

افتتحت دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة مشغلاً ثقافيًا للموهوبين في مجالات الشعر والقصة القصيرة والمقالة يستمر حتى الأسبوع الأول من شهر جمادى الأولى المقبل.

يشارك في المشغل مجموعة من شباب الأدباء وطلبة الجامعات بإشراف نخبة من المختصين.

مسابقة للتأليف المسرحي

أعلنت جمعية المسرحيين في دولة الإمارات العربية المتحدة عن مسابقة سنوية للتأليف المسرحي.

ويحق لأدباء الإمارات وكُتّابها وكذا الأدباء والكتاب العرب المقيمين بالإمارات المشاركة في المسابقة التي يعلن عن موضوعها في سبتمبر من كل عام، حتى فبراير، ويمنح الفائز الأول خمسة آلاف درهم والثاني ثلاثة آلاف درهم والثالث ألفي درهم.

كتب جديدة

ـ بدايات النهضة الثقافية في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن العشرين، تأليف مفيد الزيدي، صدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبوظبي.

الكويت

الفائزون بجوائز البابطين

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجائزة عبدالعزيزسعود البابطين للإبداع الشعري في دورتها السادسة «دورة الأخطل الصغير».

نال جائزة الإبداع في مجال الشعر الشاعرالفلسطيني سميح القاسم، وحظي بالجائزة في مجال نقد الشعر الناقد المغربي د. إدريس بلمليح، ومنحت جائزة أفضل ديوان شعر لديوانين هذا العام نظرًا لحجبها في الدورة السابقة، وفاز بها الشاعر شوقي بغدادي «سورية» عن ديوانه «شيء يخص الروح»، ومحمد القبيسي «الأردن» عن ديوانه «ناي على أيامنا»، ونال الشاعر السعودي جاسم محمد أحمد الصحيح جائزة أفضل قصيدة عن قصيدته «عنترة في الأسر».

ويتسلم الفائزون جوائزهم خلال احتفال تقيمه المؤسسة في بيروت في شهر رجب المقبل أكتوبر ١٩٩٨م.

كتب جديدة

ـ الكويت والتنمية الثقافية: مسيرة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في ربع قرن، تأليف د. سليمان إبراهيم العسكري، وأحمد حسن خضر. صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصر

مؤتمر الإسلام والقرن الحادي والعشرين

شارك ٢٥ وزيرًا للأوقاف والشؤون الإسلامية ونحو ١٢٠ مفكرًا وسياسيًا وقرابة مئتي شخصية عالمية وممثلون للكنائس العالمية في مؤتمر«الإسلام والقرن الحادي والعشرين» الذي أقيم في القاهرة في مطلع شهر ربيع الأول المنصرم.

ناقش المؤتمر أربعة محاور رئيسة: الإسلام والتطور الحضاري، وموقف الإسلام من العولمة في المجال السياسي، وموقف الإسلام من العولمة في المجال الاقتصادي، وموقف الإسلام من العولمة في مجال التقدم العلمي، وألقى المشاركون قرابة مئة بحث تتعلق بموضوع المؤتمر.

الفائزون بجوائز الدولة

أعلنت أسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية في مجالات الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية والعلوم لعام ١٩٩٧م.

نال الجائزة التقديرية في الآداب الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي «الشعر»، والروائي بهاء طاهر «الرواية»، ود. فاطمة موسى «الترجمة»، وفي مجال الفنون توفيق صالح «سينما»، ومحمد صبري «فن تشكيلي»، ويحيي الزيني «معمار»، وفي العلوم الاجتماعية الدكاترة: مفيد شهاب، وحمدي زقزوق، وأحمد عبدالرحيم، وعبدالمجيد مصطفى فراج، وفي العلوم الأساسية د. أحمد أمين حمزة، والعلوم الزراعية د. سعد نصار، ود. عبدالوهاب عبدالحافظ، والعلوم الطبية د. حسين عبدالفتاح إبراهيم، والعلوم الهندسية د. محمود سعيد عبدالله.

ونال الجائزة التشجيعية في الآداب الروائي عبدالوهاب الأسواني «الرواية»، ومحمد عبدالواحد محمد إبراهيم «الترجمة»، والشاعر درويش الأسيوطي « الشعر»، ومحمد السيد عيد «النص الدرامي» ، ود. محمد زكريا عناني «النقد».

إلى جانب الفائزين بالجائزة في فروعها الأخرى، وتصل إلى نحو خمسين فرعًا.

توصية إنشاء مركز معلومات للترجمة

أوصت ندوة تعميم التعريب وتطوير الترجمة بإنشاء مركز معلومات خاص بالترجمة في الدول العربية يحول دون تبديد طاقات المترجمين أو تشكيل لجنة

من مهامها التعريف بأولويات الكتب التي تحتاج إلى ترجمة، والتنسيق بين المترجمين العرب.

وأكدت الندوة في ختام أعمالها بالقاهرة - مؤخرًا - عدم وجود مشكلة في تعريب المصطلحات إلى اللغة العربية في ظل وفرة المعاجم التي نفذتها المجامع اللغوية، مشيرة إلى أن المشكلة في عدم تطبيقها سواء في مراحل التعليم أو في وسائط الإعلام.

يذكر أن الندوة أقيمت برعاية وزير التعليم العالي د. مفيد شهاب، ونظمتها الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة «إليكسو» وشارك في أعمالها نخبة من المترجمين وعلماء اللغة.

مؤتمر: خمسون عامًا من الشعر الجديد

تنظم الجمعية المصرية للنقد الأدبي بالتعاون مع جامعة عين شمس مؤتمرًا أدبيًا نقديًا بعنوان «خمسون عامًا من الشعر الجديد».

ينتظر أن يعقد المؤتمر خلال شهر جمادى الآخرة المقبل، ويدور محوره الرئيس حول أطوار التجديد الشعري المختلفة.

جائزة أحمد بهاء الدين

أعلنت جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين الثقافية عن مسابقتها السنوية الأولى لعام ١٩٩٨م، في مجال التأليف والكتابة.

موضوع مسابقة هذا العام هو تأليف كتاب باللغة العربية يكون موجهًا لجمهور القراء غير المتخصصين في أي من مجالات العلوم أو الآداب أو الفنون أو السياسة أو الثقافة والمجتمع.

يشترط أن يكون المشارك عربي الجنسية، ولا يتجاوز عمره حين إقفال باب المشاركة في غرة أكتوبر ١٩٩٨م أربعين عامًا، وأن يقدم ما يلي من أصل مطبوع وثلاث صور: السيرة الذاتية، وملخصًا لموضوع الكتاب في خمسمئة كلمة، وخطة البحث في صفحتين، وفصلاً من الكتاب أو جزءًا منه على أن يكون العمل جديدًا لم يسبق تقديمه لأية جهة أخرى.

ترسل المشاركات إلى عنوان الجمعية ٢٢ شارع النيل - القاهرة، أو فاكس رقم ٠٠٢٠٢٣٩٣٣٩٧٦

توزيع جوائز الفنجري لخدمة الدعوة والفقه

رعى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر د. محمد سيد طنطاوي الاحتفال الذي أقامته نظارة وقف مسابقة د. محمد شوقي الفنجري لخدمة الدعوة والفقه لتسليم الجوائز للفائزين بها للعام الحالي.

فاز بالجوائز كل من: د. إبراهيم علي حسن، ومحمد يونس، ود. بركات مراد «جائزة الإسلام والبيئة»، ود. سيد حسن عبدالله، وعلي أحمد حمدي، ود. كمال عبدالغني «التربية الدينية»، ود. أحمد عبدالرحيم السايح «العالم الإسلامي بين مصادر القوة وعوامل الضعف».

احتفالية بدران

نظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة احتفالية بالذكرى المئوية لمولد رائد الترجمة العربية في القرن العشرين محمد بدران.

شارك في الندوة نخبة من المثقفين وتلاميذ بدران ومعهم ابنه د. أحمد محمد بدران، وتناولت الكلمات دور بدران في الترجمة، وما قدمه للمكتبة العربية من مترجمات متنوعة بلغ عددها ٤٤ كتابًا، فضلاً عن ٢٠ جزءًا من كتاب «قصة الحضارة» لديورانت، وتناول المتحدثون منهج المحتفى به في الترجمة. وما أضافه إلى هذا الفن الأدبي الراقي، ومنهجه في اختيار المترجمات، ودور الترجمة في تحقيق التواصل بين الشعوب.

المؤتمر الثاني لاختصاصيي المكتبات والمعلومات

شارك ما يقارب ستمئة مختص في المكتبات والمعلومات في أعمال المؤتمر القومي الثاني لمختصي المكتبات والمعلومات الذي عقد في مطلع شهر ربيع الأول الماضي تحت شعار «المكتبة أداة التنمية الشاملة».

ناقش المؤتمر ما يزيد على ثلاثين بحثًا تعالج محاور موضوعه المختلفة، ونظم على هامشه معرضان: أولهما للكتب والآخر للأجهزة.

وفاة د. لطفي عبدالبديع

توفي الأستاذ الدكتور لطفي عبدالبديع، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية آداب عين شمس سابقًا.

ويعد د. لطفي أول مصري يحصل على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسبانية عام ١٩٥٥م، وعمل عقب حصوله على الدرجة في سلك التدريس، وعُرف بأنه صاحب مشروع في الجمع بين الفلسفة واللغة وبين فلسفة اللغة والاستطيقا.

ومن أبرز مؤلفاته: «التركيب اللغوي للأدب»، «الشعر واللغة» و«ميتافيزيقا اللغة».

كتب جديدة

- نزار قباني: قيل وقال، تأليف أسامة الألفي، صدر عن دار النبأ الوطني للنشر بالمهندسين - الجيزة.

- الخروج إلى النبع، رواية محمد قطب، صدرت في طبعة جديدة عن مركز الحضارة العربية للنشر.

- تهافت السلام، المصير العربي في ظل الهيمنة الإسرائيلية، تأليف صلاح الدين حافظ، صدر عن دار الشروق.

- سفير الأدباء، دراسة وسيرة ذاتية للأديب وديع فلسطين تأليف د. حسين علي محمد، صدر عن الشركة العربية للنشر والتوزيع.

- غيمة في بنطلون، قصائد لمايا كوفسكي، ترجمها إلى العربية رفعة سلام، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة.

- سياحة في ربوع النمور الآسيوية: هونج كونج، سنغافورة، تايوان، كوريا الجنوبية، تأليف سليمان مظهر، صدر عن الدار المصرية - اللبنانية.

- معجم التعبيرات القرآنية، تأليف محمد عتريس، صدر عن الدار الثقافية للنشر.

- آينشتين، تأليف بانش هوفمان، ترجمه إلى العربية نبيل صلاح الدين وراجعه علي يوسف علي، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- قاموس علم النفس، تأليف يوسف ميخائيل أسعد، صدر عن دار غريب للطباعة والنشر.

- أبو حيان التوحيدي: فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، تأليف أحمد عبدالهادي، صدر عن دار الثقافة.

- بناء دولة: دور المساعدات الخارجية لإسرائيل ١٩٤٨-١٩٩٦م، تأليف أحمد السيد النجار، صدر عن دار مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية.

- اليهود في عقل هؤلاء، تأليف د. عبدالوهاب المسيري، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف.

- رئيس الحمام، مجموعة قصصية لمحمود تراوري، صدرت عن دار شرقيات.

- عجائب الكائنات الشائكة، تأليف إنيتاجانيري، ترجمه للعربية د. كارم غنيم .

- عالم الحشرات العجيب، تأليف جيني جونسون، ترجمه للعربية د. كارم غنيم، صدر الكتابان السابقان عن دار سفير للنشر.

الأردن

فتح باب الترشيح لجائزة عبدالله بن الحسين

أعلن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية «مؤسسة آل البيت» في عمان وجامعة درم البريطانية عن فتح باب الترشيح لجائزة الملك عبدالله بن الحسين العالمية لعام ١٩٩٩م، والتي ستخصص لمجال الفنون في موضوع «الفنون في العصر الأموي».

ويجوز للباحث تناول عنصر أو أكثر من عناصر الفنون مثل العمارة أو الموسيقى «وغيرها، على أن يشكل بحثه إضافة جديدة، وأن يكون من مواطني إحدى الدول العربية، ويقيم في دولة عربية منذ عام ١٩٩٢م، ويكتب البحث باللغة العربية، ويجوز أن يكون منشوراً أو ما يزال مخطوطًا على ألا يقل عدد كلمات البحث عن ٧٥٠ كلمة، ولا يزيد على مليون وربع ميون كلمة، وإذا كان البحث منشوراً يشترط ألا يكون قد نال عنه جائزة أخرى، وأن يكون قد نشر عام ١٩٩٢م أو ما تلاه من أعوام.

ترسل المشاركات في موعد غايته

رسائل جامعية

- «دور التخطيط في مهام قيادة أمن المنشآت» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها سعد سرور القثامي.

- «مشكلات المدرسة الثانوية العامة في مصر» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الزقازيق المصرية. تقدم بها سلامة عبدالعظيم حسنين.

- «العلاقة بين السلطة والصحافة» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الأكاديمية الدولية لتكنولوجيا المعلومات في روسيا، تقدم بها علي هاشم.

- «الصحافة بين المسؤولية والحرية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الأكاديمية الدولية لتكنولوجيا المعلومات في روسيا تقدم بها حسن الرشيدي.

- «حول التربية التفاعلية بين المعلم والطالب بعيداً عن العرض السلبي للمادة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية رياض الأطفال بالإسكندرية، تقدمت بها حنان وجيه جودة.

- «الإرهاب الدولي والحصانة الدبلوماسية » موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدمت بها هالة محمد سعد طلس.

- «التصوير البياني للطبيعة في شعر ابن المعتز» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها شعبان محمد علي كفاني.

- «راقبة دستورية القوانين في المغرب» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بالرباط، تقدمت بها نادية البرنوصي.

الحركة الثقافية في شهر

منتصف شهر رمضان المقبل «غرة يناير١٩٩٩م» إلى أمانة الجائزة ص.ب ٩٥٠٣٦١ عمان ١١١٩٥ - الأردن.

لبنان

كتب جديدة

- الفلسطينيون في لبنان وسورية، تأليف حلا نوفل رزق الله.

- الجندي المستعرب، تأليف فيصل جلول.

- صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي، تأليف نوال فياض صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الجديد في بيروت.

- النص والرصاص، تأليف نبيل عبدالفتاح، صدر عن دار النهار للنشر.

- بغداد في العشرينيات، تأليف عباس بغدادي، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

فلسطين

بيت الشعر يحتفي بإبراهيم طوقان

بدأ بيت الشعر الذي تأسس مؤخرًا نشاطه الثقافي بتنظيم احتفالية عن شاعر فلسطين الراحل إبراهيم طوقان.

تناولت الندوة شعر إبراهيم طوقان من حيث الأغراض والبنية، فبينما تناول د. عيسى أبو شمسة موضوع «الرثاء في شعر إبراهيم طوقان» تحدث د. عادل أبو عشة عن «النساء في شعره» ود. حسين البرغوثي عن الحداثة عند طوقان، وقدّم حنا أبو حنا بحثًا عن مبنى القصيدة والصور الشعرية. وشاركت الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان في الاحتفاء بشقيقها بحديث أكدت فيه أهمية الشعر ودوره في الصراع العربي - الإسرائيلي.

سورية

شوارع دمشق تزدان بأسماء الأدباء والفنانين

تكريمًا للأدباء والفنانين، واعترافًا بدورهم الحضاري، تقرر أخيرًا إطلاق أسماء عدد منهم على بعض الشوارع الرئيسة في دمشق.

الأسماء تشمل: الشعراء حافظ إبراهيم، وعمر أبو ريشة، وبدر شاكر السياب، والقاص حكمت محسن، والصحافي توفيق يازجي، والفنانين التشكيليين سعد تحسين ومحمود جلال.

وكانت لجنة تسمية أحياء دمشق قد أطلقت قبل عدة أشهر اسم الشاعر الراحل نزار قباني على أحد أهم شوارع حي المهاجرين.

كتب جديدة

- سفر العنقاء: حفرية ثقافية في الأسطورة، تأليف د. نذير العظمة.

- الكحالة في كتاب كامل الصناعة الطبية، تأليف علي بن العباس الأهوازي، تحقيق محمد ظافر وفائي، ومحمد رواس قلعة جي. صدر الكتابان السابقان عن وزارة الثقافة.

- الفن التشكيلي المعاصر في سورية ١٨٩٨-١٩٩٨م، تقديم أدونيس، صدر باللغتين العربية والإنجليزية عن جاليري أتاسي في دمشق.

- العطر، رواية لباتريك زوسكين، علوش العجمي.

- «التراكيب الزمنية في مسرح محمود تيمور: دراسة أسلوبية دلالية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة جنوب الوادي المصرية، تقدم بها رفعت محمد عبدالله خليفة.

- «قضايا المصطلح عند النقاد العرب المعاصرين» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة حلوان المصرية تقدم بها عزت جاد.

- «سلطات ومسؤوليات المديرين في الشركات التجارية» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدمت بها وحي فاروق لقمان.

- «الأصول التربوية من خلال سورتي النحل ولقمان» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزيتونة في تونس، تقدم بها عبدالمجيد عبدالله الغامدي.

- «مصادر الثقافة الدينية لدى الشباب» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر تقدمت بها وجيهة التابعي.

- «أثر التنسيق بين جهاز الدفاع المدني والأجهزة الحكومية المساندة في الخسائر البشرية والمادية الناجمة عن حوادث الحريق» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها صالح مبارك الجنيح.

- «البرامج التدريبية في حرس الحدود دورها في رفع مستوى الأداء» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، تقدم بها سعود سعد البشيتي.

- «إعداد نموذج رياضي لدراسة أداء مبردات الهواء المبردة بمبردات متنوعة والمستخدمة في صناعة تكييف الهواء» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الهندسة بجامعة الكويت، تقدم بها

ترجمها إلى العربية نبيل الحفار، وصدرت عن دار المعري.

- من ذاكرة أبي «ذكريات العقيد توفيق بشور» تأليف حنا توفيق بشور، صدر عن مكتبة الشرق الجديد.

تونس

مطالبة باتفاقية عربية لمكافحة سرقات الآثار

أوصى مؤتمر المتحفيين العرب بإيجاد اتفاقية عربية لمكافحة عمليات المتاجرة غير المشروعة بالآثار والممتلكات الثقافية.

وطالب المؤتمرون في ختام اجتماعاتهم بتونس بإدخال مادة «حماية التراث الثقافي وأساليب مكافحة تهريبه» ضمن المقررات الدراسية في كليات الشرطة والجمارك، وطالبوا بالعمل على استرجاع ماسرق من آثار عربية بجميع الوسائل الودية والقانونية، والانضمام إلى الاتفاقات الخاصة بحماية التراث، وتكثيف التوعية بالتراث، وحثوا المجلس الدولي للمتاحف على إصدار كتاب يحتوي على القطع الأثرية المسروقة من الدول العربية على غرار ما أصدره من قبل عن القطع المسروقة من متاحف أمريكا اللاتينية وإفريقية وكمبوديا. وطالب المؤتمر الدول العربية بإدراج حماية التراث ضمن أولويات سياستها وخططها.

أكبر معرض تشكيلي تونسي

برعاية الرئيس زين العابدين بن علي، افتتح في المتحف الوطني بقرطاج أكبر معرض تشكيلي يمثل مسيرة الرسم التونسي بدءًا من جيل المؤسسين في القرن التاسع عشر الميلادي إلى اليوم.

ضم المعرض مئة لوحة تشكيلية حصلت عليها وزارة الثقافة التونسية من المجموعة الأوربية، وهي من ثمرات إبداع فنانين تونسيين كبار مثل: بوشارل، عمار فرحات وعبدالعزيز الفرجي وغيرهم.

المغرب

ندوة عن ترجمة الأدب العربي بعد نوبل محفوظ

تنظم مدرسة طليطلة للمترجمين ندوة تحت عنوان: «الأدب العربي المعاصر في أوربا: عشر سنوات بعد نيل نجيب محفوظ جائزة نوبل» في التاسع من شهر رجب المقبل ٢٩/أكتوبر ١٩٩٨م. تناقش الندوة المحاور الأربعة التالية: الرواية العربية انطلاقًا من نجيب محفوظ، وترجمة الأدب العربي في أوربا، ونجيب محفوظ وترجماته، وتلقي الأدب العربي في الغرب.

جائزة الحواس الخمس

أهابت اللجنة الأدبية المنظمة لجائزة «الحواس الخمس» للإبداع الشعري بالمتقدمين لنيل الجائزة إلى المبادرة بإرسال نتاجهم في موعد غايته الحادي عشر من شهر رجب المقبل «٣١ أكتوبر ١٩٩٨م.

ويشترط ألا يتجاوز المرشح سن الثلاثين، وأن يرسل نصًا واحدًا من ثلاث نسخ.

الأطلس الكبير لزفزاف وخيرالله

تقاسم الروائيان محمد زفزاف ومراد خيرالله جائزة الأطلس الكبير للمغرب لعام ١٩٩٨م.

نال زفزاف الجائزة عن روايته «بيضة الديك» وخيرالله عن روايته «الكتل الحية» كما منحت اللجنة جائزة للأديبة عائشة الشنا عن كتابها «الشهادة ميزيريا».

كتب جديدة

- دلائليات الشعر، تأليف مايكل ريفاتير، ترجمه إلى العربية محمد معتصم ، وصدر عن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس.

- شجيرة حنّاء وقمر، رواية لأحمد التوفيق، صدرت ضمن سلسلة «جوهرة الأدب» عن دار القبة الزرقاء للنشر في مراكش.

- في البدء كانت الثقافة: نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية، تأليف عبدالإله بلقريز، صدر عن دار إفريقية - الشرق بالدار البيضاء.

- الحضارة الإسلامية في تاجيكستان، تأليف أركن رحمة الله يف، وعبدالله يولدا شيف، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط.

هولندا

مؤتمر الدراسات القرآنية على أعتاب القرن ٢١

شارك ٢٤ متخصصًا في الدراسات القرآنية من مصر وسورية وتركيا وإيران وألمانيا وإنجلترا وهولندا وأمريكا وكندا في مؤتمر دولي بعنوان «الدراسات القرآنية على أبواب القرن الحادي والعشرين» نظمته خلال شهر صفر الماضي جامعة لايدن.

ناقش المؤتمر خمسة محاور: علوم القرآن الكريم أو العلوم البيئية، وتفسير القرآن الكريم في السياق المعاصر، والتفسير العلمي للقرآن، والمقارنة الأدبية والفكرية في الدراسات القرآنية، والبعد السياسي للدراسات القرآنية.

روسيا

الحضارة الإسلامية وروسيا اليوم

استضافت العاصمة موسكو - مؤخرًا - مؤتمرًا دوليًا تحت عنوان «الحضارة الإسلامية وروسيا اليوم: طرق التعاون»

بمشاركة علماء من مصر والسعودية والإمارات والكويت وإيران إلى جانب العلماء الروس المسلمين.

وناقش المؤتمر على مدار يومين عددًا من القضايا التي تحظى بالأولوية، منها: وحدة المسلمين في روسيا لكونها من أهم عوامل الاستقرار مع اطّراد دور المسلمين في الحياة السياسية، والرد على ما يثار ضد الإسلام من اتهامات باطلة.

يذكر أن عدد مسلمي روسيا يتجاوز العشرين مليون نسمة.

اليابان

معرض الطفولة العالمي العاشر

وجه معرض الطفولة العالمي العاشر «كانا غاوا - اليابان» الدعوة لأطفال العالم بين الرابعة والخامسة عشرة سنة للمشاركة بلوحاتهم.

ومعرض كانا غاوا مهرجان دولي لفن الأطفال تأسس عام ١٩٨٠م، ويقام كل عامين، بهدف تنشيط الفهم المتبادل لأنماط المعيشة والثقافات المختلفة لشعوب العالم.

وتحدد الخامس من شهر ربيع الآخر الجاري الموافق ٢٩ يوليو ١٩٩٨م، موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

فرنسا

السوربون تحتفي بابن رشد

نظمت الجامعة الأوربية المتوسطية احتفالاً في جامعة السوربون بباريس بمناسبة الذكرى المئوية الثامنة لوفاة الفيلسوف العربي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد.

شملت الاحتفالية مناقشات حول فسلفة ابن رشد ودفاعه عن الفلسفة في كتابه « تهافت التهافت» وشارك في المناقشات مختصون عرب وفرنسيون وأوربيون بتقويم إسهام ابن رشد في الفلسفة، وتأثير نظرياته في أوربا في القرون الوسطى وما بعدها.

معرض يحكي تاريخ المسلة المصرية

نظمت وزارتا الثقافة والخارجية الفرنسيتان أول معرض من نوعه عن تاريخ المسلة المصرية التي تزين ميدان الكونكورد وقصتها.

يضم المعرض كمًا هائلاً من الرسوم والصور والوثائق التي تروي تاريخ المسلة منذ عصر رمسيس الثاني إلى عصر محمد علي مؤسس مصر الحديثة، الذي أهداها إلى الملك الفرنسي لويس فيليب عام ١٨٣٠م الذي أهداه بدوره ساعة برج قلعة القاهرة التي ما تزال موجودة في مكانها إلى اليوم.

وتكشف الوثائق أن العالم الفرنسي شامبليون مكتشف حجر الرشيد كان أول من اقترح نقل المسلة من الأقصر إلى باريس خلال لقائه مع محمد علي وفي رسالة إلى الملك لويس فيليب.

معرض إشراقة من عمان

استضافت صالة ميرو في مقر منظمة اليونسكو العالمية في باريس معرض «إشراقة من عمان» خلال شهر صفر الماضي.

شارك في المعرض ١٧ فنانًا تشكيليًا عمانيًا بمجموعة من التجارب الزيتية والمائية والباستيلية، تنوعت مشاهدها وإن غلب الجانب البيئي الاجتماعي على معظمها، كما ضمت لوحات تجريدية يعتمد معظمها الحرف العربي في تركيبه، إلى جانب تلك الأعمال ضم المعرض مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي تصور جوانب من الحياة العمانية بأبعادها المختلفة، فضلاً عن مجسمات لحصون وقلاع وسفن تقليدية عمانية.

بينالي لفن التصوير الأوربي والأمريكي

احتضنت المدرسة العليا للفنون الجميلة في باريس - مؤخرًا - أول بينالي لفن التصوير الأوربي والأمريكي.

ألقى البينالي الذي اختتم أعماله خلال شهر ربيع الأول الماضي الضوء على أعمال التصوير العادي والفيديو من خلال أعمال خمسة فنانين شباب دون الخامسة والثلاثين عامًا منهم: مارتن دوران ولورا ماترناني.

مجلة للرسوم المتحركة

صدرت - مؤخرًا - مجلة شهرية جديدة للرسوم المتحركة باسم «لانقوست» عن دار نشر سولي برودوكسيون في تولوز.

تتولى المجلة نشر الموضوعات الخاصة بالمغامرات، والتي لم تتناول قبلاً، فضلاً عن موضوعات تتعلق بالبطولات والخيال العلمي.

الفلك والمراصد الإسلامية في معرض باللوفر

يقام حاليًا في قاعة بشوليو بمتحف اللوفر في باريس معرض «تجليات علم الفلك والفلكيين في أرض الإسلام»، يتناول علم الفلك والنجوم في العصور الإسلامية.

يستمر المعرض من شهر جمادى الأولى المقبل/٢١ سبتمبر ١٩٩٨م، ويضم ثلاثة أقسام: أولها بعنوان «أصول تطور علم الفلك»، والثاني «علم الفلك وكافة تجلياته» والثالث «علم الفلك: العلم الأمثل في أرض الإسلام».

الحركة الثقافية في شهر

كما يضم المعرض ستين قطعة للعرض استعيرت من المجموعة الدائمة لمعهد العالم العربي في باريس والمكتبة الوطنية الفرنسية ومتحف اللوفر، من بينها كرة تمثل السماء وضعها يونس الحسين الإصطرلابي عام ١١٤٤م ومخطوطة «رسالة في النجوم الثابتة» للصوفي، فضلاً عن كتب فرنسية مترجمة عن العربية لعلم الفلك وشروحات إضافية من صور فوتوغرافية.

جائزة المنتدى اللبناني لأحمد بيضون

منح الكاتب أحمد بيضون جائزة المنتدى الثقافي اللبناني في باريس لأحسن إبداع لبناني منشور عام ١٩٩٧م، عن كتابه «كلمة من مفردات اللغة إلى مركبات الثقافة» الصادر عن دار الجديد.

ومن المقرر أن يتسلم الفائز جائزته في حفل يقام بهذه المناسبة في وقت لاحق.

وكانت الجائزة قد منحت من قبل للشاعرة السورية مرام المصري، والشاعر المصري عبدالمنعم رمضان.

أحدث الكتب

- كوريا: نظامان وبلد واحد، تأليف أريك بديت، صدر عن دار نشر لاموند في باريس.

- الديموقراطية، تأليف جاي هيرم

- من أجل إناسة العوالم، تأليف مارك أوج.

صدر الكتابان السابقان عن دارنشر فلاماريون.

- تاريخ إفريقية «٨ أجزاء» مجموعة مؤلفين، صدر عن منظمة اليونسكو.

بريطانيا

افتتاح المكتبة البريطانية الجديدة

برعاية الملكة إليزابيث الثانية افتتح المبنى الجديد للمكتبة البريطانية في لندن في مطلع شهر ربيع الأول المنصرم.

تسع المكتبة نحو ١٢ مليون كتاب، وتضم إحدى عشرة غرفة للقراءة، بعضها مجهز بأماكن للحاسوب النقال، وهي تشبه في داخلها متحفًا، وتسع مقاعدها ٤٥٠ شخصًا، وتضم جاليري للفن وقاعة للحفلات، وينتظر أن تخصص ساحة مدخلها لعروض المسرح والموسيقى.

وكان المبنى الجديد للمكتبة قد لاقى انتقادات مختلفة حوله سواء من الجمهور أو من السياسيين، ويأتي ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز في مقدمة المنتقدين، حيث وصف المبنى بأنه يشبه «مقراً للشرطة السرية».

مؤتمر في الذكرى المئوية لمعركة أمدرمان

تعد جمعية الدراسات السودانية ببريطانيا بالتعاون مع مركز الدراسات السودانية - حاليًا - لتنظيم مؤتمر بمناسبة مرور مئة عام على معركة أمدرمان.

يهدف المؤتمر إلى النظر في تاريخ السودان وتجاربه الماضية خلال مئة عام، وبحث حاضره وآفاقه المستقبلية، وتسليط الضوء على مراحل تطور التوثيق والدراسات السودانية، ودعت الجمعيتان الباحثين المهتمين إلى إرسال ملخصات لأبحاثهم المتعلقة بالموضوع الأساسي للمؤتمر، والموضوعات الأخرى المتعلقة بتاريخ السودان في موعد غايته نهاية أغسطس «بدايات شهر جمادى الأولى».

وفاة الروائية كاترين كوكسن

نعت الأوساط الأدبية والثقافية البريطانية الروائية كاترين كوكسن، التي توفيت - مؤخرًا - عن عمر يناهزالتسعين عامًا.

وتعد كوكسن من الرعيل الأول للأدباء الإنجليز في القرن الميلادي الحالي، ووصفت كتاباتها بأنها أروع ما كتب باللغة الإنجليزية، وكانت غزيرة الإنتاج حيث صدر لها ما يزيد على سبعين مؤلفًا ترجمت إلى ١٨ لغة عالمية.

أحدث الكتب

- شهريار ينتظر، مجموعة قصصية للدكتورة جمال حسان، صدرت عن مكتبة الوراق في لندن.

- المنعطف: أدب اللاجئين «ترجمة لقصائد وقصص ومقالات وخواطر ومذكرات لكُتّاب لاجئين» تحرير جنيفر لانجر، صدر عن دار فايق لايغس.

- ايزنشتاين: صراع الحياة، تأليف رونالد بيرجن، صدر عن دار نشر ليتل براون.

- رحلة إلى جزر التوابل، تأليف تيم سيفيرين، صدر عن دار نشر كارول وجراف.

- يوميات بغداد، تأليف نهى الراضي، صدر بالإنجليزية عن مكتبة الساقي.

إسبانيا

معرض مدريد للكتاب

اختتم معرض مدريد الدولي للكتاب - مؤخرًا - أعمال دورته السابعة والخمسين لعام ١٩٩٨م.

ضم المعرض قرابة سبعمئة وخمسين ألف كتاب وزعت على ٤٥٨ كشكًا في أرجاء حديقة الريفيرو، وأقيمت على هامشه مجموعة ندوات ومحاضرات حول الأدب الإسباني وفنون المعرفة الأخرى.

روخاس يفوز بجائزة
أوكتافيوباث

منح الشاعر التشيلي جونتالو روخاس جائزة أوكتافيوباث في مجال الشعر في دورتها الأولى للعام الحالي.

وروخاس من مواليد ١٩١٧م، وله مؤلفات عديدة من أهمها «بؤس الإنسان».

يذكر أن الجائزة استحدثت هذا العام لتمنح سنويًا لكُتّاب من أمريكا اللاتينية وإسبانيا والبرتغال في مجال الشعر والنقد الأدبي وتبلغ قيمتها مئة ألف دولار.

أحدث الكتب

- ألف صوت وصوت، تأليف جوردي إستيفا، صدر عن دارنشر البابيس إجيلار في مدريد.

سويسرا

معرض بيكاسو ووجوهه الإفريقية

استضافت جنيف - مؤخرًا - معرضًا لأعمال الفنان التشكيلي العالمي باولو بيكاسو الخاصة بأشكال الأقنعة والوجوه الإفريقية.

أقيم المعرض في متحف باربيه موللر، وضم مجموعة أعمال غير معروفة لبيكاسو، استعيرت من حفيدته خصيصًا، إلى جانب الأعمال الموجودة في المتحف.

الولايات المتحدة

معرض لفنان أمريكي
عن الكويت الحديثة

أقيم في واشنطن معرض عن الكويت الحديثة وبيئها ضم أربعين لوحة زيتية قام برسمها الفنان الأمريكي بول بريسكي.

تمثل اللوحات رؤية مواطن أمريكي عاش في الكويت عشر سنوات، واستوحى بيئتها ومظاهر الطبيعة فيها والمظاهر الحضارية ليصبها في لوحات تشكيلية تؤرخ للمكان والزمان.

وكان الفنان قد فقد ما يزيد على عشرين لوحة خلال الغزو العراقي للكويت.

رحيل صاحب
«آكل لحوم البشر»

توفي الأمريكي جون هويكس عن عمر يناهز الثالثة والسبعين.

ولد هويكس في عام ١٩٢٥م بمدينة ستامفودر في مقاطعة كونيتيكيت، وانتقل إلى هارفارد عام ١٩٤٣م، ومنها إلى أوربا حيث عمل سائقًا لسيارة إسعاف في إيطاليا وألمانيا وانعكست تجربته هذه في روايته الأولى التي نشرها عام ١٩٤٩م، بعنوان «آكل لحوم البشر» التي عدّها النقاد بداية ملامح جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبعدها توالى إنتاج هويكس الأدبي، وما لبث أن عاد إلى هارفارد ليدرس الإنجليزية من عام ١٩٥٥م إلى عام ١٩٥٨م، وعمل في جامعة براون حتى تقاعد عام ١٩٨٨م، وآخر رواياته نشرت عام ١٩٩٧م، بعنوان «عين إيرلندية».

ومن أبرز أعماله الأخرى: وليم الجميل١٩٩٣م و«الضفدع» ١٩٩٦م.

كشف أثري

اكتشف آثاريون مجموعة من الأواني الخزفية والفخارية في قرية ميسونغ ترجع إلى العصر البرونزي، وتحديدًا إلى ما قبل نحو ثلاثة آلاف عام.

وتعد هذه المرة الأولى التي تكتشف فيها مثل هذه الأواني في كوريا الجنوبية، وإن كان قد اكتشفت مجموعة مماثلة في كوريا الشمالية عام ١٩٥٩م.

ألمانيا

متحف للآثار المصرية

تم مؤخرًا وضع حجر أساس متحف جديد للآثار المصرية في مدينة هيلد سهايم.

وكان المتحف الأصلي قد بدأ اقتناء الآثارالمصرية عام ١٩١١م عندما تبرع له المواطن الألماني فيلهيلم بلتسايوس بمجموعته الخاصة التي كونها خلال إقامته لمدة ٤٥ عامًا في مصر شارك خلالها في تمويل بعثات التنقيب عن الآثار، وتعد المجموعات الأثرية المصرية التي يمتلكها المتحف الأهم من نوعها في ألمانيا.

جائزة السلام
لمارتين فالزر

منح الأديب الألماني مارتين فالزر جائزة السلام التي يقدمها اتحاد الناشرين الألمان لإحدى الشخصيات الأدبية والفكرية الألمانية والأجنبية.

يتسلم فالزر جائزته خلال معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في شهر جمادى الآخرة المقبل أكتوبر ١٩٩٨م .

وفالزر شاعر وقاص وروائي من مواليد مدينة فاسربورج عام ١٩٢٧م، وهو حاصل على درجة الدكتوراه في الأدب برسالة عن أدب فرانز كافكا، وسبق له الحصول على جوائز منها جائزة هرمان هسه عن قصته الطويلة «زواج في فيلسبورج» وجائزة جورج بوشنر، والجائزة الأدبية لأكاديمية الفنون الجميلة في ميونيخ.

أحدث الكتب

كتاب السرد، تأليف بيتر هاندكه، صدر عن دار نشر سوركامب فيرلاج.

أرض النسيان، تأليف جبار ياسين، صدر عن دار الحمل.

قصة مترجمة

النسر والراعي

بقلم: غابرييل مبرور
ترجمة: علي أشقر

كان النسر يتبع القطيع دائمًا، وكان زعيقه يتردّد في فضاء النهار الأزرق. وكانت الشياه تقف وهي تنظر إليه. كان يسفّ إحيانًا في طيرانه حتى يُسمع حفيف ريشه ومنقاره، وينبسط ظله عابرًا فوق الأغنام.

كان الراعي يستلقي فوق كومة من النجيل، والقطيع ينكمش إزاء الصخور وقت القيلولة. الوادي كله كان مغمورًا بالشمس: الأرض المحروثة الحمراء، والأشجار النديّة، والبساتين المسوّرة، وبيوت كالخِرَب، وطرق تغوص في أفق من دخان.

فكّر الراعي: «أرى من الدنيا أكثر مما أراه لو قضيت حياتي متجولاً. وهو لا يراني. ولو جاء الآن ابن المعلم لقذفت به من علُ. ولن يعلم أحد ما دمت بعيدًا في هذه الأرض». انقلب مسرورًا جدًا، وغاصت نقرته في كومة العشب. لكن قلقًا معينًا كان ينهش جبهته كجفن يريد أن يتفتح. رفع عينيه إلى فوق. كان النسر ينظر إليه منحنيًا من فوق خشبة يتشبث بحوافها. واستشاط الراعي غضبًا، ولعن، ولوّح بقبضته في الهواء كأنه ممسوس. وأخذ مقلاعه يئزّ، وعصاه تزمّ، وراح النسر يرتفع محلقًا.

كان الراعي يجمع قطيعه حين يستلقي ظل الجبل على الأرض المحروثة. أما كلبه فكان يقود الحملان عبر الدروب ويسوق النعاج المتخلفة. فوقه كان النسر يطير على مهل وبخطّ مستقيم راصدًا عليه الطريق.

وحشة المكان كلها كانت تمتلئ في نظر الرجل، بالغيظ المنبعث من عين الطائر الناحل الأصهب. وكان الراعي يحسّ كأنما لُبّس عليه في أفكاره. ألم توجد حمائم عشقت رجالاً، وحملان عَلقت نساء؟ لكنّ الراعي والنسر كان يبغض الواحد منها الآخر. «من أيّ مكان ينظر إليّ الآن؟» كان الراعي يسأل نفسه ليلاً. وراح يدسّ أفخاخًا قرب الحظيرة ويضع فيها طعمًا من جيفة، أو شريحة لحم، وحتى من خبز زاده نفسه. كانت توقظه قرقعة عظام، وتصفيق أجنحة، وعواء، إذ كانت تعلق في الأشراك ثعالب وغربان وكلاب وبومات. وكان الراعي يسحقها بنعليه ويديه معًا. لم يكن واحد منها الحيوان البغيض. ولأنها لم تكن كذلك فكان يمقتها ويسحقها.

وذات صباح، طافت ضحكته وصوته منتصرين فوق الوادي. فقد كان النسر يخفق بجناحيه منكوبًا ومروّعًا، والدم يجري من مخالبه العالقة بين أسنان الفخ. استلقى الراعي إلى جانبه، وراح ينتظر تمام طلوع الشمس ليتمتع بالنظر إليه. أراد أن يرى نفسه داخل عينيه الساكنتين المتقدتين كجمرتين مدوّرَتين. وفي تألقهما كانت تكمن برودة وشجاعة وإباء لا يُقهر. تمنّى لو فقأهما ومضغهما كثمرة، كما كان النسر سيفعل لو وجد الراعي ميتًا في سفح الجبل. لكن لو فقأهما لما علم النسر أنه ينظر إليه. وكان ينظر بقسوة. فتح النسر منقاره المرتعش قليلاً، وانثنى جناحاه ككتفين مهيضتين، عليهما رداء من جمال معذّب. جاء الكلب وطاف حوله لاهثًا كيما يرطب حلقه. كان رأس النسر ينتصب منحوتًا على زرقة السماء كجؤجؤ سفينة فوق الأفق. وفي عينيه المتقدتين كان ينعكس الكلب والراعي ودائرة بهيجة من صباح ريفي. «كيف سأقتله؟» كان الراعي يفكر. كيف يقتله كيما يطيل نزعه كثيرًا؟ حينئذ تبادل الراعي والكلب نظرات آثمة. واندفع الكلب مهاجمًا. لم يستطع بلوغ الأسير، ولصق لسانه بالأرض كصقر جريح، وصرّ فكّاه. «أنت لا تجرؤ على أن تهاجمه». قالت له دون صوت ضحكةُ معلّمه العريضة. والحق أنه لم يكن يجرؤ. حول النسر كان الهواء يهدر باندفاع نفسه وريشه المنتصب وحقده المأساوي. وامتلأت عروق جبهة الراعي بالغضب. لأنه هو أيضًا لم يكن يجرؤ على أن يمسك به ويهاجمه. نهض فجأة وتوجه إلى كوخه، وأبقى الكلب ليحرس النسر. لم يكن باستطاعة هذا الأخير أن يهرب. لكن، لم يكن يريد له أن يستريح بأن يجد نفسه وحيدًا للحظة واحدة. ولم يلبث إلا قليلاً حتى عاد جالبًا كمّامة عتيقة.

هرع ناس: فلاح وامرأة عجوز، وسائق دواب، وطفل ذاهب إلى المدرسة الريفية، وسألوه:

ـ أهو النسر الذي كان يتبعك كروحك؟

أراد الطفل أن يعطيه إياه ليلهو به في الصف. والمرأة العجوز طلبت ريشة من قوادمه ومخلبًا لتصنع منها دواء لعلاج النظرة والأمراض، أحاطوا بالنسر جميعًا ووضعوا الكمامة على رأسه، وشدوا الأربطة، ثم رفعوه من الفخ كأنه وزّة. علقت إحدى أصابعه فقطعها الراعي من أصلها، ورمى بها إلى الكلب الذي التقطها بقفزة واحدة ثم أفلتها، وهرب منها كأنها تعطيه إحساسًا بوجود الطائر كله. رفعه الراعي إلى مستوى بصره. داخل الكمامة كان رأس الطائر يمتلئ بتعاسة مرعبة، ونظرته تلتهب على نحو إنساني، حتى إن الراعي أبعده عنه. لأن الكمامة، مادامت قريبة منه هذا القرب، كانت تقلقه وكأنها مغروسة في لحمه ودمه.

أمسكوا به جميعًا متنقلاً من ذراع إلى ذراع، كانوا يجسّون حوصلته وينفخون زغبه ليروا القمل على الجلد العاري. كانوا يضغطون على منقاره حابسين النفس عنه، ويتحسسون خفق جفنيه، وأخذوا ينزعون العاج من مخالبه، حينئذ انتفض الطائر انتفاضة مجنونة، وهدر صفقٌ قاسٍ وصعد نحو الشمس.

وراح الناس يقولون:

ـ سيموت ككلب في السماء وفي القمم.

ـ سيموت متعفنًا كما يموت إنسان، وسيكون سعيدًا.

كانوا ينظرون إليه ضاحكين، وراح النسر يخترق زرقة السماء مجيدًا وحرًا وحاملاً كمّامة كلب.

معجم التراث ـ السلاح

هذا الكتاب معجم تراثي ضم بين جنباته جانبًا مهمًا من تراث الأمة، وهو السلاح الذي تدافع بها عن نفسها أمام الأعداء.

وقد ذكر المؤلف سعد بن عبدالله الجنيدل في المقدمة أن التراث يشتمل على جانبين: عقلي معنوي يتمثل في الشعر الشعبي، والمثل الشعبي والأساطير الشعبية والأغاني والألغاز، وجانب مادي متحفي يتمثل في كل ما استعمله الآباء والأجداد، وخلّفوه من أدوات مثل: أدوات الزراعة، وأدوات إعداد القهوة، والأواني المنزلية، والحلي، والسلاح وغيرها.. وذكرأن العلاقة بين الجانبين وثيقة لأن الجانب المادي ثمرة تفكير ومجهود عقلي اهتدى الإنسان بواسطته إلى إنتاج ما يحتاج إليه في حياته مستغلاً كل ما تجود به الطبيعة من خامات. وتحدث عن معنى تعبير تراث لغويًا. وضمن هذا الكتاب كثيرًا من نصوص الأدب الشعبي.

وذكر أن هذه الأسلحة ظلت مستعملة في الجزيرة العربية إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكانت هي سلاح الجيوش التي كان الملك عبدالعزيز يقودها في جهاده لتوحيد المملكة وتوطيد الأمن والاستقرار في ربوعها، وتحدث عن الخامات التي كانت تصنع منها هذه الأسلحة.

وهذا المعجم التراثي مرتب حسب التسلسل الهجائي بدءًا من الألف وانتهاء بالياء. وزوده صاحبه بصور لكل نوع من أنواع هذه الأسلحة.

وقد كتب اسم كل نوع من أنواع هذه الأسلحة مضبوطًا بالشكل حسب ما ورد في الأدب الشعبي والسماع، ويكتب جمعه كذلك. ويذكر بعد ذلك نصوص الأدب الشعبي التي تتحدث عن هذا السلاح. وقد يذكر أحيانًا اسم السلاح باللغة الفصيحة وصفًا واستعمالاً ومادة، ويوثق كلامه من المعجمات اللغوية العربية، والأدب العربي القديم، ولا سيما ما ورد من الشعر العربي القديم، والطرائف الأدبية الجميلة.

ويوثق كذلك اسم السلاح غير العربي من المعجمات الفارسية والتركية، وسيلاحظ القارئ أن معظم هذه الأسماء عربية فصيحة.

وقد قدم للكتاب الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الخويطر.

يقع الكتاب في ٢٦٦ ص من القطع المتوسط وصدر بطبعته الأولى عن دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

في علم النفس البيئي

دراسة تدعو إلى ضرورة تنمية السلوك الفعلي والعادات العملية الواقعية المرتبطة بالمحافظة على البيئة وتحسينها، والمحافظة على الصحة العامة، ونشر الثقافة البيئية أو التربية البيئية. ويؤكد المؤلف د. عبدالرحمن محمد عيسوي، أستاذ علم النفس بجامعة الإسكندرية، أهمية تنمية الضمير البيئي، وإيجاد الشعور بالاهتمام بين الفرد وبيئته، وتكوين العادات الإيجابية تجاه البيئة بحيث يقوم كل فرد بواجبه حيالها.

ويقول المؤلف: إن مما ألح عليه لإعداد هذا الكتاب، تفاقم المشكلات البيئية من جراء اعتداء الإنسان على البيئة بصورة أصبحت تهدد الإنسان نفسه، وحياته على كوكب الأرض. ويؤكد المؤلف أنه ليس يدعو إلى الحفاظ على البيئة نظيفة فقط، بل إلى تحسينها وتجميلها، وأن ذلك لا يكون بغير تكثيف الاهتمام بقضية البيئة وحمايتها، وحماية الأفراد من أخطار التلوث، وذلك بأساليب تشريعية، وإمكانات مالية، وإقامة مشروعات لحماية البيئة، واستثمارها بطرائق مثلى.

يشتمل الكتاب على خمسة فصول: عرض المؤلف في الفصل الأول تعريفًا بالمصطلحات، وفي الفصل الثاني عرّف بعلم النفس البيئي ومناهجه، وفي الفصل الثالث ناقش قضية تنمية السلوك الإيجابي حيال البيئة. وفي الفصل الرابع تناول «سيكولوجية البيئة وآثارها النفسية والصحية، وعرض في الفصل الخامس دراسة ميدانية حول الأمية البيئية بين الشباب.

وذيل الكتاب بقاموس لمصطلحات علم النفس البيئي، وقائمة بالمراجع العربية والأجنبية.

الكتاب يقع في ٢٥٨ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن منشأة المعارف بالإسكندرية.

الدكتورة نورة خالد السعد.. إنجاز وتكريم

من سنن الجمعية الفيصلية الخيرية النسوية بجدة ومنهجها تكريم الرائدات السعوديات تقديرًا للكفاءات المتميزة في المجتمع السعودي، والمشاركات في أعمال الجمعية الفيصلية. وبمناسبة حصول الدكتورة نورة السعد ـ واحدة من مؤسسات الجمعية الفيصلية ـ على شهادة الدكتوراه في بحثها عن المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي بعنوان «التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي: دراسة في بناء النظرية الاجتماعية»، فقد قامت الجمعية الفيصلية الخيرية في جدة بتكريمها وفاءً وتقديرًا لجهودها وعرفانًا بجميلها وتهنئتها على الإنجاز العلمي الذي حققته. وقد شارك في هذا التكريم الأكاديميون والمثقفون من الرجال والنساء وعضوات الجمعية الفيصلية وصديقات الدكتورة نورة وطالباتها في الجامعة.

وقام بإعداد هذا الكتاب وجمع مادته لجنة العلاقات العامة والتبرعات في الجمعية. وقد تناولت مقالات الكتاب سيرة الدكتورة نورة منذ كانت طالبة، وعندما أصبحت كاتبة صحفية، وأستاذة في الجامعة، ومؤلفة لعدد من الكتب التربوية والاجتماعية، ومشاركة في إعداد البرامج الإذاعية الثقافية.

وقد صدر الكتاب في ٢١١ صفحة عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م بطبعته الأولى مع ملحقات عن صور لمقالات الدكتورة نورة في الصحافة.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

مُسابقة مَجلّة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150 ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥٩

ج١: بكة من أسماء مكة المكرمة على المشهور، قيل: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة؛ بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها. وقيل: لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون. قال قتادة: إن الله بكَّ بها الناس جميعًا، فيصلي النساء أمام الرجال، ولا يُفعل ذلك ببلد غيرها. وقال شعبة عن إبراهيم: بكة البيت والمسجد، وقال عكرمة: البيت وما حوله بكة، وما وراء ذلك مكة. وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة منها: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، وأم القرى، والقادس لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، والحاطمة، والرأس، والبلدة، والبنية، والكعبة.

ج٢: هي قاعدة دوبلر المنسوبة إلى الفيزيقي الرياضي النمساوي كريستيان يوهان دوبلر (١٨٠٣-١٨٥٣م)، ومؤداها: أنه كلما تغيرت المسافة بين مصدر الموجات متحركة والراصد سواء بالزيادة أو بالنقصان فإن تردد الموجات الواصلة إلى الراصد في أثناء حدوث التغير تنقص أو تزيد تبعًا لذلك. وهذا التأثير في التردد الظاهري يسمى: تأثير دوبلر، وهو واضح في حالة الموجات الصوتية. وفي الضوء يسبب زحزحة اللون إلى ناحية الطرف البنفسجي من الطيف، وهذا له أهمية قصوى في علم الفلك لدراسة حركات الأجرام السماوية في الفضاء.

نتائج مسابقة العدد ٢٥٩

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، بدر عبدالرحمن عبدالعزيز الصائغ، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، جلال الدين محمود محمد، البقعة، الأردن.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، علا حيدر الأنباري، بغداد، العراق.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- محمد صالح النصر، حلب، سورية.
٢- سمية علي محمد حسين، صنعاء، اليمن.
٣- دليلة بن عثمان، صفاقس، تونس.
٤- ماجدة محمد أحمد البلة، الخرطوم، السودان.
٥- نور الدين تاير، ميلة، الجزائر.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- باقر محمد فهد العلي، الأحساء، المملكة العربية السعودية.
٢- سناء أديب الخياط، عمَّان، الأردن.
٣- رشيد حسين ناجمي، أغادير، المغرب.
٤- أحمد عبدالله قباني، دمشق، سورية.
٥- سعد بن عبيد محمد إبراهيم مبارك، الشارقة، الإمارات العربية.
٦- محمود يوسف محمد، السويس، مصر.
٧- تركي علي عويد العنزي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٨- سيدي عمر قبسة، بورتسودان، السودان.
٩- بوكيلي مولاي أحمد، الرشيدية، المغرب.
١٠- فائق محمد سامي الطبّاع، دمشق، سورية.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- خيري محمود أحمد عثمان، سوهاج، مصر.
٢- قايد أحمد عبدالله العليمي، صنعاء، اليمن.
٣- آمنة بنت الحبيب الناجح التيح، تطاوين، تونس.
٤- برهم أحمد يوسف برهم، الزرقاء، الأردن.
٥- رشا أحمد زكريا، الدوحة، قطر.

أسئلة مسابقة العدد ٢٦٢

(سؤالان فقط)

س١: أوجب الإسلام الثبات عند لقاء العدو، وحرَّم الفرار. اذكر آيتين من كتاب الله تعالى في ذلك.

س٢: «الرابطة القلمية»: جمعية أدبية تأسست في المهجر. متى كان ذلك؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٦٢
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

ليس هذا بعُشك فادْرُجي

ـ أي خذ مكانك الذي أُعدَّ لك تُحمدْ فيه وتَسترحْ.

فقد يصنع الطائر عشه على قده، ويبنيه له لا لغيره، فلو أن اليمامة أرادت أن تسكن عش العصفور لضاق بها ولو أن العصفور أراد أن يسكن عش اليمامة لوجده واسعا لا يصلح له.

ولو أن رجلاً وضع نفسه في بيئة غير بيئته، لوجد نفسه غريبًا في تلك البيئة، وأحس بأنه متعب في غير موضعه، وكان مثله كمثل الطائر الذي يسكن عش غيره، فسيجد نفسه قلقًا فيه، وسيضطر إلى تركه ليستريح وحينذاك يقال: «ليس هذا بعشك فادرجي».

لا خير ولا شر

قيل لحكيم يومًا: مَنْ الذي يسلم من معاداة الناس؟

فقال: مَنْ لم يظهر منه لا خير ولا شر!

فقيل له: وكيف ذلك؟

فقال: لأنه إن ظهر منه خير عاداه الأشرار، وإن ظهر منه شر عاداه الأخيار!!

خير الناس

قيل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يومًا: من هو خير الناس؟

فقال: ليس خير الناس من عمل للآخرة وترك الدنيا، أو عمل للدنيا وترك الآخرة؛ لكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه.. إنما الحرج ـ كل الحرج ـ في الرغبة في تَجَاوُزِ قدرِ الحاجة والزيادة على حد الكفاية.

عمامة القاضي

اشتهر الإمام محمد عبده أثناء توليه القضاء بأنه إذا أراد الحكم على متهم بالبراءة أزاح عمامته للخلف، وإذا أراد الحكم بالسجن دفع العمامة إلى الأمام. وذات يوم تهيأ الإمام لإصدار حكم على متهم، ومد يده نحو العمامة، فصاح المتهم قائلاً: سايق عليك النبي ماتعوجهاش لقدام!

إلا الأحمق

قال السيد المسيح عليه السلام: عالجت الأبرص والأكمه فأبرأتهما بأمر الله. وعالجت الأحمق فأعياني!

وقال: مثل الأحمق كالثوب الخلق؟ إذا عالجته من جانب تخرّق من جوانب.

وقال الشاعر:

لكل داء دواءٌ يُستَطَبُّ به
إلا الحماقَةَ أعيتْ من يداويها

العبد ينسى

قيل للإمام الشافعي رضي الله عنه: ما الدليل على وحدانية الله؟

فقال: ورقة التوت تأكلها الدودة فتخرجها حريرًا، ويأكلها الغزال فيخرجها مسكًا، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً، وتأكلها الشاة فتخرجها لبنًا، فمن الذي نوّع الأشياء والأصل واحد...

الحسن والجمال

قال الإمام الغزالي يرحمه الله: لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسنات الله، وأثر من آيات كرمه.. وكل حسن وجمال تدركه العقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس ليس إلا ذرة من خزائن قدراته ولمعة من أنوار حضرته، وإن الذي لا يحركه الربيع وأزهاره، والكون وأجرامه، إنما هو فاسد المزاج، وليس له من علاج!

أي شيء

هذه الجملة قالها لقمان لابنه يومًا.. قال: أيْ بنيّ.. أيُّ شيء أقل؟ وأيّ شيء أكثر؟ وأي شيء أحلى؟ وأي شيء أبرد؟ وأي شيء أوحش؟ وأي شيء أقرب؟ وأي شيء أبعد؟

ثم أردف: أيْ بني: أما أقلُّ شيء فاليقين، وأكثر شيء الشك، وأما أي شيء أحلى فروح الله بين العباد يتحابون بها، وأما أي شيء أبرد فعفو الله عن عباده وعفو الناس بعضهم عن بعض، وأي شيء أوحش.. فجسد إذا مات، وأي شيء أقرب فالآخرة من الدنيا، وأي شيء أبعد فالدنيا من الآخرة.

أول ملوك الأرض

يروى أن نمرود بن حام بن نوح كان أول ملك على الأرض بعد الطوفان، فَعَمَر بابل وهو أبو الكلدانيين، وكان «متسن» حفيد مصرايم بن حام بن نوح هو أول ملك في أرض مصر وهو الذي بنى مدينة «منف» العاصمة القديمة.

هل تعلم؟

أن أحجار الهرم الأكبر يبلغ حجمها ٢.٦٤٠.٠٠٠ متر مكعب؟ وأن عدد أحجار الهرم الأكبر هو مليون و ٣٠٠ ألف حجر!! وأن متوسط وزن الحجر الواحد يبلغ طنين و ٧٥٪ من الطن!

علاقة مهمة

أكدت دراسة أمريكية ضرورة وجود روابط وجدانية بين الأم والطفل لحمايته من التعرض للاضطرابات العصبية والأزمات النفسية. وذكر باحثون أن هذه العلاقة، وبخاصة في العام الأول، تقلل مستوى إفراز الهرمون المسؤول عن مشاعر القلق والتوتر في دم الطفل، وأشاروا إلى أن إفراز الهرمون يؤثر في نمو الطفل وتطور المخ الطبيعي وكفاءة النظام المناعي.

مسؤولية

ذكر ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» هذه القصة قال: كان الشاعر العَرْجي من أصحاب القلوب الطيبة والإحساس الرقيق، وعاصر زمنًا أصابت الناس فيه مجاعة فقال للتجار: أعطوا الناس وإني أتحمل ما تعطون. فلم يزل التجار يعطون الناس ويعطي العرجي التجار حتى انكشفت المجاعة وعم الرخاء بين الناس.

وبلغ ماد فعه العرجي عشرين ألف دينار..

وبلغ الخبر أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز فقال:ـ

بيت المال أحق بهذا فهي مسؤوليتي ومسؤولية بيت المال. ودفع عمر ذلك المبلغ للتجار من بيت المال.

من صفات النساء عند العرب

الوَضيئة: إذا كانت جميلة ونظيفة.

غانيَة: إذا استغنت بجمالها عن الزينة.

وسيمة: إذا كان حسنها ثابتًا كأنها وسمت به.

استراحة العدد

قَسيمة: إذا قسم لها حظ وافر من الحسن.
رُعْبوبة: إذا كانت بيضاء اللون رطبة.
زهراء: المرأة التي يضرب بياضها إلى صفرة كلون القمر والبدر.
هجَان: إذا كانت حسنة البياض وكريمة.
زَجّاء: رقيقة الحاجبين حتى كأنهما خطا بقلم.
الدَعْجاء: التي تكون عيناها شديدتي السواد مع سعة المقلة.
الشَّنْباء: الرقيقة الأسنان المستوية والحسنة.

مجالسة الكتب

يروى أن ابن المبارك ـ يرحمه الله تعالى ـ لم يكن يجالس أحداً إلا كُتُبَهُ فقيل له يومًا: يا بن المبارك ألا تشعر بالوحشة إذا لم تجالس الناس؟!

فقال: كيف استوحش وأنا أجالس الله تعالى والملائكة والأنبياء والعلماء والخلفاء والأولياء والشهداء؟ أفترون أن أدع مجالسة هؤلاء وأجالسكم؟!

دنيا الأصدقاء

قال أبو حامد الغزالي يرحمه الله: والله إن عداوة العاقل لأحب إليَّ من صداقة الجاهل، لأن الصديق الجاهل يدل عليك بصداقته ويصليك بنار جهله، والعدو العاقل يتعامل بعداوته، ويهدي إليك فضل عقله ورأيه، ومن نكد صداقة الجاهل أنك لا تستطيع مكاشفته حياء منه، وإيثاراً للرعاية عليه، ومن فضل عداوة العاقل أنك تقدر على مغالبته بكل ما يكون منه إليك.

يا أهل الضوء

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج ذات ليلة ليشاهد أهل المدينة وكان بمفرده فرأى ناراً موقدة من خباء وأطفال يَزِيطُون (يصيحون) فوقف وقال بلباقة ولطف:

ـ يا أهل الضوء!

وكره أن يقول:

يا أهل النار!! وعلم أن الأسرة فقيرة وأن الأولاد الصغار جياع فأحضر إليهم الطعام بنفسه وأمر لهم بصلة تقيهم شر العَوَز.

الناس طبقات

قيل لأحد الحكماء يومًا: كيف تساس الناس مع اختلاف طبقاتهم؟
فقال: الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات:
*** طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان.**
*** وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة.**
*** وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين.**

في العقل والعقلاء

قال بعض الحكماء:

التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في الزيادة، ومما يؤكد هذا قول الشاعر:

ألم تر أنّ العقل زَينٌ لأهله
وأن كمالَ العقلِ طولُ التجاربِ؟

وقال آخر:

مَنْ فاته العقل والفتوة فرأس ماله الجهل. وقال ثالث: صديق لكل امرئ عقله وعدوه جهله.

درس البطاطس!

استوعب «دان كويل» نائب الرئيس الأمريكي السابق الدرس القاسي والحرج الذي أصابه عندما أخطأ في هجاء كلمة «بطاطس» منذ سنوات.. وقد أكد كويل بعد ذلك بوقت طويل في مؤتمر صحفي وبعد خروجه من أحد المستشفيات أنه استوعب الدرس، وأنه على أتم استعداد لهجاء كلمة بطاطس وكذلك الاسم العلمي لمرضه، بعد أن حفظه تمامًا، وتعهد بأنه سيمضي في التعلم طوال ما بقي له من حياة!

ترك الفضول

قيل لرجل حكيم:

أرجو أن تفيدني بثمار ترك الفضول الذي نراه عند بعض الناس.

فقال: ترك فضول الكلام يثمر النطق بالحكمة. وترك فضول النظر يثمر الخشوع والخشية.

وترك فضول الطعام يثمر حلاوة العبادة. وترك الضحك بسبب أو بغير سبب يثمر الهيبة!



حصن المصمك بمدينة الرياض

تباشير

يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

طريق العودة

زكي محمد بن مبارك

إقليم خريبكة ـ المغرب

غادرت الحافلة محطة الرباط الطرقية في تمام الساعة الثانية والنصف زوالاً في اتجاه بني ملال(١) عبر الطريق السيار الرابط بين الرباط والدار البيضاء.

المحطة مزدحمة بحركة الحافلات القادمة من الشمال والمسافرين الحائرين، اللاهثين والمثقلين بالحقائب والأكياس وهدايا عيدالميلاد؛ فبعد ساعات معدودات تحل سنة ميلادية جديدة، حاملة آمالاً وآلامًا جديدة.

وعلى طول الطريق، تظهر الحيرات الهائلة التي خلفتها الأمطار والسيول في الحقول والمزارع. ومن بعيد تبرز البيوت الغارقة؛ بعضها متهدم يعتلي أطرافه الباقية الصبية الصغار، وبعضها الآخر جرفت السيول أمتعته نحو البحر. وبمحاذاة الطريق السيار ينتصب بعض الفتية حاملين أجهزة «الراديو ـ كاسيت» الرخيصة في أيديهم، وهم يلوحون بين الحين والآخر.

وتتابع سيل الركاب، فتكدست بنا الحافلة إلى حد الاختناق، ولم يجد السائق ومساعده حرجًا في صعود المزيد من الركاب، بل بعدما استنفدا المقاعد القانونية فرشا الأرضية بالكراسي الخشبية الصغيرة، وظل عشرات الركاب واقفين، وأخذ بعضهم يدخن السجائر بلا وازع ولا ضمير، فسدّت منافذ الهواء، وتعسرت الحركة، وتأوهت النسوة، وزمجر الرجال، بينما اكتفت طفلة رضيعة بالصراخ والبكاء.

كان جاري الشاب قد أتى على ست صفحات من المجلة الأسبوعية التي اقتناها من المحطة بثلاثة دراهم. كنت متحفظًا جدا في الحوار معه؛ فرأسي يؤلمني وعيناي ناعستان. لم أذق طعم النوم منذ يومين. بادلته حوارًا متقطعًا مختصرًا. فهمت منه أنه يعمل بإحدى مدن الشمال، وأنه لم ير أهله القاطنين بمدينة خريبكة(٢) منذ ما يزيد على عام ونصف العام. وبما أنه كان مستغرقًا في القراءة فقد استند بمرفقه على ركبتي دون أدنى حرج. تأففت قليلاً، وفي الأخير استسلمت، وأسندت رأسي على الكيس البلاستيكي المملوء بالكتب. ظل كوعه منغرسًا في ركبتي حتى أتى على نصف المجلة. عندها رماني بنظرة إشفاق واعتذار، وطلب مني بأدب قلمًا لحل الكلمات المتقاطعة. ناولته القلم وسامحته من الأعماق لما تبين لي أن المرأة الجالسة على الكرسي الخشبي الصغير في الممر الضيق تحمل في ذراعيها طفلة في سن السادسة، وأن قدمي الطفلة مغروستان في جنبه الأيسر من غير أن تظهر عليه علامة انزعاج أو تأفف. قدّرت له هذا النبل الإنساني الكبير، وشرعت أحشر نفسي وألتصق بزجاج النافذة حتى أفسح لجاري النبيل موضعًا يسمح بتمدد جسده.

أحدهم فتح زجاج النافذة فتسربت نسمات باردة تحمل رائحة البحر. تهللت أسارير جاري العزيز، وشعرت أنا الآخر بالنشاط يسري في عروقي، وبالنعاس يذوي في مآقي. عندها تنبهت للحوار الصاخب بين الشاب والشابة الجالسين خلفنا.

كانت الشابة متحدثة فوق العادة؛ ينساب الكلام على شفتيها بطلاقة وخفة. كانت مرحة، خفيفة الظل، ثرثارة بشكل فظيع، تشي نبرات صوتها بدرايتها الواسعة، وتجاربها الكثيرة. كانت تحدث جارها عن عملها في ليبيا، وكيف أنها كانت تنوي أصلاً الهجرة إلى إيطاليا لتلتحق بخطيبها هناك، لكنها تكتشف أنه قد حصل على أوراقه القانونية بالزواج من إيطالية اتخذه أبوها راعيا للخنازير في ضيعته.. وتصمت للحظات ثم تتابع حكايتها عن ليبيا، عن عملها في أحد معامل الملبوسات، عن الحصار، عن الغربة، وعن معاملة الأشقاء الليبيين الطيبة لإخوانهم المهاجرين المغاربة.. وراحت تسرد عشرات الأجهزة التي اشترتها هناك من أجل عائلتها بمدينة الفقيه بن صالح (٢)... وأخذت تنتقل من موضوع إلى آخر بينما جارها

يؤمن على قولها في سلبية من لا يملك حيلة ولا ردا لقضاء.

كـان الممر الضيق محتـلا بالكراسي الخشبيـة الصغيـرة والركاب، وكانت الحركـة فيه مستحيلة، حتى إنه تعـذر لمساعدة السائق المرور لتحـصيل ثمن التذاكر دون تسلق المقـاعد وتخطي رؤوس الركاب. وحدث أن لمست قدمه المرأة الجالسة في الممر الضيق على يسـار جاري العـزيز، فثـارت ثائرتها، وأخـذت تتوعد السائق، ومساعـده، والركاب أجمعين بلسان سليط وجـرأة لا حـدود لهـا. هبّ الكل يسـتطلع الخبر، فـكثر اللغط وعلت الجلبة والصياح، وتنبهت من غفـلتي كسائر الـركاب، والحافلة مـا تزال تطوي الطريق المنبـسطة أمـام أعيننا. لم تكـن المرأة الثـائرة تحـمل طفلة ـ كمـا كنت أعـتقـد ـ بل طفلاً ذكـرًا، حالته الصحية سيئة للغاية وتنبئ بموت وشيك.

كان الزبـد يتدافع من فـمه، وجسـمه ينتـفض، وعـيناه تكـتسيـان بياضًـا مـخيـفًـا. تبادل عـدد من الركـاب النظرات فيـما بينهم، ولاح على وجـوههم التـأثر لحال الـطفل المسكين وأمه الـثائرة، وأخـرجت الشابة العـاملة بليبيا من حـقيبة يدها علبـة شيكولاته قدمـتهـا للطفل المنتـفض، وما إن تذوقـها حتـى هدأ روعه، وسكنت فـرائصه. عندها قـامت سيدة واقـفة خلفنا تشكر للشابة كـرمها، وتشرح الموقف بـلهجة حزيـنة. كان الطفل المصـروع طفلها الوحـيد، بينـما المرأة الثائرة هي أختها الشقـيقة. كانتا تقـصدان بني مـلال حيث تقـطن العائلة. وراحت تحـدث العـاملة المهاجرة بصوت عال قائلة:

ـ قـالوا لنا في السـويـسي(٤) «الصـرع ليس له علاج»... وأنا بـصراحة قـررت أن أكف عنه الدواء لكي يموت ويسـتريح... ولدي يتعـذب وأنا أرهقت بمصاريف العلاج والدواء بلا فائدة... زوجي مهاجر بفرنسا، ومستاء جدًا، ويعدّ طفلنا شؤمًا على حياتنا.

تعـاطف الكل معـهـا، ودعـوا الله أن يعـوضهـا خيـرًا، وأن يجـعل صبرها أجـرًا ومـغفـرة للذنوب. تأثرت أنا الآخـر ولو أني لـم أفـهم كـيف تطاوعـهـا نفسها أن تكف عن ابنها الدواء.

راحت الحافلة تقطع الأميال تلو الأميال. الطريق السيار هو الآخر تكونت وسطه البحيرات والجداول، فكشف عن إهمـال سافـر. واضطر السـائق مـرات عـديدة للتـوقف كي يتـفقـد مـرشح المحـرك الزيتي، ويجـري الإصـلاحـات الميكانيكيـة. لاحظ جـاري العزيز شرودي فهتف قائلاً:

ـ البنيات التحتية فاسدة.

فأجبت:

ـ نعم، وينقصنا الوعي. انظر لعدد الركاب إنهم سبعون نفساً أو أكثر.

ـ ما هي وجهتك؟

ـ آه! أنا.. وادي زم(٥).

رمق الكيس البلاسـتيكي الأبيض بنظرة جانبـية وقال:

ـ أكل هذه كتب؟ واضح أنك تهوى المطالعة.

ـ أوه! نعم. نعم. هذه الأعـمـال الـكاملة لأمين نخلة، ومـذكرات عـبـدالله عنان، وروايات جمـال الغيطاني وغالب هلسا.

ارتسـمت على محـيـا جاري العـزيز ابتـسامـة مشرقة أدخلت في نفسي شعوراً بالرضا والارتياح.

كنا قد غـادرنا الدار البيـضاء في اتجـاه خريبكة عندما هبّ الجميع على صـراخ إحدى السيدات في مـوخرة الحـافلة. كانت تصـرخ بغضب واسـتنكار، وتستـعطف الركاب أن يفسـحا لابنتيـها الصغـيرتين اللتين كادتا أن تختنقا بسبب الزحام.

خيـم على الركـاب صـمت رهيب. كـانت الوجوه كـئيبـة كالحة، والسـماء غائمـة، مؤذنة بمطر غزير. بدأت تمطر. اسْتسلم أغلب الركـاب للنعاس، ورحت أحدق في الأفق البـعيد. بينمـا الحافلة تطوي الهـضاب والـتلال والمسـافـات. شعـرت بخـدر وأنا أحـــاول لمس قطرات المـطر على زجـــاج النافــذة، وغفوْت...

تنبـهت على يدي شـخص كان يـربّت كتـفي. كان جـاري العزيز يحاول توديعي. نزلنا مـعًا. شكرته وودعته.

كـان المطر قـد توقف ونسـمـات المسـاء البـاردة تداعب وجهي الـدافئ. تلمست الطريق نحـو محطة وقـوف سيـارات الأجرة. ومـا إن تحسـست جسـمي داخل السـيارة حـتى عرفت أني في طريق العـودة إلى أهلي.

تذكـرت أم الطفـل المصروع وكلماتهـا القاسـية. حـاولت أن أدينها في أعـمـاقي، لكني التـمست لهـا العـذر، ورجوت الله أن يرحـمهـا ويرحـمه ويرحـمنا جميعًا.

الهوامش

١ـ بني مـلال: مدينـة مغربيـة، تبعد عن الدار البيضـاء إلى الجنوب حـوالي ٢٣٧كم.

٢ ـ خريبكة: أو عاصمة الفوسفاط كما يطلق عليها. تبعد عن الدار البيضاء حوالي ١٢٥كم.

٣ ـ الفقيه بن صـالح: بلدية تابعة لإقليم بني مـلال. تبعد عن الدار البيـضاء حوالي ٢٠٧كم.

٤ ـ السويسي: مستشفى ابن سينا الجامعي. يطلق عليها «السويسي» اختصاراً لوجوده بحي السويسي بالرباط.

٥ ـ وادي زم: بلدية تابعة لإقليم خريبكة. تبعد عن الدار البيـضاء حوالي ١٥٧كم وعن الرباط حوالي ١٧٥كم.

التعليق:

القصة جيدة عمومًا، وكـان يمكن أن تكون أكثر اختـصارًا ومتانة لو أن الكاتب اخـتصر في الجانب الوصـفي الذي يُعَدّ من أكـثر العوامل إضـعافًا لـلبناء القصـصي الذي ينـبغي أن يكون متماسكًا في القصة القصيرة خصوصًا.

إنّ تداخل الحالات الإنسانية في قصة الأخ زكي يتطلب قدرة سردية يبدو أنه في الطريق إلى امتلاكها.

لغة القصة مـناسبة وسليمة عدا بعض المواضع التي أجـد أنها بحاجة إلى تدقيق وتصحيح فقوله: «ثرثارة بشكل فظيع» إقـحام لكلمـة «شكل» التي صـرنا نسـتخدمـها وهي فـائض لغـوي لا وظيفـة له. ثم إن الأخ زكي يضع همزات القطع في غـير أماكنهـا «فالاختناق والاعـتذار واتجاه وانزعـاج وارتياح» همزاتهـا همزات وصل وليس همزات قطع كـما جـاء في نص الأخ زكي. والفعل «تعذّر» يـتعدّى بحـرف الجر «على» وليس باللام كـما نص الأخ زكي «تعذر لمساعد السـائق...» إنّ هذه القصة «دردشة» داخلية نقلها لنا القاص بتفـاصيلها التي كانت في بعض الأحيان تقف عائقًا أمام إنشاء بناء سردي متماسك.

إن كاتب القصة القـصيرة يختار من التفاصـيل أكثرها دلالة وتمثيلاً للحالة التي يودّ نقلهـا شأنه شأن مرسل الرسالة البرقية التي تحتوي أهم التفاصيل. وإن نهاية القصة لا تتفق وكل التوترات التي ضمنها الأخ زكي قصته، بل هي نهاية باردة ليست إلا عودة إلى ذلك الحوار الداخلي السلبي الذي يكاد يسيطر على القصة.

أرجو من الأخ زكي أن يكثر من قـراءة قصص الكتّاب الكبار وأن يعنى بلغـته حتى يصل إلى ما يبتـغيه، مع تمنياتي بالتوفيق.

د. محمد خير البقاعي

ردود خاصة

الأخ غسان حميدش ـ ٢٠ شارع محمود بوفريد الفرارم ثوقة ـ ولاية مسيلة ـ الجزائر ـ الرمز البريدي ٤٣١٠٠:

سررنا لمضمون رسالتكم التي تحمل بين طياتها التقدير الكبير للجهود المبذولة في مجلة الفيصل.

ويمكنكم الاشتراك بمجلة الفيصل وذلك بإرسال شيك بريدي بالمبلغ الموضح في الصفحة الثالثة من المجلة على عنوان المجلة المثبت على الصفحة الأولى منها. وسترسل إليكم إن شاء الله بشكل منتظم على عنوانكم، وسوف تصل إليك الملاحق التي صدرت عن حياة الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ لعلك تجد فيها ما يحقق طلبك في معرفة جوانب هذه الشخصية الإسلامية العظيمة.

الأخ خنوس يعقوب بن محمد ـ ص.ب ٥٨٤ ـ المسيلة ٢٨٠٠٠ ـ الجزائر:

نشكر لكم أحاسيسكم القلبية الصادقة ومشاعركم الرقيقة نحو مجلة الفيصل، ونود إعلامكم أننا أشرنا في أعداد سابقة أن المجلة تقبل المقال المكتوب بخط اليد أو المنسوخ على الآلة الطابعة. ولا تقبل صور المقالات. وإن كانت المنسوخة على الآلة الطابعة أفضل للقراءة.

الأخ علي مصطفى خضير العلي ـ العراق ـ البصرة ـ ص.ب ١٩٤٣ البريد المركزي:

نعتذر عن تلبية طلبك، لأن التعارف بين هواة المراسلة ونشر أسمائهم ليس من اهتمامات المجلة واقرأ ذلك في زاوية «إيضاحات» ص١٣١ من مجلة الفيصل. وشكرًا لكم.

الأخ زرماني أحمد ـ طريق الدار البيضاء رقم ٣١ ـ سيدي موسى محافظة الجزائر الكبرى (الجزائر):

نشكر لكم مشاعركم الطيبة تجاه مجلة الفيصل، ونعلمكم بأنه يمكنكم الاشتراك بالمجلة، وذلك بإرسال شيك بريدي بالمبلغ الموضح في الصفحة الثالثة من المجلة على عنوان المجلة المكتوب على صفحتها الأولى.

وسترسل إليكم ـ إن شاء الله ـ بشكل منتظم على عنوانكم.

الأخ بوشال علي ـ مجموعة مدارس سيدي عبدالمالك ص.ب ٧٠ ـ الريش ـ الرشيدية المغرب:

نشكر لكم مشاعركم الرقيقة نحو المجلة، وستصلكم أعداد المجلة إن شاء الله على عنوانكم الصحيح.

الأخوين حسن علي محمد حسين ـ اليمن ـ صنعاء حدب ٢٠١٠٤ ـ بريد باب اليمن، مسفر محمد مسفر آل ملغي القحطاني ـ ظهران ـ الجنوب، بريد بلدة الطلحة ـ أبها:

سوف تصل إليكما الأعداد المطلوبة في رسالتيكما، ونشكر لكما إطراءكما وحرصكما على اقتناء مجلتكم الفيصل التي نحرص أن تكون عند حسن ظن قرائها بها.

يحيى حميد الفحام ـ العراق ـ بغداد ـ البياع ـ ص.ب ١٦٢٤٤:

شكرًا لرسالتك الرقيقة، ومشاعرك الصادقة تجاه مجلة الفيصل والعاملين بها.

الأخت آمال عبدالماجد محمد الحسين ـ الخرطوم ـ جامعة الخرطوم ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية ـ ص.ب ٣٢١:

شكرًا لرسالتك الرزينة، وثقتك في مجلتك «الفيصل» وسوف تجدين طلبك منشورًا في زاوية بين القارئ والقارئ لعل هناك من يستطيع إجابته.

أما فيما يختص بإصدار دار الفيصل، فسوف يصل إليك قريبًا إن شاء الله.

الأخت براهيني حسنية ـ الجزائر ـ وهران ـ العنصر ٣١٣٣٠ ـ ١٨ شارع بفوف حجازي:

نعتذر عن تلبية طلبك لأن هذه الأمور ليست من اختصاصات مجلة الفيصل، وهناك جهات عديدة تختص بمثل هذه الأمور، يمكنك التوجه إليها بطلبك هذا، آملين أن تنالي ما تبتغين، والدعاء لك بالتوفيق.

الأخ زيانية أحمد ـ الجزائر ـ ولاية تيارت ـ السوفر ـ ١٤٢٠٠ ـ ص.ب ٢٦٧:

أحيل طلبك إلى القسم المختص، وسوف تصل إليك الأعداد التي تنقصك من مجلة الفيصل.

شاكرين لك هذا الحرص على اقتناء الفيصل، أما فيما يخص الكتب التي طلبتها، فهي منشورة في زاوية «بين القارئ والقارئ»، آملين أن تجد من القراء من يستطيع إجابة طلباتك.

الأخت عادلة طالبي ـ سورية ـ دمشق ـ وزارة الثقافة ـ مركز الباسل:

ترحب مجلة الفيصل بمقالات جميع الكتّاب في مختلف الأقطار العربية. والمجلة تهتم بنشر كل ما يخص الآثار في البلاد العربية، بوصفها سجلاً لتاريخ الأمة. فمرحبًا بك بين كتاب الفيصل.

بين القارئ والقارئ

أرغب بتزويدي بالكتب التالية نظراً لحاجتي الماسة إليها لإنجاز رسالتي العلمية:

- راحة الصدور وآية السرور للراوندي.
- العراضة في الحكاية السلجوقية لابن النظام الحسيني.
- ظهير الدين: سلجوق نامة.
- السلاجقة في التاريخ والحضارة لأحمد كمال الدين علمي.
- السلاجقة تاريخهم وحضارتهم لتامارا تالبوت راسي.
- الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري لفاضل الخالدي.
- الأحوال السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول لمحمد محمود إدريس.

كما أود من القرّاء الكرام تزويدي بأي كتاب أو مطبوع أوموضوع يخص موضوع السلاجقة ووزيرهم نظام الملك، وإعلامي بعناوينها.

أرلشهب توهاسي

٥٤ نهج احميدي بن قليس
الجزائر - قسنطينة - السيد مبروك ٢٥٠٠٣.

أود الحصول على مجلات تصدر في السعودية وإن كانت قديمة، مقابل أخرى تصدر في الجزائر، كما أرغب في الحصول على الكتب التالية:

- كتاب «ليست من الإسلام» للمؤلف محمود مهدي إستانبولي.
- كتاب «سر النجاح».
- المختار من شواهد الأشعار.
- «اللآلئ الحسان» للشيخ محمد بن عبدالعزيز المسند.

زيايتة أحمد
الجزائر - تيارت - السوقر - ١٤٢٠٠ - ص.ب رقم ٣٦٧.

آمل الحصول على كتاب «فقه اللغة وسر العربية للثعالبي»، لأنني أخفقت في العثور عليه في بلدي.

آمال عبدالماجد محمد الحسين
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الخرطوم
ص.ب ٣٢١ الخرطوم - السودان.

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ سمير حسنين - الرياض

- عنوان دار الشواف للنشر والتوزيع:
شارع الأمير سلطان بن عبدالعزيز (الثلاثين) العليا - الرياض ص.ب ٤٣٣٠٧ الرياض ١١٥٦١. هاتف ٤٦٢٢٦٣٠ - ٤٦٢٢٦٦٧.

الأخ جمال محمد علي - حدائق شبرا - القاهرة - مصر:

دار المختار الإسلامي للطباعة والنشر
ص.ب ١٧٠٧ - القاهرة.

الأخ صالح عامر صالح - جدة:

«الإسلام اليوم» مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) كل ستة شهور بالعربية والإنجليزية والفرنسية.

وعنوانها:
١٦ مكرر، شارع عمر بن الخطاب - ص.ب ٧٥٥. أكوال - الرباط - المغرب. هاتف ٧٢٤٣٣.

الأخ جميل الأحمد - الكويت:

«دعوة الحق» كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، ويمكنك مراسلتها على العنوان التالي:
ص.ب ٩٣٨
هاتف ٥٤٤٧٩٠٥ مكة المكرمة.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

مناقشات وتعليقات

وجهة نظر



ذكر أحد الإخوان بعد قراءته لما كتبته في العـدد ٢٣١ من «الفـيـصـل» في هذا الباب أنني منجازٌ إلى دعوى تحرير المرأة، وفتح أبواب المجتمع لعطاءاتها ـ مع اختلاف توجّهاتها .. يعلمُ الله أنني لم أقصد ذلك أبدًا فأنا من أشدّ المعارضين لخروج المرأة سافرة، وتوليّها مناصب قيادية متباينة في المجتمع!!

كنت أقصد في المقال السابق الصحافة النسائية «الملتزمة» وضع تحت كلمة «ملتزمة» خطين! فهذه الكلمة هي التي تُحدِّد الصحافة التي هدفها فقط نشر الفضائل الإسلامية والذود عن قيمه السامية ومُثُله العُليا. والصحف النسائية التي لا تتخبط في الحفر المملوءة بوحل الشهوة والخنا والفساد، الصحف النسائية التي لا تنمّق ظاهرها بصورة الفتاة الضاحكة على غلافها. الصحف النسائية التي لا تحمل على صفحاتها دعاوى فكِّ المرأة من أسرها ـ الذي هو في نظرها تعاليم الدين الإسلامي السمحة.

فلتنهدم كل صروح الصحافة النسائية وغير النسائية إذا كانت تسير بوحي شيطانيٍ، وتركض في ميدان التبعيّة الماحقة، ولا يهمها إلا سفاسف الأمور وجمع التُرهات وتزيينها للمتلقي الذي سيلاحقها مبهورًا بحلّتها الكذّابة إذا كان منسلخ العقل مأسوره.

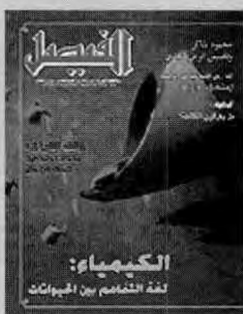
وأنا أبرئُ نفسي من ذلك أمامكم، وأقول: فلتنعقد كل الألسنة الداعية إلى طلب العدل والمساواة بين الرجل القوّام والمرأة، ولتنكسر كل الأجنحة المزيفة التي تطير بأدمغة بعض المسلمين إلى غابات التغرّب الداجية، وتسافر بأفكارهم نحو الانحطاط.

محمد أحمد عبدالله الزهراني

ثانوية بلخزمر ـ المندف

المملكة العربية السعودية

الفرانكفونية هل أصبحت خطرًا على أهلها؟



عنوان كبير لموضوع شائك حاول من خلاله الأستاذ أحمد عبدالسلام البقالي معالجة مشكلة خطيرة هي «الفرانكفونية» في عدد الفيصل رقم ٢٥٧.

ولقد اندهشت لمّا انتهيت من قراءة المقال المذكور بعد تدقيق وتروٍ بعيدًا من الأحكام الجاهزة.

وتوصلت إلى نتيجة محزنة قد يشاطرني فيها الكاتب نفسه، والإخوة القراء أو العكس.

وهي أن الكاتب الفاضل يهاجم الفرنسية كلغة استعمار ويشهّر مجّانًا باللغة الإنجليزية من دون مسوّغات أو تفصيلات قد تقنع القراء والمهتمين. ومما زاد من حيرتي وحزن قلبي تهجّمه على أهل المغرب العربي، ووصف سكانهم الذين يزيدون عن ٩٠ مليون عربي مسلم بصفات وشبهات لاتليق بهذه الأمة الطّيبة. إذ يقول: «وقد بلغت الوقاحة بالفرنسيين أن جامعة مغربية ارتأت استقدام إنجليز ليكون تعليم اللغة الإنجليزية بألسنة أهلها، وبدون لكنة أجنبية. فما كان من السفارة الفرنسية إلاّ أن أرسلت وفدًا من موظفيها للاحتجاج لدى الوزير وتهديده ضمنيًا بقطع مساعداتها.»

«ومن مظاهر نجاح الفرانكفونية في الوقت الراهن أن الناس يتقاتلون لإلحاق أطفالهم بمدارس البعثة الفرنسية، ويوسطون الوزراء والكبراء».

«والدولة الفرنسية واثقة من انتصار طوابيرها المحلية، ومن أنها لم تعد في حاجة إلى بناء مدارس فرنسية، لأن أبناءها

الروحيين من السمر والسود والصفر سيقومون عنها بذلك».

وقد عبّر أحد الشيوخ المغاربة الذين كانوا يعتقدون أن البلاد ستعود بعد الاستقلال إلى أصولها العربية الإسلامية [تشكيك خطير وشبهة واهية] عن خيبة أمله بقوله:(قولوا للنصارى أن يذهبوا فإن نصارانا قد نضجوا).

ويضيف: «لم تعد الفرنسية لغة النخبة، بل أصبح يتشدق بها كل من هبّ ودبّ».

ثم يدخل في متاهات يعلم مقصدها صاحب القول نفسه: والنخبة الآن بدأت ترطن فيما بينها بالإنجليزية.

ويعود للتناقض، والتخليط والغموض بقوله: «فمستقبل الفرنسية لا يدعو إلى الارتياح! وأهل المغرب ولوعون بالجديد (يعني الإنجليزية)، والفرنسية فقدت بريقها».

وأحب أن أشير إلى أن الحكومة الجزائرية أصدرت تعليمة رقم ١٤٢ مؤرخة في ١٩٩٨/٢/٢٣م تتضمن رسميًا تعميم اللغة العربية الوطنية واستعمالها عبر كامل مؤسسات الدولة الجزائرية وعبر عموم التراب الوطني، ويأتي هذا القرار المنتظر تزامنًا مع احتفال الجزائر بعيد استقلالها ٥ تموز يوليو ١٩٦٢ (٥ يوليو ١٩٩٨م).وليس لنا أي مركب نقص اتجاه اللغة الفرنسية أو أي لغة أخرى.

ونرى أنّه من واجبنا دراسة وإتقان اللغات العالمية لاكتساب شتى العلوم والمعارف والتقانة (والتكنولوجيا) والاتصال بيننا وبين الأمم الأخرى.

والحمد لله، اللغات الأجنبية ببلادنا اختيارية لتنوّعها بعد إدخال الألمانية والإسبانية والإيطالية، بالإضافة إلى الإنجليزية التي تدرس مع الفرنسية جنبًا إلى جنب منذ أمد بعيد وبدون خلفيات، بغرض اكتساب العلوم والمعارف.

أما الفئة التي تحدث عنها الكاتب فهي قليلة ومعدودة على الأصابع لكنهّا تحاول جادة محاربة اللغة العربية بالعربية نفسها، وتستعمل الإدارة ووسائل الإعلام لبثّ الفرنسية في غياب البديل.[وهذا موضوع آخر]. وتناضل بطبيعة الحال - انطلاقًا من اتجاهات فكرية (إيديولوجيات) معروفة مثل «العلمانية» و«الشيوعية»، ونتعامل معهم حسب طبيعة المرحلة، ونوعية وخطورة السلاح المستعمل. وعلى العموم «الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه»، لكن خطرهم معلوم وغير خفيّ، بل هو سنّة الله في الكون، بل صراع أبدي بين الحق والباطل.

لكن الذي يضرّ هو الغفلة ووصف الإسلام بعصا العجائز، يتوكأ عليه العجزة.

والهرولة بل العدو على نفس واحد بالتهليل والثناء لقرب فناء لغة الاستدمار الفرنسي، وقرب بعث لغة العصر - الأفعى - الإنجليزية.

مع تسجيل وجوه متناقضة محيّرة بين أسطر مقالة الأخ الكاتب حين يجرؤ على القول: «ومن مظاهر نجاح الفرانكفونية في الوقت الراهن أن الناس يتقاتلون لإلحاق أطفالهم بمدارس البعثة الفرنسية».

ثم يقول: «مستقبل الفرنسية لا يدعو إلى الارتياح وأهل المغرب العربي ولوعون بالإنجليزية والفرنسية فقدت بريقها».

لم تكن الفرنسية في يوم من الأيام عائقًا أمامنا لتمنعنا من حفظ القرآن الكريم، أو التبحر في علوم اللغة العربية، أو إتقان الألمانية والإسبانية أو غيرها من لغات العالم.

واليوم أقرأ دون إحساس بالنقص الألمانية والإنجليزية والصينية واليابانية.

إنّ الصراع الحالي صراع حضاري، القوي فيه من يمتلك وسائل التقنية (التكنولوجيا)، ويتحكم في لغة الاتصال.

وعليه أرى ما يراه من حنكتّه التجارب وعرف حقيقة الصراع - العالم محمد الغزالي رحمه الله -: «الغزو الثقافي الذي يجتاح الأمة الإسلامية صنو الغزو العسكري الذي جاس خلال ديارها بضعة قرون وأثرٌ لا بد منه للهزائم التي أصابتنا وألحقت بنا خسائر مادية ومعنوية فادحة».

والأعداء إذا شنوا غارة على بلد ما، فهم لا ينزلون سائحين عابرين، ولا زائرين متفرجين، وإنما ينزلون به مستبيحين بيضته وكاسرين شوكته، فإن كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره ولم يدعو لأهله إلاّ الفتات. وإن كان لهم أغراض دينية أو اجتماعية وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة، وتغيير ملامحها، وكما ينقل النهر من مجرى إلى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعًا.

والاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الإسلامي من بضعة قرون كان مزدوج الهدف طامعاً في خيرات الشرق الكثيرة يراها ميراثًا لا صاحب له، وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة، يكره الإسلام كراهية شديدة، ويضيق بكل من ينتمي إليه، ويشتد ضيقه بالعرب خاصة فهم قوم محمد صلى الله عليه وسلم وحملة رسالته، وما تزال لغتهم مستودع كتابه وسنته.

يا سيدي هذه هي نظرتنا للصراع الذي أثرته، وأزيد على ذلك أن العدّو واحد سواء أكان الفرانكفونية الفرنسية أم الأنجلوساكسونية الإنجليزية.من حيث الهدف المرسوم، لا من حيث اللغة. فهناك فرق شاسع بين إتقان لغتهم لاكتساب الخبرة وشتى المعارف، وبين الدخول في نصرانيتهم.

بل المصيبة أن طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين المغلوب على أمره في ميادين التربية والتعليم والتشريع وتطوي تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تخفي ليحل محلها البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته.

قال الله تعالى: ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لوْ يردُّونكم من بعد إيمانكم كفّاراً حَسَداً من عند أنفسهم من بعدما تبيّن لهم الحقُّ﴾.**البقرة** : ١٠٩.

إذًا المعركة هي أولاً ضدّ عقلياتنا العدوانية المولعة بتعليق الانهزامات المتوالية، والجهل المركّب على عاتق الآخرين. الاستعمار الإمبريالية الغزو.. فتارة باسم البعثة، وأخرى باسم القومية، نتعارك فيما بيننا في معارك خاسرة تخدم الآخرين.

ومن المضحكات المبكيات التي صادفتني وأنا طالب حينها لم أكن أعي حقيقة الصراع، وكلمة التعريب! وكنت أدرس بالفرنسية، سرتُ بعفوية مع مظاهرة تدعو للتعريب، وفي المظاهرة نفسها سمعت هتافات ضد العربية «إذا عُرِّبت خُرِّبت» مع العلم أن المتشدقين بالتعريب - إلا من رحم ربي - لم يسعوا لإيجاد البديل، وتعبنا نحن الذين تلّقينا دراستنا وتكويننا بالفرنسية في تعريب الوثائق والمصطلحات الأجنبية، والترجمة عمومًا.

إن الإسلام هو قارب النجاة ولغة القرآن الكريم هي لغة العصر الحاضر والمستقبل مهما كان كيد الكائدين.

ولن ينجح أو يعلو حَمَلَة الرايات مهما كان لونها. ولا أخفي احتقاري الشديد لمن يقف في منابر عديدة باسم الدفاع عن اللغة العربية وهو يمقت القرآن الكريم.

وأتعجب حين يتكاتف قوم ممن يدّعون النضال المرير لأجل العربية ليعلنوا الحرب ضد الإسلام!

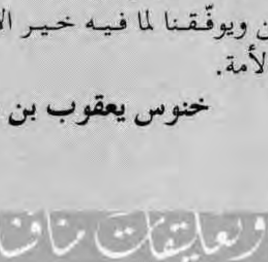
وخلاصة الكلام، أنني أعتزّ باللغة العربية لا لشيء سوى أنها لغة القرآن الكريم، لغة حملها وبلّغها لنا سيّد الخلق محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ذلك الرجل العظيم الذي يُكره ذكر اسمه في نواد فيها أناس يقاتلون بأسماء شتى في ظاهرها الدفاع عن العربية، وفي باطنها الحقد، والكراهية، والاجتهاد للقضاء على الإسلام!!

وهذه حقيقة الصراع الذي استغلّه الأعداء. وبجهل منّا ندعو لنشر الإنجليزية على أنقاض الفرنسية، عوض الدعوة لتمكين اللّغة العربية من امتلاك العلوم والتقنية (التكنولوجيا)، مع العمل على إتقان كل اللغات العالمية بهدف التواصل واكتساب العلوم، والمعارف، والطب.

واللّه نسأل أن يزيل من قلوبنا الأحقاد والضّغائن ويوفّقنا لما فيه خير الإسلام والوطن والأمة.

خنوس يعقوب بن محمد
الجزائر



إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

تذكرني إطلالتكم الشهرية دائمًا بأديب العربية المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي بأسلوبه الحاني الرقيق الذي يأخذك شيئًا فشيئًا لتجد نفسك في عمق المقال ترتوي من النبع، وينهل شغاف قلبك من براعة الاستهلال ودقة التصوير، وعمق المغزى، وصدق الكلمة، وحسن التعبير، ومس الأحاسيس الإنسانية في رقيّ لايقارن فيخرج القارئ بعمق «النظرات» بمزيد من الثقافات والعبرات، وقد أحدث ذلك في حياتنا أثرًا كبيرًا. ولا أكون مغاليًا إذا قلت: إن الفيصل أصبحت مأوانا الظليل ودوحتنا الخضراء الغناء، التي ننتهي إليها بعد الكلل وطول المسير، فنرتمي في أحضانها وظلالها الوارفة، وننعم بينابيع عطائها، وننهل من ثمرات خيراتها بعيدًا من صحراء حياتنا المحرقة. وفي هذا الإطار جاءت إطلالتكم «بل تلاق حضاري» بالعدد ٢٥٨ التي أتناول جانبًا مما أثارته في نفسي من شجون.

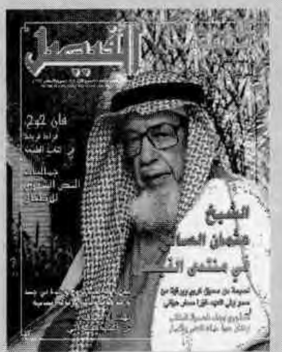
لقد انزلقت الدول الكبرى إلى مستنقع العمل على تشويه القيم الحضارية لصُنّاع الحضارات وأصحاب القيم الإنسانية والمثل العليا، واتخذت لذلك أحط السبل والوسائل، وأعطت ظهورها، وغضت طرفها عن كل نداءات تصحيح مسار الإنسانية، والعودة إلى ما يحقق للجميع الرخاء والسعادة والعيش الهنيء، بعيدًا عن الصراعات غير الإنسانية التي لم تجنِ من ورائها البشرية سوى الخراب والدمار والبؤس والجوع والفقر والحرمان.

نعم. إن مفهوم «صراع الحضارات» الذي أجج الغرب نيرانه بدوافع خفية، بدءًا بالدونية، واستخدامها للون والجنس والعرق أسسًا للتفرقة العنصرية، واعتمادها على الغزو والحصار، وبث الفرقة والتدخل السافر في حياة الشعوب، واتهامها بالعنصرية الدينية من أجل إثارة القلاقل، والسيادة والسيطرة الإعلامية المرئية الممجوجة. ومما يعوق فكر الأمم الأخرى عن الالتفات لو لبرهة إلى بناء إنسانها وأوطانها بزرع الفتن ودس المؤامرات وتدبير المخططات التي تؤجج نيران الفرقة خاصة بين أجيال الشباب، لينطلقوا إلى شهواتهم، بعدما تزلزلت عقائدهم، وامتلأت حقدًا وبُغضًا نفوسهم، ونأوا عن دينهم، وانشغلوا بدنياهم، وتركوا ظهور أمتهم عارية

بعدما تكسروا، وهم دروعها وسيوفها وآمالها ومستقبلها.

لن يحـدث التـلاقـي أبدًا بين حضـارات الغرب الزائفة التي تستهدف في باطنها هدم قيم الحضارات الأخرى، خاصة الحضارة العربية والإسلامية لما تحمله من قيم إنسانية وأخلاقية، يضعون نصب أعينهم أنها تهددهم، فازداد عداؤهم لها، وحقدهم عليها، وإصرارهم على نبذ التوغل العميق في دراسة الحضارة الإسلامية بموضوعية وأصالة، تلك الحضارة التي سادت في عصور شتى بانفتاحها على الحضارات الأخرى كافة في سمو يهدف في أعماقه إلى سعادة البشرية جمعاء، استلهامًا من مبادئها وأصالتها وقيمها التي ستظل على مدى الأزمان نبراسًا ومنارة هادية لبني البشر. ولكنهم لا يفقهون. فمتى يفقهون؟

عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة
محافظة الدقهلية ـ مصر



ملاحظات على المصطلحات المنهجية

نشرت «الفيصل» دائرة معارف بعنوان «المصطلحات المنهجية»، وذلك في العدد رقم ٢٤٩، وقد وجدت فيها ملاحظات تستحق الوقوف عندها، توخيًا للدقة وحرصًا على مستوى ما ينشر، وأهم تلك الملاحظات:

- تعريف مادة «الإحصاء» Statistics جاء مخالفًا للواقع الحالي، حيث إن الإحصاء ينظر إليه على أنه علم له مناهجه وتقنياته، يتم حسابها كإيجاد المتوسط الحسابي، والمنوال أو الشائع، والوسيط، وتعرف هذه المقاييس النزعة المركزية، وهناك مقاييس تشتت الدرجات، ومنها المدى المطلق والانحراف المعياري ونصف المدى الربيعي، إلى جانب معاملات الارتباط بين الظواهر المختلفة، فضلاً عن مقاييس الدلالة أو معنى الفروق الملاحظة، وهو ما أغفله التعريف الوارد بدائرة معارف المصطلحات المنهجية (ص١٠٢ العدد٢٤٩).

- كذلك فإن تعريف مادة «الاستبطان» يجيء مخالفًا للحقيقة من حيث عدم إشارته إلى كونه عملية وصف الذات، أي وصف للإنسان، ولما يدور في ذاته من المشاعر والأفكار والانفعالات والأحاسيس intro-spection.

وهو منهج يستخدم في الدراسات والمعالجات النفسية.

- النص الأجنبي الوارد لمصطلح «البواقي» ترجمته الحقيقية والدقيقة هو طريقة البواقي حيث إن دوائرالمعارف تتطلب دقة بالغة في الصياغة لرجوع كثير من الباحثين إليها.

- التعريف الوارد لمصطلح «التجربة» لا يصف واقع التجربة العلمية، من حيث إنها تعني قيام الباحث باصطناع الظاهرة اصطناعًا تحت الظروف والمحددات والمؤثرات التي يرغب فيها، وتحت ظروف كبيرة من الضبط التجريبي.

- «التعريف» لا يقتصر على تحديد خصائص كل علم، وإنما التعريف ينصب على الظواهر المختلفة كتعريف الجريمة أو العدوان أو الفقر. ومنه التعريف الإجرائي وهو الإشارة إلى الظاهرة كما تبدو في جزئيات صغيرة من سلوك صاحبها.

والتعريف لا ينصب على كل خصائص الفرد مثلاً، وإنما ينصب على الصفات الجوهرية فيه فقط، كتعريف الإنسان بأنه «حيوان مفكر».

- المصطلح الوارد «للروح العلمية» صحته وفقًا للترجمة الدقيقة هوالعقل العلمي Scientificmindفكلمة mind تعني العقل، وليس الروح، والتي يوجد لها مصطلح آخر هو soul. - كلمة «الزعم» Claming ليست مصطلحًا علميًا ولا منهجيًا، وإنما هي لفظة عادية بمعنى الادعاء. لم ترد في البحث، ولا في القاموس وإنما ورد: المدّعي المطالب Clarminter

- ترجمة عبارة «شك منهجي» لا تتضمن سوى كلمةالشك فقط Doubte وتعريفه: الشك في صحة الوقائع، وليس كما ورد في دائرة المعارف هذه.

- كما تلاحظون أن الكاتب خلط بين المصطلحات الإنجليزية والفرنسية ففي وسط دائرة معارف إنجليزية أدخل بعض العبارات الفرنسية دون قصد، ومنها كلمة Doubteوهذا أمر غير لائق إذا ورد دون تنبيه، وليس له مسوّغ فهناك المصطلحات الإنجليزية التي تشمل كل المفاهيم، فلماذا دسّ عبارة أو أكثر بلغة أخرى دون إشارة إلى ذلك؟

- ترجمة كلمة «صنف» Class ليست دقيقة، فهي تعني فئة أوطبقة أو حتى فصل مدرسي أوفصل دراسي، ربما كان الكاتب يقصد عبارة Soil Class وليس Class وحدها.

- يعوز الدائرة ضرب الأمثلة التوضيحية في المصطلحات الفنية الغامضة كما هو الحال في «طريقة البواقي» وفي «طريقة الاختلاف».

- تعريف كلمة «غامض» يشير إلى غموض الفكرة فقط، بينما الموقف كله أو الظاهرة كلها قد تكون غامضة أي غير مفهومة بالنسبة إلى الملاحظ أوالدارس أوالإنسان المدرك.

- يجيء تعريف مصطلح «الفرض»hypothesis بصورة مخالفة لما عليه الواقع العلمي الآن من حيث إن الفرض هو حل مبدئي للمشكلة المراد دراستها، أو هو تفسير مبدئي لها، أي افتراض رجوعها إلى سبب أو أسباب معينة. ولا تأتي الفروض من فراغ أو من الخيال، كما يذهب تعريف دائرة المعارف، وإنما لابد أن يستمد الفرض من التراث العلمي، ومن الملاحظات السابقة والحالية، ولا بد من أن يتصل بالظاهرة ويفسرها، وأن يكون قابلاً للقياس والملاحظة والتجريب والتحقق من صحته أوبطلانه.

- ترجمة مصطلح «كشف» تأتي خاطئة في الهجاء.

- لفظة «لزوم» المقابل لها بالإنجليزية Im-plication يعني تضمنًا أو تضمينًا وليس لزومًا.

- مصطلح «نظرية» Theory يجيء تعريفه خاطئًا، ذلك أن النظرية هي التي تفسر الظواهر، وتحكم حدوثها، ويتفق التفسير مع الواقع، وليس كما يقول التعريف الوارد بدائرة المعارف المذكورة، وإنما يتحول الفرض إلى نظرية إذا ثبتت صحته بالتجربة أو الملاحظة أو القياس أوبعد التحقق من صدقه.

وكيف يربط الفرض بين عدة قوانين والقوانين أكثر صدقًا من الفروض، ويستحيل أن يكون الأمر فرضًا، ويكون في الوقت نفسه قانونًا أو نظرية. ويسوق مثالاً من الشريعة والوحي لا علاقة له بالنظريات.

- ومن أجل ذلك لزم التنويه نظرًا لمنزلة الفيصل الغراء في قلوبنا جميعًا، وللثقة التي يشعر بها القراء نحو موادها ولإمكان استفادة الباحثين منها على نحو من الدقة واليقين، ولا شك أن الفيصل رائدة الدوريات العربية الأوسع انتشارًا، والأكثر تداولاً في الأوساط العلمية، فلها قيمة كبيرة ومن أجل ذلك حرصنا على الإشارة إلى هذه الأخطاء فضلاً عما لوحظ من النقل الحرفي لكل المواد مع الخطأ في النقل. ربما لعدم التخصص.

د. مصطفى محمد عيسى
جامعة المنوفية - مصر



تعقيبات حول تمييز العدد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين أما بعد:

تعقيبًا على رد الأستاذ د. محمد سليمان السديس المنشور في العدد ٢٦٠ صفر ١٤١٩هـ تحت عنوان «حول تصويبات عدد سابق»، الذي جاء ردًا على تعقيب لرده في العدد ٢٥٥ حول «تمييز العدد» للأستاذ عاصم محمد بهجة البيطار.

في البداية أود أن أعبر عن شكري وحبي للفيصل وللقائمين عليها لما يبذلونه من جهد متواصل من أجل قراء العربية ومحبيها فجزاهم الله عنا كل خير.

كما انتهز هذه الفرصة لأشكر الأخوين الكريمين د. السديس والأستاذ البيطار لما لهما من حرص وغيرة على لغة الضاد الكريمة.

فاختلاف العلماء يبدو - والله أعلم - رحمة لنا من الوقوع في الخطأ المحض.

ولدى قراءتي لرد د. السديس - حفظه الله - في العدد ٢٦٠ وجدت بعض الملاحظات أرجو أن أكون مصيبًا في عرضها لعلّ في ذكرها فائدة ترجى منها، أو خيرًا ينتفع منه، وهي:

- اعترض د. السديس على العنوان الذي جاء في العدد ٢٥٥ تحت «تمييز العدد» حيث ذكر أنه لم يبد دقيقًا إذ أوحى بأنها جميعًا تصب في قالب واحد. ولدى الرجوع إلى العدد المذكور يذكر د. السديس في مقدمة الرسالة الأخطاء «وجُلُّها يتعلق بتمييز العدد» فإذا كانت الملاحظات جلها تتعلق بتمييز العدد كما ذكر صاحب التعليق فلمَ الاعتراض على العنوان؟ أليس هذا من بَاب التغليب؟ وهو معروف في اللغة العربية، فسورة البقرة مثلاً لا تتحدث عن بقرة بني إسرائيل إلا في موضع قصير وهي أطول سورة في القرآن الكريم، وقد أطلق علماء التفسير على السور القرآنية الأخيرة الثلاث (المعوذات) وقد خلت سورة الإخلاص من كلمة أعوذ، فقالوا: من باب التغليب، وقد عرفت لغتنا العربية عشرات من الكلمات المثناة التي اختلف إفرادها وثنيت على باب التغليب كـ «العمرين والأسودين والأبوين والوالدين والقمرين» وما إلى ذلك.

- أقدر جهد د. السديس إذ كلف نفسه مهمة شاقة لإثبات ما ذهب إليه في قراءة الأرقام من اليسار إلى اليمين ولرجوعه إلى

عشرات المراجع من كتب التراث القيمة ككتب الزبير بن بكار وابن قتيبة وابن حزم وغيرهم.

ولكن ليست القضية أن ما ذكره السابقون صحيح وما خالفهم خطأ، ولكن القضية كما ذكرت سابقًا أن هناك اختلافًا، والاختلاف رحمة، وأن الطريقتين صحيحتان، بيد أن الطريقة التي تستعملها الفيصل من قراءة الأرقام من اليمين إلى اليسار أولى كما تعلمنا ونحن تلاميذ وعلمناها طلابنا، وليست كثرة الأدلة التي ذكرها د. السديس، والتي شغلت ثلاثة أعمدة كاملة دليلاً على خطأ الآخرين أو أولوية من يأخذون بها، فهناك مئات الشواهد من كتب التراث لا تنتصر إلى ما ذهب إليه الأخ د. السديس، ولا بد لي وأنا في هذا المقام أن أبدي تقديري وإعجابي للأستاذ سديس لإقراره بالصواب عندما قال: «بأن قولي في التصويبات المذكورة فيما يتعلق بقراءة تلك الأعداد (العدد ٢٥٥) (ورد كذا والصواب كذا) لم يكن دقيقًا، إذ أوحى بأن الطريقة الأخرى خطأ، وكان ينبغي أن أقول والأولى كذا» أ.هـ. فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على فضله وإثباته للحق.

ـ عند قراءة الرد على تمييز العدد في ع ٢٦٠، ذكر د. السديس «وإلا فما تفسيركم، دام فضلكم، لنصب التمييز في عبارة أوقرابة ٥٠٠ ميلاً الواردة في ص١٤ من العدد الموما إليه، وهي من التصويبات، وقد غضضتم الطرف عنها فلم تشيروا إليها؟ أليس تمييز المائة والمائتين والألف والألفين إلخ مفردًا مجرورًا» أ.هـ.

ظننت لأول وهلة أن المحرر قام بحذف ما أشار إليه د. السديس، لأن ما ذكره صحيح وهو عين الصواب الذي لا خلاف فيه.. ولكن لدى الرجوع إلى العدد ٢٥٥، ص١٣٢ قرأت ما ذكره د. السديس ولكن دون تعقيب من المجلة، أليس نشر ذلك إشارة إليه؟ وعدم التعقيب دليل على صواب الأستاذ؟ كنت أود أن تُذكر هذه الفقرة بغير هذه الصياغة توضيحًا للقارئ الذي يظن أن المجلة لم تشر إلى ما ذكره المعقب في المرة الأولى، وتم إخفاؤه عن القراء.

ـ بالنسبة للفقرة الرابعة من رد د. السديس حول سقوط همزة الوصل من كلمة (ابن) الواقعة في بداية السطر، ص١٠٣ بعد التصويب والسطر٢٣ بعد التصويب أيضًا، لأنها ذكرت خطأً ص١٢ وأظن مرد ذلك كما ذكر الأستاذان الفاضلان إلى ضعف الإنسان أو أنها من الهنات اليسيرة النادرة، كنت أتمنى أن يناقش الأستاذان التكلف في رسم هذه الهمزة، لأنها وقعت في أول السطر بعد علمين وأن يدعوا إلى حذفها اتباعًا للقاعدة كما قامت مجامع اللغة العربية بالدعوة إلى حذف الألف من كلمة (مائة) ونجحت في ذلك، لأن همزة ابن تحذف إذا وقعت بين علمين؛ إلا إذا وقعت في أول السطر وقد كان النُسَّاخ والكُتَّاب يعون ذلك، ولكن الحاسب أو الحاسوب لم يدرك ذلك لأنها تكون محذوفة أصلاً وليست واقعة في أول السطر حتى بعد المراجعة النهائية فلأسباب فنية لا علاقة للمُراجع اللغوي فيها كتكبير الخط أو تصغيره أو لإفساح مجال لصورة أو غير ذلك قد تأتي همزة ابن في أول السطر، وكذلك علامات الترقيم التي صرنا نراها في أول السطر، وهو أمر غير مستساغ.

ـ بالنسبة للمصادر العربية (بهجة مدحة) لا أوافق د. السديس في كتابتها بالتاء المفتوحة حتى لو كان ذلك شائعًا، فالخطأ الشائع لا يقاس عليه، وهي كما ذكر الأستاذ ابن البيطار من الرطانة التركية، ومن المؤسف أن هذا الخطأ دخل في سجلات النفوس الرسمية وبقي كما هو، مع العلم أن هناك أعلامًا بقيت أسماؤهم كما هي في الأصل العربي ك (عزة حصرية، محمد بهجة الأثري) وغيرهما، ويستدل د. السديس على جواز استخدامه بالتاء المفتوحة بدليل التلفظ بالتاء في حال الوقف أيضًا، أقول: الوقوف عليه بالتاء هو الخطأ، فالواجب الوقوف عليه بالهاء وإلا فهل تجيز لمن يقفون بالتاء في «الصلاة، الزكاة، والحياة، والجباة، والغزاة» كتابتها بالتاء المفتوحة؟.

وكنت أود لو أن أخي د. السديس اقتصر تعقيبه على اللغة دون المقاطعة التركية أو الباب المفتوح الذي خرج منه صاحب الحل والعقد لأن السياق لا يقتضي ذلك.

ـ وردت بعض أخطاء في رد د. السديس وأظنها تطبيعية أو من الهنات اليسيرة التي لا تخلو مطبوعة منها مثل قوله في ص١٣٤ العمود الأول، السطر١١: «إن المتمني أن تكون الفيصل ندًا لمثيلاتها من المجلات العالمية التي يندر برغم الضعف الإنساني، أن يواجه مطالعها خطأً حتى ولو في وضع حرف صغير في غير موضعه» فالتركيب (حتى ولو) من الأخطاء الشائعة والصواب (حتى لو) وأظن مثلها ما ورد في العمود نفسه، السطر٣٢ «حتى وإن كانت رطانة تركية» (١) وكذلك ما ورد في العمود نفسه السطر٢٩ في قوله: «فهم علم مستخدم» فالصواب فهو لأن الضمير عائد على بهجت العلم الشائع وهو مفرد مذكر.

أقدم شكري وامتناني للأستاذين الجليلين لما قاما به من جهد مشكورين عليه، كما أقدم شكري وإعجابي للفيصل لحرصها على إغناء القراء بموضوعاتها القيمة، ولفتح باب المناقشات والتعليقات لهم ونشرها بكل صدق وموضوعية، حتى غدت من أرقى الدوريات العربية شكلاً وموضوعًا وقلة في الأخطاء، وإن وجدت عدة أخطاء لا تتجاوز عدد أصابع اليد في عدد واحد، فإن هذا يدل على حرص القائمين عليها ليل نهار على المتابعة والتصحيح خدمة لمحبي العربية، وإن كان هناك كمال، فالكمال لله وحده.

خليل محمود الصمادي
مدارس نجد ـ الرياض

عندما يكتب الله الشفاء



د. غسان حتاحت

الطبيب إنسان قبل أن يكون طبيبًا، ومهما بلغ من العلم فإن مقدار جهله يظل يفوق كثيرًا مقدار علمه. إذ لم يؤتَ البشرُ من العلم إلا قليلا.

ولئن كان الطبيب يصف لمرضاه الدواء، إنّ عليه أن يداوي جهله أولاً، وذلك بالاطلاع المستمر على الجديد من الأبحاث والدراسات، وقراءة الكتب لاستذكار ما نسيه، وكما يقولون: «إذا أردت أن تتعلم شيئًا جديدًا فأعد قراءة ما قرأته قبل عام من الزمن».

وفي القصة التالية مصداق ذلك، وهي عن طفل وليد كاد يفقد حياته بسبب الجهل والإصرار عليه.

حدث ذلك قبل عدة أشهر، عندما اتصل بي أحد الأطباء يريدني أن أذهب إلى مستشفى توليد لفحص ابن شقيقه، وهو وليد عمره ثلاثة أيام، حصل لديه نقص شديد في سكر الدم. وكان سبق أن توفي أخ له من قبل بمثل هذه الحالة. وقد ذكرت لهم الطبيبة المشرفة على هذا الوليد أن لديه مرضًا «استقلابيًا» مميتًا وذا طبيعة وراثية. وهو يريدني - بسبب اهتمامي بالأمراض الوراثية - أن أحدد: ما الأمور التي يجب أن نتنبه عليها أثناء تشريح جثة الطفل بعد وفاته، لعلنا نستطيع أن نعرف بدقة طبيعة مرضه، مما قد يساعد في الحلول التالية؛ إذ لا أمل لهذا الطفل في الحياة كما ذكرت لهم الطبيبة المشرفة عليه.

لا أخفي أنني لم أشعر بحماسة للذهاب لفحص المريض، فنقص سكر الدم ليس من الحالات التي أراها كل يوم أو حتى كل شهر. لكنني خشيت أن يظن الطبيب الذي طلب مني ذلك أنني أتقاعس عن الذهاب لسبب أو لآخر. ورأيت أن ألجأ إلى كتبي أقرأ فيها عن الجديد الذي لم أعرفه في موضوع نقص سكر الدم، إضافة إلى الجديد الذي كنت أعرفه (ثم نسيته فغدا جديدا عليّ مرة أخرى).

وصلت إلى المستشفى وأخذت أدرس بعناية إضبارة المريض، فتبين لي منها أن مقدار سكر الدم انخفض بعد الولادة حتى قارب الصفر، وتم علاج ذلك النقص ببطء يخالف الطرق التي ينصح بها، واستمر ذلك العلاج أكثر من اللازم حتى ارتفع سكر الدم إلى أكثر من أربعة أمثال الرقم الطبيعي. وخلال هذا الوقت اضطربت مقادير أملاح الدم وارتفعت البولة الدموية كما زادت درجة حموضة الدم.

عندما رأيت الطفل كان يتنفس بصعوبة وسرعة، مع وجود أنابيب «بلاستيكية» في فتحتي الأنف لتزويده بالأكسجين. ولدى فحصه تبين لي أن لديه نقصًا كبيرًا في السوائل.

بعد الفحص طلبت أن أتحدث هاتفيًا مع الطبيبة المشرفة عليه، ومع أنه تجمعنا صداقة قوية. إلا أنني شعرت أنها أحست بانزعاج شديد لأن أهل الطفل استشاروني، وقالت: إن حالة الطفل استقلابية لا أمل في شفائها، وإنه ميت لا محالة.

وعندما سألتني عن رأيي، قلت لها إن الطفل مصاب بنقص شديد في السوائل، بسبب كثرة التبول نتيجة ارتفاع سكر الدم، ولابد من تصحيح ذلك. كما أن اضطرابات مكونات الدم الكيماوية لديه كبيرة يصعب إصلاحها. وقد رأيت أن الحل الأمثل لذلك هو تبديل الدم؛ فإذا كانت هذه الاضطرابات ناجمة عن مرض استقلابي حقًا فسوف تتحسن حالته لوقت قصير ثم تعاوده الاضطرابات من جديد. أما إذا كان مرضه عارضًا فإن تبديل الدم سوف يفيده بالتأكيد؛ وفي جميع الحالات فإن إعطاء هذا الطفل بصيصا من أمل خير من ظلمة اليأس المطبقة.

ردت عليّ الطبيبة بحدة: إنني أرفض هذا العلاج، وعليك أن تعالجه أنت لأنه لا فائدة من طريقتك، ولقد رأيت ثلاثة أطفال في أمريكا يموتون بعد إجراء تبديل الدم نتيجة عودة الاضطرابات الاستقلابية.

ذهبت إلى الأهل، وشرحت لهم حالة الطفل، وذكرت أن تبديل الدم سوف يعطيه أملاً ضئيلاً في الحياة. ولكن هذا الأمل على ضآلته أفضل من لا شيء.

وكتبت رسالة إلى مستشفى الأطفال أشرح فيها حالة الطفل مقترحًا إجراء تبديل الدم له. ومع أن الطبيب المناوب هناك لا يزال في أول درجات الاختصاص فقد استجاب لهذا الطلب علمًا بأنه لم يجر في المستشفى تبديل دم لمثل هذه الحالة من قبل، وإنما يجرى ذلك في حالات اليرقان.

وكتبت لهذا الطفل الحياة، وبلغ الآن عدة أشهر من العمر، وهو طبيعي تمامًا، ولا تبدو عليه علامة مرضية ناتجة عن الاضطرابات الشديدة التي حصلت لديه بعد الولادة.

تريدون الحقيقة، إنني أحمد الله كل يوم على جهلي، فلولا معرفتي بجهلي ما كنت قرأت عن نقص سكر الدم، ولا عن تبديل الدم في حالات الاضطرابات الاستقلابية، بل إنني لم أسمع بذلك قبل تلك الليلة، ولكن إذا كتب الله لإنسان أن يعيش فهو قادر على أن يهيّئ له من الأطباء من يكتب له الشفاء على يديه، ولو كان ذلك الطبيب جاهلاً.

هيهات هيهات لو كان علمي بمقدار جهلي.